موسوعة

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الجزء الرابع

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

موسوعة

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى ربه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الجزء الرابع

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

دار أصداء المجتمع

المملكة العربية السعودية

القصيم- بريدة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

دار أصداء المجتمع

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

القصيم – بريدة

هاتف : ٠٠٩٦٦٦٣٢٣٦٣٣٣

فاكس : ٠٠٩٦٦٦٣٢٣٦٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة

أسماء الله الحسنى

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

البـاب الثالث عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٦١-٦٢- اسم الله الشكور.. الشاكر.

التعبد لله عز وجل باسمه الشكور.. الشاكر.

٦٣- اسم الله الحليم.

التعبد لله عز وجل باسمه الحليم.

٦٤- اسم الله العفو.

التعبد لله عز وجل باسمه العفو.

٦٥-٦٦- اسم الله الغفور..الغفار.

التعبد لله عز وجل باسمه الغفور.. الغفار.

٦٧- اسم الله الودود.

التعبد لله عز وجل باسمه الودود.

٦٨- اسم الله البر.

التعبد لله عز وجل باسمه البر.

٦٩- اسم الله الرؤوف.

التعبد لله عز وجل باسمه الرؤوف.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الشكور.. الشاكر

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله الشكور.. الشاكر

الله عز وجل هو الملك الغني الشكور الشاكر، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، وأسماؤه جل جلاله كلها تدل على كماله وجلاله وجماله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

- **وأسماء الله الحسنى تنقسم إلى أربعة أقسام:**

الأول: الأسماء الدالة على غاية الكمال والجلال والجمال، الكمال الذي لا نقص فيه أبدًا.

فهذه أسماء حسنى يُسمى الله بها، ويوصف بها، وسائر أسماء الله الحسنى ثابتة في القرآن والسنة، مثل: السميع، البصير، الكريم، القادر، القدير، الخالق، وغيرها من الأسماء الحسنى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

الثاني: الأسماء الدالة على كمال؛ لكن مع احتمال نقص بالتقدير.

فهذه لا يُسمى الله بها، لكن يُخبر عنه بها؛ لأن باب الإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء، مثل: المتكلم، الكاتب، الفاعل، المريد، الشائي، وأمثالها، فهذه لا يسمى الله بها،؛ لكن يخبر عنه بها، فيقال: الله فعال، الله يشاء، الله يريد؛ لأن ذلك من باب الإخبار عنه، لا من باب التسمية به.

الثالث: الأسماء التي تحتمل نقصًا وكمالًا؛ مثل: المكر، الكيد، الخداع، الاستهزاء.

فهذه الأسماء وأمثالها لا تُطلق على الله مطلقًا، وإنما تُذكر مُقيدة، فلا نقول: الله ماكر، أو كائد أو خادع؛ وإنما نقول: الله ماكر بمن يمكر، كائد بمن يكيد، وهكذا؛ لأن المكر والكيد والخداع ينقسم إلى قسمين: محمود ومذموم؛ فالله المحمود منه جل جلاله: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

الرابع: الأسماء التي هي نقص محض، مثل: العمى، والصمم، والعجز.

فهذه لا يُسمى الله بها ولا يُوصف؛ لأنها نقص محض فلا تُطلق على الله أبدًا، لا خبرًا ولا اسمًا ولا صفة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠].

وأسماء الله ﷻ أعلام وأوصاف؛ فكلها تدل على ذات الله، فهي أعلام على ذات الله ﷻ، كلها أسماء تدل على ذات الله.

وكل اسم يدل على صفة لله ﷻ، فالسميع اسمه، ويسمع صفته، والعليم اسمه، ويعلم صفته، وهكذا.

وأما أسماء غير الله فهي أعلام فقط، إلا أسماء الأنبياء والرسل والقرآن فهي أعلام وأوصاف، أما أسماء البشر فهي أعلام مجردة، فقد يسمى الإنسان كريمًا وهو من أبخل الناس، أو حليمًا وهو من أسفه الناس، وهكذا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه: ٨].

واسم الشكور من الأسماء العظيمة، والأسماء التي مَنَّ الله ﷻ علينا بها، فبيَّنها لنا، وبين أنه شكور؛ حتَّى نتعبد لله ﷻ بهذا الاسم بعد معرفته، فإذا عرفنا أن الله شكور سارعنا إلى طاعته بأنواع الطاعات، وتسابقنا في الفرائض والواجبات والسنن إلى طاعته؛ لأنه يجزي على الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، إلى أجر عظيم بغير حساب: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠].

فلله الحمد والشكر أن عرفنا في كتابه باسمه الشكور، واسمه الشاكر، ولنتعرف على هذا الاسم العظيم، فإنه من أعظم الأسماء الحسنى التي يجب على العبد أن يتعرف عليه، وأن يعرف معناه، وكيف يتعبد لله ﷻ به.

الله ﷻ هو الشاكر الشكور الذي يثيب على العمل القليل بالأجر الكثير، ويقبل اليسير من العمل، ويعطي الجزيل من الأجر.

وقد ورد اسم الله الشكور في القرآن أربع مرات؛ منها: قوله سبحانه: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[التغابن/ ١٧].

- **أما اسم الله الشاكر فقد ورد في القرآن مرتين:**

في قوله سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[النساء/ ١٤٧].

وقوله سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾[البقرة/ ١٥٨].

والشكور صيغة مبالغة في الكم والكيف، فالله جل جلاله شكور عظيم الشكر، إذا أعطى أعطى عطاءً عظيمًا على قدر شأنه، وكثير الشكر، فهو يشكر على كل حسنة، وكل عمل مهما صغر وقل، فالشكور صيغة مبالغة في الكم عددًا، وفي الكيف عظمةً.

فهو عظيم الشكر، فهو يعطي على الحسنة عشر أمثالها، ويعطي على العمل القليل جنة عرضها السماوات والأرض.

وهو كثير الشكر، فكل حسنة من العبد مقرونة بشكر من الرب، والشكر هو الزيادة، العدل هو المساواة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس: ٢٦].

فالله سبحانه عظيم الشكر، وكثير الشكر، مأخوذ من شكر يشكر فهو شكور، والشكور المثيب للشاكر على شكره، فمن العبد العمل، ومن الله عز وجل الشكر على العمل، وله الحمد والشكر أن بيّن لنا الدين، ورغّبنا فيه، وأعاننا عليه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة: ٢ – ٥].

ثم ضاعف لنا الأجر عليه، فالشكور هو المثيب للشاكر على شكره، المجازي على الحسنة بأضعافها: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[البقرة/ ٢٤٥].

والشاكر اسم فاعل من شكر يشكر فهو شاكر، فالحمد مني إلى ربي، والشكر منه على عملي، فأنا أحمده: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[الفاتحة/ ٢].

وأحمده على نعمه المادية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[الأنعام/ ١].

وأحمده على نعمه الروحية الإيمانية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾[الكهف: ١].

فأنا أحمده، وهو يشكر لي هذا الحمد، فالحمد صادر مني إليه، والشكر منه جل جلاله لي على ما عملته، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضعفة، إلى أجر عظيم من لدنه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧)﴾ [النساء: ٦٦ – ٦٧].

وإذا قال الله ﷻ عن الأجر أنه عظيم؛ فهذا عطاء عظيم، ولا يعطي العظيم إلا العظيم؛ لأنه يعطي على قدر شأنه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾ [غافر: ٦٥].

والله شكوروشاكر، وشاكر وشكور صفة ذاتية لله لا تنفك عنه، فلا يمكن لأي عبد أن يعمل أي عمل إلا ويشكره الله عليه، ولا يعطيه على الحسنة مثلها بل عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفةفهذا هو اللائق بجلاله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨)﴾ [طه: ٨].

والشكر: مجازاة الإحسان بالإحسان: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)﴾ [يونس: ٢٦].

ومقابلة المنعم على فعله بالثناء عليه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

هو سبحانه الشاكر الشكور الذي يشكر القليل من العمل الصالح الخالص المنقطع بالأجر العظيم الدائم، ويعفو عن الكثير من الزلل من أخطاء اللسان والجوارح، ولا يضيع أجر من أحسن عملًا، بل يقبله ويضاعفه أضعافًا كثيرة بغير عد ولا حساب: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾ [الزمر: ١٠].

وذلك فضل من الله ورحمة، ليس حقًّا واجبًا عليه، وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه؛ كرمًا منه وجودًا: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤)﴾ [الأنعام: ٥٤].

فسبحانه ما أكرمه لعباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠)﴾ [يونس/ ٦٠].

هو جل جلاله الشكور الذي يعطي العبد، ويوفقه لشكره عليه، ويشكر القليل من

العمل فلا يستقله، بل يشكره ويضاعفه؛ لكمال رحمته وحبه لعباده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

هو الشكور الذي إذا ترك العبد شيئًا محرمًا من أجله أعطاه خيرًا منه، وإذا فعل شيئًا أو بذل شيئًا من أجله؛ رده عليه أضعافًا مضاعفة، وهو سبحانه الذي وفقه للبذل والترك، ووفقه للشكر على هذا وهذا: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

هو سبحانه الشكور الذي يعطي على العمل القليل الأجر العظيم: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء/ ١١٤].

فسبحان ربنا الكريم الشاكر الشكور الذي يجازي بقليل الطاعات أكبر الدرجات، وعظيم الحسنات، ويعطي على العمل الصالح القليل في الدنيا نعيمًا في الآخرة غير محدود ولا مقطوع!: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

والفرق بين الشاكر والشكور: أن اسم الله الشاكر اسم فاعل؛ لأنه موصوف بالشكر، فهو يشكر على الأقوال، وعلى الأعمال، وعلى الأخلاق، وعلى كل حسنة مهما كانت، الله يشكر كل عبد على طاعته، ويثيبه ويجزيه عليه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

أما اسم الله الشكور فهو من صيغ المبالغة التي تدل على الكثرة وعظيم الأجر، فالله يشكر الطاعة اليسيرة، ويثيب عليها الثواب العظيم، فمن في قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ الله يعطيه مثل هذه الدنيا عشر مرات في الآخرة.

فالله يشكر الطاعة اليسيرة، ويثيب عليها الثواب العظيم، والأجر الجزيل مرةً بعد مرة: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

فالشكور مَن تكرَّر منه الشكر الجزيل، والشاكر من وقع منه الشكر، والله شاكر وشكور، والعبد الذي لا يشكر إلا نوعًا واحدًا من الطاعات أوالنعم أو يشكر لمرة واحدة لا يُقال له: شكور.

والنصر على الأعداء أحد أوجه شكر الله لأوليائه، فالله شكور، يشكر من أطاعه، وجاهد في سبيله، ونصر دينه، فإنه ينصره ويؤيده ويعزه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد: ٧].

فمقابل طاعتكم وعبادتكم لله وتوحيدكم له ينصركم على عدوكم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١].

والصفة المشتقة من اسم الله الشاكر والشكور هي صفة الشكر، وهي من صفات الله الفعلية، فالله يشكر كل طاعة من العباد، ويثيب عليها بالثواب الجزيل: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾ [النساء/ ١٤٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

واسم الله ﷻ الشاكر والشكور قد اقترنت بها أسماء أخرى.

فقد اقترن اسم الله العليم بالشاكر مرتين في القرآن، منها قوله سبحانه: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة/ ١٥٨].

وسر ذلك والله أعلم أن الله سبحانه عليم بمن يستحق الثواب والشكر على عمله، ومقدار الشكر، فليس كل عامل ومتطوع بالخير يقبل الله سعيه ويشكره عليه: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣].

فيشكرهم على طاعاتهم وحسناتهم، لأن الإنسان قد يعمل العمل، ويكون غير خالص لوجه الله ﷻ، وقد يعمل العمل خالصًا لله ﷻ؛ لكن على خلاف السنة: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

والله سبحانه شاكر لا يضيع أجر محسن، عليم لا يخفى عليه إحسان: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٣- ١٤].

وكذلك قد اقترن اسم الله الحليم مع الشكور مرةً واحدة في القرآن الكريم في قوله

سبحانه: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن/ ١٧].

وسر ذلك والله أعلم أن الله خلق الإنسان، ثم رزقه، ثم طلب منه أن ينفق مما أعطاه الله من قول حسن، وعمل صالح، ومال مكتسب، فالإنسان لسانه ماعون للكلام بالذكر والدعاء، والتحميد والتقديس، والدعوة والتعليم.

وأذنه ماعون للسمع، ويده ماعون للإنفاق، وقدمه وسائر جوارحه ماعون للركوع والسجود، والجهاد في سبيل الله، فالإنسان قد يشكر لكن يقصر، والله ﷻ يشكر لعبده هذا العطاء، ويعامله بالحلم في تقصيره عن شكر مولاه، وتقصيره في الإنفاق؛ لأنه شكور حليم، يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، مع اقترانه بالمعاصي، ويقابل كل إساءة وتقصير من العبد بالحلم والعفو والصفح؛ لأنه شكور حليم.

هو سبحانه الشكور الذي يشكر عباده على شكرهم له، ويزيدهم من خيره وفضله، ويثني عليهم في الملأ الأعلى بين ملائكته، ويرضى عنهم، لما قاموا به من العبادات التي شرعها الله ﷻ على لسان رسوله ﷺ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

فسبحان ربنا الشاكر لعباده على كل عمل عملوه، الشكور الذي يعطي العبد من الخير والفضل، ويوفقه للشكر عليه، ثم يزيده من فضله؛ فله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وله الحمد والشكر على دينه العظيم، وعلى ثوابه الجزيل: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى/ ٢٣].

فسبحانه يضاعف الحسنات، ويغفر السيئات؛ فلا إله إلا الله! ما أرحمه بخلقه! وما أعظم إحسانه إلى عباده! وما أجمل شكره لهم! من بذل من أجله شيئًا رده الله عليه أضعافًا مضاعفة، ومن ترك شيئًا من أجله؛ عوضه أفضل منه، وهو الذي وفق لهذا وهذا، وحببه إلى عبده، وأعانه عليه، وقبله منه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

وقد اقترن اسم الله الشكور بالغفور ثلاث مرات في القرآن الكريم منها قوله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾[فاطر/ ٣٤- ٣٥].

فالله شكور يغفر الذنوب لعباده إذا تابوا وأنابوا، ويشكرهم على طاعتهم له، ويغفر للمؤمنين تقصيرهم في شكره، فلله الحمد والشكر؛ الذي يجمع لعبده المؤمن بين شكره لإحسانه، ومغفرته لإساءته.

وسر اقتران الشكور بالغفور أن في هذا الاقتران كمال الوقاية والعناية والسلامة، والغنيمة، ففي المغفرة الوقاية والسلامة من الذنوب التي تهلك العبد، وفي الشكر العناية والغنيمة: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[فاطر: ٣٠] غفور للذنوب، شكور للحسنات.

ومن جلال شكر الله أنه غفر لرجل من أجل تنحية غصن شوك عن الطريق.

قال النبي ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ؛ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ؛ فَغَفَرَ لَهُ**» متفق عليه[١].

ومن جلال شكره سبحانه لعباده أنه «**غفر لامرأة بَغِيٍّ سقت كلبًا من الماء، فشكر الله لها، فغفر لها، فأدخلها الجَنَّةَ**»، متفق عليه[٢].

ومن جلال شكره جل جلاله لعباده أنه لا يعذب المؤمن الشكور، ولا يضيع أجر محسن، ولا يعذب غير مسيء: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[النساء: ١٤٧].

الله ﷻ لا يريد أن يعذب عباده؛ إنما يبتليهم ليقلبهم في حال السراء والضراء، ليستخرج العبوديات المتنوعة منهم؛ فيزيد أجورهم: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[فاطر: ٣٠].

ومن جلال شكره سبحانه أنه يعطي عباده الصالحين ما لا يخطر على بالهم في الجنة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة/ ١٧].

أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، وقليل منهم من يجاوز ذلك، ولكن الله ﷻ

متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٩١٤).

(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧)، واللفظ له،ومسلم برقم (٢٢٤٥).

يعطي المؤمن على هذا العمر القليل جنة عرضها السماوات والأرض، ويعطي الحياة الأبدية والنعيم الأبدي، فهذا شكره جل جلاله، فهو شكور يعطي العطاء العظيم، ويعطي العطاء المتنوع: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

وفي الحديث القدسي: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**» متفق عليه(١).

الله أكبر! ما أعظم رحمته! وما أعظم كرمه! وما أعظم شكره لعباده!: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

سبحان الله ما أوسع ملكه! وما أعظم عطاءه وإحسانه جل جلاله! كل ما نراه ورأيناه بالنسبة لما لم نره كالذرة بالنسبة للجبل، وقد رأينا أشياء كثيرة من عالم الجماد والنبات والحيوان، ومخلوقات كثيرة متنوعة.

كل ما رأيته وتراه بالنسبة لما لم تره أيها العبد كالذرة بالنسبة إلى الجبل، وكالقطرة بالنسبة للبحر، وما تشاهد من المخلوقات بالنسبة لما تسمعه عن المخلوقات كالذرة بالنسبة للجبل.

وما سمعته وما لم تسمعه بالنسبة للخاطر كالذرة بالنسبة للجبل، فكل ما رأيته وما سمعته وما خطر على قلبك عطاء الشكور الشاكر لك أعظم من كل ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

فسبحان من هذا عطاؤه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧].

فدائرة ما تراه من المخلوقات إلى ما تسمعه لا شيء، ودائرة ما تسمعه عن المخلوقات إلى دائرة ما تتخيله لا شيء، فسبحان الخلاق العليم بكل ذرة في ملكه العظيم!: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

ومن هذه صفاته هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان ربنا العظيم! سبحان ربنا الشكور، الذي يشكر على ما أنعم على العبد به، يشكر على العمل القليل بالأجر الجزيل، هو الشكور الذي لا يطالب بالشكر الكثير على النعم الكثيرة، بل يطالب بالشكر على قدر الطاقة، ولو كان شكرًا قليلًا: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

قليل من عبادي الشكور مع أن عظمة الله وجلاله، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة دينه وشرعه، تستوجب الشكر الكثير للرب الذي هو أهل أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

[يونس: ٣١ – ٣٢].

وإن المؤمن إذا تأمل الشريعة؛ وجد أن الله يعطي الأجر العظيم على العمل اليسير، فتبسمك في وجه أخيك صدقة، والله يرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، والكلمة الطيبة صدقة: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر/ ٣٤].

فيا عبد الشكور، اشكر ربك الشكور على نعمة الإيجاد، وعلى نعمة الحياة، وعلى نعمة الإمداد، وعلى نعمة الهداية، وعلى نعمة العافية، وعلى جميع النعم: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

والله ﷻ شاكر وشكور، فهو الشكور الحق، عظيم الكرم، جزيل العطاء، كثير المكافأة، الذي يعطي الثواب الكثير على العمل القليل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

وهو سبحانه الشكور الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويثيب عليها الكثير من الثواب والأجر، ويعطي الجزيل من النعم، ويرضى باليسر من الشكر على ذلك.

والله ﷻ منّ علينا وأعطانا آلات الشكر: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

هو سبحانه الشكور الذي يقبل اليسير الذي لا ينفعه من الطاعة، ويعطي العظيم الذي ينتفع به كل من أطاعه: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت/ ٦].

هو الشكور الذي يعطي أحسن الثواب على أقل عمل: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

وهو الشكور الذي يعطي من آمن به وأطاعه عطاءً لا نهاية له، ولا حد له: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٧].

فسبحان الرب العظيم الشكور الذي يعطي قبل السؤال، ويعطي على قدر شأنه، لا على قدر العمل والسؤال، ويعطي على العمل القليل الثواب الجزيل، ويقبل اليسير من العمل والطاعات، ويعطي الكثير من الحسنات والدرجات: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

فمعرفة اسم الله الشاكر والشكور تولد الطاقة الإيمانية للتعبد لله بأنواع الطاعات؛ طمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه، وأنسًا ومحبة لربنا العظيم الذي يُعطي على قدر شأنه على كل عمل يعمله الإنسان، مما شرعه الله ﷻ على لسان رسوله ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

هو سبحانه الشاكر الحق الذي يشكر لعباده إيمانهم وأعمالهم الصالحة، فيقبلها على ما فيها من نقص، ويشكرها لهم، ويثيبهم عليها بأحسن ما كانوا يعملون، ويضاعف لهم الحسنات، ويعفو عن السيئات: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن: ١٧].

حليم على من عصاه، لا يعاجله بالعقوبة؛ وإنما يمهله لعله يتوب، ولا يهمله، فيصيبه بالبلايا والمصائب لعله يتوب إليه: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١].

إن النعم والمصائب والمكروهات رسائل من رب العالمين رحمةً بعباده، لماذا؟ لصرف

الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذب النفوس إلى الملك القدوس، وصرف القلوب عن دار الغرور إلى دار السرور في الجنة.

فقضاء الله كله حكمة ورحمة، وعدل وإحسان، يستحق الشكر لله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقليل منا من يقرأ قضاء الله وقدره في عباده قراءة إيمانية تثمر الحب والشكر لله ﷻ.

فنسأل الله ﷻ أن يعلمنا العلم النافع، ويرزقنا العمل الصالح، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعلنا هداةً مهتدين: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

هو سبحانه الشاكر الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويشكر الشاكرين، ويحب الشاكرين، ويذكر من ذكره، ويزيد من شكره، ويرحم من استرحمه، ويغفر لمن استغفره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر/ ٢٩- ٣٠].

فالحمد لله رب العالمين أن ربنا غفور شكور، ومن عظيم شكر الله لعباده وفضله عليهم أنه يضاعف لهم ثواب جميع الأعمال الصالحة أضعافًا مضاعفة، وأضعافًا كثيرة: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

لماذا يقبض ويبسط؟ لأن لله على كل عبد عبوديةً في حال السراء والضراء، في حال القبض، في حال البسط، يستخرج العبودية؛ لأنه يحب الصابرين، ويحب الشاكرين.

فالله يقلب الأحوال لاستخراج العبودية من الناس في حال السراء والضراء، في حال الغنى والفقر، في حال العافية والبلاء.

أما السيئات فإن الحليم الرحيم يكتبها واحدة كما هي، ولا تضاعف، ويمحوها بالتوبة والاستغفار، ثم يبدلها حسنات، ثم يضاعفها؛ لأنه وحده الغفور الشكور الرحيم بعباده.

ومن كفر بالله أو فعل الكبائر من قتل أو زنا، ثم مات ولم يتب؛ ضاعف الله له العذاب

يوم القيامة بحسب كثرة ذنوبه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠].

فتبدل السيئات مع التوبة بالحسنات، ثم تضاعف الحسنات إلى عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر: ٣٤].

فالله عَزَّ وَجَلَّ عظيم، ودينه عظيم، وكتابه عظيم، وثوابه عظيم، ونعيمه عظيم، وعقوبته عظيمة: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

والله سبحانه واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو الواحد الأحد الذي له الملك وحده، وله الخلق وحده، وله الأمر وحده، وجميع النعم التي يتنعم بها الخلق في الدنيا والآخرة من رزق وعافية، وأمن وسرور، وعلم وعمل، ومال وولد؛ كلها من رب العالمين وحده لا شريك له: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

جميع النعم منه، مفاتيح الخزائن بيده، مفاتح الغيب بيده: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

وواجب الجميع أن يشكروا ربهم على كل نعمة باستعمالها في طاعته، والتقرب بها إليه، فإن كفروها ولم يشكروها؛ تعرضوا لعقابه وعذابه: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

والله سبحانه هو الشاكر الذي يمدح من يطيعه، ويثني عليه، ويثيبه على طاعته، ويزيده من فضله ونعمه في الدنيا والآخرة، ويرضى عنه ويرضيه، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة/ ١٠٠].

والله سبحانه شكور يشكر لعباده حسن الأداء والعمل، أفلا يشكرون له حسن الكرم والعطاء العظيم الذي منَّ به على عباده من نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية؟!: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢].

فسبحان ربنا الشكور الذي له الحمد كله، وله الشكر كله، وبيده الخير كله، وله الخلق والأمر كله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾[الأعراف: ٥٤].

هو الشاكر الذي لا أحد أشكر منه، الشكور الذي يملك خزائن النعم، والرحمة، والهداية، والثواب، ويشكر بها من أطاعه، ويثيبه عليها في الدنيا والآخرة.

هو الشكور الذي يحب عباده، ويرحمهم، ولا يحب عقابهم: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧)﴾[النساء/ ١٤٧].

والعابد حقًّا من أدى عبودية الشكر لربه في كل حال؛ لما يرى من عظمة جلاله، وعظمة جماله، وعظمة خلقه وآلائه، وعظمة ملكه وسلطانه، وكريم عطائه وإحسانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾[فاطر: ٢٨].

فسبحان الكريم الذي أكرم عباده بكل شيء، وأعطاهم كل شيء، ورزقهم من فضله، وأطعمهم من رزقه، وأسكنهم في أرضه، وأكمل لهم دينه، وأنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

فلم لا تشكروه؟ ولم لا تعبدوه؟ ولم لا توحدوه؟: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾[الزمر: ٦٧].

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما أعظم نعمه على عباده! وما أعظم شكره لمن أطاعه! وما أحلمه على من عصاه!: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾[إبراهيم: ٣٤].

والله ﷻ غني كريم، استقرض عباده القليل مما أعطاهم؛ لنفع أنفسهم، ومواساة بعضهم، ثم ضاعف لهم ثواب ذلك أضعافًا كثيرة، وخبأه لهم إلى يوم القيامة، يوم فقرهم الذي ينسون به كل فقر؛ لأنه الغفور الشكور: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

فسبحان ربنا الكريم، الشكور الشاكر لعباده، الذي لا يضيع عنده عمل عامل، بل يضاعف الأجر بلا حساب، الملك الحق الذي يشكر الشاكرين، ويحب الشاكرين، ويذكر الذاكرين، ويتقرب إلى المتقربين: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ۚ وَسَنَجۡزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾ [آل عمران/ ١٤٥].

وقال النبي ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي؛ أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» متفق عليه[1].

والشكور سبحانه إذا بذل العبد شيئًا من أجله؛ رده عليه أضعافًا مضاعفة، وهو الذي أنعم به عليه، وأعانه على إنفاقه في سبيل مرضاته، وإن ترك العبد شيئًا من أجله؛ أعطاه أفضل منه، واستعمله في طاعته: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ ۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر/ ١٧- ١٨].

وكل من عبد الله فهو العاقل حقًّا، وكل من ترك عبادة الله ﷻ فهو سفيه حقاً، كل كافر، وكل مشرك، وكل منافق؛ كل هؤلاء سفهاء: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِى ٱلدُّنۡيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ ۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣١].

فالسفيه عنده جهل بنفسه، وجهل بربه، وجهل بعظمة ملكه وسلطانه، وجهل بنعمه وإحسانه، وجهل بدينه وشرعه؛ لهذا فهو في عداد السفهاء.

والسفيه لا بد من الجهد عليه؛ حتى يكون حكيمًا وعاقلًا، يكبر من يستحق التكبير،

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

ويشكر من يستحق الشكر، ويعود إلى رشده، وذلك بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥].

والله سبحانه شكور حليم، وشكور عليم، هو الحكيم العليم الكريم الذي أنعم على عباده بكل نعمة: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

ووفقهم للبذل والترك من أجله، وشكرهم وأثابهم على هذا وذاك، فمن جاء بالحسنة فله من ربه عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[البقرة/ ٢٦١].

ويجزي الشكور سبحانه على الإيمان والعمل القليل جنات النعيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].

فسبحان الكريم الذي يعطي الجنة الأبدية على عمر قليل؛ فعمر الإنسان إذا قدرنا أنه ستون سنة مثلاً، ثلثه ذهب في النوم، وربعه لم يبلغ الحلم، فلم يبقَ منه تقريبًا إلا بضعة عشر عامًا، يُعطى المؤمن مقابل هذا حياة أبدية، في نعيم أبدي، وخلود أبدي، لأن ربه شكور غفور، شكور يعطي على قدر شأنه، لا على قدر سؤال العبد، فالعظيم لا يعطي إلا العظيم، أما الحقير فهو لا يعطي إلا الحقير.

فمن ترك الكفر والشرك والمعاصي؛ عوضه الكريم بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح الذي به سعادته في الدنيا والآخرة، فحين بذل رسل الله وأولياؤه أنفسهم وأموالهم في سبيل الله؛ أعاضهم الله بأن حبب إليهم الإيمان، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وصلى هو عليهم وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء في السماء والأرض: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب/ ٤١- ٤٣].

فرحمته عامة، جميع الخلائق تعيش في رحمته، ولولا رحمته العامة لما عاش الناس كلهم في هذا الهواء، وفي هذا النور، وأكلوا من هذا الطعام، وشربوا من هذا الشراب، وهذه

رحمته الواسعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

أما رحمته الخاصة فهي للمؤمنين، فهو رحيم رحمة عامة لجميع الخلق، ورحيم بالمؤمنين خاصة رحمةً خاصة.

وحين ترك رسل الله وأولياؤه ديارهم وأموالهم من أجل إعلاء كلمة الله، وخرجوا منها ابتغاء مرضاة الله؛ أعاضهم الله عنها أن فتح لهم البلاد، وملكهم الدنيا، وجعلهم خلفاء الأرض؛ شكرًا منه جل جلاله لعباده: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور/ ٥٥].

الفاسقون هم الذين خرجوا من الطاعة إلى المعصية، ومن التوحيد إلى الشرك، ومن الإيمان إلى الكفر.

فسبحان الله! ما أصدق وعده! وما أعظم شكره لمن أطاعه! ما أسرع إجابته ونصره لمن دعاه، وأطاعه، وتاب إليه!: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾ [نوح: ١٠ –١٨].

والله سبحانه هو الشكور الذي يشكر العبد المؤمن على إحسانه لنفسه بعظيم الثواب، ويجازي عدوه بما يفعله من الخير بالإحسان إليه في الدنيا، ويخفف عنه العذاب في الآخرة بما عمله من الخير، وهو أبغض الخلق إليه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝٢١ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء/ ١٨- ٢٢].

مذمومًا لا حامد لك، مخذولًا لا ناصر لك، وحين ذلك تقع الحسرة حين لا تنفع الحسرة

والندم: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٥ – ١٦].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**» أخرجه مسلم(١).

ومن شكره سبحانه: أنه يخرج المؤمن من النار بأدنى مثقال ذرة من خير أو إيمان.

ومن شكره سبحانه أنه في الآخرة يعطي أقل المؤمنين إيمانًا وعملًا مثل هذه الدنيا عشر مرات.

ومن شكره سبحانه أن العبد المؤمن من عباده يقوم له مقامًا يرضيه بين الناس، فيشكره له، وينوه بذكره بين ملائكته وعباده، كما شكر لصاحب يس حين قال: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٥ – ٢٧].

فسبحانه من رب غفور شكور، يعطي من خزائنه ما يصلح عباده، ويرغبهم في العطاء لغيره، ثم يضاعف أجر المعطي؛ لأنه كريم، العطاء أحب إليه من المنع، شكور يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل!: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر/ ٦١].

ولما علم الله ﷻ عجز عباده وخلقه عن كمال حمده وشكره؛ حمد نفسه قبل أن يخلقهم، وقبل أن يحمده أحد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر/ ١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف/ ١].

والحمد والشكر لله من أعظم العبادات، بل الدين كله حمد وشكر للرب.

أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وجميع العبادات والطاعات كلها حمد وشكر للرب ﷻ على عظمة أسمائه وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة دينه وشرعه، وجزيل نعمه وإحسانه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨).

والفرق بين الحمد والشكر أن الحمد أعم من وجه، فالحمد يكون على النعم والمصائب، أما الشكر فلا يكون إلا على النعم، وكذا الشكر أعم من وجه، حيث يكون بالقلب واللسان والجوارح، أما الحمد فلا يكون إلا باللسان.

ويطلق كل من الحمد والشكر على الآخر، فإذا اجتمعا كان لكل منهما معناه الخاص به.

والله شكور يشكر عباده على أعمالهم الصالحة، وشكر الله لعباده على قدر شأنه وعظمته، وعلى قدر حسن العبادة.

هو الشكور الذي لا أشكر منه، يشكر عباده على كل طاعة ولو قلت، حتى إنه ليشكر للكافر حسناته، لكن في الدنيا؛ لأنه لا حظ له في الآخرة لعدم إيمانه، وكل عبادة تصدر من العبد فهي شكر لله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

فصلاتك شكر لله، وزكاتك شكر لله، وصيامك شكر لله، وحجك شكر لله، وذكرك شكر لله ﷻ، وإحسانك شكر لله، وصلة الرحم شكر لله، كل ذلك شكر لله.

وكلما زادت معرفة الإنسان بربه؛ أحبه، ثم أطاعه، وزاد شكره لربه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فكلما زادت معرفة الإنسان بربه؛ زاد شكره لربه بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

وقد مدح الله رسله وأنبياءه بكثرة الشكر، فقال عن نوح ﷺ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ [الإسراء/ ٣].

وقال عن إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾ [النحل/ ١٢٠-١٢١].

والعبد الشكور هو المجتهد في العبادة بأنواعها، خالصةً لله ﷻ، موافقةً لسنة رسول الله ﷺ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

اللهم: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف: ١٥].

ومن شكره لعبده أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، وأبدله حلاوةً في قلبه إلى يوم يلقاه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ

حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾[الطلاق/ ٢ – ٣].

وسليمان ﷺ لما ترك الخيل من أجل الله؛ أعطاه الله الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب.

ويوسف ﷺ لما ترك امرأة العزيز من أجل الله؛ أعطاه الله ملك مصر، وأخرجه من السجن إلى القصر.

والشهيد لما قدم نفسه في سبيل الله؛ عوضه الله بالحياة، وطير خضر تسرح به في الجنة حيث شاء: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[آل عمران: ١٦٩ – ١٧٠].

هذا التكريم للذين بادروا إلى طاعة ربهم، وبذلوا أنفسهم من أجل مرضاته، هم عند ربهم يرزقون، أحياء غير أموات؛ ولهذا فالشهداء لا يصلى عليهم.

والصحابة لما تركوا مكة، وهاجروا من أجل مرضاة الله؛ ملكهم الله الدنيا، وجعلهم رعاة الأمم بعد أن كانوا رعاة الغنم.

ولما تركوا كل شيء من أجل دين الله ﷻ؛ أعطاهم الله ﷻ التوحيد بدل الشرك، والعلم بدل الجهل، والوحدة بدل الفرقة، والرحمة والإحسان بدل الظلم والعدوان الذي كان في الجاهلية: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾[الجمعة/ ٢].

ومن بكى من خشية الله في الدنيا؛ شكر الله له ذلك، ولقاه يوم القيامة نضرةً وسرورًا.

ومن شكره أنه يمهلك أيها العبد بعد المعصية لتتوب إليه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر: ٥٣].

إن معرفة الله الشكور تقتضي معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، ومن عرف ذلك أحب ربه، وحمده وشكره، وكبره وعظمه، وأطاعه وعبده: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

واعلم أيها العبد وأيتها الأمة أن شكر الخالق كما يجب مستحيل؛ لأنه مترتب على معرفة النعم، ومعرفة النعم كلها مستحيلة: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾[النحل: ١٨].

وشكر الله على النعمة نعمة تحتاج إلى شكر؛ ولهذا نقول: سبحانك لا نحصي ثناءً عليك،

أشكرك بقدر ما أعلم، وبقدر ما أستطيع، ولا أحصي ثناءً عليك.

فإذا جاءك خير من جماد أو نبات أو حيوان فاشكر الله وحده؛ لأنه الذي أوصله إليك.

وإن جاءك الخير من إنسان فاشكر الله الذي خلقه، ثم اشكر الإنسان الذي أوصله إليك، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

وحقيقة الشكر أن تتجاوز النعم إلى المنعم، فتشكر الله على ما أنعم به عليك وعلى غيرك: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر/ ٦٦].

اشكر ربك بقلبك بالتوحيد والإيمان، والحمد والتمجيد والثناء، والافتقار والانكسار بين يديه، واشكره بجوارحك تعبدًا لربك ﷻ بأداء ما فرض عليك، اشكره بلسانك حمدًا وتمجيدًا، ودعوةً وتعليمًا لخلق الله ﷻ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ: ١٣].

أعظم العلوم على الإطلاق هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة ملكه وسلطانه، ومعرفة نعمه وإحسانه، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه، هذا هو العلم الإلهي الذي نزل على النبي ﷺ، فإذا قام هذاالعلم في القلوب؛ تحركت به الجوارح، ونطقت به الألسنة؛ حمدًا وتعظيمًا للرب، وشكرًا له،ودعوة إليه، وتعليمًا لشرعه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

التعبد لله ﷻ باسمه الشكور.. الشاكر

بعد أن عرفنا اسم الله الشكور، وعرفنا آثاره في الكون، فماذا يجب علينا نحو هذا الاسم العظيم؟ وكيف نتصف بهذا الاسم بعد معرفة الشاكر والشكور سبحانه؟

الله ﷻ شاكر وشكور، شكور يضاعف الأجر بلا حسبان، ويشكر الشاكرين له، ويذكر الذاكرين له، ويعطي على العمل الصالح القليل الأجر الكريم، والثواب الجزيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

من جاء بالحسنة زاد له فيها حسنًا، وآتاه من لدنه أجرًا عظيمًا: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

ومن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، وعرف صفات جلاله من الكبرياء والعظمة، والعزة والجبروت، وعرف صفات جماله من الإحسان والرحمة، والعفو والصفح، واللطف والكرم، من عرف صفات جلاله، وصفات جماله؛ أحبه وهابه، وحمده وشكره، وسعى في مرضاته.

من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه، ومن أطاعه أسعده الله في الدنيا والآخرة.

فمن عرف الله بصفات الجلال والجمال أحبه؛ لأنه عرف عظمة ربه، وعظمة إحسانه، وسعى في مرضاته، وداوم على ذكره وشكره؛ لعلمه بعظيم نعمه، ومعرفته بجميل فضله وكرمه، وإحسانه إلى عباده: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

هو سبحانه الكريم المنعم على العباد جميعًا بكل نعمة؛ أنعم عليهم بنعمة الإيجاد، ونعمة الإعداد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية.

الله ﷻ هو الذي خلق الخلق، وهو الذي أنعم عليهم جميعًا بكل نعمة؛ نعمة الإيجاد،

ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية والرشاد، ومع ذلك فالكريم يشكرهم على العمل القليل الذي هو بمنه وتوفيقه، ويضاعف لهم الأجور من حسنة إلى عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ [التغابن: ١٧ – ١٨].

ومن عرف نعم الله شكرها بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)﴾ [الأنفال: ٢٦].

هو سبحانه الشاكر الشكور الذي يشكر العباد على العمل القليل، الذي هو بمنه وتوفيقه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾ [الحجرات/ ١٧].

وأعظم النعم التي تستحق الشكر نعمة الهداية إلى الإسلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالهداية نعمة يجب أن نشكر الله عليها، ونسأل الله الثبات عليها، ولهذا كل يوم نردد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧].

نرددها كل يوم أكثر من أربعين مرة في الصلوات الخمس، وفي السنن الرواتب، وفي غيرها من الصلوات.

فسبحان الشكور الذي يشكر العباد على العمل القليل الذي هو بمنه وتوفيقه، ويضاعف لهم الأجور، ويغفر لهم الذنوب: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)﴾ [النساء/ ٣١].

ومن عرف ربه باسم الشكور؛ عبده وحده لا شريك له؛ لأنه الذي أحسن إلى الخلق، وأعطى كل عبد ما يحسن به إلى نفسه، وإلى غيره.

هو الذي أعطى كل عبد من الأعضاء من السمع والبصر والعقل، والجوارح ما يحسن به إلى نفسه، وإلى غيره، ويشكر ربه على ما يحسن به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

فربنا شكور، العطاء أحب إليه من المنع، وإذا أعطى لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة؛ لأنه لو نقص مثقال ذرة لكان فقيرًا إلى هذه الذرة، والله غني، وغناه مطلق غير محدود: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾ [لقمان: ٢٦].

أما أنا فقد أكون غنياً، ولكن إذا أعطيت مما عندي نقص من ملكي، فدخلت صفة النقص عليّ، أما الله فغناه لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].

والمؤمن إذا عرف ربه باسمه الشكور؛ استحيا منه؛ لأنه يعرف عظمة نعمه وكثرتها، وأكثر من شكره على نعمه، وجزيل إحسانه وثوابه، وأكثر من الشكر والحمد بقلبه ولسانه وجوارحه لربه الذي خلقه، واستحيا منه أن يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويتنعم بنعمه، ويعرض عنه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فمتى يؤوب الإنسان إلى ربه؟ ومتى يعرف عظمة نعمه؟ ومتى يشكر ربه؟: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧].

فلله الحمد والشكر على ما أعطانا من عقول نعرفه بها، وأعطانا من الجوارح والألسنة ما نكثر به من الحمد والشكر له: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

فيا عبد الشكور، ويا أمة الشكور، كونوا من الشاكرين لربكم على نعمه الظاهرة

والباطنة، فقد سخر كل شيء لكم؛ من أجل أن تعبدوه وتوحدوه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

وقد وصف الله ﷻ خواص خلقه من الأنبياء والرسل بأنهم من الشاكرين لربهم، كما قال سبحانه عن نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء/ ٣].

لما يراه من عظمة الله وكبريائه، ومن عظيم نعمه وإحسانه.

وقال عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل/ ١٢٠- ١٢١].

وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها حينما أشفقت عليه من طول القيام في العبادة، فقالت له: أليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟**» متفق عليه(١).

ومن علم أن ربه سميع بصير، عليم شكور؛ اطمأن قلبه بذكره، ووثق بكفايته: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر/ ٣٦].

وتوكل عليه وحده: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

هذه القلوب تطمئن بذكر الله ﷻ والقرآن كما تطمئن الأرض بالماء فتنبت من كل زوج بهيج، ومن جميع الثمرات: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥].

والله سبحانه شكور، يحب الشاكرين له، الشاكرين لعباده، المحسنين إلى عباده بأنواع الإحسان.

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٧)، ومسلم برقم (٢٨١٩).

- **فالدين ركنان:**

الأول: عبادة الحق؛ لأنه أهل أن يعبد، وأن يكبّر، وأن يعظّم، وأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

الثاني: الإحسان إلى الخلق؛ وأعظم الإحسان إلى الخلق هو دعوتهم إلى الله، وتعريفهم بالرب المعبود؛ حتى يستفيدوا من خزائنه، ومن نعمه في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

- **وحظ العبد من هذا الاسم الكريم الشاكر والشكور:**

أن يشكر ربه على جمال ذاته، وأسمائه، وصفاته، وجميل أفعاله، وإحسانه.

وأن يشكر كل محسن من الخلق، وكل من أسدى إليه معروفًا.

قال النبي ﷺ: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ**» أخرجه الترمذي وأحمد(١).

وأن يحب المؤمنين بقدر ما في كل واحد منهم من الصفات التي يحبها الله؛ من الشكر والإحسان والإيمان والتوحيد: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

إن الله يحب المؤمنين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين؛ هذه الصفات يحبها الله، وشكر الله لعباده، ومجازاته لهم بالثواب الجزيل، متعلق بالصفات التي يحبها من الإيمان والطاعات، وعظيم شكرهم له بألسنتهم وجوارحهم وقلوبهم: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧﴾ [النساء/ ١٤٧].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

وإذا غفل العبد عن شكر ربه؛ أرسل الله ﷻ عليه النعم تترا، نعمة بعد نعمة، صحة وعافية، أرزاق، أموال، أولاد، ليذكره بالنعمة؛ لعله يشكر ويتوب إلى ربه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٩٥٤)، وأخرجه أحمد برقم (٧٤٩٥) وهذا لفظه.

﴿بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء: ٧٠].

وإذا نقص صبر المسلم ابتلاه الله بالمصائب؛ ليخرج عبودية الصبر منه، لماذا؟ لأن للأول الشاكر مقامًا عند الله، ودرجة عالية في الجنة لا ينالها إلا بكثرة الشكر، وفلان أو فلانة من الناس له مقام عند الله ودرجة في الجنة، لا يمكن أن ينالها إلا بالصبر، والصبر لا بد فيه من الابتلاء، فيبتليه ليرقيه ويربيه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾[التوبة/ ٥١].

وهذا السر في كون بعض الناس فقيرًا، وبعضهم غنيًّا، فالله ﷻ يبتلي بالنعم، لينظر من يشكر، ويبتلي بالمصائب، لينظر من يصبر، والله حكيم عليم: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣].

فالإيمان نصفان:

نصفه شكر..ونصفه صبر.

فاللهم أعنّا على ذكرك، وعلى شكرك، وعلى حسن عبادتك: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾[النمل/ ١٩].

واعلم يا عبد الشكور ويا أمة الشكور أن التحدث بنعم الله شكر، وتركه كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾[الضحى/ ١١].

حدّث الناس بنعمة الله، النعم المادية التي ملأ الله ﷻ بها هذا الكون من أجلك، وسخرها لك، ومنّ عليك بالنعمة الكبرى وهي نعمة الإسلام: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة/ ٣].

واعلم يا عبد الشكور أنك إذا لم تجد لعملك الصالح حلاوة في قلبك فاتهم نفسك؛ فإن القالب يتحرك والقلب غافل عن مولاه، والأصل عبودية القلب، وفرعها عبودية

الجوارح: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فاعلم يا عبد الشكور أنك إذا لم تجد لعملك الصالح من صلاة وصيام وصدقات من حلاوة في قلبك؛ فاتهم نفسك، فقد يكون الإخلاص ناقصًا، وقد تكون المتابعة ليست موجودة، فإن ربك شكور؛ يثيب العامل على عمله في الدنيا قبل الآخرة قرة العين، وحلاوة الطاعة، فإذا لم تجد ذلك؛ فعملك مدخول للشيطان منه حظ، وللنفس حظ، وللهوى حظ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

يعمل عملًا صالحًا لائقًا بجلال الله، عملًا صالحًا يكون الإنسان به صالحًا للسكن في الجنة، وصالحًا أن يكون مع المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

فالمطلوب صلاح القلب والقالب، والقالب إذا تحرك بدون القلب فهذا هو النفاق، المنافقون كانوا مع الرسول ﷺ وكانوا يصلون الصلوات الخمس، ويصلون الوتر، ويصلون الضحى، ولكنهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأن قوالبهم وجوارحهم خاضعة، وقلوبهم كافرة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

واعلم يا عبد الشكور ويا أمة الشكور أن أعظم الشكر لربك الشكور جل جلاله هو توحيده وعبادته، وإخلاص العمل له، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، واتباع رسوله ﷺ في أقواله وأفعاله وأخلاقه: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ/ ١٣].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾[لقمان: ١٢].

ومن عرف ربه العظيم باسمه الشكور؛ لازم شكره في ليله ونهاره، فهو ﷻ الذي أعطى النعم، وهو الذي يشكر العبد على إحسانه، ويعطي على قدر شأنه، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

فمن عرف ربه باسمه الشكور لازم شكره في ليله ونهاره، في جميع أوقاته، وفي سره وعلانيته، وفي قلبه وجوارحه، لماذا؟ لما يراه من عظيم إحسانه ونعمه عليه وعلى غيره، وأعظمها نعمة الإسلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة/ ١٧٢].

فالدين كله شكر، فلله الحمد رب العالمين، أنعم عليّ وأنعم على غيري، وأعطاني خيرًا، وصرف عني شرًّا؛ وخلقني في أحسن تقويم، واستضافني في بطن الأم، وكمّل أعضائي وجوارحي، وأنعم عليّ في الدنيا بنعم مادية لجسدي؛ من طعام،وشراب، ومسكن،وماء،وهواء، وأنعم عليّ بالنعم الروحية؛ وهي الدين، واستضافني في القبر في روضة من رياض الجنة؛ إذا آمنت به وأطعته وشكرته، ويستضيفني يوم القيامة في الجنة وفي أكمل نعيم وسرور:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة/ ١٧].

والعمل كله شكر للمُنعم على نعمه المادية والروحية، شكر لمن يستحق الشكر، لجلاله وجماله وجمال ذاته وأسمائه وصفاته.

كثير من الناس يمدح الشيء الجميل المصنوع، ويثني عليه، والله ﷻ هو أحق من عُبد، وأعظم من شُكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد: ٣].

واعلم أيها العبد أن على كل جارحة من الجوارح في بدنك شكرًا يخصها.

وشكر كل جارحة من لسان، أو عين، أو أذن، أو يد، أو رجل، أو قلب إنما يكون

باستعمالها بتقوى الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ [المؤمنون: ٥١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فهذا الإنسان الله خلقه وهداه واشتراه، فالجسد بما يحمل من الأعضاء الخارجية، والأعضاء الداخلية، كله مكان للشكر والحمد، والتمجيد والتعظيم للرب الذي يستحق التكبير والتعظيم، والحمد والشكر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فكل جارحة من جوارح الإنسان من لسان أو عين أو أذن أو يد أو رجل أو قلب إنما يكون استعمالها بتقوى الله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٦ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧﴾ [التغابن: ١٦ – ١٧].

وذلك بفعل ما يخص هذه الجوارح من الطاعات، فلكل جارحة عبودية تخصها، فالعبودية لهذه الجوارح لتكون شاكرة؛ بفعل ما يخصها من الطاعات، واجتناب ما نهيت عنه من المعاصي: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

وأساس الشكر لله هو كمال العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بإحسانه وإنعامه، والعلم بدينه وشرعه، وعبادة الله بموجب ذلك: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم به، وشكرتموه على نعمه المادية، ونعمه الروحية، وسلمتم من

عذابه، وفزتم بثوابه:﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[النساء: ١٤٧].

فنحن نحمده ونشكره على نعمه المادية ونعمه الروحية،فالدين كله شكر لله ﷻ.

ولهذا الله ﷻ دائمًا يُذكرنا بهذه النعم؛ حتى نشكره عليها، فيقول عن نفسه:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس/ ٣].

ويقول:﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾[يونس/ ٥].

يعرفون ربهم؛ فيشكرونه لعظمته وجلاله، ولنعمه وإحسانه.

هو الملك الذي يستحق الشكر كله، والحمد كله:﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

هو يغار على عبده أن يتوجه إلى غيره لطلب حاجاته، يريد منه أن يسأله هو:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

لأن السؤال مذلة، والذلة للعزيز عزة، والذلة للحقير مزيد مذلة.

خلق الله الإنسان وأقدره على صنع الطائرات، والسيارات، والقطارات، وغير ذلك من أنواع المصنوعات، وهو الذي خلق الإنسان، وهو الذي خلق فيه العقل، وهو الذي خلق المادة التي تُصنع منها هذه الأشياء:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الصافات/ ٩٦].

فله الحمد والشكر كما ينعم كثيرًا، وكما يعطي كثيرًا:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾[النحل/ ١٠].

والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، عبارة عن تعظيم لله وشكر لله:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[الفاتحة/ ٢].

«**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**»أخرجه الترمذي وابن ماجه[1].

وبعد الركوع: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه ملء السماء، وملء الأرض**»أخرجه البخاري[2].

وفي الصلاة: «**التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ والطيبات**»متفق عليه[3].

فالدين كله شكر للرب ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾[النحل/ ١٠- ١١].

والله ﷻ أشكر من الإنسان، يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة:﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾[النحل/ ١٢].

سخر لنا الليل والنهار،والشمس والقمر، لنذكره ونحمده ونشكره كيف تكون الحياة بدون نور؟.

فسبحان من هذا خلقه:﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾[النحل/ ١٣].

فله الحمد والشكر، خلق البحار وملأها بأنواع النعم:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾[النحل/ ١٤].

كم عدد المحيطات؟ المحيط الأطلسي، المحيط الهندي، المحيط المتجمد الشمالي، المحيط المتجمد الجنوبي وغيرها، وكم عدد البحار؟ البحر الأحمر، والبحر الأبيض المتوسط وغيرها، وكم عدد الأنهار؟ وكم فيها من المخلوقات؟ وخلق الجبال، وخلق في بطنها

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣)، وأخرجه وابن ماجه برقم (٨٠٤) وهذا لفظه.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٣٤٦).
(٣)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٢٣٠)، ومسلم برقم (٤٠٢).

مئات المعادن، كل ذلك دلالة على قدرته، وسخره لنا في هذه الحياة؛ لنذكر المُنعم، ونعبده ونشكره، ونمتثل أمره: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٥-١٨].

هذه سورة النحل، وتسمى سورة النعم؛ لما فيها من تعداد النعم على الخلق، الله أكبر! ما أجهل الإنسان بربه! وما أقل شكره لربه الشكور! ولهذا نستغفر الله من قلة المعرفة، ومن قلة الشكر، ومن قلة الذكر، ومن قلة العمل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والله ﷻ هو الإله الذي يستحق أن يُعبد، ويستحق أن يُكبر، وأن يُعظم، وأن يُشكر: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم/ ١٨-١٧].

ففي كل آن نحن نرى النعم التي خلقها المُنعم، وبها نعرف ذاته وأسماءه وصفاته، نرى الخلق ونذكر الخالق، نرى الأرزاق ونذكر الرزاق، نرى الصور ونذكر المصور.

فأفعاله العظيمة تستوجب منّا الشكر الدائم، والذكر الدائم: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم/ ١٩-٢١].

وجميع المخلوقات خلقها الله ذكرًا وأنثى، إلا الإنسان؛ فإنه خلق الأنثى حواء من ضلع آدم؛ دلالة على أن هذا الإنسان لا يسكن إلا إلى زوجه، والزوجة لا تسكن إلا إلى زوج، وإلا حصل الفساد في الأرض.

ومن أفعاله التي يستحق الشكر عليها: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/ ٢٢].

في الهند أكثر من خمسة آلاف لغة، كم عدد اللغات في العالم؟ وكم عدد اللهجات؟ واللسان واحد، والفم واحد، فإذا عرفوا الخالق شكروه على جمال الصنع، وعلى الإبداع، وعلى عظمة الجلال والجمال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم/ ٢٣].

ومن أفعاله العظيمة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم/ ٢٤].

هذه أفعاله في ملكه، تتطلب منّا الشكر المستمر: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم/ ٢٥].

فسبحان من بيده ملكوت كل شيء: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٦ - ٢٧].

فنصوص القرآن والسنة تبين عظمة الرب جلّ جلاله، وتبين نعمه وإحسانه؛ ليشكره العباد، ويكبروه، ويطيعوه فالخلق كلهم عبيد لملك الملوك، كل ما سوى الله عبد لله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

هو الملك القدوس، وكل ما سواه هو عبد له، من العرش العظيم، إلى الكرسي الكريم، إلى السماوات السبع وما فيها، إلى الأرضين السبع وما فيها.

فعلينا أن نحسن إلى جميع عبيده من الحيوان أو الإنسان، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعبيده: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

ومن شكر الله إفراده بالعبادة، وتوحيده، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والإحسان إلى خلقه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

ومما يقوي العبد على الشكر لربه أن يتذكر عظمة ربه العظيم، و يعرف شدة حاجته إلى

ربه، ورؤية نعم الرب عليه، ومعرفة كثرة النعم التي يتقلّب فيها الإنسان في كل وقت؛ من ليل ونهار، وحر وبرد، ومطعومات، ومشروبات، ومركوبات، ومسكونات، ومنكوحات: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

فلا بد أن نتعرف على الله، ونعرف أسماءه وصفاته؛ حتى نُعظمه ونُكبره، ونحمده ونشكره، ونخافه ونهابه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

ومن أراد أن يزيد شكره لربه؛ فلينظر إلى من هو أقل منه في النعمة؛ الأعمى والمريض، والفقير والمبتلى، وبذلك نشكر نعمة الله التي نحن فيها، ولا نزدري ما أنعم الله به علينا من نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٨].

وشكر العبد لربه لا يكافئ نعمة واحدة؛ كنعمة البصر، ونعمة السمع، ولكن الله كريم، أعطى عبيده النعمة والعافية، وحبب إليهم الطاعات، وأعانهم عليها، ثم قَبِلها منهم، وضاعف لهم أجورها، وقَبِل منهم الشكر القليل؛ لأنه شكور حليم: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن/ ١٧].

مهما عصى الناس فالله ﷻ حليم غفور، والعبد الشكور هو كثير الصلاة التي جُلُّها شكر للرب، وتعظيم للرب، وتكبير للرب: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

فالعبد الشكور كثير الصلاة، كثير السجود، كثير الذكر لربه ﷻ، كثير الاستغفار، كثير الشكر، كثير الحمد، كثير الصيام، كثير الدعاء، فهل أنا عبد شكور؟ وهل أنا من الشاكرين؟: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨].

إن أجلّ عبادة تعبد الله ﷻ بها هي عبادة الشكر لله ﷻ، فكن شاكرًا لأنعم ربك، وكن من الشاكرين، وإذا رأيت مرضك لم يذهب، ودَيْنك لم يُقض، ومشاكلك لم تحل، وكربك لم يزل، فاعلم أن شكرك ناقص: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق/ ٢ – ٣].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

فإذا حلت بك هذه المصائب، ودعوت الله ولم يستجب؛ فاعلم أن شكرك ناقص، فأكثر من الحمد والشكر لربك الكريم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار/ ٧].

فافعل ما تستطيع من الخير، فإنك لا تدري بأي عمل يُدخلك الله الجَنَّة.

والشكر يكون من العبد بالأقوال والأفعال للإنسان والحيوان، ففي كل كبد رطبة أجر، والله رب هذا المخلوق؛ فأحسن إليه بالعمل الصالح مع كل مخلوق؛ من مسلم أو كافر، حيوان أو إنسان، غني أو فقير، عدو أوصديق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف: ٣٠].

فالعمل تعمله لله، وهو الذي يثيبك عليه، فإن لم يصادف محله؛ فالله هو محل الثواب والأجر العظيم جلّ جلاله: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤]. المحسنين لمن؟ لكل أحد، والإحسان والشكر من صفات الله ﷻ وقد دعانا للتعبد لله بأسمائه الحسنى فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وشكر الناس من شكر الله، ولم يشكر الله من لم يشكر الناس: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ/ ١٣].

لجهله بالله وأسمائه وصفاته، وجهله بملكه وسلطانه، وجهله بنعمه وإحسانه، وجهله

بدينه وشرعه؛ وجهله بوعده ووعيده: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فمن أراد السعادة الأبدية؛ فليُسعِد الآخرين، بأن يطعم الجائع، ويعلّم الجاهل، ويساعد الفقير، ويواسي المسكين، ويهدي الضال، ويعين العاجز، ويرحم الصغير، ويغيث الملهوف، ويخدم المريض: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

والثناء على الله شكر له: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

فكل هذا شكر لله ﷻ: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ هذا أحب الكلام إلى الله، وهذا كله حمد وشكر للرب ﷻ، وثناء عليه.

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ...**» أخرجه البخاري(١).

فكل هذا حمد وشكر، وثناء على الرب ﷻ.

«**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ**» أخرجه الترمذي وابن ماجه(٢).

فأبواب السؤال مفتوحة للسائلين، وأبواب الشكر مفتوحة للشاكرين.

وإذا أثنى العبد على ربه فقد شكره، ومن شكره أكرمه، ومن أكرمه الله استعمله في هداه، فوصل إلى ربه وهو راضٍ عنه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وثناء الله عليك، وثناء الناس عليك، كل ذلك فضل من الله عليك: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٤٧٩) وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٣٨٤).

﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].

لهذا يجب علينا في كل آن الحمد والشكر لله لرب العالمين، لعظمة جلاله، وعظيم إحسانه:﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾[الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فهو المحمود على عظمته وجلاله وكبريائه، وهو المحمود على نعمه وإحسانه.

ونعم الله على الناس لا تعد ولا تحصى؛ نعمة الخلْق والخُلق، ونعمة الصحة والعافية، ونعمة الإيمان والتوحيد، ونعمة المال، ونعمة الطعام والشراب، ونعمة النوم والراحة، ونعمة النوروالهواء ، ونعمة تسخير الليل والنهار، ونعمة الزوجة والأولاد، ونعمة تسخير الجماد والنبات والحيوان:﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾[إبراهيم/ ٣٤].

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[لقمان: ٢٠].

فيجب علينا شكر المنعم بهذه النعم العظيمة، وشكر من يستحق الشكر:﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤﴾ [النحل/ ١١٤].

ومن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها:﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢﴾[لقمان/ ١٢].

وشكر النعم استعمالها في طاعة الله، حسب أمر الله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[البقرة: ١٧٢].

- **وشكر العبد لربه يقوم على خمسة أصول:**

الأول: خضوع العبد الشاكر للمشكور سبحانه؛ أخضع لربي بقلبي وقالبي، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه:﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء: ٩٠].

الثاني: حبه لله ﷻ؛ لما له من صفات الجلال والجمال، أن أحب الذي خلقني، وأنعم عليّ

بكل نعمة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الثالث: اعترافه بنعم الله ﷻ عليه؛ فالنعمة تأتينا من واحد، فالمفتاح بيد واحد، والنعم بيد واحد، والملك بيد واحد، الخير بيد واحد: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

الرابع: الثناء عليه بها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

الخامس: استعمالها في طاعته لا في معصيته: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ٥ – ١١].

حدّث بنعم الله عليك، وعلى غيرك، نعمه المادية، ونعمه الروحية.

والنعم تبقى وتزيد مع دوام الشكر لله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن شكر ربه على نعمه؛ شكره الله بالحياة الطيبة في الدنيا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

ويجزيه يوم القيامة بالجنة والرضوان: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٤].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

هذا شكر الله لعبده، وإثابته على عمله الصالح.
ومن لم يشكر النعم، فأساء استعمالها؛ عاقبه الله في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٩].
وقد منّ الله علينا أن زرنا مملكة سبأ، ورأينا هناك هذه المملكة العظيمة، ورأينا آثارهم هناك، ورأينا السد الذي يحبس سيل العرم، ورأينا الأشجار الخضراء التي تكاد تمد يدهابالثمرات الطيبة، ولكنهم كفروا هذه النعمة؛ فأرسل الله عز وجل عليهم سيل العرم، وهكذا كل من أُعطي نعمة ولم يشكرها؛ إلا ويعاقبه الله في الدنيا والآخرة: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣].
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل/ ١١٢].
وهذا كما هو حاصل في هذه الحروب في لبنان، في فلسطين، في العراق، في سوريا في دول العالم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].
وعبادة الله كلها شكر للمُنعم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش/ ١-٤].
فليشكروا الله بتوحيده، والإيمان به، وطاعته، وعبادته، وعدم عبادة ما سواه، ليسعدوا

في الدنيا والآخرة: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/ ١٤٧].

فهو نعم المولى، ونعم النصير، ونعم الشاكر؛ فالكريم يعطي على قدر شأنه، والعظيم يعطي على قدر شأنه، لا يرضى أن يعطي على الحسنة مثلها؛ بل يعطي عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف؛ لأنه شاكر وشكور، عظيم الشكر، كثير الشكر: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

ونعمة الهداية أعظم نعمة، وشكرها بعبادة الله وحده، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧].

فلنشكر الله بقلوبنا وجوارحنا، ونسارع إلى طاعة ربنا؛ شكرًا له على ما أنعم به علينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

وندعو خلقه إليه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

ليكون كل من دخل في هذا الدين بسببك، أو تعلّم بسببك، في صحيفتك، الله يريد منك عطاءً من نفسك لنفسك بالعبادة، وعطاءً منك لغيرك، بالدعوة إلى الله، وتعليم شرعه: ﴿كُونُوا رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

والله أمر كل مؤمن أن يأكل من الطيبات، ويشكر الله عليها بعبادته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وكلما زاد إيمان العبد زاد شكره لربه، وكلما زاد شكره زاد حب الله له، وزاد إكرامه له، وزاد توفيقه له: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

فكلما زاد إيمان العبد زاد شكره لربه بقلبه ولسانه وجوارحه، وإذا نقص الإيمان نقص الحمدوالشكر،وقل الاستغفار والتوبة.

ولهذا أمرنا الله بذكره كثيرًا؛ حتى نذكر أسماءه وصفاته، ونعمه وإحسانه، فنزداد له شكرًا:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

فاتصفوا بهذه الصفات التي يحبها ربكم، ولا يشعر بقيمة النعمة إلا من فقدها:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

كلما ازددت معرفة بالله ازددت شكرًا له، وكلما شكرت ربك أحبك، وإذا أحبك أسعدك في الدنيا والآخرة.

ومن أسباب قلة الشكر نسيان الماضي بما فيه من فقر وقلة، وبلاء وشدة، أن ينسى الإنسان ماضيه حيث كان فقيرًا فأغناه الله، ومريضًا فشفاه الله، وذليلًا فأعزه الله، وضالاً فهداه الله، وجاهلاً فعلمه الله وعلاج التقصير يكون بتذكر نعم الله ﷻ التي لا تعد ولا تحصى، ورؤية نعم الله عليه، وسؤال الله أن يعينه على ذكره وشكره وحسن عبادته.

قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» أخرجه أحمد وأبو داود[1].

ومن علاج التقصير في الشكر: تذكر أنك مسئول عن شكر نعم الله عليك، وأنك سوف تسأل عنه يوم القيامة:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ – ٩٣].

وأن ينظر العبد إلى نعم الله بالإجلال والإكبار؛ حيث ساقها الله إليه، ومكّنه من الانتفاع بها، ونفع الناس بها، وأن ينظر إلى من هو دونه في النعمة فيشكر الله، والإكثار من ذكر الله وشكره وحمده.

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٢١٧٢)، وأخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢) وهذا لفظه.

والإنسان دائمًا بين نعمة وذنب، فالنعم لا تبقى إلا بالشكر، والذنوب لا تزول إلا بالاستغفار.

واعلم بأن شكر العينين: أن تنظر بهما في الآيات الكونية والآيات القرآنية؛ فتزداد تعظيمًا وتكبيرًا للرب، وتزداد شكرًا وحمدًا للرب.

وإن رأيت بعينيك خيرًا نشرته، وإن رأيت شرًّا سترته: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾[ق: ٦ -٨].

وشكر الأذنين: أن تسمع بهما القرآن، والعلم الشرعي الوارد في السنة النبوية، إن سمعت بهما خيرًا أذعته، وإن سمعت بهما شرًّا دفنته: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾ [الزمر: ١٧ -١٨].

وشكر اليدين: البذل والعطاء في الشدة والرخاء، والضرب بالسيف عند مواجهة الأعداء، وألَّا تأخذ بهما ما ليس لك، ولا تمنع بهما حقًّا ليس لك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾[النساء: ٥٨].

فاليد أمانة، والعين أمانة، والأذن أمانة، فنستعمل هذه الأمانات التي أعطانا الله إياها فيما يحبه ويرضاه، لا فيما يسخطه ويكرهه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝١١٣﴾[هود: ١١٢ -١١٣].

وشكر الفرج: أن نستعمله في إكثار النسل وقضاء الوطر، وإعفاف النفس عن الحرام حسب شرع الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون/ ٥-٧].

ولا يجوز مباشرة الرجل للمرأة إلا من طريقين:
إما بالنكاح الشرعي ..أو ملك اليمين.
وما سوى ذلك فهو اعتداء.
وشكر الرجلين: أن تمشي بهما إلى الطاعات؛ من صلاة، وحج، وعمرة، ودعوة، وتعليم، وجهاد، وإحسان إلى الخلق، وألَّا تمشي بهما إلى أماكن الفساد، والمحرمات، والقبائح: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾[الفرقان: ٦٣ – ٦٤].
وشكر اللسان: أن تذكر الله به، وتحمده به، وتتلو كتابه به، وتستغفر الله به: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

- **فعبودية اللسان شكرها في أمرين:**

أحدهما أن تتكلم مع الله في العبادة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾[المزمل: ١ – ٤].
تحمد الله على النعم، وتمجده لأنه هو المجيد، وتكبره لأنه الكبير، وتسأله حاجتك، وتستغفره من ذنبك.
الثاني أن تتكلم عن الله بين يدي الخلق بالدعوة إلى الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر: ١ – ٧].
فشكر اللسان أن تذكر الله به، وتحمده به، وتتلو به القرآن، وتدعو به إلى الله، وتعلّم به العلم الشرعي، وتمجد به الرب، وتقول به الحق: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت/ ٣٣].
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾[الإخلاص/ ١-٢].
وتسكت عن الغيبة والنميمة، وقول الزور، وإذاعة ما يفتن الناس، والدعوة إلى الرذيلة،

ونشر الباطل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج/ ٣٠-٣١].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)﴾ [النحل/ ١١٦-١١٧].

وشكر الفكر والعقل: أن تستعمله لإصلاح نفسك، وإصلاح غيرك، وأن تكون مفتاحًا لكل خير، ومغلاقًا لكل شر، ولا تستعمله في ضد ذلك فتخسر: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

وشكر نعمة الوقت والفراغ: أن تملأه بأنواع الطاعات الانفرادية والاجتماعية؛ من قراءة قرآن، وصلاة، ودعوة، وتعليم، وإحسان إلى الخلق: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

ومن أحسن إليك من الخلق فاشكره، وأول من تشكر بعد الله والديك اللذين هما سبب وجودك: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾ [الإسراء/ ٢٣-٢٤].

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)﴾ [لقمان/ ١٤].

وأحسن إلى كل الخلق كما أحسن الله إليك: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)﴾ [النساء: ٣٦].

وقال الرسول ﷺ: «**وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ**

حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» أخرجه أبو داود والنسائى[1].

والذي يريد أن يكافئ من أعطاه؛ أن يعطيه أكثر مما أعطاه، فكان الرسول ﷺ يُهدى إليه، فيقبل الهدية، ويثيب عليها بأكثر منها، والمؤمن يعطي الناس من خيره، ولا يطلب منهم أن يشكروه، وإنما يطلب الثواب من الله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان/ ٨-٩].

وبقدر الإخلاص تكون عظمة الثواب: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء/ ١١٤].

لهذا منّ الله ﷻ علينا بمعرفة أسمائه وصفاته، وعرفنا بأنه الشاكر، الشكور، الكريم، الرحيم، الغفور، لنتعبد لله بموجب هذه المعرفة.

ولما كان الله ﷻ هو الشكور الحق؛ كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، وأبغض خلقه إليه من عطّلها، واتصف بضدها.

فهو سبحانه مؤمن يحب المؤمنين، شكور يحب الشاكرين، تواب يحب التوابين، رحمن يحب الراحمين، عفو يحب العافين، جميل يحب أهل الجمال، كريم يحب أهل الكرم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أي: تخلّقوا بها واتصفوا بها على شاكلة العبودية، والله يحب أسماءه وصفاته، ويحب من تخلّق بها واتصف بها، ويبغض سبحانه الكافرين، والمشركين، والخائنين، والحاسدين، والفاسقين، وغيرهم مما يتنافى مع مقتضى أسمائه الحسنى، وصفاته العلى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج/ ٣٨].

الله لا يحب الظالمين، ولا يحب الكافرين، ولا الظالمين، ولا المعتدين، ولا الملحدين.

والتعبد لله بهذا الاسم الكريم يكون بدوام شكر الله على نعمه التي ابتدأها، والنعم التي يجددها في كل آن؛ وذلك باستعمالها في طاعته، والعمل بما يرضيه، واجتناب ما

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٦٧٢)، وأخرجه النسائي برقم (٢٥٦٧) وهذا لفظه.

يسخطه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

والله شكور يحب الشاكرين؛ ولهذا أكرم جميع بني آدم بأصناف النعم؛ ليشكروه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وزوده بالأعضاء الظاهرة والباطنة؛ كالسمع، والبصر، والعقل، والقلب، وغيرها؛ ليتذكر هذه النعم، ويشكر من أنعم عليه بها.

فكن من الذاكرين الشاكرين، وقم بذكر ربك وشكره دوماً بلسانك وقلبك وجوارحك؛ ليذكرك ربك، ويزيدك من فضله، ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٢].

واذكر ربك كثيرًا، وسبح بحمده كثيرًا، واشكره كثيرًا، وكبره تكبيرًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

واحمد ربك العظيم على كل خلق خلقه، وعلى كل أمر أمره، وعلى كل رزق يرزقه، وعلى كل نعمة أنعم بها عليك وعلى غيرك، وعلى كل بلية دفعها: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

وأكثر الناس عن شكر نعم الله الكثيرة غافلون، وهم في نعم الله يتقلبون: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

واعلم أنه لا يحلو الليل إلا بمناجاة الكريم الشكور: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٤].

ولا يحلو النهار إلا بخدمة العباد والإحسان إليهم: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

فقم بالليل مع الشكور تحمده وتشكره، وتمجده وتعظمه، وتسأله وتستغفره، واشكره على النعم التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ [المزمل: ٦].

وكن في النهار مع الخلق، وأحسن إليهم، وذكرهم بشكر ربهم، واشكر لهم إحسانهم، وعلّمهم شرع الله، واقضِ حوائجهم: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

واعلم أنه إذا جاء الإنسان خير مباشر؛ فإنما ساقه إليه ربه، فليشكر ربه على ما خصه به من هذا الخير، وليقل: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل/ ٤٠].

أما إذا جاءك الخير من إنسان؛ فيجب عليك أن تشكر الله أولًا؛ لأنه هو الذي خلق هذا الخير، وخلق من جاء به، وألهمه، وسمح له، ومكّنه، أن يوصله إليك، تشكر من أجرى الله الخير والنعمة على يديه، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣].

واعلم أن الله شكور يحب الشاكرين، ومن تجاوز النعمة إلى المُنعم؛ فهو الشكور الذي يشكر ربه على نعمه، ويسدي خيره إلى خلقه: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل/ ٤٠].

فسبحان ربنا الشكور الشاكر الذي خلقنا وهدانا، وأمدنا بالنعم، وخلق لنا ما نشكره عليه، وخلق فينا ما نشكره به من الأعضاء والجوارح والقلوب: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٠].

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

واشكر مولاك على ما أعطاك من نعمه، وأحسن إلى الخلق كما أحسن الله إليك، وهذه هي حقيقة العبودية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن

كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[البقرة/ ١٧٢].
وقد أغوى الشيطان أكثر الخلق حتى أطاعوه عبدوه، ونسبوا له الضر والنفع، وتصريف الأرزاق، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾[النساء: ١١٨ – ١٢١].
فعبدوا الشيطان وأولياءه من دون الله، مع ظهور البرهان: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يس: ٦٠ – ٦٢].
فلا إله إلا الله! كم أضل الشيطان من الخلق! وكم غرّ منهم! وصرفهم لعبادته من دون الله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[سبأ/ ٢٠].
فاشكر ربك العظيم بحسن عبادته، ولزوم طاعته، والعمل بشرعه، والدعوة إليه، والصبر على ما يأتيك من الأذى في سبيله، فلن ينجيك من العذاب والخسار إلا ذلك: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر/ ١-٣].
واعبد ربك بما يحبه ويرضاه، لا بما تحبه وتهواه، ولا تشتغل عنه بنعمه، ولا تبع هداه بهواك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الزمر: ٦٥ – ٦٦].
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾[الأحقاف/ ١٥].
﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾[القصص/ ١٧].
«اللَّهُمَّ ربَّنَا لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ.

أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»متفق عليه[1].

اللهم يامن له خزائن السماوات والأرض، يا واسع العطاء، يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا رب العالمين، يا غفور يا شكور، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ، اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يا قوي يا عزيز، اللهم لك الملك كله، ومنك الخير كله، وإليك يُرجع الأمر كله، ولك الحمد كله، ولك الشكر كله، نسألك العفو والعافية، والفوز بالجنة، والنجاة من النار يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

الحليم

اسم الله الحليم

الله ﷻ خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، وأحسن خلقه ظاهرًا وباطنًا، وجعل له غذاءين يسعد بهما في دنياه وأخراه .

فغذاء الأبدان يكون بالطعام والشراب الطيب، واجتناب الطعام والشراب الخبيث.

- **أما غذاء القلوب فيكون بمعرفة سبعة أمور هي:**

١ -معرفة الرب الذي نعبده.

٢ -ومعرفة القرآن الذي نسير على هديه.

٣ -ومعرفة الرسول الذي نتبعه.

٤ -ومعرفة الإنسان المطلوب منه العبادة.

٥ -ومعرفة عدو الإنسان وهو إبليس.

٦ -ومعرفة الدنيا التي نعيش فيها.

٧ -ومعرفة الآخرة التي سوف نصير إليها.

فهذا جماع العلوم والمعارف التي تغذي القلوب، ومن عرف هذه العلوم فقد دخل جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة ، وأعلى العلوم على الإطلاق هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة خزائنه ووعده ووعيده، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

ومفاتيح أبواب معرفة الله بأسمائه وصفاته ستة أقسام .

لا بد من معرفة هذه الأبواب، وكيف نفتح على هذه الأبواب، فإن الله ﷻ عظيم، وله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض، وأسماؤه وصفاته كلها حسنى، وهي بالغة في الحسن والجمال كماله ومنتهاه، فلا أحسن بوجه من الوجوه:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه/ ٨].

فأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء، وصفاته أحسن الصفات، وأقواله أحسن الأقوال، وأفعاله أحسن الأفعال، ومخلوقاته أحسن المخلوقات، وأحكامه أحسن الأحكام، وشرائعه أحسن الشرائع، وكتبه أحسن الكتب، ورسله أحسن الرسل، وأوامره أحسن الأوامر، وثوابه أحسن الثواب، فأسماء الله ﷻ كلها حسنى، ومعرفتها أغذية للقلوب،

لأنها تدل على صفات الكمال والجلال والجمال لله ﷻ، فهي أسماء مدح وحمد وثناء، وأسماء تمجيد وتعظيم وإجلال، وأسماء رحمة ولطف وإحسان: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء/ ١١٠].

ومفاتيح أبواب معرفة الله بأسمائه وصفاته ستة أقسام، لا بد من ضبط هذه الأقسام، حتى يسهل علينا معرفة الله بأسمائه، وصفاته وأفعاله ، ثم التعبد لله بموجبها : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

- **وأسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:**

الأول: معرفة الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته: مثل: الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، وأمثالها .

الثاني: معرفة الأسماء الدالة على الملك والقدرة: مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، وأمثالها .

الثالث: معرفة الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد: مثل: اسم الرب الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، وأمثالها .

الرابع: معرفة الأسماء الدالة على العلم والإحاطة لله ﷻ: مثل: السميع، البصير، والعليم، والخبير، والرقيب والشهيد، والحفيظ، والمحيط، وأمثالها.

الخامس: معرفة الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة: مثل: اسم الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحليم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، وأمثالها .

السادس: معرفة الأسماء الدالة على الهداية والبيان: مثل: الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل، وأمثالها .

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لهذا لا بد قبل العبادة من معرفة المعبود، ثم معرفة ما نعبده به من أوامره الشرعية، لنتوجه إلى رب معروف ومعلوم لدينا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فكما أن الأغذية من طعام وشراب تنفع الأبدان؛ فكذلك القلوب تحتاج إلى الغذاء، وهو

معرفة الله، ومعرفة أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده .
هذه سبعة أمور مغذية للقلوب، تحرك الجوارح بأنواع العبادات ، وتحرك اللسان بالذكر والشكر، والحمد والثناء على الرب ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .
ولله ﷻ من أسمائه الحسنى الحليم، هو الحليم الذي يدر على خلقه صنوف النعم الظاهرة والباطنة، مع كثرة معاصيهم، وتكرار زلاتهم وأخطائهم؛ لأنه الحليم الرحيم بعباده، يمهلهم كي يتوبوا وينيبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].
هو سبحانه الحليم ذو الصفح والأناة، الذي لا يعجل على من أذنب بالعقوبة .
الحليم على من كفر به، وأشرك من خلقه، يمهله ويرزقه كأنه لم يعصه؛ لعله يتوب وينيب إلى ربه، ويستغفر من ذنبه: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].
هو سبحانه الحليم العظيم الذي وسع حلمه جميع خلقه من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر .
هو الحليم الذي خزائن كل شيء عنده، ويعطي منها من شاء من خلقه في كل آن، وفي كل مكان .
خزائن العلم عنده، خزائن الرحمة عنده، خزائن الأخلاق عنده، خزائن الأموال عنده، خزائن الأرزاق عنده، خزائن الأمن عنده، خزائن الطعام عنده، خزائن المعادن عنده : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].
فبيده خزائن كل شيء، خزائن الهداية والضلالة، خزائن العزة والذلة، خزائن الأمن والخوف ، خزائن العافية والمرض .
هو جل جلاله الملك الحليم، الذي إذا أحب عبدًا حبب إليه الإيمان، وأعانه على طاعته، وكره إليه معصيته، وأعطاه خلقًا حسنًا: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ

ﭐلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧- ٨].

هو سبحانه الحليم الذي يمهل العاصي إذا عصاه، ويقبله إذا تاب إليه، فإن أصر على معصيته؛ أخر العقاب عنه؛ لعلمه بأنه لا يخرج عن ملكه، وأنه لا يضر بمعصيته إلا نفسه: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة/ ٥٥].

فسبحان الحليم الرحيم الذي يمهل ولا يهمل من عصى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

فاتق الله أيها العبد، ولا يغرنك تقلب الكفار في نعيم الدنيا الجسدي مع حلم الله عليهم، فسيعقبه عذاب أليم: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٦- ١٩٨].

هو سبحانه الحكيم في تدبيره، الحليم الذي يضع الأمور في مواضعها، ولا يؤخرها عن وقتها، ولا يعجلها قبل أوانها: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۢ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩- ٥٠].

فسبحان الحليم الغفور الذي يرى ويبصر عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم ويؤخر عنهم العقوبة؛ لعلهم يتبون إليه، ويستر على آخرين ويغفر لهم ، ويفرح أشد الفرح بتوبة التائبين ويحبهم، فسبحانه ما أحلمه على خلقه! ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر/ ٤٥].

وحلم الله جل جلاله على الكفار والعصاة والطغاة ليس لعجزه عنهم، فإنه قوي جبار، قادر قاهر لا يعجزه شيء، وإنما حلمه وعفوه عنهم رحمة بهم؛ لعلهم يتوبون إليه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء/ ٢٧- ٢٨].

وحلم الرب جل جلاله ليس عن عدم علم بما يعمل العباد من الطاعات والمعاصي؛ بل

هو العليم الحليم الذي يعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، من خير وشر : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١﴾[الأحزاب/ ٥١].

فهو عليم بكل قول أو فعل، حسنًا كان أو سيئًا، ولكنه حليم يثيب الطائعين على طاعاتهم، ويمهل العصاة لعلهم يتوبون إليه؛ لكمال رحمته وحلمه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وحلم الجبار على العصاة ليس لحاجته إليهم، أو عجزه عنهم؛ بل هو الغني الذي يحلم عليهم، ويصفح عنهم؛ رحمةً بهم، مع استغنائه عنهم، وشدة حاجتهم إليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥] .

وهو جل جلاله الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، القادر على كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد؛ من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في الكون : ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ٦٨﴾ [يونس: ٦٨] .

فسبحان ربنا الحليم الذي يصبر على أذى خلقه ومعاصيهم! الحليم الذي لا يحبس ويمنع إحسانه وإنعامه وأرزاقه عن عباده الذين كفروا به وعصوه ، لكنه كريم رحيم، يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقي الفاجر وهو منهمك في معاصيه، كما يبقي البر التقي .

وقد يقيه بل وقاه جل جلاله الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره! كما يقي الناسك الذي يؤمن به ويعبده؛ لكمال رحمته: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾[الحشر/ ٢٢].

ووسع حلمه البر والفاجر، والمؤمن والكافر والمطيع والعاصي .

فسبحانه ما أوسع حلمه! وما أعظم رحمته بعباده! ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾[الحج/ ٦٥].

وقال النبي ﷺ: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ ﷻ؛ إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**» متفق عليه(١).

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩)، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

فسبحانه ما أعظم حلمه على عباده! خلقهم في أحسن تقويم، وأمدهم بالأرزاق، وأسكنهم في ملكه، وتابع عليهم النعم ، وهم يعصونه بالجوارح التي خلقها لطاعته، والألسنة التي خلقها الله لذكره وشكره ، ولكن لسعة حلم الله ورحمته بعباده يمهلهم ولا يهملهم، لأنه الرحمن الرحيم الذي يؤخر العذاب عنهم رحمةً بهم؛ لعلهم يتوبون، ولكن الناس يغترون بالإمهال وحلم الله عليهم، فيزيدون في الإعراض والمعاصي والفسوق؛ اغترارًا بهذا الإمهال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾[الانفطار/ ٦ – ٨].

بل الأجلاف والجهال من البشر يرفضون تلك الرحمة والإمهال، ويسألون الله أن يعجل لهم العذاب والنقمة؛ لجهلهم بالله ﷻ وأسمائه وصفاته، كما قال الله ﷻ عن كفار قريش: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٤﴾ [الأنفال: ٣٢– ٣٤] .

فسبحان الله! ما أظلم الإنسان لنفسه! وما أجهله بربه! وما أعظم حلم الله عليه! : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

والله ﷻ غني حليم، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، وتأخير العذاب عن الكفار والفجار إنما هو في الدنيا فقط، لعلهم يتوبون أما في الآخرة فهم مخلدون في النار:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾[البقرة/ ١٦١– ١٦٢].

والله غفور حليم، ولولا حلمه على الجناة ، ومغفرته للعصاة ؛ ما ترك على ظهر الأرض من دابة:﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ٤٥﴾[فاطر/ ٤٥].

بل من عظمة جرم وكفر أهل الأرض؛ تستأذن السماء أن تقع على الأرض، وتكاد السماوات والأرض أن تزولا من شدة ما يأتي به العباد من المعاصي والكبائر والمحرمات، والكفر والفسوق والعصيان، وتكاد تنفطر من ذلك، ولكن الحليم يمسكها لئلا تزول وتقع على من عصى الله ﷻ في أقواله وأفعاله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان الرب الحليم الذي جعل في مقابل هذا الكفر والفساد أسبابًا يحبها ويرضاها من الإيمان والتقوى، تقابل تلك الأسباب التي هي سبب زوال العالم وخرابه لولا حلم الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال/ ٣٣].

فدفع الحق سبحانه تلك بتلك؛ لأنه الحليم الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه، وسبق حلمه عقوبته: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

وقال النبي ﷺ: قال الله ﷻ «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» متفق عليه(١).

فسبحان الله العظيم! ما أعظم حلمه ورحمته بعباده! .

هو الذي خلق ما يرضيه وما يسخطه، فإذا أغضبه كفر الخلق ومعاصيهم ، وظلمهم وفسادهم؛ أرضاه تسبيح الملائكة في السماوات، وتسبيح عباده المؤمنين في الأرض، وحمدهم له، وعبادتهم له،، لهذا لا بد من تغذية القلوب بمعرفة أسماء الله وصفاته؛ ومعرفة حكمة الحكيم في خلقه وأمره ، حتى نعرف الرب المعبود، فنحن محتاجون إليه في كل حال، محتاجون إلى الغني لأننا فقراء، وإلى القوي لأننا ضعفاء، وإلى القادر لأننا عاجزون، وإلى الشافي لأننا نحتاج إلى شفائه، وهكذا، نتعبد لله بأسمائه وصفاته : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

والله ﷻ هو الحليم الذي يسمع ويرى جميع مخلوقاته، ولا يخفى عليه شيء في الأرض

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٥٥٣)، ومسلم برقم (٢٧٥١).

ولا في السماء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وسع حلمه جميع خلقه .

هو الحليم الذي وسع حلمه أهل الكفر والشرك، وأهل الفسوق والعصيان، وأهل الصغائر والكبائر، هو الحليم الذي لكمال حلمه منع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلًا؛ لأنه الحليم الذي يمهل من عصاه ليتوب، ويذكره لينيب إلى ربه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر/ ٤١].

ولكن الله ﷻ لا يهمل من أصر على الكفر، واستمر في الطغيان والإجرام والإفساد : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود/ ١٠٢].

وأخذ كل أمة بما أذنبت لما أصرت على الذنب : ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

هو سبحانه الحليم بالصفح والأناة، الحليم القادر الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص، ولا سفه سفيه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ولكمال حلمه جل جلاله يدر نعمه الظاهرة والباطنة على الكفار والعصاة، كما يدر نعمه على المؤمنين والمطيعين له؛ لأنه لا رازق إلا هو، والأمور كلها بيده .

فسبحان الحليم الذي يمهل عباده الطائعين ، ليزدادوا من الخير والطاعة، ويزدادوا من الحسنات، ويزدادوا من الثواب والأجر: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن/ ١٧].

هو الحليم الذي يمهل العصاة الذين يتقلبون في الكفر والشرك والمحرمات، لعلهم يرجعون إلى الحق والصواب، ولو عجل لهم الجزاء؛ لما نجى أحد من العقاب؛ ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ٤٥﴾ [فاطر/ ٤٥].

هو الرب الحليم الذي من سعة حلمه أنه لا يعاجل أهل الظلم والطغيان بالعقوبة والانتقام، ولا يحبس عنهم بذنوبهم الخير والإنعام والإحسان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فلا إله إلا الله! لولا حلمه على الجناة ، ومغفرته للعصاة؛ لما استقرت السماوات والأرض في أماكنهما : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر: ٤١] .

وسبحانه الحليم الذي لا بداية ولا نهاية لحلمه، ولا أحد أستر وأحلم منه، حليم كريم رحيم، يؤخر العقوبة عن الكفار والفجار والعصاة، وهم في نعمه يتقلبون .

قال النبي ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ الله تَعَالَى؛ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا، وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ**» أخرجه مسلم[1].

فسبحان الله العظيم! ما أوسع حلمه على من عصاه! فهو ملك الملوك والأملاك ، الملك الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، الذي يفعل ما يشاء، وكل خلقه مضطر إليه في كل حال، وإذا بهم يبارزونه بالمعاصي والعظائم، وهو الحليم الذي يتحبب إليهم بالنعم، ويصرف عنهم النقم، ويعافيهم ويرزقهم كأنهم لم يعصوه، ويوالي عليهم نعمه وإحسانه كأنهم لم يزالوا يشكرونه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣] .

هو سبحانه الحليم الذي عرَّف عباده بسعة حلمه وعفوه وكرمه، وإمهاله للعصاة؛ لينيبوا إليه، ويرجعوا إليه، وهو القادر الذي لو شاء لعاجل بالعقوبة على الذنوب فور وقوعها : ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩﴾ [الطلاق: ٨ – ٩] .

فسبحان الحليم الذي يشاهد العاصي، ويسمع العاصي، ويرى العاصي وهو يبارزه بالمعاصي والآثام، ومع ذلك يطعمه ويسقيه، ويحرسه بعينه التي لا تنام: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٤).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

هو سبحانه الحليم على كل من عصاه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

والحلم صفة ذاتية للرب ﷻ، وحلمه لا ينفك عنه أبدًا، وكذا الحلم صفة فعلية، وحلمه على الخلائق يتجدد في كل زمان ومكان، وفي كل حال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الحليم الغني الذي لا يغفل، الحليم الذي لا يعجل، الحليم الذي يتجاوز عن الزلات والهفوات، ويعفو عن السيئات.

هو الحليم الذي خلق الإنسان واستخلفه في ملكه، واستبقاه إلى أجل معلوم، فأجل بحلمه عقاب الكافرين: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

وعجل بفضله ثواب المؤمنين: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

هو سبحانه الحليم ذو الصفح والأناة الذي يتحبب إلى من عصاه بالنعم، ولا يعاجلهم بالعقوبة؛ لعلهم يتوبون إليه.

هو الحليم الذي من قصر في حقه لم يقطع عنه رزقه، وأمد كل إنسان بنعمة الخلق والإيجاد، ونعمة العطاء والإمداد، ونعمة الهداية والإسعاد، فله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا، ويحلم كثيرًا، فمن قصر في حقه لم يقطع عنه رزقه؛ لأن مفتاح باب الرزق عنده وحده، لا يخرج إلا من جهة واحدة: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦- ٥٨].

فهو سبحانه الحليم، ولولا كلمة سبقت من الله بالرحمة، لكن لزامًا عقاب الكفار والعصاة، وتعجيل عقوبتهم، ولكن الله أمهلهم لعلهم يتوبون إلى ربهم، لأنه حليم غفور جل جلاله، الله خلق الناس لرحمته وجنته، ولكنهم يعصونه، فيمهلهم

ليتوبوا: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه/ ١٢٩].
لأن الله ﷻ جعل للناس أجلًا مسمى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون/ ١١].

هو سبحانه الحليم على كل من سكن بأرضه، وعصاه بنعمه، فيمهله لعله يتوب إلى ربه: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

فسبحان الله! ما أعظم حلمه على عباده!: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقد ورد اسم الله الحليم في القرآن إحدى عشرة مرة؛ منها قوله سبحانه: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن/ ١٧].

وقوله ﷻ: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٣].

وورد في السنة في دعاء الكرب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ**» متفق عليه(١).

فالله ﷻ غفور حليم، وشكور حليم، وغني حليم، وعليم حليم.

- **وحلم الله جل جلاله أنواع:**

الأول: حلمه على من آمن به إذا قصر في طاعته، أو فعل ما حرمه.

الثاني: حلمه على من كفر به، وأشرك به، وعبد غيره، فالحليم يمهله، ويدر عليه نعمه، لعله يتوب إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٥].

الثالث: حلمه على من آذى رسله وأولياءه، والدعاة إليه، والمجاهدين في سبيله.

الرابع: حلمه وصبره على الأذى والسفه الصادر من العباد تجاه ربهم قال ﷺ: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ**» متفق عليه(٢).

وما أعظم ظلم العباد الذين قالوا على الله غير الحق! ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة/ ٦٤].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٥)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (٢٧٣٠).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٨)، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٧٤﴾ [المائدة/ ٧٣- ٧٤].

يتودد الحليم إليهم مع مقالتهم الشنيعة العظيمة؛ ليتوبوا إليه.

الخامس : من حلمه العظيم أنه أبقى السماوات والأرض مع شدة معاصي الخلق في الأرض: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٖ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١﴾ [فاطر/ ٤١].

فنستغفر الله ونتوب إليه من كل معصية نعلمها أو نجهلها، نستغفر الله من التقصير، نستغفر الله من الغفلة ، نستغفر الله من الإعراض .

هو سبحانه الحليم الذي يدر على عباده صنوف النعم الظاهرة والباطنة ، مع كثرة معاصيهم الظاهرة والباطنة؛ لأنه الحليم ذو الحلم الكامل، العفو ذو العفو الشامل، الرحيم ذو الرحمة الواسعة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

هو سبحانه الملك العزيز الحليم، العزيز الرحيم، القوي القادر الذي لا يستفزه غضب فيعاجل بالعقوبة؛ لأنه الملك القادر على كل شيء، ولا يستخفه جهل الجاهلين، ولا عصيان العصاة، ولا إعراض المعرضين؛ لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، والملك ملكه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ –١٠٣].

هو سبحانه الحليم الذي له الحلم الكامل، الذي وسع حلمه أهل الكفر والشرك، وأهل الفسوق والعصيان، وأهل الظلم والطغيان : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

هو سبحانه الرب الحليم الحيي الستير، فلكمال حلمه يمهل من كفر به أو عصاه، ويستره ولا يعاجله بالعقوبة؛ لعله يتوب إليه، ثم يقبل توبته: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٢٥﴾ [الشورى/ ٢٥].

فكل إنسان مكشوف عريان أمام ربه بأقواله وأعماله، وحركاته وسكناته ، وسره وعلانيته ، وظاهره وباطنه .

فليستح العبد من ربه ومن سعة حلمه أن يبارزه بالمعاصي، ولا يغتر بحلمه جل جلاله على عباده : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧] .

فاعلموا أن الله غفور حليم ، وأن الله شديد العقاب : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨] .

فكل عاص لله محتاج إلى حليم كي يتقي عقوبة معصيته، وإلى ستير يستر عليه سوآته ولا يفضحه، وإلى حيي يقبل عذره إذا رفع إليه يديه بالدعاء، مفتقرًا إليه، متذللًا بين يديه، فالله يناديه ليتوب إليه، ويخبر أن من أقبل عليه غفر له ورحمه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء/ ١١٠].

والله ﷻ هو الحليم الذي لكمال حلمه يظن العاصي أنه يعبده بأحسن عبادة، لكمال حلمه جل جلاله ، ويدر نعمه على العصاة كما يدر نعمه على أهل الطاعة ، لكمال كرمه وإحسانه .

واسم الله الحليم لم يرد في القرآن إلا مقرونًا باسم من أسماء الله الحسنى، كما قال سبحانه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء/ ٤٤].

وقد اقترن اسم الله الغفور باسمه الحليم، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[فاطر/ ٤١].

وسر ذلك والله أعلم أن الحليم ليس من شأنه المعاجلة بالعقوبة لمن عصاه؛ لأنه لا يستعجل إلا من يخاف فوت الفرصة، والله سبحانه قادر لا يعجزه شيء .

وكلٌّ أحد متصاغر لكبريائه، ومتذلل لعزته، وخاضع لأمره ، ومسرع إلى إرادته.

فحلم الله صفة كمال، ومغفرته صفة كمال، واقتران الحليم بالغفور كمال ثالث .

فهو سبحانه يرى العباد وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم عليهم، فيؤخر ويؤجل

عقوبتهم لعلهم يتوبون، ويستر آخرين من عباده ويغفر لهم، فما أعظم رحمة الله وحلمه على عباده! .

فهو سبحانه حليم على الكفار، يسقيهم من هذا الماء العذب، ويطعمهم من الطعام الطيب، ويسكنهم في أرضه، ولا يعاجلهم بالعقوبة عَلَى غفلتهم ومعاصيهم، غفور لمن تاب منهم، حليم على من لم يتب منهم : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

هو سبحانه الغفور الذي يغفر الذنوب ولا يفضح الخلق؛ ولولا مغفرة الله وحلمه على عباده، لعنتوا أشد العنت؛ لأنه يعلم ما في قلوبهم من خير أوشر، فليبادروا إليه بالتوبة، فإنه غفور حليم: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

فكل ما أضمره العبد الله ﷻ يعلمه ويغفره ويستره، ولا يعاجل صاحبه بالعقوبة ، لكمال حلمه ورحمته بعباده : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

- **وهو رب رحيم يقابل عصيان العباد له بكمالين:**

الأول: أنه يمهلهم، ويؤخر العذاب عنهم؛ ليستغفروا ويتوبوا : ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٢٥] .

الثاني: أنه يتجاوز عنهم ويسترهم، ويدر عليهم نعمه، مع كثرة معاصيهم له ، ليتوبوا إليه : ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠] .

واقترن اسم الله الحليم بالشكور في القرآن مرة واحدة، كما قال سبحانه: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن/ ١٧].

وسر ذلك والله أعلم أن الله كريم، خلق العبد، ثم رزقه، ثم سأله مما أعطاه قرضًا يضاعفه له، ثم يشكر له ما أعطاه، وهو يعامله بالحلم في تقصيره عن شكر مولاه .

واقترن اسم الله الحليم باسم الله الغني في القرآن مرة واحدة، كما قال سبحانه: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٣].

وسر ذلك –والله أعلم– أن الله غني عن كل أحد، بل يحتاج إليه كل أحد، فهو غني عن صدقات الناس، ونفعها وثوابها عائد عليهم لا عليه، فلا يليق بالغني من البشر أن يمن

بصدقته التي وهب الله له، ويتبعها بالأذى من قول أو فعل .

والله حليم لا يعاجل بالعقوبة من فعل ذلك؛ لكمال رحمته وحلمه، وينبغي للعباد أن يقتدوا به ويتصفوا بصفاته، وفي هذا تعليم للعبد من ربه الحليم، بأن لا يعاجل بالغضب والأذى حين يعطي خيرًا، ويقابل من الناس بالأذى ، وعدم الشكر، فإن الله مع كمال غناه؛ حليم يتجاوز عمن عصاه، ويوالي عليه نعمه، كأنه لم يعصه، لأن الله رؤوف بالعباد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾[الحج/ ٦٥].

واقترن اسم الله الحليم بالعليم في القرآن ثلاث مرات، كما قال سبحانه: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[النساء/ ١٢].

وسر ذلك والله أعلم بيان سعة حلم الله ﷻ، ولسعة حلمه سبحانه قرنه باسمه العليم الذي وسع علمه كل شيء: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[غافر/ ٧].

فسبحان الرب العظيم الذي وسع حلمه ما وسعه علمه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[الحشر/ ٢٢].

وكذا اقترن اسم الله الحليم بالعظيم في دعاء الكرب، كما قال ﷺ في دعاء الكرب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**» متفق عليه (١).

فالعظمة صفة كمال، والحلم صفة كمال، واقترانهما مع بعض كمال ثالث، وسر هذا الاقتران -والله أعلم- هو أن حلم الله وسبحانه على عباده عن كمال العظمة والقوة والقدرة، لا عن ضعف وعجز وحاجة، فعظمته سبحانه يزينها الحلم، فهو الرحمن الرحيم ، القوي القادر، وحلمه على الكفار والعصاة والطغاة عن قوة واقتدار؛ لأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾[هود: ٦٦] .

وهو الحكيم الحليم العليم بظواهر الأمور وبواطنها، وهذا هو الحلم الكامل الذي لا يكون إلا لله وحده: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٥)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص/ ١ - ٤]
هو الحليم الذي ليس كمثله أحد في الحلم، هو العليم الذي ليس كمثله شيء في العلم، وهو القوي الذي ليس كمثله أحد في القوة، وهكذا .
فسبحان الحليم الذي لا يعاجل العصاة والكفار بالعقوبة، مع أنهم أجرموا وأذنبوا؛ لعلهم يتوبون .
وهو الحليم الذي يصبر على أذى خلقه له، بسبهم له، وإشراكهم به، ونسبتهم إليه الصاحبة والولد، وقولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء، وقولهم: إن الله ثالث ثلاثة:﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾[آل عمران/ ١٨١].
الله أكبر! ما أعظم حلمه! وما أعظم رحمته بعباده جل جلاله! وما أعظم جهل الناس بربهم ، وما أعظم كذبهم عليه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٤] .
واعلم أيها العبد أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، وحده لا شريك له، ولا مثيل له، ولا شبيه له:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى/ ١١].
هو الحليم الذي ليس كمثله شيء في الحلم، وهو السميع الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير الذي ليس كمثله شيء في البصر، القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة.
والمخلوق قد يسميه ربه جل جلاله باسم من أسمائه؛ كالعزيز والحليم، كما سمى إبراهيم:﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[هود/ ٧٥].
لكن على المعلوم من نقص البشرية ، والمعهود من فقر الخليقة، والمعروف من ضعف الآدميين، فالله حليم، والإنسان قد يكون حليمًا، ولكن على شاكلة العبودية، وحلم الله مطلق، ليس له أول ولا آخر، أما حلم العباد فهو محدود حادث، و هو من عطاء الله، ومن لم يشكره سلبه الله منه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧] .
والحلم من الصفات الجمالية، وهو نور في باطن العبد، وزين في ظاهره، وبه يكون جمال

الصفات، وبه تكون الأفعال على ما ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، للشخص الذي ينبغي ، بالقدر الذي ينبغي، وهذه هي الحكمة التي ظهرت في أكمل البشر محمد ﷺ الذي جَمَع الله فيه جميع صفات الأنبياء، وقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم/ ٤].

ولا تكون حكمة إلا بنور الحلم والعلم، ولا يتصور ذلك على التمام كله إلا في الحليم الحق جل جلاله، وكلٌّ يؤتيه الله منها بقدر نور الحلم والعلم : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٧٣ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣– ٧٤] .

فيجب على العبد أن يطلب من الله الحكمة والهداية كما يطلب العافية والرزق، ويطلب منه الصفات الحميدة؛ لأن الله ﷻ يحب أسماءه وصفاته، ويحب من تخلق بها .

فالله مؤمن يحب المؤمنين، والله محسن يحب المحسنين، والله تواب يحب التوابين ، والله شكور يحب الشاكرين.

ولنعلم أن كفر الخلق وشركهم وظلمهم عظيم، ولكن حلم الله على عباده لا يحيط به أحد، ورحمته لهم وسعت كل شيء،﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾[غافر/ ٧].

هذه القلوب إذا تغذت بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ صارت قلوبًا ملكية، والملائكة من طبيعتهم أنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم/ ٦].

ويعبدون الله ﷻ بذاته وجلاله، وكمال إنعامه وإحسانه، وبقدر معرفة الرب تكون عبادة العبد : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩] .

فسبحان الرب العظيم الرحيم الحليم! ألا تراه جل جلاله يتحنن إلى من كفر به ، وأشرك به، لعله يتوب إليه ويستغفره من ذنبه، فيقول: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[المائدة/ ٧٣- ٧٤].

يدعوهم للاستغفار والتوبة، فيغفر لهم لكمال حلمه ورحمته على من كفر به وعصاه .

وقد جعل الله ﷻ في ملكه العظيم ، وتدبيره الحكيم ما لا يفقهه إلا العالمون الربانيون، وما لا يعرفه إلا المؤمنون المتقون : ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾[الرعد/ ١٩- ٢١] .

والله حكيم عليم، خلق في مقابلة ما يحبه ما يكرهه، وفي مقابلة ما يرضيه ما يسخطه، وفي مقابلة طاعته معصيته، وفي مقابلة ما يشكره ما يعاقب عليه ، خلق الملائكة وخلق الشياطين، وخلق من يعصيه ومن يطيعه، والكل خلق الله، ليعبد بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠].

الله تواب يتوب على من كفر وعلى من عصى، والله غفور يغفر لمن عصى، والله رؤوف بالعباد، فخلق جل جلاله في ملكه ما يحبه وما يكرهه، وابتلى العباد بذلك، الله ﷻ ابتلى عباده بثلاثة أمور : الأوامر الكونية ليعرفوا قدرته وعظمته، وبالأوامر الشرعية ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، وبالمصائب القدرية ليعلم من يتوجه إليه عند المصيبة ممن يتوجه إلى غيره : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣] .

فنستغفر الله من جهلنا ومعاصينا وتقصيرنا، خاصة في معرفة أسماء ربنا، ونسأله أن يغفر لنا ويعلمنا ما ينفعنا : ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣] .

فسبحان ذي الجبروت والملكوت! لا إله غيره، ولا رب سواه، له الكبرياء والعظمة، ما أوسع حلمه! وما أرحمه بعباده! .

يرى ما يحبه وما يكرهه، ويرى من يطيعه ومن يعصيه، ويرى من يشكره ومن يكفره، ويسمع ما يرضيه وما يسخطه، ويسمع من يسبحه ومن يسبه، ويسمع من يوحده ومن

يشرك به، لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة الطائعين : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤] .

وكل الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي ملكه، والكل في قبضته، والكل تحت قهره، والكل عبيده، وله وحده الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر/ ٢٢- ٢٤].

فسبحان الله! ما أعظم أسماءه وصفاته! وما أعظم ملكه وسلطانه! وما أعظم حلمه وعفوه! وما أعظم صبره على من كفر به وعصاه! : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥] .

وعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ ﷻ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» متفق عليه(١).

هو جل جلاله الملك القادر القاهر، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفر منه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يفوته شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد .

هو الملك الحق الذي خلق السماوات والأرض بالحق، ودينه الحق، وكتبه حق، ورسله حق، بيده الملك والخلق والأمر كله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢].

هو الملك الغني القوي الذي تفرد بالملك والملكوت، القادر الذي لا يعبأ بما سواه، ولا يطيع من خالفه وعصاه: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾[المؤمنون/ ٧١].

فسبحان العليم الحليم الذي جعل في السماء من خلقه من يؤمن به ويعبده، ويطيع أمره! ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٩١)، ومسلم برقم (٢٢٤٦).

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾[الأنبياء/ ١٩- ٢٠].

فهؤلاء هم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، هذا في العالم العلوي .

وجعل سبحانه في العالم السفلي في الأرض من يؤمن به ويسبح به ويعبده، ويطيع أمره، كما جعل فيها من يكفر به ويكذب رسله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢﴾[التغابن/ ١- ٢].

وكل أهل الأرض أرسل الله إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ورغبهم في الإيمان والطاعات، وحذرهم من الكفر والمعاصي، وبين لهم العاقبة، وترك للمكلفين من الإنس والجن أمر الاختيار : ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾[الإنسان/ ٢- ٣].

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾

[الكهف: ٢٩ – ٣٠] .

فخلق الله الإنسان مختارًا، ولم يُكرهه على عمل، بل الله حبب إليه الإيمان وبين له ثوابه، وحذره من الكفر وبين له عقابه، وكل يختار ما يشاء، فلا إكراه في الدين، ولا يخرج أحد عن مشيئته ، لا بالكفر ولا بالإيمان، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا، والله عالم بما كان وما يكون وما سيكون : ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

وكل واحد من بني آدم بعد تحمل الأمانة حر يفعل ما يشاء ، وسوف يحاسب على ما عمل من خير أ شر : ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣﴾[الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

فمتى يفقه من حبسه الشيطان ، أو الهوى ، أو حب الدنيا والشهوات عن هذه الأسماء العظيمة ، وهذا الثواب العظيم؟ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

- **والكلام على اسم الله الحليم ينقسم إلى قسمين:**

الأول: أن نتكلم عن اتصاف الله ﷻ بهذا الاسم العظيم، وعن آثاره في الكون.

الثاني: التعبد لله بالتخلق بهذا الاسم والتجمل به، بعد معرفة عظمة حلم الله على عباده .

معرفة الله ﷻ ، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ومعرفة وعده ووعيده؛ هذه الأمور السبعة هي مغذيات القلوب بالتوحيد والإيمان ، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته توجه العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتقواه وخشيته ، والاستعانة به، والتوكل عليه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

فالله ﷻ هو الملك الحق ، العزيز الجبار ، الرحمن الرحيم ، وحتى نعبد الله كما يحب ويرضى، فلا بد لنا من معرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة أفعاله في ملكه العظيم، ومعرفة أفعاله بأعدائه، ومعرفة أفعاله بعباده المؤمنين، ومعرفة أفعاله في خلقه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فالله ﷻ ملك عظيم، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، هو الواحد القهار العزيز الغفار، هو العالي فوق خلقه، وهو القاهر فوق عباده : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

أما أفعاله في ملكه العظيم، فهي خلقه العالم العلوي والعالم السفلي : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

- **وخلق الله في السموات والأرض ستة عوالم :**

عالم الجماد .. وعالم النبات .. وعالم الحيوان..وعالم الإنسان..وعالم الملائكة..وعالم الجن.

فهذه العوالم الكبرى كلها تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته بفطرتها، وكل ذرة في كل جرم منها تسبح بحمده وتقدس له : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

أما أفعاله جل جلاله في عباده فقد خلقهم في أحسن تقويم، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، وأكرمهم بأنواع الكرامات : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

وزودهم بآلات العلم: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل/ ٧٨].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن/ ١ – ٤].

وأمد خلقه بأنواع الأقوات : ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

وأمر من اختارهم وخيرهم من الجن والإنس بالإيمان والعمل الصالح، وأجزل لهم الأجر والمثوبة ، وحذرهم من الشرك والمعاصي فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

وأما أفعاله جل جلاله في أعدائه: فهو الجبار على الظالمين والمجرمين والمعتدين .

هو القوي العزيز الذي يفعل بأعدائه ما يستحقون إذا أصروا على كفرهم ، كما قال ﷻ:
﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ

أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

فهو جل جلاله العزيز الجبار الذي يفعل بأعدائه الذين حاربوا رسله وكذبوهم ما يشاء. وهو العزيز الرحيم الذي يفعل بأوليائه ويكرمهم بما يشاء، فهو الحفيظ الذي يحفظ أولياءه مما يكره لهم، لا مما يكره العبد، فالله يحفظ العبد بما يحب وبما يكره، لا بما يحبونه هم أو يكرهونه هم .

فأفعال الرب جل جلاله مع أعدائه عظيمة ، كما يرحم أولياءه فهو كذلك يبطش بأعدائه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر/ ٦- ١٤].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾ [الفيل/ ١- ٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود/ ١٠٢].

وأما أفعاله جل جلاله في ملكه العظيم فكما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٥ – ٢٠].

وقال ﷻ : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق/ ٦- ٧].

وقال ﷻ : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: ٦ – ١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

وقال ﷻ : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية/ ١٧- ٢٠].

فسبحان العظيم الحليم الذي هذه أسمائه وصفاته ، وهذه أفعاله في ملكه العظيم ، وهذا خلقه وتدبيره ، وهذا حكمه وإحسانه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ –١٠٣] .

والله ﷻ كريم خلقنا وأمدنا بالأسماع، والأبصار والعقول، وأعطانا العقل لنعقل به أعظم شيء وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه ، والعلم بثوابه وعقابه : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

هو السميع الذي أعطانا السمع لنسمع به أحسن شيء : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧- ١٨].

وأعطانا الأبصار للنظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية : ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

وأعطانا اللسان ، لنتكلم به بأعظم شيء ، وأحسن شيء : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

ونذكر الله ونحمده ونشكره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١- ٤٢].

وندعو الناس إلى توحيده وعبادته : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١- ٢٢].

وأعطانا الجوارح وجعلها أمانات في أيدينا، فالعقل أمانة، والقلوب أمانة، والأبصار

أمانة، والأسماع أمانة، والبدن أمانة، وأمرنا بأداء هذه الأمانة العظيمة في المسارعة والمسابقة إلى الخيرات، وإلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

هو السميع الذي خلقنا وخلق فينا السمع، فماذا نسمع؟ وماذا نُسمع؟ ومن نسمع؟ الواجب علينا أن نسمع بهذا السمع الذي أعطانا الله أحسن شيء، وهو كلام الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾ [الأعراف/ ٢٠٤].

ونُسمع أنفسنا، ونُسمع ربنا ذكره وحمده وتكبيره، ونُسمع الناس ما يحبه الله ويرضاه من الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي يحب منا أن نتخلق بالأخلاق التي يحبها جل جلاله.

والله جل جلاله هو الملك الحق الذي تجب علينا عبادته، لأنه الذي تفرد بالملك والملكوت، والعزة والجبروت، وله الملك والخلق والأمر وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

ومن فضل الله ﷻ علينا أن عرفنا بأسمائه وصفاته حتى نتوجه إليه، إن كنا فقراء سألنا الغني، وإن كنا مرضى سألنا الشافي، وإن كنا ضالين سألنا الهادي، وإن احتجنا إلى الرحمة سألنا الرحمن الرحيم، وإن احتجنا إلى القوة سألنا القوي فأعطانا من قوته ما نتقوى به على طاعته، والعمل بشرعه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي غذاء القلوب، وبها يتم التوحيد.

ويتحقق الإيمان الذي يثمر قوة الطاعة، وقوة العبادة، ودوام الذكر والشكر لرب العالمين .

فالله ﷻ يرضى لكذا، ويغضب من كذا، ويصبر على كذا، ويعجل العقوبة لهذا، ويلعن هذا، ويهلك هذا، ويغرق هؤلاء، ويدمر هؤلاء، ونحو ذلك من الأفعال؛ فذلك كله من أفعاله سبحانه، وفعله جل جلاله منفصل عن صفاته، موجود في معاني أسمائه، يفعله جل جلاله عند وجود سببه، فهو ينتقم عند وجود السبب، ويضحك عند وجود السبب؛ ليظهر لعباده كمال قدرته ، وعز ربوبيته، ليعلم العباد ذلك، فيرهبوه ويخافوه ويتقوه، ويسرعوا إلى طاعته ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة/ ٧٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة/ ١٥٩].

جاء اللعن بسبب الكتمان: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة/ ١٥٩- ١٦٠]. تابوا من بعد ما ظلموا، وأصلحوا ما أفسدوا، وبينوا ما كتموا، فصفة اللعن والانتقام من معاني أسمائه جل جلاله، وليست من صفاته الدائمة .

أما أسماؤه الحسنى ، وصفاته العلى ، فهي من لوازم ذاته، ومن لوازم كماله لا تنفك عنه أبدًا، فهو رحمن ورحيم، وكريم وعفو، وعزيز وغفار، هذه أسماء ثابتة له لا تنفك عنه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢- ٢٤].

هذه أسماؤه التي هي من لوازم كماله، لا تنفك عنه أبدًا .

وحلم الله ﷻ على عباده الظالمين يراه كل إنسان في سبل عفوه ومغفرته ورحمته وإمهاله، وترك معاجلة الظالمين بالعقوبة مع جحدهم الحق ، وعنادهم له، ووصفهم الرب ما لا

يليق بجلاله وتكذيب كتبه ورسله، وهذا الجرم العظيم من الخلق تكاد السموات يتفطرن منه، وتكاد منه السموات والأرض أن تزولا كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[فاطر/ ٤١].

حليمًا بعباده ، غفورًا لهم، يصبر على ما صدر منهم من المعاصي والمنكرات ، لعلهم يتوبون .

فما أعظم حلم الحليم الحق بعباده! يعافيهم ويرزقهم، وهم يعصونه بنعمه:﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾[المائدة/ ٧٤].

وما أوسع حلم الجبار على عباده الظالمين لأنفسهم وغيرهم! ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف/ ٥٨].

وإذا أمعن العاقل النظر، وبالغ في الاعتبار والتدبر، رأى أن عيش جميع الخلائق بعظيم حلم الله وإحسانه، وعفوه، وسعة رحمته ومغفرته:﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان/ ٢٠].

فالله ﷻ سخر لجميع الخلق من مسلم وكافر، بر وفاجر، سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، من هذا النور، وهذا الهواء، وهذا الماء العذب، وهذا الطعام الشهي، وأسكنهم في ملكه، وأطعمهم من رزقه، وألبسهم مما خلق لهم، فكل الخلائق قعود على موائد نعمه ، ومع ذلك الإنعام أكثرهم يعصونه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾[المائدة/ ٧٤].

يتوبون من ظلمهم وشركهم، ويعودون إلى ربهم : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحجرات/ ١١].

ألا ترى أيها المسلم وأيتها المسلمة، الرب ﷻ ذا العزة والجلال ، والجبروت والملكوت ، والكبرياء القوي القادر على كل شيء ، يحلم على العصاة ، ويؤخر العقوبة عن

المستحقين لها؛ لعلهم يرجعون إليه؛ لسعة حلمه ورحمته! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

ورحمته جل جلاله وسعت كل شيء، وحلمه وسع كل شيء، ويحلم الله ﷻ على العصاة؛ حتى يظن المغتر أنه ليس يعلم، ويمهل حتى يتوهم الجاهل أنه يهمل، ويستر حتى كأنه ليس يبصر، وينعم على العصاة حتى كأنهم بالمعاصي يرضونه، وبإيذاء أوليائه وسب أنبيائه يسرونه، فلا إله إلا الله! ما أوسع حلمه! ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣].

فسبحان ربنا الواسع الكريم الحليم، الذي وسع كل شيء رحمةً وعلمًا، ومغفرةً وحلمًا.

اللهم ارحمنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥﴾ [الأعراف/ ١٥٥].

فهذا ما يجب لله ﷻ من معرفة أسمائه وصفاته حتى يأتي اليقين وتأتي التقوى في القلب، ثم يأتي التعبد لله ﷻ بأسمائه وصفاته، وفعل ما يحبه ويرضاه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾

[الأعراف: ١٨٠].

الله جل جلاله مع كمال أسمائه وصفاته ، وعظمته وكبريائه، وعظمة أفعاله في ملكه ، ومع أعدائه ومع أوليائه، وكمال قدرته وقوته، وكمال وعزته ، حليم على من عصاه، يتحبب إلى العصاة بالنعم ، لعلهم يتوبون إليه، فمن باب أولى العبد الضعيف العاجز أن يعفو على من سفه من الناس عليه : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

والتعبد لله بهذا الاسم الكريم أن يحلم الإنسان على من عصاه، ولا يعاجله بالعقوبة، فإنه إما جاهل ، أو سفيه ، أو متعجل، فيصبر على من آذاه، ولا يعاجله بالعقوبة، ويتعود الصفح حتى يكون الحلم سجية له، فيصبر على من آذاه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه، وهذه هي أمهات الأخلاق، والأنبياء والرسل في الذروة العليا من هذه الأخلاق العظيمة ، وذلك كله ثمرة الحلم والعلم ، والإيمان والتقوى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[التغابن/ ١٤].

- **والحلم درجتان:**

فمنه ما يكون سجيةً وجبلة وعطاءً من الرب، فالله كما خلق الإنسان خلق فيه الصفات، كما قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**» أخرجه مسلم(١).

ومن الحلم ما يكون بالتعلم والاكتساب، وإنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، والصبر بالتصبر .

والحلم في البشر هو سيد الأخلاق، فمن عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز مالت إليه القلوب، وفاز بمغفرة علام الغيوب:﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور/ ٢٢].

والحلم في بني آدم هو حبس النفس عن السخط عند الغضب، عند سماع ما يكره، أو

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧).

رؤية ما يسوؤه، وقد وصف الله خليله ﷺ إبراهيم بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود/ ٧٥].

فهو حليم لا يعاجل أحدًا بالعقوبة فورًا، ومنيب رجاع إلى الله بالتوبة والاستغفار، وأواه كثير التأوه، يتوجع من أمور كثيرة، يتوجع من غشيان الناس للمعاصي، وجرأتهم على الكبائر، ومن تأخرهم عن الإيمان بالله ﷻ، ويتوجع من رؤية المعاصي، ويتوجع من مكر الكفار بالمؤمنين، ويتوجع من عدم إيمان أبيه، وعدم قبوله دعوته، وذلك لكمال معرفته بربه ، وصفاء قلبه ، وشدة رحمته للناس : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل/ ١٢٠- ١٢١].

والمؤمن إذا عرف أن ربه حليم أحبه، وحمده على سعة حلمه، وعظيم عفوه، وجميل إحسانه، واستحيا منه أن يعصيه .

فهذه المعرفة بحلم الله ﷻ تولد عند العبد محبة الله ، وحمد الله : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

فالعبد يستحيي من ربه أن يعصيه إذا عرف أن ربه حليم على من عصاه من المخلوقات، أو تكررت منه معصيته، وهو يحلم عليه ويمهله : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[الحشر/ ٢٢].

هو سبحانه الحليم الذي نعمه لا تحصى مع كثرة ما يعصى من المعاصي القولية والفعلية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر/ ٥٣].

وسع حلمه المؤمن والكافر : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾[الأنفال/ ٣٨].

ويتودد الله ﷻ إلى عباده بعظمة حلمه ورحمته فيقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء/ ١١٠].

فالله سبحانه حليم يحب من اتصف بهذه الصفة، فالله يحب أسماءه وصفاته، ويحب من

اتصف بها، فالله مؤمن يحب المؤمنين، والله سلام يحب المسلمين، والله شكور يحب الشاكرين، والله تواب يحب التوابين .

والإيمان باسم الله الحليم يثمر ثمرات عظيمة، فيثمر حب الله ﷻ، والحياء منه، ويثمر حمده وشكره، والمبادرة إلى التوبة من معصية الله، فلا يعقل أن يسكن الإنسان في أرض الله ، ويعصي الله بنعم الله، فليستح العبد من ربه، لأنه يدر عليه النعم، وهو يواجه ربه بالمعاصي والمنكرات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ﴾ [الانفطار: ٦] .

والله ﷻ يتودد إلى عباده، ويأمر نبيه أن يخبر المؤمنين أنه الغفور الرحيم، فيقول ﷻ: ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠ ﴾ [الحجر/ ٤٩- ٥٠].

فاحذر سخط الحليم وعقوبته، فإنه الذي قال: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥ ﴾[الزخرف/ ٥٥].

فأغرق فرعون بعد ملكه وجبروته في البحر، لأنه أسخط الله، وأصر على كفره ، فالله ﷻ دمره تدميرًا .

فإذا زاد طغيان البشر فلا بد من الانتقام، لإزالة الباطل الذي فيه ظلم الناس : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾[هود/ ١٠٢].

فمن لم يتب إلى الله ﷻ من ظلمه وطغيانه؛ فلن يفلت من العقوبة في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ : ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠ ﴾[العنكبوت/ ٤٠].

والله ﷻ يمهل ولا يهمل ، ورحمته سبقت غضبه، ولكنه شديد الانتقام لمن عصاه وطغى وتجبر : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩ ﴾ [الطلاق: ٨ – ٩] .

ومن عرف الله باسمه الحليم تخلق بهذا الاسم ، وتعبد لله به، فحلم على من سفه عليه، وصبر على من آذاه، لينال رضا مولاه، ويدخل جنته جل جلاله : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ

﴿وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وأكمل الناس خلقًا وخُلقا وحلمًا سيد الأولين والآخرين؛ محمد ﷺ الذي قال عنه ربه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وأخبر عنه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم/ ٤].

فالله ﷻ فرق الأخلاق العالية ، والأخلاق الكريمة ، في الأنبياء، ثم جمعها في سيد الأنبياء، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فنعم الراكب ونعم المركوب، فالراكب محمد ﷺ، راكب على بساط الأخلاق العالية، وهو الذي يقول ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»أخرجه أحمد [(١)].

فاللهم إنا نسألك العمل الصالح، والخلق الحسن، والحلم حسنه وأحسنه .

وأحسن حلم حلم الأنبياء والرسل الذين رباهم الله واصطفاهم، وأرسلهم بأحسن الصفات إلى خلقه، وأمرنا بالاقتداء بهم، فقد أكملهم الله بالتوحيد والإيمان ، وحسن الأخلاق، وأمرنا بالاقتداء بهم .

والإنسان لا بد له من قدوة، فإما إن يقتدي بالأنبياء والمرسلين، وإما أن يقتدي بالحيوانات والشياطين.

والله أمر رسوله ﷺ أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين فقال : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩).

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

وقال الله ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[الأحزاب/ ٢١].

والحلم من أعظم الصفات التي تؤلف بين القلوب، وهي من الصفات المرة على النفس، من الصفات المرة التي يحلي الله بها عباده مع شدتها وصعوبتها، ولكن من طلبها وسعى في تحصيلها وجدها، وهذه هي أصول الأخلاق:

أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وتعطي من حرمك.

فمن تخلق بهذه الأخلاق الكريمة؛ فقد ارتقى في أخلاقه، فإن المؤمن يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم.

قال النبي ﷺ: «**خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا**» أخرجه البخاري[1].

وقال ﷺ: «**أَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا**»أخرجه أحمد[2].

فالحلم من أعظم الصفات التي يشق على العبد التخلق بها مع الناس، والواجب على المؤمن أن يجاهد نفسه على التخلق بهذه الصفات الكريمة؛ لينال الأجر من ربه عليها:

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾[النساء/ ١١٤].

فالحلم مبني على الصبر، وتحمل كل أذى من الناس.

فانظر إلى حلم الله على الكفار، هم الذين يسبونه ويشتمونه، ويكفرون به، ويكفرون برسله، ويكذبون أنبياءه، ويعادون أولياءه، وهو الذي يطعمهم ويسقيهم ومع ذلك فالله غفور حليم: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

والحلم الذي يريده الله ﷻ، ويحبه الله ورسوله هو الحلم الذي يكون عن عزة واقتدار، لا عن ذل ومهانة، مبتغيًا بذلك وجه الله وحده: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٧٢٧٨).

ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥] .

وأول الحلم المعرفة، ثم التثبت، فأعرف أن فلانًا قال كذا، وأتثبت من ذلك، ثم العزم، ثم التصبر، ثم الصبر، ثم الرضا، ثم الصمت والإغضاء، ثم الإحسان والثناء، وما الفضل إلا بالإحسان لمن أساء : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

فأول الحلم المعرفة، أن تعرف أن الله ﷻ حليم، وأن الأنبياء والرسل تخلقوا بهذا الخلق العظيم، وأن لك ثوابًا عظيمًا إذا تخلقت بخلق الحلم والصبر والعفو .

وأعظم من أوذي في الله ، وتحمل الشدائد في سبيل الله ، هو سيد الخلق محمد ﷺ ، فصبر وغفر ، وعفا وأكرم ، حتى أظهر الله به دينه : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم/ ٦٠].

فما أعظم حلم النبي ﷺ على من آذاه وسبه، وأخرجه من كفار قريش، ومن اليهود ، ومن المنافقين! : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] .

والمسلم يؤجر على حلمه وصبره: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر/ ١٠].

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى/ ٤٣].

والناس بين يديك أيها المسلم ثلاثة أصناف:

إنسان أعز منك، أو إنسان أنت أعز منه، أو إنسان ساواك في العز، فاحلم ولا تجهل على من هو أعز منك، وإلا فأنت لئيم .

ولا تجهل على من دونك فتكون ظالمًا له، فجدير بك أن تحلم على من هو دونك، وتتحمل أذاه وجهله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

ولا تجهل على مساويك؛ فإن جهلك عليه سفاهة، وتهارش كتهارش الكلاب، ونفار كنفار الديكين، يثمر الفراق والجراح والعداوة : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت/ ٣٤ – ٣٥].

واعلم أن الله حليم، فلا تغتر بعظمة حلمه ، وسعة حلمه، فتقع في معصيته، ولا يغرنك حلمه على من عصاه، فإن أخذه إذا أخذ أليم شديد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨] .

أغرك حلمه وعفوه ، وصفحه ورحمته ، حتى اجترأت على معاصيه .

هو الحليم، ولكمال حلمه يمهل ولا يهمل، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥ ﴾ [الأنعام: ٤٤ – ٤٥] .

- **والناس اثنان:**

إما متعقل .. وإما متعجل.

والمتعقل هو الحليم الذي يتأنى ولا يسارع بالعقوبة والانتقام لمن سفه عليه .

فيصبر على سفه الجاهلين، وطيش الطائشين، وتهور المتهورين، وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والمرسلين الذين صبروا على جهالات الناس، وعداوتهم وإيذائهم، وفي مقدمة هؤلاء سيد الصابرين، سيد الأنبياء والمرسلين الذي قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[القلم/ ٤].

وأمره بالعفو والمغفرة والصفح عن كل من أساء إليه؛ فقال له: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف/ ١٩٩].

وقال له: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وقال له: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾[الحجر/ ٨٥].

وفي القرآن وردت كلمة الصبر في أكثر من ثمانين موضعًا، كلها في مجال الصبر على أذى كفار مكة، صبره ﷺ على أذى قريش له ، كله صبر في مجال الدعوة إلى الله، وتحمل الأذى والشدائد من الناس.

والله سبحانه له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، وهو يحب أسماءه وصفاته، ويحب من اتصف بها من عباده، الله يحب المؤمنين، ويحب المتقين، ويحب المحسنين .

فالله سميع، وخلق فينا السمع، وأمرنا أن نسمع أحسن الكلام، وأن نُسمع الناس ذلك الكلام، وهكذا في كل صفة من صفات الله ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

والسمع والبصر صفة كمال، فالله من رحمته بعباده أعطى الناس السمع والبصر؛ ليسمعوا أحسن شيء، ويسمعوا الناس أحسن شيء، فقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل/ ٧٨].

وأمرنا أن نسمع أحسن شيء: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[الأعراف/ ٢٠٤].

ووصف عباده المؤمنين بأنهم يستمعون أحسن كلام، فالسمع أحسن صفة كمال في الإنسان، فيجب أن يسمع بها أحسن شيء، الكلام عن ربه، وعن دينه، وعن شرعه، وعن رسله، وعن اليوم الآخر، وهكذا:﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر/ ١٧ - ١٨].

وأمرنا أن نسمع البشرية أحسن شيء:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم/ ٥٢].

وقال ﷻ :﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴿١٩﴾﴾[الأنعام/ ١٩].

وهكذا الله ﷻ حليم، وإذا عرفنا أنه جل جلاله حليم، فعلينا أن نتخلق بهذا الخلق، ونصبر على الأذى، ونبذل الندى، ونكف الأذى ، حتى نترقى في الأخلاق، كما نترقى في الأعمال الصالحة والأقوال الحسنة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

- **فالمؤمن مطالب بخمسة أمور:**

أن يتبع النبي ﷺ في نيته وفكره.. وفي توحيده وإيمانه.. وفي أقواله الحسنة.. وفي أعماله الصالحة.. وفي أخلاقه العالية:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم/ ٤].

والله سبحانه حليم، والحلم صفة كمال لله ﷻ، والله سبحانه يحب من اتصف من العباد بهذا الخلق العظيم .

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠].

فكن حليمًا على من أسمعك ما تكره، حليمًا على من فعل بك سوءًا، حليمًا على من اتهمك بما ليس فيك، حليمًا على من سخر منك، حليمًا على من زل في حقك، حليمًا على من أساء إليك بقول أو فعل:﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

لتكن حليمًا؛ استر الهفوات، واغفر الزلات، واصبر على الكريهات، واصفح عن المؤلمات، وقدم شكواك إلى مولاك : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[الحجر/ ٩٧- ٩٩].

لتكن حليمًا محبوبًا عند الله، اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن؛ تكن أعبد الناس، ويحبك الله، ويحبك الناس، وينقلب عدوك صديقًا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت: ٣٣ – ٣٥] .

واحلم واصبر على الجار إذا أصابك منه مكروه، فما هو حق الجار؟ قال علي ﷺ: ما حق الجار؟ فقالوا: ألا تؤذيه، قال: لا؛ بل تصبر على أذاه، لتنال أجر الصابرين : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر: ١٠] .

والله ﷻ أمرنا بالحلم والصبر على السفهاء ، وأهل الجهل والحسد والعداوة، لننال أجر الصابرين .

والله ﷻ يبتلينا بهؤلاء الناس ، لنحلم على الناس، ونصبر على أذاهم، لماذا ابتلانا الله بذلك؟

لأن الله ﷻ جعل للمسلم درجةً عاليةً في الجنة قد لا ينالها بالحمد والشكر، إنما ينالها بالصبر، والحلم، والعفو، والصفح، والمغفرة، والعفو عن الناس، فاحلم واصبر على الجار، إذا أصابك منه مكروه؛ فلا تؤذه، بل اصبر على أذاه، واحلم على السفيه إذا نقص من قدرك ، ونال من عرضك، واحلم واصبر على كل من آذاك، فإن الله سيدافع عنك :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨].
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

وليكن حظ المؤمن منك إن لم تمدحه ألا تذمه، وإن لم تنفعه ألا تضره، وأن تمدحه بما فيه، وتحسن إليه وتعفو عنه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

ينفقون مالًا، علمًا، حلمًا، ينفقون مما أعطاهم الله من زاد القلوب، وما تستقيم به الجوارح، وما ينطق به اللسان.

فاحلم عن السفيه فإنه سفيه، فيجب أن يكون مني الحلم ليغطي سفهه؛ حتى لا تنتشر السفاهة في العالم.

تكظم الغيط، وتتجرع الغيظ، وتصبر لتنال أجر الصابرين، فما جاءتك هذه الأذية، وهذا الكلام المؤلم إلا من رحمة الله بك؛ لأنه يريد أن يرقيك، ويعطيك الدرجات العلى في الجنة: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم/ ٦٠].

والمؤمن كالغيث أينما حل نفع، وكالشمس حيثما سارت، وكالأرض الخصبة حيثما نزل عليها المطر لا يزيدها إلا خضرةً، ونمو أشجارها، وظهور ثمارها: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥].

والحلم لا شك جوهرة عظيمة، ودرة نفيسة، وتاج عظيم، فإذا أراد الله أن يعطيك هذه الجوهرة العظيمة، وهذه الدرة النفيسة، وهذا التاج العظيم، واجهك بسفيه من الناس يقول فيك ما ليس فيك، لتظهر فيك عبودية الحلم، وعبودية الصبر، وعبودية الصفح، وعبودية العفو، وعبودية التجاهل، فيواجهك بسفيه من الناس، هذا السفيه لم يأتك قصدًا إنما هو مأمور أن يأتيك، لأن الله يريد أن يظهر فيك صفة الحلم والصبر والعفو، وأن تتخلق بأخلاق الأنبياء، وتتصف بالصفات التي يحبها الله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ

﴿... شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦] .

فالله حليم ، ويريد منك أن تكون حليمًا على من سفه عليك من الناس، فتظهر فيك عبودية الصبر ، وعبودية الحلم، وعبودية الرحمة، وعبودية العفو، وتقابل سفه السفهاء ، وجهل الجاهلين عليك الذين قالوا فيك ما ليس فيك، فقد يقولون: يا كذاب، يا خائن، يا غشاش، يا منافق، يا سارق، وعلاج ذلك: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩- ٢٠٠].

فالحلم جوهرة، والصدق جوهرة، والعفو جوهرة، ولكن لا بد من حصول أسباب تحركها فيك، ولهذا فأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فالأنبياء يبتلَون بالسب والشتم؛ ليظهر الله فيهم للخلق الصفات التي يحبها من الرحمة والعفو : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وكم كان حلم النبي ﷺ على كفار مكة ، وهم الذين آذوه وسبوه وشتموه، وقالوا: كذاب وساحر ، ومجنون، وشاعر .

فإذا أراد الله إظهار هذه الجوهرة، وتجميل هذا الإنسان بها؛ رماه بسفيه أو جاهل أو حاسد، فقال فيه ما ليس فيه، وظلمه وسبه وشتمه، فليصبر على ذلك لينال تاج الصبر، وتاج الحلم، وتاج العفو، وتاج الرحمة، وتاج المغفرة، وتاج العزة، فهذه التيجان يسوقها الله ﷻ لمن يعلم الله فيهم أن قلوبهم تزكو على ذلك، فنسأل الله ﷻ أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣].

فاعلم أنار الله قلبك بالإيمان أن أحب عباد الله إليه من اتصف بمقتضى أسمائه وصفاته تقربًا إليه، وكان له حظ من كل اسم كريم وصفة عليا، فالله عليم وأنت عليم، فعلم الناس ما علمك الله، واعمل بما علمت .

والله حكيم وأنت حكيم، فأحكم الأمور، والله حليم، وأنت تخلق بهذا الحلم واصبر على سفه الناس، فالدين ركنان: عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، وما الإحسان إلى الخلق؟ دعوتهم إلى الله، والصبر على أذاهم، والحلم على سفهائهم: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾؛ عبادة الحق : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦] . هذا إحسان إلى الخلق.

واعلم أن الله هو الحليم الذي يصفح عن الذنوب، ويستر العيوب، وهو الحليم الذي يسدل ستره على العصاة ، لعلهم يتوبون، وهو الحليم القوي العزيز الذي لا يستخفه عصيان عاصٍ، ولا يستفزه طغيان طاغٍ؛ لأن الجميع في ملكه، وفي قبضته، وتحت سمعه وبصره، والله لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، لأنه الغني، وكل ما سواه فقير إليه، والكل من مؤمن وكافر راجع إلى ربه ، ليحاسبه بعمله ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢١ - ٢٦].

سيحاسبهم على الأوقات، وعلى الأقوال، وعلى الأعمال، وعلى الأخلاق .

وإذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه؛ أن يحلم هو على من خالف أمره وأذاه ، فاحلم على الخلق؛ يحلم عليك رب الخلق، ويستجلب بحلمك عليهم حبهم لك، ورضوان الله عنك: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور/ ٢٢].

فكن في الليل مع الحليم، اشكره على نعمه، واستغفره من ذنبك، واسأله الهداية لك ولغيرك .

وفي النهار كن حليمًا على الخلق كلهم، وتخلق بصفة الحلم على من سفه عليك بقول أو فعل، وكما تحب أن يحلم الله عليك، فاحلم أنت على الناس، وأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره لغيرك ما تكره لنفسك، وأحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك :

﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧].

وقال النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ -أَوْ قَالَ: لِأَخِيهِ- مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» متفق عليه(١).

واحذر أيها المؤمن، واحذري أيتها المؤمنة، احذر غاية الحذر أن تعصي ربك السميع البصير؛ لأنه يسمعك إن تكلمت، ويراك إن تحركت، ويعلم بما في قلبك إن أضمرت، فاحذر أن تعصي ربك السميع البصير، وتغتر بحلمه عليك، فتتمادى في عصيانه، وتتكل على عفوه مع الإصرار على عصيانه، فإنه وإن كان الحليم الكريم؛ فإن أخذه أليم، وبطشه شديد ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر/ ٤٩- ٥٠].

فسبحان الله! ما أعظم حلمه مع كمال علمه وقدرته، وكمال علمه بالمعاصي والذنوب: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٥١].

وإذا علمت عظمة ربك ﷻ، وعرفت جزيل إحسانه، وأدركت سعة حلمه، وواسع مغفرته، وسعة رحمته، ورأيت شدة بأسه؛ فبادر إلى طاعة ربك الحليم، الغفور، الشكور، واستح من مواجهة الكريم بما يكره الحليم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار: ٦-٨].

فأطعه وسبحه واحمده، وامتثل أمره، فإن نعم الله ﷻ عليك لا تعد ولا تحصى.

واستعمل ما أنعم الله به عليك في طاعته، ولا تقل على الحليم الحق إلا الحق، فإنه يراك ويسمعك، وسوف يسألك: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء/ ٣٦].

كل كلمة وكل ذرة لها سجل عند الله: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾ ﴾[النبأ/ ٢٩].

واشكر من أنعم عليك بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، واصبر على جميع ما يحبه ويرضاه من الطاعات، والزم الصبر على كل محبوب ومكروه من أجله؛ لتنال أجرًا لا تحلم به: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠١٦)، ومسلم برقم (٤٥).

﴿يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزمر/ ١٠].

ويُسهِّل لك أخي الكريم الحلمَ على الخلق، والصبر على أذاهم، ودوام طاعة الله: معرفةُ الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، والاتصاف بما يليق بالعباد منها، ومعرفة نعم الله وإحسانه، ومعرفة ثوابه وعقابه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فالله ساق إلينا هذه المكاره لنصبر، لننال أجر الصابرين، لأن الله لا يحب أن يعذب عباده، ولا ينتفع بعذاب العباد: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧].

- **واعلم أن الصبر الذي يجب على العبد ثلاثة أنواع:**

الأول: صبر على طاعة الله بأداء الواجبات.

الثاني: صبر عن معصية الله باجتناب المحرمات.

الثالث: صبر على أقدار الله المؤلمة: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣].

وأفضل الصبر ما بلغ درجة الرضا، فإن ارتقى إلى درجة الحمد؛ فقد بلغ الذروة العليا في المعرفة واليقين: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١].

فإذا ابتلي الإنسان فعليه أن يصبر، فإن استطاع أن يرضى؛ فإن هذا من قضاء الله وقدره، وقضاء الله كله حكمة، ورحمة، وعدل وإحسان، فإن استطاع أن يشكر، فتلك أعلى الدرجات: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

فالله يبتلينا بالمكاره ليرقينا بالصبر والرضا والحمد والشكر إلى أعلى الدرجات، لأن الله لا يقضي لعبده قضاءً إلا وهو خير: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥﴾ [المعارج: ٥].

والصبر النافع الحق ما خالف الهوى، ووافق طاعة المولى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم/ ٦٠].

فاعلم أن الله مع الصابرين، وأن الله يحب الصابرين، وعاقبة الصبر أحسن العواقب، فاصبر فإن النصر مع الصبر، والفرج بعد الكرب، واليسر بعد العسر، والعافية بعد البلاء، ومفتاح ذلك كله الصبر، فاصبر وتوكل على الله؛ تنلْ ما تحب فورًا: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الحلم والصبر؛ فاصبر لله في جميع أحوالك، وأحسن إلى الناس بما تستطيع وإن عادوك: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

واصبر على ما أصابك فإنك منصور، ولك العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهد ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم يا جزيل العطايا والمواهب، يا واسع الرحمة والمغفرة، يا رؤوفًا بالعباد، يا كريم العطاء ، يا عظيم الحلم، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا أُعطوا شكروا، وإذا منعوا حمدوا، وإذا ابتلوا صبروا، يا أرحم الرحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك .

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

العفو

اسم الله العفو

الله ﷻ هو الكامل في ذاته وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وهو سبحانه يحب أسماءه وصفاته، ويحب من اتصف بها من الناس، ويحب ظهور آثارها في خلقه وفي ملكه، وأحب الخلق إلى الله من اتصف بمقتضيات أسمائه وصفاته على شاكلة العبودية.

فالله ﷻ رحيم يحب الرحماء، عفو يحب العافين عن الناس، تواب يحب التوابين، مؤمن يحب المؤمنين، ويجازي عباده بحسب صفاتهم، فمن عفا؛ عفا الله عنه، ومن غفر لعباده؛ غفر الله له، ومن ستر مسلمًا؛ ستر الله عليه، ومن رفق بعباده؛ رفق الله به وهكذا، ومن تتبع عورات الناس؛ تتبع الله عورته، ومن مكر بعباده؛ مكر به، ومن خدع خلقه؛ خادعه، فمن عامل الخلق بصفة من الصفات؛ عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فمن أحسن أحسن الله إليه، فالله تعالى يعامل عبده على حسب ما يكون العبد لخلقه، كما قال النبي ﷺ:«**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا فِي الدُّنْيَا؛ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» متفق عليه[1].

- **لهذا أعظم غذاء للقلوب:**

معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، وأسماؤه وصفاته متفاضلة، فأسماء الله ﷻ كلها حسنى، بالغة في الحسن والكمال منتهاه، وهي متفاوتة في الحسن والكمال، فمنها كامل وأكمل، وحسن وأحسن، وعظيم وأعظم:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾[طه: ٨].

ومنها ما يدل على اسم الله الأعظم؛ مثل: الله، الحي، القيوم، الرب ونحو ذلك.

ومنها أسماء تدل على عدة صفات جامعة، كالمجيد، والعظيم، والصمد، والواسع، والحي، ونحو ذلك.

ومنها ما يدل على معنيين: كالبصير بمعنى الرؤية، والعلم والخبرة، والودود بمعنى أنه المحبوب من قبل الناس، والمحب للناس.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

ومنها ما يدل على صفة واحدة مثل العليم، الغفور، ونحوها.
ومنها ما جاء بصيغة تفضيل، يدل على المفاضلة، كالعلي والأعلى، والكريم والأكرم، والخالق والخلاق، والرحمن والرحيم، ونحو ذلك.
لهذا أمرنا الله ﷻ بأن نتعرف على أسمائه وصفاته، وأكثر الله ﷻ من ذكر أسمائه وصفاته في القرآن؛ لنعرفه بهذه الصفات، ثم نتعبد لله ﷻ بهذه الصفات.
ومن أسماء العفو والمغفرة والتجاوز والصفح اسم الله العفو، فالله ﷻ عفو، كما قال سبحانه: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء/ ١٤٩].
والله ﷻ هو العفو الذي له العفو الشامل، الذي وسع عفوه الورى، ووسع علمه وعفوه جميع ما يصدر عن عباده من الأعمال والطاعات والمعاصي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى/ ٢٥].
وهو سبحانه العفو الغفور الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران موصوفًا، وكل أحد من الخلق مضطر إلى عفوه ومغفرته كما هو مضطر إلى كرمه ورحمته، كما هو مضطر إلى دينه وشرعه، كما هو مضطر إلى خلقه وإيجاده: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء/ ١١٣].
وهو سبحانه العفو الكريم الذي يحب العفو، ويدعو عباده إلى الاتصاف بالعفو، ويحب من عباده فعل الأسباب التي ينالون بها عفوه؛ من التوبة والاستغفار، والصفح والتجاوز، والسعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، والعفو عنهم: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩- ٢٠٠].
وهو سبحانه الرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، العفو القدير الذي لم يزل ولا يزال ينعم على جميع الخلق، ويعفو عن المجرمين والمذنبين، مع قدرته على عقابهم، والانتقام منهم، وحرمانهم من نعمه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا

﴿تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾[النحل/ ١٨].

فسبحان الكريم الذي يضع عن عباده تبعة خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيها منهم إذا تابوا وأنابوا إليه! العفو الغفور الذي مهما أسرف العبد على نفسه بالمعاصي ثم تاب إلى ربه ورجع إليه؛ فرح الله بتوبته، وغفر له جميع ذنوبه:﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

واسم الله العفو ورد في القرآن الكريم خمس مرات، منها: قوله سبحانه:﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾[النساء/ ١٤٩].

والله جل جلاله هو العفو الذي يتجاوز عن المعاصي، ويمحو السيئات، الذي وضع عن عباده تبعات خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيها منهم؛ لكمال رحمته وإحسانه، وكمال عفوه ومغفرته:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾[البقرة: ١٤٣].

وقد ورد لفظ العفو ومشتقاته في القرآن الكريم أكثر من تسع وثلاثين مرة.

هو جل جلاله العفو الذي شمل بعفوه جميع خلقه، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو والصفح والغفران معروفًا وموصوفًا:﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[النساء/ ١١٠].

والعفو: هو التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه.

وأصل العفو: المحو والطمس والإزالة.

والفرق بين العفو والمغفرة: أن العفو هو الصفح عن الذنب، وإسقاط العقاب عليه.

والمغفرة: ستر الجرم صونًا لصاحبه من عذاب الخجل والفضيحة والعتاب، ومحو أثره، ومن كمال رحمة الله أنه يسقط العقاب على الذنب، ثم يستر صاحبه عن الفضيحة في الدنيا والآخرة، فيجمع له بين رفع العذاب البدني، ورفع العذاب الروحي وهو الفضيحة، فالحمد لله العفو الغفور الذي وقى من شر الذنب برفعه ومحوه وستره.

والمغفرة أعم وأوسع مدلولًا من العفو؛ لزيادتها على محو الذنب بالرضا والقبول.

فالعفو جل جلاله عفو غفور، والعفو ترك محض، والمغفرة إحسان وفضل، كما قال سبحانه:﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا

لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[البقرة/ ٢٨٦].

فالعفو متضمن لإسقاط العقوبة عن الذنب، والمغفرة متضمنة للوقاية من شر الذنوب مع رضا الله عن صاحبه، فإن العافي قد يعفو، ولا يرضى عمن يعفو عنه، فالعفو والمغفرة والرحمة فيها تدرج من الفرع إلى الأصل، ومن الأخص إلى الأعم.

فاعف عنا: إسقاط العقوبة، واغفر لنا: وقاية للعصاة من شر الذنوب، وإقبال الله عليهم، ورضاه عنهم، لَـمَّا استغفروه غفر لهم، وارحمنا متضمن الأمرين: الإسقاط للعقوبة، والرضا مع زيادة الإحسان والعطف البر.

وبالثلاثة يتحقق الفلاح، وهو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فالعفو هو محو الذنوب، وهو محو الوزر والسيئات المترتبة على فعل الذنب، أما الأفعال ذاتها فهي مكتوبة في كتاب العبد حتى يلقى ربه، فيدنيه منه، ويعرفه بذنوبه، وسوء أفعاله، ثم يسترها عليه، ويغفرها له؛ إظهارًا لكمال رحمته وإحسانه إلى عباده.

والعفو صفة مشتقة من اسم الله العفو، وهي صفة فعلية ثابتة لله ﷻ، فالله يعفو ويغفر بالأسباب، إذا وُجِد المقتضي؛ عفا وغفر، لأنه عفو غفور رحيم، وفي دعائه ﷺ للميت: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ**» أخرجه مسلم[1].

ولم يرد اسم الله العفو إلا مقترنًا باسم آخر، فاقترن اسم الله القدير مع اسم الله العفو مرةً واحدة، كما قال سبحانه: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[النساء/ ١٤٩].

وسر هذا الاقتران والله أعلم؛ الإشارة إلى أن عفو الله عن ذنوب الخلق صادر عن قادر على إنزال العقوبة بالعصاة؛ لأن القدرة بلا عفو نقص في الصفات، والعفو بلا قدرة عجز، أن يعفو الإنسان لأنه غير قادر هذا عجز، والعفو مع القدرة غاية الكمال، والله ﷻ عفو قدير: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه: ٨].

واقترن اسم الله الغفور باسم الله العفو أربع مرات في القرآن، منها: قوله سبحانه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾﴾[النساء/ ٩٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٦٣).

وحكمة ذلك والله أعلم؛ التدرج من الأخص إلى الأعم، فالعفو إسقاط العقاب على الذنب، والمسامحة به والمغفرة وقايةً من شر الذنب كله، والإقبال على المستغفر والرضا عنه وستر زلته.

فسبحان العفو الكريم الذي يصفح عن ذنوب العباد مهما عظمت وكثرت، ويزيل آثارها بالكلية، ويثبت مكان كل سيئة حسنة؛ فضلًا منه ورحمة!

وهو سبحانه العفو كثير الخير والإفضال والإنعام، الذي لا ينقطع عطاؤه بالليل والنهار، وفي الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦- ٥٨].

ومن رحمة الله أن ما يصيب المؤمنين من المصائب يكفر عنهم من خطاياهم، وما يعفو الله عنه من الذنوب أكثر: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى/ ٣٠].

فكم من الذنوب تصدر من العباد سواء كانوا من المسلمين أو من الكفار! ذنوب من البصر، وذنوب من السمع، وذنوب قلبية، وذنوب بدنية، من سرقات، وفواحش، وغير ذلك من الذنوب القولية، والعملية، والقلبية.

فكل ما يصيب المؤمنين من المصائب يكفر الله به عنهم من خطاياهم، وما يعفو الله ﷻ عنهم من الذنوب أكثر، ولكمال عفوه سبحانه يعفو في الدنيا عن المذنبين التائبين المستغفرين، ويعفو في الآخرة عن الموحدين المصرين: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء/ ٣١].

ومن جلال عفو الله سبحانه أن أكثر العباد يبارزونه بالعظائم والمعاصي، والذنوب والآثام، ومع ذلك يسدي إليهم النعم، ويصرف عنهم النقم؛ لعلهم يتوبون، ويدر عليهم النعم التي لا تعد ولا تحصى؛ لعلهم يشكرونه ولا يعصونه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

فلولا عفو الله العظيم عن ذنوب الخلق؛ لغارت الأرض بأهلها؛ لكثرة ما يرتكب عليها من المعاصي: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل/ ٦١].

فسبحان الحليم العفو الغفور الذي وسعت رحمته كل شيء، ووسعت مغفرته كل شيء، ووسع عفوه جميع خلقه، سواء كان من الكفار، أو من المؤمنين، فالله ﷻ عفو كريم، لم يقطع عن الكفار الطعام، والشراب، والهواء، والصحة، والعافية، والنور، بل هو يمدهم بالنعم لعلهم يتذكرون، ويمسهم بالضراء لعلهم يتوبون ويتضرعون، لأنه ربهم، وهو الذي يربيهم بالسراء والضراء؛ لعلهم يتوبون ويرجعون إليه:﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[الأنعام/ ٤٣].

ومن جلال عفو الله ﷻ أن عفوه يكون بعد حلم وإمهال، وعن كمال غنى، وعن كمال قدرة على الانتقام:﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾[هود/ ٦٦].

فالله قوي، وكل ما سواه ضعيف، والله قادر، وكل ما سواه عاجز، والله غني، وكل ما سواه فقير، والله خالق، وكل ما سواه مخلوق، والله كبير، وكل ما سواه صغير، من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في الكون:﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر: ٢٣].

هو الملك القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؛ ولكنه لكمال رحمته وعفوه ومغفرته؛ يحلم على العباد، ويعفو عن سيئاتهم:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة: ١٤٣].

- **والله ﷻ ابتلى كل إنسان بأمور ثلاثة:**

بالشهوات الحيوانية .. وبالأوامر الشرعية .. وبالمصائب القدرية.

فمن وقع في معصية الله بترك أمر، أو فعل نهي؛ فعليه أن يتوب إلى ربه العفو الكريم؛ لأنه هو العفو القدير:﴿ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[الشورى/ ٢٥].

وهو الغفور الرحيم:﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء/ ١١٠].

وواجبه في الشهوات: الأخذ بقدر الحاجة، والأكل من الطيبات، واجتناب المحرمات:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ

﴿إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[البقرة: ١٧٢].

وواجبه في الأوامر الشرعية: العمل بقدر الطاقة والاستطاعة:﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٥٠﴾[آل عمران: ٥٠].

وواجبه في المصائب القدرية: الصبر، ثم الرضا إن تيسر، ثم الحمد إن استطاع:﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[البقرة/ ١٥٥- ١٥٧].

هذا واجب الإنسان في الشهوات، أن نأخذ بقدر الحاجة بلا إسراف ولا مخيلة.

وواجب الإنسان في أوامر ربه الشرعية: العمل بقدر الطاقة:﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[الحج/ ٧٨].

وقال سبحانه:﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾[البقرة/ ٦٣].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[التغابن/ ١٦].

أن نأخذ أوامر الله ﷻ بقدر الطاقة؛ لأنها سبيل السعادة والعزة في الدنيا والآخرة.

وواجب الإنسان في المصائب القدرية: الصبر:﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥- ١٥٧].

فالإنسان في مقابل المصائب القدرية واجبه أن يصبر، فإن استطاع أن يضيف بعد الصبر الرضا فهذا أفضل، لأن الله ﷻ حكيم عليم، وهو أرحم بالعبد من نفسه، فيجب على الإنسان أن يرضى بقضاء الله وقدره؛ لأن اختيار الله ﷻ أفضل من اختيار العبد، فإن استطاع أن يحمد الله ﷻ على ما أصابه فهذا أفضل؛ لأن هذا اختيار الله ﷻ، والله ﷻ يربي عباده بالسراء والضراء:﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾[التوبة/ ٥١].

والله ﷻ يجري هذه المصائب القدرية على العباد ليربيهم بها، من الأمراض والمصائب، وغيرها من ما يبتلي به العباد من نعمة السراء والضراء، ويرفع درجاتهم بالصبر عليها،

ويكفر عنهم سيئاتهم.
وهذه الصفات كالخلق، والرزق، والرحمة، ونحوها كلها صادرة عن صفات الكمال، عن قدرة كاملة للرب، ومشيئة نافذة، وحكمة بالغة فإن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والحكمة الشاملة مقرونة بالخير المطلق، فإن الله بيده الخير، وهو على كل شيء قدير؛ فأفعاله جل جلاله وما يجريه على العباد كله لا يخرج عن ثلاثة أمور، بل هو نتيجة وثمرة القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، والحكمة الشاملة المقرونة بالخير المطلق، فكل أفعال الله ﷻ في ملكه في منتهى الحكمة والرحمة والعدل والإحسان: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].
هو سبحانه العفو الذي أزال الذنوب من الصحائف ومحاها، وأبدل الخوف والوحشة بفنون اللطائف جل جلاله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر/ ٣٤].
هو سبحانه العفو الذي يمحو الذنوب ويزيل آثارها بمغفرته، الذي يترك المؤاخذة على الذنوب، ولا يذكر بالعيوب: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾ [الحج/ ٦٠].
والله سبحانه عفو غفور كريم، محا الذنوب العظيمة والكثيرة، إذا استغفره العباد وتابوا إليه؛ محا الذنوب الكثيرة المتنوعة، وستر العيوب، وأعطى من فضله، فهو سبحانه يخلي ثم يحلي، ويطهر ثم يعطر، فللعفو معنيان: معنى سلبي وهو محو الذنوب، ومعنى إيجابي وهو العطاء من فضله، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ [آل عمران/ ١٥٢].
فهو عفا عن الذنوب وغفرها، ثم بدلها حسنات، ثم ضاعف تلك الحسنات؛ لأنه ذو الفضل العظيم، وهو الرحمن الرحيم.
قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنَّا**» أخرجه الترمذي(١).
فما أعظم عفو الله عن عباده في الدنيا والآخرة!: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾ [الحج/ ٦٠].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥١٣).

ويتجلى عفو الله عن عباده يوم القيامة، فيُدخل الجنة من أمة محمد ﷺ سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، فهذا عفو الله ﷻ عظيم يتجلى لعباده يوم القيامة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لا، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لا يَكْتَوُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» متفق عليه[1].

وقال ﷺ: «**وَعَدَنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ**» أخرجه الترمذي وابن ماجه[2].

فعفو الله عظيم، وعفو الله واسع، وعفو الله لا بداية له ولا نهاية، ولا أول له ولا آخر، فهو عفو، وعفوه مطلق جل جلاله.

فسبحان العفو الغفور الرحيم التواب اللطيف الكريم، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، هذا هو الرب، وهذا هو الإله، وهذا هو الملك الذي يستحق العبادة، خلقنا في أحسن تقويم، وأسكننا في أرضه، وأدر علينا نعمه التي لا تعد ولا تُحصى، واستضافنا في بطن الأم تسعة أشهر، واستضافنا في الدنيا بهذه الأعمار التي تختلف من الستين إلى السبعين وأقل وأكثر، فأمرنا بتكميل الإيمان والأعمال الصالحة؛ ليكمل لنا محبوباتنا يوم القيامة مما في الجنة، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن رضوان الله ﷻ، ورؤيته سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣٧)، وابن ماجه برقم (٤٢٨٦) وهذا لفظه.

فالعفو من أعظم الصفات التي يحبها الله، ويحب من اتصف بها، ومن عفا لله؛ عفا الله عنه، ومن غفر لله؛ غفر الله له، ومن أحسن لله؛ أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن/ ١٤].

ولهذا دعا العفو الكريم سبحانه عباده إلى العفو والصفح عن الخلق، ورغَّب في الحلم والصبر على الأذى، وقبول الأعذار من سائر الناس؛ رجاء رضوان الله وغفرانه: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾[النور/ ٢٢].

والعفو جوهرة، وإذا أراد الله ﷻ إخراج هذه الجوهرة من الإنسان؛ ابتلاه بسفيه يسفه عليه، ويأخذ حقه، ويظلمه، ويسيء إليه، فالله يريد أن يظهر هذه الجوهرة، فيعفو هذا الإنسان عمن ظلمه، ويكون هذا العفو سببًا لهدايته أو لإيمانه إن كان كافرًا، فالمؤمن يتصف بأعظم الصفات، وجماع الصفات التي تتعامل بها مع الخلق، والتي يحبها الله: أن تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتحسن إلى من أساء إليك.

هذه أصول الأخلاق في التعامل بين الناس، وهي سبب لقلب العداوة إلى صداقة، وقلب الكفر إلى الإيمان، وقلب الشدة إلى رحمة، وقلب سوء الظن إلى حسن الظن: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت: ٣٣ – ٣٥].

واعلم أن الغني الكريم قد تكفل بأجر من عفا عن غيره من الناس، فسيعطيه الله أجرًا عظيمًا، وثوابًا جزيلًا: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى/ ٤٠].

فسبحان العفو الكريم الذي يمحو السيئات، ويستر الزلات، ويغفر الذنوب، ويعز مقام من عفا من عباده.

عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**» أخرجه مسلم[1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

واعلم رحمك الله أن الله عفو غفور، وعفوه ومغفرته من لوازم ذاته ﷻ، ولا تزال آثار عفوه ومغفرته في الملك والملكوت آناء الليل والنهار، فعفوه ومغفرته ﷻ وسعت جميع المخلوقات، والسيئات والجرائم والمعاصي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء/ ٤٣].

ولولا عفوه وحلمه؛ لتزلزلت الأرض بأهلها، وما بقي من الخلق أحداً.

والكفر والشرك، والذنوب والجرائم، والتقصير الواقع من الخلق؛ كل ذلك يقتضي العقوبات العاجلة المتنوعة؛ لأن ذلك من كفران النعمة، ولكن عظمة عفو الله، وسعة مغفرته، وسعة حلمه ورحمته تدفع هذه الموجبات للعقوبات: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر/ ٤٥].

- **وعفو الله ﷻ نوعان:**

الأول: عفوه العام عن جميع الخلائق، عن جميع المجرمين والكفار والعصاة، وغيرهم، برفع العقوبات المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النعم عنهم، فهم يؤذونه بالشرك، والسب، والمعاصي، ويعصونه بنعمه، وهو يعافيهم ويرزقهم، ويمهلهم ولا يهملهم، وقد يبتليهم بالمصائب لعلهم يتوبون ويرجعون إليه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فالله أنعم بهذه النعم، والإنسان يكفر هذه النعمة، وموجب ذلك يقتضي العقوبة العاجلة، ولكن من سعة حلم الله وعفوه يؤخر العقوبة، فسبحانه ما أعظم حلمه وعفوه وصبره، مع كمال قدرته! ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل/ ٦١].

هذا العفو العام من الرب ﷻ عن جميع الخلائق، فهم يسكنون في أرضه، ويأكلون من رزقه، ويتنعمون بنعمه، ويعصونه بالجوارح التي خلقها الله لطاعته، وذلك لسعة عفوه، وإمهالهم، وإدرار النعم عليهم، لعلها تذكرهم بالرب العفو الرحمن الرحيم، وأخذهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون إليه، فيعرفون أنه هو الخالق الرازق الرحمن الرحيم، فيتوبون إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

الثاني: عفو الله الخاص بالمؤمنين، ومغفرته للتائبين والمستغفرين، والعابدين والداعين، والمصابين وغيرهم، فمن تاب إلى الله من هؤلاء وغيرهم؛ تاب الله عليه، وغفر له مهما كان ذنبه، ومهما تكرر ذنبه، ومهما تنوع ذنبه، هذا عفو خاص بالمؤمنين، ومغفرة للتائبين والمستغفرين، والعابدين والداعين من المؤمنين: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر/ ٥٣- ٥٤].

فما أعظم حلم الله على عباده! وما أعظم عفوه ومغفرته! وما أوسع رحمته جل جلاله! لهذا لابد من معرفة الله ﷻ بهذا الاسم العظيم، حتى نتحلى به، ونتخلق به، فالله عفو يحب العفو والإحسان، ويحب العافين عن الناس: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣- ١٣٤].

هو جل جلاله العفو الذي يمحو الذنوب والسيئات، ويتجاوز عن المعاصي.

والعفو: محو الذنب بالكلية، ولكن الله ﷻ يثبته في الصحائف حتى يُنشر أمام العبد يوم القيامة، ويقر العبد بهذه الذنوب، ثم يظهر الله ﷻ كرمه ورحمته لعبده بأن يمحو عنه ويسقط جميع هذه الذنوب، ويمحو عقوبتها عن هذا العبد، فهو العفو ذو العفو المطلق الذي يمحو الذنوب والسيئات عن جميع الخلائق في جميع الأوقات، وفي جميع الأماكن، فيمحو الذنوب والسيئات، ويتجاوز عن المعاصي: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

هو العفو الذي يزيل الذنوب الثقيلة عمن تاب منها، فكفار قريش قتلوا، وسرقوا، وظلموا، وفعلوا المنكرات، ثم تابوا؛ فتاب الله ﷻ عليهم.

هو العفو الذي يزيل الذنوب الثقيلة عمن تاب منها، ثم يمحوها من ديوان الكرام الكاتبين، ثم ينسي المذنبين إياها فلا يذكرونها أبدًا، لئلا يتألموا أو يخجلوا عند ذكرها

وتذكرها، ثم يثبت الله ﷻ مكان كل سيئة حسنة، ثم يضاعفها، ثم يثيب عليها.

فسبحان الله! ما أعظم عفوه ومغفرته ورحمته بعباده! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

فتب أيها المسلم إلى ربك العفو الغفور من الذنوب المهلكات؛ فإن ربك غفور رحيم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠].

فسبحان الملك الرحيم بعباده، الحكيم في تدبيره، الذي يطهر عباده من الأرجاس والذنوب، ثم يعطرهم بالرحمة والفضل العظيم، ويعفو ثم يرحم، ويمحو ثم يكرم: ومن عرف العظيم جل جلاله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ آمن بربه العظيم، وآمن بكتابه العظيم، وامتثل أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فالعظيم جل جلاله لا يعطي إلا العظيم، وإذا عفا؛ عفا عن جميع الذنوب ومحاها بالكلية وسترها، هو العفو الكريم الذي يزيل عن النفوس ظلمة الزلات برحمته، ويذهب وحشة السيئات بكرمه.

فسبحان العفو الكريم الذي يزيل الذنوب من الصحائف، ويبدل وحشتها بفنون اللطائف! ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى/ ٢٥].

هو العفو الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده أشد من فرح الضال الواجد، والعقيم الوالد، والظمآن الوارد، لأنه ﷻ أرحم بعباده من أنفسهم، والعفو أحب إليه من الانتقام، ورحمته سبقت غضبه، ولا يزال العباد يعصون ويخالفون أمر الله، والله ﷻ يعفو مع كثرة الذنوب وتنوعها من جميع الخلائق.

ولا يزال العفو يعفو يوم القيامة عن عصاة المؤمنين، حتى يقول للملائكة: أخرجوا من

النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ لكمال عفوه ورحمته جل جلاله.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً**» متفق عليه(١).

فالله عز وجل عفو كريم، ورحمن رحيم، يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ، قَالَ: فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ؛ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**» أخرجه أحمد والترمذي(٢).

فالله عز وجل رحيم بعباده، ورحمته سبقت غضبه: ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾**﴾ [البقرة: ١٦٣].

والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم فقد راحلته وعليها طعامه وشرابه، ثم نام فاستيقظ فوجدها عند رأسه؛ فالله عز وجل يفرح بتوبة عبده، ويفتح له أبواب الطاعات، وأبواب الحسنات، ويغلق عليه أبواب المعاصي، ويرغبه في الطاعات، ويذكره ثوابها، ويحذره من المعاصي، ويذكره عقابها، لكمال رحمته بخلقه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾**﴾ [البقرة: ١٤٣].

والله سبحانه عظمة عفوه أحاطت بذنوب العباد كلهم، وإن لم يكونوا أهلًا لذلك، لماذا؟ لأن الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة: ﴿**كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾**﴾ [المدثر/ ٥٤- ٥٦].

والرأفة من الناس: أشد الرحمة، والعفو: أشد المغفرة، والصفح أشد العفو، فالعفو: محو الذنب بالكلية، لكن قد يبقى في النفس أثره، لكن الصفح محو بلا تثريب: ﴿**وَلْيَعْفُوا**

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (١٩١).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥٩٧) وهذا لفظه، وأحمد برقم (١٥١٩٨).

وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور/ ٢٢].

ومن عظيم حلم الله وصفحه وعفوه عن عباده أن أكثر الناس يكفرون بالله، ويسبونه، ويؤذونه، ويعصونه، ومع ذلك يعفو عنهم ويصبر على أذاهم؛ بل يسوق إليهم أنواع النعم، لعلهم يتوبون إليه، فإن لم يتوبوا إليه؛ ابتلاهم بالنقم لعلهم يتضرعون: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١].

وقال النبي ﷺ عن ربه: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ يَرْمُونَهُ بِالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**» متفق عليه(١).

والفرق بين عفو الله وعفو الخلق أن الذي يعفو من الناس لا يعفو في الغالب إلا عن عجز، فإن عفا عن قدرة؛ فغالبًا يحتسب في الدنيا شيئًا ويطلبه، من المدح والثناء من الناس، أو شيئًا في الآخرة، من الأجر والثواب، ويمتثل أمر الله بالعفو: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى/ ٤٠].

وأما عفو الله فهو عفو مطلق، لا يرجو ثوابًا أو ثناءً من أحد؛ لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، وغناه عن خلقه: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

وهو سبحانه لا يعفو إلا عن قدرة كاملة، ورحمة كاملة، وغنًى كامل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾ [آل عمران/ ١٥٥].

وقال سبحانه في بيان كمال عفوه عمن زل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٩٥﴾ [المائدة/ ٩٥].

فهو سبحانه العفو الغفور الذي يعفو عن المسيئين كرمًا وإحسانًا، ويفتح لهم واسع رحمته ومغفرته فضلًا وإنعامًا: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩)، ومسلم برقم (٢٨٠٤) واللفظ له.

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، وله صفات الكمال والجلال والجمال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

فهذا أول علم يجب أن نعلمه، ونعمل بموجبه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

إن جميع صفات الله ﷻ وجميع أفعاله في الملك العظيم؛ كالخلْق، والرزق، والرحمة، والعفو، والتدبير، والمغفرة، وغير ذلك من الأفعال، كلها صادرة عن صفات ثلاث:

الأولى: القدرة الكاملة للرب ﷻ؛ وقدرته لا أول لها، ولا آخر، ولا بداية لها، ولا نهاية، وهي قدرة مطلقة؛ أما قدرة المخلوق فهي محدودة.

الثانية: المشيئة النافذة لربنا سبحانه، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل شيء أراده الله لابد أن يكون، وكل شيء لم يرده الله جلّ جلاله فلا يكون أبدًا.

الثالثة: الحكمة الشاملة المقرونة بالخير المطلق، فالله حكيم، وأفعاله في منتهى الحكمة، والعدل، والرحمة، والإحسان، وجميع أفعاله مقرونة بالخير المطلق، فإن الله بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كما قال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك/ ١].

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته في باب التوحيد والإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة القلب من القالب، وهو أساس الأعمال كلها: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩].

وأشرف اللذات، وأحسن المعارف، هي لذة العلم والمعرفة، وأفضل وأحسن لذة في العلم والمعرفة هي لذة العلم بالله ﷻ وأسمائه وصفاته، فإن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم هو الله ﷻ، ونحن بأشد الحاجة وأمسّها لمعرفة الله بأسمائه وصفاته؛ حتى ندعوه بها، ونتوجه إليه في التعبد له بها، فنحن فقراء نحتاج إلى الغني، ونحن تصيبنا الأمراض و الحاجات؛ فنتوجه إلى الشافي، ويصيبنا الفقر؛ فنتوجه إلى الغني، وهكذا:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

وهذا العلم الإلهي هو أساس الإيمان، وفيه طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، وحقيقة الإيمان، وجميع الأعمال البدنية صادرة عنه، من جميع أنواع العبادات؛ من عبادة، ودعوة، وتعليم، وجهاد، وغير ذلك، والأعمال والدرجات بنيان، أساسه الإيمان، فالأدوار للمباني تقوم على القواعد السفلية القوية المتينة، وكذلك الأعمال الصالحة والدرجات بنيان يبنيه الإنسان في حياته، وأساسه الإيمان، وعلى قدر الأساس يكون علو البنيان: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

لهذا لابد أن نعلم أن هذا العلم هو أول العلوم، وأفضلها، وأزكاها، وأوسعها، ونحن بأمسّ الحاجة إليه؛ لأن هذا العلم يعرفنا بالله ﷻ وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾[محمد/ ١٩].

استغفر من ماذا؟ من الجهل بالله وأسمائه وصفاته، من الجهل بدينه وشرعه، من الجهل بملكه وسلطانه، من الجهل بعظمته، وكبريائه، وقدرته، وقوته، وعظمة خزائنه وملكه جلّ جلاله.

الله ﷻ سميع لكل شيء، بصير بكل شيء، عليم بكل شيء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[آل عمران: ٥ – ٦].

فالله ﷻ يريد من هذا القلب أن يعرف الرب الذي يعبد، ثم يحرك القلب الجوارح بأنواع العبادة، بعد معرفة الرب الذي يستحق التعظيم، لأنه عظيم، ويستحق التكبير، لأنه كبير، و يستحق الحمد لأنه هو ذو الفضل، وذو الجلال والإكرام، ويستحق الحب لأن كل نعمة منه، ويستحق العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

فنحب الله ﷻ لذاته، وجلاله، وجماله، وأسمائه، وصفاته، لأنه خلقنا، وأرسل إلينا الرسل، وبيّن لنا الحق من الباطل، وأعطانا الجوارح، وأعطانا القدرة، وحبب إلينا الإيمان، وضاعف لنا الأجور، واستضافنا في بطن الأم، واستضافنا في بطن الدنيا، ويستضيفنا في القبر؛ إما في روضة من رياض الجنة، أو في حفرة من حفر النار، حتى نصل إلى دار القرار؛ في الجنة أو النار: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].

فباب العلم بأسماء الله وصفاته أساس التوحيد والإيمان والتقوى.

فصفات الجلال؛ كالقوي، والقدير، والسميع، والبصير، وصفات الجمال؛ كالرحيم، والرحمن، والعفو، والغفور؛ هذه كلها تضطر الإنسان إلى أن يعظّم هذا الرب، وأن يوحد هذا الرب، وأن يشكر هذا الرب، وأن يحب هذا الرب، وأن يقف بين يديه باكيًا، خاشعًا، متذللًا: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر/ ٩].

ومن ذاق عرف: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرعد/ ١٩].

فأهم شيء معرفة الرب المعبود؛ حتى نتوجه إليه، حينما أحتاج إلى مال، لا أتوجه إلى فقير؛ إنما أتوجه إلى غني، حينما أحتاج إلى علاج، لا أتوجه إلى عامل في الشارع؛ إنما أتوجه للطبيب الذي جعله الله سببًا للشفاء بصرف الأدوية المناسبة لذلك المرض، كذلك -ولله المثل الأعلى- لابد أن نعرف الرب المعبود بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأن نتيقن أنه رحمن رحيم، وأنه قريب؛ إن تكلمت سمعني، أو أضمرت فهو خبير بما أقول قبل أن أقول، لكن الله يحب أن يسأل، وإن تحركت فهو بصير، ويكون عندي اليقين على أنه قادر على قضاء حاجتي، وأنه لا يقضي حاجتي إلا هو: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

فما جُعِل الدعاء إلا لنعلم أن الله هو الواحد الأحد الذي بيده كل شيء، وغيره ليس بيده

شيء، لهذا تصيبنا الحاجات والأحوال والمصائب والأمراض؛ حتى نتوجه إليه ونوحده مرة أخرى، والله ﷻ لا يريد أن يعذب الناس: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/ ١٤٧].

ولكن الناس إذا انصرفوا وانحرفوا؛ أصابهم بالمصائب والأمراض؛ حتى يعودوا إليه، فالله ﷻ خلق الأمراض والمصائب والمكروهات؛ لصرف الأشرار الذين خرجوا عن الصراط المستقيم إلى الصراط المعوج إلى أعمال الأبرار، فالله ﷻ يرسل لهم رسالة إنذار؛ بمرض أو مصيبة أو مكروه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

وكذلك الله ﷻ خلق هذه المصائب والأمراض والابتلاءات؛ لصرف النفوس إلى الملك القدوس؛ حتى لا نتعلق بالمخلوق، فإذا أحببت المخلوق؛ تعلقت به، وإذا تعلقت به؛ شغلني عن ربي الذي يجب أن أتعلق به: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وكذلك الله خلق المصائب والأمراض والمكاره؛ لصرف الناس عن دار الغرور إلى دار السرور وهي الآخرة، وجرهم من دار الفناء إلى دار البقاء: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

وبهذا نعمل بما يحب الرب، ونكمّل محبوبات الرب في الدنيا، والله يوم القيامة يكمّل محبوباتنا في الجنة من النعيم المقيم، وألوان النعيم الذي في الجنة، والتي فيها ما لا عينٌ رأَت، ولا أُذُن سَمِعت، ولا خطَر على قلب بشر: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

والله ﷻ يحب أسماءه وصفاته؛ لأنها كمال وجلال وجمال، ويحب من اتصف بها من خلقه؛ فالله عفو يحب العافين، والله محسن يحب المحسنين، والله تواب يحب التوابين، والله مؤمن يحب المؤمنين، والله يدعو الناس للتخلّق بها على شاكلة العبودية؛ فعفو الله

ﷻمطلق؛ فهو لا يطلب أجرًا من أحد، ولا ثناءً من أحد، لكن عفو الإنسان عن أخيه عفو مقيد، وعفو حادث، وهو يرجو به إما ثوابًا في الجنة، أو ثناءً من الناس.

لكن الله ﷻهو العفو الذي خلق العفو في كل عفُوٍّ، وأمرنا بالعفو، ورغبنا في العفو.

والله ﷻ بيّن لنا أنه يعفو؛ فعلينا نحن العبيد أن نعفو عن بعضنا، فالله عفا عن جميع الخلائق، ولم يعاجلهم بالعقوبة، فهم يسكنون في ملكه العظيم في المشرق والمغرب، وبالليل والنهار، ويأكلون من رزقه، ويتعدّون حدوده، ويشربون الخمور، ويفعلون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويعبدون الأصنام والأوثان، ويسبّون الله وأنبيائه ورسله، ومع ذلك هو يعافيهم ويرزقهم؛ لعلهم يتوبون ويتضرعون إليه، كما قال النبي ﷺ: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**»متفق عليه[1].

إن الله ﷻ لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، وملكه قائم كما يشاء، والخلائق كلها لا تساوي ذرة في ملكه، لأنه الخلّاق العليم الذي يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات حجمًا ولونًا ونوعًا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ٨٦﴾[الحجر/ ٨٦].

ولهذا استحق العبادة: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨﴾[النحل/ ١٧-١٨].

يغفر للعباد، ويرحمهم لجهلهم بربهم، ولهذا جهدنا على البشرية ناقص جدًّا، لابد من إبلاغ حلاوة الإيمان، وطعم الإيمان، وحقيقة الإيمان، والتعريف بالرب؛ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ حتى يحب الناس ربهم، ويتوجهوا إليه، ثم نبلغهم أوامره الشرعية، ووعده ووعيده؛ حتى يتنافسوا في الفضائل في الدنيا؛ فيسعدوا في الدنيا، ويسعدوا يوم القيامة، وتكون حياتهم ملكية في الدنيا، تشبه حياة الملائكة الذين: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦﴾[التحريم: ٦].

وتكون حياتهم يوم القيامة ملكية في قرب الملك جلّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ٥٥﴾[القمر/ ٥٤-٥٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩)، ومسلم برقم (٢٨٠٤) واللفظ له.

وفي ملك عظيم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ٢٠ – ٢٢].

كل الخلائق في الجنة يعيشون عيشة الملوك؛ لأنهم في الدنيا عاشوا مع الملك، ونفّذوا أوامر الملك على أنفسهم وعلى غيرهم؛ فهم في يوم القيامة يتمتعون بالنظر إلى وجه ربهم الكريم، ويسمعون كلامه، ويرونه، ويقربون منه، ويتمتعون برضوان جلّ جلاله؛ لهذا إذا عرفنا الأسماء والصفات لله ﷻ؛ فيجب علينا أن نتخلّق بها على شاكلة العبودية، وعلى حسب قدرتنا الآدمية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

التعبد لله ﷻ باسمه العفو

الله ﷻ هو العفو الغفور المعروف بالعفو، الموصوف بالغفران والصفح: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن/ ١٤].

وبيّن لنا ﷻ أنه عفو، وأنه غفور، وأنه رحيم؛ حتى ندعوه، ونسأله، و نحبه لهذه الصفات الجمالية، وحتى نتعبد لله بالتخلّق والتعبد بهذه الصفات بين الناس: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وكل أحد من الناس مضطر إلى عفو الله، ومغفرته، ورحمته، وكرمه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

كلنا مضطر إلى عفو الله؛ لأن العين قد ترى ما حرّم الله، والأذن قد تسمع ما حرّم الله، واللسان قد يتكلم بما حرّم الله؛ يتكلم بالغيبة، والنميمة، والقيل، والقال؛ فنحن محتاجون إلى التوبة باستمرار، وإلى عفو الله باستمرار: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى/ ٢٥].

هذا إنذار بأن كل ما نعمله ونقوم به فالله يعلمه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

كل هذه إنذارات وتنبيهات للإنسان؛أن يعلم أنه بمرأى، وأنه مكشوف أمام ربه بظاهره وباطنه، وأن ما أعلنه وما أضمره يعلمه الذي يعلم السر والنجوى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

بلى، يعلم جميع حركات المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، ما خفي منها وما بطن: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس: ٦١].

هو السميع البصير الذي يسمع جميع الأصوات، ويرى جميع المخلوقات من الذرة الصغيرة إلى العرش العظيم، كلها أمامه مكشوفة بين يديه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا

يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام: ٥٩].

ومُلكه عظيم:﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾﴾[المائدة: ١٢٠].

فإذا أردت أن أعبد؛ لا أعبد مخلوقًامثلي، ولا أعبد من هو دوني من شجر، أو حجر،أو صنم؛ بل أعبد الملكالحق، العلي الأعلى، وأتصل بالأعلى؛ ليرفعني إلى مقام أعلى:﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران/ ١٣٩].

فهذا الكلام عن الله وعن أسمائه وصفاته يغذي القلوب بالإيمان، حتى تستأنس به، وتتوجه إليه، وتقف ببابه، ولا تقف بباب مخلوق دونه؛ فهي تأنس بربها، وتستوحش من غيره، وتقف بين يديه ذاكرة، ومسبحة، وحامدة، وشاكرة، وداعية إلى الله، ومعلّمة لشرعه، ومستغفرة من الذنوب.

فالعارف حقاً لا يأتيه النوم؛ لما يعرف من عظمة الله،وعظمة حقه، ولما يعلم من عصيان العباد، ولما يعلم من تقصيره في حقه، ولما يعلم من سعة رحمة الله، ولما يعلم أنه عائد إليه، فهو بسبب هذه المعارف قائم آناء الليل والنهار:﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر: ٩].

- **ولذلك المسلمون على قسمين:**

الأول:أبرار.

الثاني:سابقون؛ وهم الذين عرفوا الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، ودينه وشرعه؛ هؤلاء يعبدون الله، وعبادتهم شهوات، لا يحبون الانصراف من العبادات، وإذا خرجوا من عبادة؛ انتقلوا إلى عبادة، فكل حياتهم:﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[البقرة/ ١٣٨].

أما المسلمون من عامة الناس فعندهم الإسلام، وليس عندهم الإيمان الذي يريده الله ﷻ:﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[الحجرات/ ١٤].

فليس المراد أن تدخل في الإسلام فقط ؛ بل المراد أن يدخل فيك الدين: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧].

فالدين كلنا ندخل فيه؛ المسلم والمنافق؛ لكن أهم شيء أن يدخل فينا الإيمان، وإذا دخل الإيمان في القلب ملأه، وانشرح الصدر لحب الله، وطاعته،وعبادته بأنواع العبادات؛ فترى هذا الذي امتلأ قلبه بالإيمان قائم بين يدي ربه يسبحه،ويحمده، ويشكره، ويثني عليه، ويمجده؛وقائم بين يدي الخلق يدعوهم إلى الله، ويعلمهم شرع الله، ويحسن إلى المحتاجين، فهو دائمًا في الأعمال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت: ٣٣].

والله سبحانه عفو كريم، وعد بالعفو والمغفرةلمن أتى بأسبابها؛ فقد قابل سبحانه التوبة بالمغفرة، والسؤال بالعطاء، والدعاء بالإجابة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وكلما تكرر الاستغفار والتوبة من الذنوب؛ تكرر العفو والقبول والمغفرة من الرب: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر: ٥٣].

وإذا عرف العبد أن ربه عفو غفور؛ أحبه وعبده، وحمده وشكره، لماذا؟ لما يعلمه من رحمته بعباده، وغفرانه لذنوبهم، وإكرامه لهم، وعفوه عن معاصيهم، وقبوله طاعاتهم، وحمله ذلك على توقي معاصي الله ﷻ؛ لهذا أمر الله ﷻ بمعرفته أولًا قبل معرفة أوامره؛ فقال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

ثم بعد ذلك نتعلم الأوامر؛ لأن العبد إذا عرف الله بأسمائه وصفاته؛ استحيا من كفران النعمة، استحيا من ربه الذي خلقه وصوره، وخلقه في أحسن تقويم، وأسكنه في أرضه،

وأطعمه من رزقه، وسقاه من شرابه، وألبسه مما خلق، وأعطاه هذه النعم، وهو يسكن في ملك الله، ويعصي الله بنعم الله؛ فيستحيي من ربه.

لهذا تكون العبادات لله ﷻ بعد هذه المعرفة خالصة لله ﷻ بكمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الذل لله ﷻ، ويقف العبد بين يديه راجيًا لثوابه، خائفًا من عقابه، محبًّا له غاية الحب: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثم إذا عرف ربه بالعفو والمغفرة رجاه مهما كانت ذنوبه، وعظمت، وكثرت، وكبرت، وطمع في عفوه ورحمته، ولم يقنط من رحمته جلّ جلاله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

الذي يعرف ربه باسمه العفو، وأنه يغفر الذنوب جميعًا، وأنه يعفو ويمحو جميع الذنوب؛ إذا استغفر ربه رجاه ووقف ببابه؛ لأنه ﷻ رحمته سبقت غضبه: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

وإذا علم العبد أن ربه عفو غفور؛ أكثر من الأعمال الصالحة، ومن الحسنات الماحية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

لأنها من أسباب الحصول على مغفرة السيئات السالفة، لهذا لابد من فعل الأسباب الماحية والاستغفار: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه/ ٨٢].

ومن عرف ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ عظّمه وكبّره، وأحبه وأثنى عليه، وحمده وشكره، وأطاعه ولم يعصه، وبدّل السيئة بالحسنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة/ ٢١٨].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

فقلوبهم معمورة بالإيمان، وجوارحهم مشغولة بالأعمال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٣ - ٤].

فأعظم مولّد للإيمان، وأعظم مولّد للأعمال، وأعظم سبب لحصول الأخلاق والصفات التي يحبها الله، هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وإحسانه فهذا أعظم شيء في باب التوحيد؛ أن نعرف الرب المعبود، ونعرف أمره، ونعرف ثوابه وعقابه، ووعده ووعيده، هذه خلاصة العلوم، والمؤمن إذا عرف ربه بالعفو والمغفرة والرحمة؛ استحيا منه أن يراه على معصيته، وبادر إلى طاعة ربه، وجاهد نفسه على التخلّق بالأخلاق التي يحبها الله من العفو والصفح عن الناس، وستر عوراتهم، وإقالة عثراتهم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

اللهم كما أمرتنا بالعفو عمن ظلمنا؛ فقد ظلمنا أنفسنا، فاعف عنّا إنك أنت العفو الغفور: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

ومن عرف ربه العظيم بالعفو؛ عفا عمن تحت يده من الأهل والأولاد والخدم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن/ ١٤].

ومن تعبّد لله بصفة العفو؛ نال محبة الله ﷻ له؛ لأن الله تعالى يحب العفو وأهله، وفاز بمغفرة الله له، وفاز بدخول الجنة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣].

ما هي صفاتهم؟ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

- **ونال كذلك العزة في الدنيا والآخرة؛ بسبب عفوه:**

ففي الدنيا: لمن عفا الرفعة والعلو والمنعة، كما قال ﷺ: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**» أخرجه مسلم(1).

وفي الآخرة: نال مايتمناه من أنواع النعيم، والهناء، والسعادة، والسرور: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى/ ٤٠].

والله ﷻ عظيم، وأجره عظيم، والعظيم لا يعطي إلا العظيم، وأما الحقير فإنه لا يعطي إلا الحقير، والله سبحانه عظيم لا يعطي إلا العظيم، والله ﷻ وصف الأجر الذي يعطي بأنه عظيم وكبيرو كريم، وكذلك وصف العذاب بأنه مهين وأليم وعظيم، كما هو معلوم في كتاب الله ﷻ: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

وإذا عرفت ثواب العفو جلّ جلاله على العفو عن الناس؛ تعبدتَ لله ﷻ بهذا الاسم؛ فإن الإنسان إذا عرف ثواب العفو عن الناس؛ عفا عمن ظلمه، ووصل من قطعه، وأعطى من حرمه، وأحسن إلى من أساء إليه، ومن فعل هذا، ورُزق هذه الأصول الكبرى من الأخلاق؛ أحبه الله، وأحبه الناس، وغفر له رب الناس، وعفا عنه: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور/ ٢٢].

واسم الله العفو يزيل من النفوس وحشة العقاب عن الذنوب التي تشغل قلب الإنسان، ويدفعها للتضرع والانكسار والإقبال، ويحجب عن القلوب ظلمة الزلات، ووحشة الغفلات، فإن هذه الذنوب مكتوبة صوتًا وصورة: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

والله بالاستغفار والتوبة يعفو عن العبد، ويمحو ذنوبه كأن لم تكن؛ لأنه عفو غفور.

والمؤمن حقًّا إذا أذنب تاب فورًا؛ ليتوب الله عليه، ويعفو عنه، فإن لجرح البدن ألمًا فلابد

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

أن نبادر ونذهب إلى الطبيب لعلاجه، لأن هذا من فعل الأسباب، وكذلك القلوب تنجرح متى؟ بالمعاصي، ويجد القلب ألم المعصية، ولذلك بعد كل طاعة لذة؛ فمن صلى أو صام أو قرأ القرآن؛ يجد اللذة بعدما ينتهي، وكذلك المعاصي والمحرمات والكبائر لها وحشة ولها ألم؛ فألم القلب بعد المعصية شديد؛ ولهذا الله ﷻ من رحمته دعانا إلى التوبة والاستغفار من الذنوب بقوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

- **والأمراض التي تصيب القلوب قسمان:**

الأول: أمراض شهوات.

الثاني: أمراض شبهات.

والله ﷻ عفو غفور، بيّن لنا ذلك، وأمرنا بالاستغفار بعد المعاصي.

والمؤمن حقًّا إذا أذنب؛ تاب فورًا؛ ليتوب الله عليه، ويعفو عنه، والمؤمن قد يقع في المعصية بسبب ضعف الإيمان، أو الجهل: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ [النساء/ ١٧-١٨].

فالمؤمن تشغله المعصية؛ فيبادر للاستغفار والتوبة، ومهما كثرت الذنوب وعظُمت؛ فالله ﷻ غفور رحيم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: ٣٢].

- **وإذا زاد إيمان العبد كثرت طاعاته:**

فزادت عددًا: فيطيع الله ﷻ في باب الصلاة، وباب الصوم، وباب الزكاة، وباب الذكر، وباب الدعاء، وباب صلة الرحم، وباب الدعوة، وباب التعليم، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وزاد ثوابها حجمًا: فتزداد حسناته، فالحسنات تكون كالجبال، فالذي يتصدق بشق تمرة؛ فالله ﷻ يربيها لعبده إذا صدرت من قلب صادق؛ حتى تكون مثل جبل أحد حجمًا ومساحة، وجبل أحد طوله ٦ كم، بارتفاع عظيم كما نعلم.

والله يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة.

فإذا زاد إيمان العبد؛ كثرت طاعاته عددًا وحجمًا، وقلت معاصيه عددًا وحجمًا، لماذا؟ لأنه عرف الله بأسمائه وصفاته، عرف أن الله بصير يبصره، وأنه رحمن يرحمه، وأنه عفو يعفو عنه، وأنه قادر أن يبطش به:﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[الحجر/ ٤٩-٥٠].

وقال سبحانه:﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾[المائدة/ ٩٨].

لابد أن نعرف هذا وهذا؛ حتى يأتي في قلوبنا الرجاء لله، ويأتي في قلوبنا الخوف من الله، ومن المعاصي، ومن النار، فإذا زاد هذا الإيمان في القلب، وزادت معرفة الله ﷻبأسمائه وصفاته في قلب المؤمن أكثر؛ لا يكاد هذا المرء يغفل عن طاعة الله،أو يلّم بمعصية لله؛ فهو بين يدي ربه قائم وراكع وساجد، يسبح ويستغفر،ويحمد ويشكر، ويمجد ويثني على ربه ﷻ؛ كما قال سبحانه:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر/ ٩].

أن أعظم العلوم هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بوعده ووعيده، هذه العلوم هي التي خلق الله ﷻالعباد لها، ففي الدنيا نحن في دار المجاهدة:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالدنيا دار الإيمان والعمل؛والآخرة دار الثواب والعقاب.

وأعظم من عفا من البشرية على وجه الأرض سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ؛ كما عُرف عنه العفو في مجالات شتى، وفي جميع حالاته الخاصة والعامة، فقد قال ﷺ لكفار مكة الذين آذوه، وأخرجوه، وكذبوه،واستهزئوا به، وحاربوه، ماذا قال لهم عام الفتح؟ لما

فتح مكة، ودخلها متواضعًا، منكسرًا بين يدي ربه، وقف أمام قريش في باب الكعبة وقال: ماذا تظنون أني فاعل بكم يا أهل مكة، فقالوا: خيرًا؛ أخ كريم وأبن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء، وإلا له أن يسترِقّهم، ويأخذ أموالهم، ويسبي نسائهم؛ ولكنه جُبل على العفو: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة: ١٢٨].

ولهذا فالصفات العالية في الأنبياء، وأشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فالنبي ﷺ أوذي، وسبّوه، واتهموه، وقالوا: ساحر وكذاب، ومجنون،وشاعر: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾﴾[الحجر: ٦-٧].

فاتهموه، وسخروا منه، وآذوه، وسبوه؛ حتى اضطر أصحابه إلى الهجرة، ومع ذلك قابل هذه الإساءة بالعفو، والنتيجة: دخل الناس في دين الله أفواجًا،وقريش الذين حاربوه وآذوه لما آمنوا؛ خرجوا معه إلى حنين، ثم أعطاهم الله ﷻفي حنين النصر والغنائم، وانقلبت هذه النفوس المليئة بالحقد والحسد والعداوة، إلى قلوب إيمانية صافية تضحي في سبيل الله بأموالها وأنفسها، ثم بعد ذلك، وبعد الفتح، وظهور الدين في مشارق الأرض ومغاربها مما هو حول مكة؛ قبض الله رسوله ﷺ، وترك لنا باقي الأرض، وباقي الناس؛ حتى ندعوهم إلى الله؛ لأننا نواب الرسول ﷺ في أمته، فلابد أن نتخلّق بهذه الصفات العالية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم: ٤].

وكان ﷺ يصدّق أقواله بأفعاله؛ ودعا أهل الطائف إلى الإسلام فكذبوه، وضربوه بالحجارة، ثم نزل عليه ملك الجبال مع جبريل، وسأله أن يُطبق عليهم الأخشبين، كما قال الرسول ﷺ في الحديث المعروف: «**فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ**»أخرجه مسلم(١).

الذي هو قرب مكة، وقرب عرفات، فهنا نزل عليه جبريل، ومعه ملك الجبال عنده قوة أن يجمع جبال الأرض كلها في يده، ويفعل بها ما يشاء، الله القوي جلّ جلاله أعطاه

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩٥).

هذه القوة، وسأله أن يُطبق عليهم الأخشبين جبلي مكة؛ حتى لا يبقى لهم بقية.
فقال ﷺ: لا، وذلك لشدة رحمته بأمته؛ لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده.
هذا أمل الداعي، فينظر إلى الصورة الحاضرة؛ فيتوكل على الله، ويتقرب إلى الله بامتثال أوامره، والله بعد ذلك يفعل ما يشاء، يهدي من يشاء، ويُضل من يشاء: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران: ١٥٩].
ويوسف ﷺ آذاه إخوته وحسدوه، وفرقوا بينه وبين أبيه يعقوب حوالي أربعين سنة، وكذبوا عليه، ونقلوه من جنب أبيه إلى الجُب، وصار من الجُب إلى الرق، ومن الرق إلى السجن، ومن السجن إلى القصر، وصبر، وجبريل يأتي إلى يعقوب في بلاد الشام، ويأتي إلى يوسف في مصر، وظل يعقوب أربعين سنة لا يعلم عن ولده شيئًا؛ إلا أنه يعلم أنه غائب عنه، فماذا حصل؟ حصل من يعقوب أنه عفا عن أولاده، وقال لأبنائه: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾[يوسف/ ٩٨].
وقال يوسف لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[يوسف/ ٩٢].
ثم قال يوسف أمام أبيه وأمه وإخوته: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[يوسف/ ١٠١].
﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[يوسف: ١٠٠].
هذه أخلاق الأنبياء صبر وحلم، وعفو ورحمة، وإحسان واستغفار: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف: ١٩٩].
تكسب محبة الله، ومحبة الناس، وتعيش بين الناس محبوبًا بهذا الخُلق العظيم: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ

﴿ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وتكسب محبة الله ﷻ، وتنال أجره العظيم بهذه الجوهرة العظيمة التي هي صفة العفو: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾[الشورى: ٤٠].

والله سبحانه عفو يحب العفو، ويحب من تخلّق به، وأمر كل إنسان أن يتخلّق به، ويتعبد لله به فقال: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف/ ١٩٩].

والعفو من أحسن الأخلاق التي تؤلف القلوب، وتزيل الوحشة والبغضاء بين الناس: ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٣٧].

فنسأل الله ﷻ أن يرزقنا هذه الصفة، وغيرها من الصفات التي يحبها الله ﷻ.

واعلم أيها المسلم، واعلمي أيتها المسلمة زادكم الله إيمانًا وتقوى، وصلاحًا وفلاحًا أن العفو من صفات الملك الكريم الحق جلّ جلاله، ولولا حلمه وعفوه على من كفر به وعصاه؛ لعاجله بالعقوبة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[فاطر/ ٤١].

السموات تعلم بالمعاصي والطاعات التي تُعمل عليها؛ فتكاد تتزلزل؛ ولكن الله ﷻ يمسكها أن تزول؛ لشدة رحمته بعباده، وعظيم عفوه عنهم، وسعة حلمه عليهم، ومغفرته لذنوبهم.

والله سبحانه قد يأخذ الخلق بالعذاب الذي يذكرهم به، ويردهم إليه؛ ليستغفروا ويتوبوا: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[المؤمنون/ ٧٦].

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأنعام: ٤٣].

فجاء التدمير: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤ – ٤٥].

وإياك والإصرار على ما يُسخط الله ﷻ؛ فإنه يملك العفو جلّ جلاله، وكذلك هو الذي يملك الانتقام؛ فاعف ما استطعت؛ فإن العفو يرفع مقام العبد، ويجعله يتصف بصفات الرب، وبالصفات التي يحبها الله؛ فالله عفو يحب العفو، ويحب من عفا: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة/ ٩٥].

كم انتقم من الأمم السابقة التي أصرت على الكفر، وكذبت الأنبياء!: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

واعلم أن مقصود الرب من خلقه في الدنيا توحيده وعبادته وحده لا شريك له، بما شرع رسوله، وتحصيل الصفات التي يحبها الله؛ من العفو، والكرم، والمغفرة، والحلم، وغير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

ومقصود الله من خلقه في الآخرة تكميل شهواتهم، ومحبوباتهم التي يحبونها، والتمتع بالنظر إلى وجه الكريم في الجنة؛ وتعذيب من كفر به وعصاه في النار: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٨ – ٣٩].

فإن أردت الفلاح والسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة؛ فاعف عمن ظلمك، وصِلْ من قطعك، وأعط من حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك، واصفح عمن آذاك، واصبر على ما أصابك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ

﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾[التغابن/ ١٤-١٥].

فالله عنده أجر عظيم على الصبر على البلاء، على العفو عن الناس، على الإحسان إلى الناس، على كظم الغيظ، على الكلمة الطيبة، على التعبد بين يدي الله بالذكر والدعاء والصلاة والصوم، وغير ذلك من ألوان العبادات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾[الحج/ ٧٧].

لهذا على المسلم والمسلمة التخلّق والتعبد لله بهذا الاسم العظيم، فاعف عن جميع الخلق؛ يعفُ الله عنك، ويعافيك، ويثيبك أجزل الثواب، ومن انتقم ممن ظلمه بالعدل؛ فلا إثم عليه: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١﴾[الشورى/ ٤٠-٤١].

واعلم أن العفو خلُق عظيم، لا يتصف به إلا كريم، فكن أنت ذلك؛ تنلْ من ربك العفو والغفران، والجنة والرضوان، كما قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾[آل عمران/ ١٣٣-١٣٦].

وإذا وقعت بينك وبين الله جفوة أو وحشة بسبب ذنب فعلته؛ فعليك أن تتوب إلى الله منه، مهما كان ذلك الذنب، ثم تتبعه بحسنات من أي عمل صالح؛ تُذهب عنك الخجل من ربك؛ لأن الإنسان يخجل أن يعصي من أكرمه وخلقه،ولأن العمل الصالح يُنسي صاحبه هذا الذنب، ويفرح بثوابه؛ فحصل محو الذنب من الرب، وجبر الكسر من العبد؛ لأنه لما انكسر بين يدي ربه، وعمل الصالحات؛ جبر كسره بهذا العمل

الصالح: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هود: ١١٤].

فعليك أيها العبد إذا عصيت الله ﷻ أن تعلم أن ربك غفور رحيم.

وقال النبي ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْـخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» أخرجه الترمذي وابن ماجه[1].

فإذا أخطأ الإنسان؛ فعليه أن يتوب ويستغفر ربه.

قال النبي ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لهم» أخرجه مسلم[2].

لأن ظهور اسم الغفار والغفور والعفو والحليم مبنيّ على وجود الإساءة من العبد، فأنا أستغفر من إساءتي، ومن سيئاتي، وقد تكون التوبة بعد الذنب محركًا للعبد لطاعة الله ﷻ، وكل الخلائق مذنبون؛ فلابد لهم من التوبة: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات/ ١١].

- **فالناس اثنان:**

ظالم .. وتائب.

وكلنا ظالمون لأنفسنا؛ فلابد من التوبة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف/ ٢٣].

والله وعد بالعفو والمغفرة، وهو لا يخلف الميعاد: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء: ١١٠].

فعلينا الاستغفار والتوبة؛ لنمحو آثار الذنوب، ونطهر أجسادنا وصحائفنا من هذه الذنوب التي يستوحش الإنسان منها، وإذا ذكرها استوحش قلبه، والله ﷻ بيّن لنا أنه عفو غفور.

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٩٩)، وأخرجه ابن ماجة برقم (٤٢٥١) وهذا لفظه.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

قال النبي ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَاوخالق الناس بخلق حسن**»أخرجه الترمذي وأحمد(١).

فالطاعات بعد المعاصي تزيل الحجاب والوحشة بينك وبين الله وتنال بها من ربك الأجر الحسن: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس/ ٢٦].

واعلم أن العفو عن المسيء حسن، والأحسن أن نُتبع العفو بالإحسان إلى هذا الإنسان، كما قال الله ﷻ: ﴿**وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ**﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

هذه درجة؛ أكظم غيظي عمن أساء إليّ، ثم درجة أعلى منها: ﴿**وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ**﴾؛فقل لمن أساء إليك: اذهب فقدعفوت عنك مما عملت،ثم أُتبع ذلك بالهدية له، والدعاء له: ﴿**وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾**﴾[آل عمران/ ١٣٤].

فهذه درجات في الخُلق؛ علينا أن نجتهد حتى نتحصّل عليها لنترقى.

واعلم أخي المسلم أن من عفا وأصلح ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا، ومن انتقم ولو كان على حق؛ امتلأ قلبه جفوة وخوفًا، ومن عفوت عنه؛ فقد اشتريته بهذا العفو، وانقلبت عداوته إلى صداقة ومحبة، ومن أحسنت إليه؛ فقد ملكته، ولهذا عُرف الله ﷻ بالعفو وبالإحسان، فاعف وأحسن إلى كل من أساء إليك؛ يعفُ الله عنك، ويغفر ذنوبك: ﴿**وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾**﴾ [النور/ ٢٢].

واعلم أن: ﴿**ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ**﴾[هود/ ١١٤].

وما أكثر السيئات! وما أقل الحسنات! فليبادر الإنسان إلى الإكثار من الحسنات، من التطوعات؛ من الصلاة، والصوم، والذكر، والحج، والعمرة، وغير ذلك: ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا۟**

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧) وهذا لفظه، وأحمد برقم (٢١٥٢٦).

﴿مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

فالحسنات تمحوا السيئات، وتزيل عنك وحشتها: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود/ ١١٤-١١٥].

ومن عفوه سبحانه أن جعل المصائب التي تصيب العبد تكفّر سيئاته، فاصبر واحتسب؛ تنلْ أجر الصابرين: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر/ ١٠].

فهذه المصائب التي تصيب الناس تكفّر سيئاتهم، وترفع درجاتهم، وتزيد إيمانهم، وترقي تعبدهم لله ﷻ، فما أصاب الله ﷻ عبدًا بمصيبة بسبب سيئته، ثم تاب إلى الله ﷻ منها الأحسن عمله بعدها.

هذه سنة الله، وبعد هذه التوبة يحصل للعبد بهذه المصيبة التي آلمته تضرع وانكسار بين يدي ربه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

- **فكل مصيبة تثمر للعبد تسع ثمرات:**

الأولى: توبة جديدة إلى الرب الذي خلقه، ورزقه، وأطعمه، وسقاه، وهداه.

الثانية: إيمان جديد بالرب ﷻ.

الثالثة: حب جديد للرب ﷻ.

الرابعة: تعظيم جديد للرب ﷻ.

الخامسة: عبادة جديدة للرب ﷻ.

السادسة: شكر جديد للرب ﷻ.

السابعة: استغفار جديد للرب ﷻ.

الثامنة: خوف جديد من الرب ﷻ.

التاسعة: حياء جديد من الرب ﷻ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: ١٩].

وإذا أنعم الله عليك بنعمة، فشكرت الله ﷻ عليها؛ أدرّ الله ﷻ عليك النعم.

وإدرار النعم عليك يُذكّرك بربك، وإذا ذكرت ربك بأنه ينعم عليك وأنت تعصيه بنعمه؛ حصل لك تسع كرامات:

توبة جديدة، وإيمان جديد، وحب جديد لربك، وتعظيم جديد لربك، وعبادات جديدة، وحمد جديد، واستغفار جديد، وحياء جديد من ربك: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم: ٧].

والعفو من صفات الكرام، والكريم يعفو عن الزلات، والحاكم مع رعيته، والمعلم مع طلابه، والمدير مع موظفيه، والرجل مع أهله يكسب القلوب كلما عفا عن الزلات، وقَبِل الأعذار، ورَحِم من تحت يده: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

والعفو والصفح صفتان كريمتان، أمر الله ﷻ بهما مع الكفار كما أمر بهما مع المؤمنين: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩﴾ [البقرة: ١٠٩].

هو الذي حول حياة الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن البغض إلى المحبة، ومن الشرك إلى التوحيد؛ فالله أمرنا بالعفو والصفح مع المؤمنين، ومع الكفار، ومن عفا عن أخيه أو غيره؛ قَلَبَ الله ﷻ عداوته صداقة ومحبة ومودة، وغفر ذنبه: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور: ٢٢].

والإنسان كلما تعرّف على صفات الكمال البشري عند أحد من الناس؛ زادت محبة ذلك الشخص المتصف بتلك الصفات العالية، والأخلاق الكريمة، وزاد تقديره عنده.

وكذلك كلما تعرّف الإنسان على أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة؛ زاد حبه لله، وزاد تعظيمه لله، وزاد تكبيره له، وزاد حمده وشكره له، وأصبح بين يدي ربه يمجده ويحمده ويثني عليه؛ ولهذا أمرنا الله ﷻ بمعرفته؛ حتى نعرف المعبود، وما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

والمؤمن إذا عرف أن الله عفو، وأنه يحب العفو، ويحب العافين عن الناس؛ أحب ربه وحمده، وعفا عن غيره: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

ومن عرف ربه بالعفو؛ أحبه، وأخلص العبادة له، ورجا عفوه، ورجا رحمته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة/ ٢١٨].

فهم لما آمنوا بالله، وعرفوا أسماءه وصفاته؛ وقفوا بين يديه ركعًا وسجدًا، متواضعين ومنكسرين، فجمعوا بين الإيمان والهجرة، والجهاد والمجاهدة في سبيل الله.

فعلى كل مسلم ومسلمة أن يجاهد نفسه؛ ليتخلّق بخلُق العفو الذي يحبه الله ﷻ، ويصفح عمن أساء إليه، ويدفع السيئة بالحسنة.

قال النبي ﷺ: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**» أخرجه مسلم(١).

والجزاء من جنس العمل؛ فمن عفا عن الناس؛ عفا الله عنه، وغفر له، ومن أحسن إلى الناس أحسن الله إليه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى/ ٤٠].

وآثار العفو والتسامح والصفح على النفس البشرية التي تعفو وتصفح وتغفر أعظم أثرًا من الطعام والشراب الحلال على الأبدان: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

بسبب الرحمة لانت قلوبهم القاسية؛ فأحبوك، وآمنوا بك، وجاهدوا معك، وهذا خطاب للنبي ولأمته.

فالرحمة والعفو هذه حلل عظيمة يعطيها الله ﷻ لمن يشاء من عباده، لمن يعلم أنه يزكو بها، فنسأل الله من فضله أن يرزقنا من هذه الصفات الحسنة من العلم، والحلم، والعفو، والصفح، والتسامح،والتي لها أثر عظيم على صحة القلب، والبدن، وحسن المزاج، وقوة المناعة؛ من الأمراض البدنية والنفسية والعصبية، فضلًا عن أجر العفو وثوابه من الله، وعلو منزلة من عفا عن غيره.

فهذه الصفات لها أثر على أجهزة الجسم البدنية، واليوم كثرت الأمراض بسبب فقد هذه الصفة، وعدم التعامل بها مع الناس؛ فصحة الأبدان والقلوب مبنية على هذه الصفات:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤].

وكل من عفا؛ وجد في قلبه الطمأنينة واللذة؛ لأنه يرجو الثواب من الرب، ولأنه يشعر أنه أحسن إلى أخيه:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

ولهذا أمر الله ﷻ بذكره؛ لأننا إذا ذكرناه؛ ذكرنا أسماءه وصفاته، ثم تخلّقنا بها، ثم تعبدنا لله بها:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

ومن رزقه الله صفة العفو؛ فعليه أن يجعلها خالصة لله ﷻ، وأن يدعو الناس للتخلّق بها؛ لينتشر هذا الخلُق العظيم بين الناس:﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف/ ١٩٩].

وأصول الأخلاق أربعة، وهي شديدة المرارة؛ لكن من تعامل بها؛ قلبها الله حلاوة عليه وعلى غيره وهي:

أن تصل من قطعك .. وتعطي من حرمك.. وتعفو عمن ظلمك .. وتحسن إلى من أساء إليك.

وهذه الأربعة مفاتيح القلوب في البشر لقبول الحق، وحب الله، وحب المسلم، وحب الإسلام؛ فمن تحلى بهذه الصفات؛ صارت مفتاحًا لقلوب الناس؛ ليسمعوا قولي ونصحي، وما أدعو له، فنسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم هذه الأخلاق العالية، وأن يعفو عنّا، ويعفو عما سلف من ذنوبنا وتقصيرنا.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[البقرة/ ٢٨٦].

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنّا.

يا عظيم العفو والصفح، يا حسن التجاوز، يا واسع الرحمة، يا واسع المغفرة؛ اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنّا.

اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره، يا عفو يا كريم.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الغفور.. الغفار

اسم الله الغفور.. الغفار

الله ﷻ هو الغفور الغفار الذي يستر ذنوب عباده، ويستر عيوبهم، ويصلح أحوالهم، وهو سبحانه الغفار الستير الذي يستر ذنوب الخلق، فلا يكشف أمر من عصاه، ولا يهتك ستر هذا العاصي.

فهو سبحانه الغفار الذي يستر ذنوب الخلق، فكم ذنوب الخلق! وكم حجمها! وكم أنواعها! وكم تكرارها! فالله ﷻ هو الغفار الستير الذي يستر ذنوب الخلق، فلا يكشف أمر من عصاه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم.

وهو سبحانه العزيز الغفار الذي إذا غفرغفر كل شيء، وستره على من عصاه، وإذا عاقب أوجع؛ ليعلم العباد سعة مغفرته، وشدة عقوبته، فيطيعونه ويعبدونه وحده لا شريك له، ولا يعصونه ويخالفون أمره: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾ [الحجر/ ٤٩- ٥٠].

وهو سبحانه الغفار الحق الذي يستر على المذنب ذنبه، ولا يؤاخذه فيشهره ويفضحه؛ لعله يتوب إليه ويستغفره: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه/ ٨٢].فسبحان العفوُّ الغفور، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو والصفح معروفًا، وبالغفران موصوفًا وممدوحاً: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤)﴾ [فاطر: ٣٤].

وكل واحد من الخلق مضطرٌ إلى ربه في كل حال، مضطرٌ إلى ربه في خلقه وإيجاده، وفي إمداده وفي إسعاده، ومضطر إلى رحمته وكرمه، ومضطر إلى حفظه وعونه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾ [فاطر/ ١٥].

فالله أحوج بعضنا لبعض، ثم أفقرنا جميعًا إليه، فكلنا محتاجون إليه؛ الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والحاكم والمحكوم، محتاجون إليه في العافية، محتاجون إليه في أرزاقنا، في شرابنا، في طعامنا، في الهواء الذي نتنفسه، في الأرض التي نمشي عليها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾ [فاطر/ ١٥].

هو العزيز الغفور الذي يغفر الذنوب جميعًا، ومغفرته فضلٌ وإحسانٌ منه، لا يُسأل عما

فعل إذا غفر أو عفى، أو أعطى أو منع؛ لأنه هو العفو الغفور، الرحمن الرحيم، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر: ٥٣].

وصفات الله ﷻ تنقسم إلى قسمين:

صفات ذاتية لله ﷻ؛ كالقوة والقدرة، والعلم والحياة، هذه صفات ذاتية لله ﷻ لا تنفك عن الله أبداً.

أمّا الصفات الفعلية فهي كالخلق، والرزق، والرحمة، والعفو، والمغفرة، ونحوها، هذ صفات فعلية يفعلها الله إذا شاء بحكمته.

وأفعال الله ﷻ في مُلكه العظيم، وأفعاله مع خلقه، وأفعاله مع أوليائه، وأفعاله مع أعدائه، كلها صادرة عن صفات ثلاث للرب جل جلاله، جميع صفات الأفعال من الخلق، والإيجاد، والرزق، والرحمة، والعفو، والمغفرة؛ هذه كلها صادرة عن صفاتٍ ثلاث للرب ﷻ، فهي صادرةٌ عن قدرةٍ كاملة، فالله على كل شيء قدير، والمشيئة النافذة لله ﷻ، إذا شاء كان، وإذا لم يشأ لم يكن، وهو ﷻ على ما يشاء قدير، فله القدرة الكاملة في أفعاله في ملكه، وله المشيئة النافذة، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا، هو الذي جعل الأبيض أبيضاً، والأسود أسوداً، وخلق هذا جمادًا، وهذا حيوانًا، وهذا إنسانًا، وخلق كل شيء لونًا وحجمًا، بيده الحياة والموت، وبيده العطاء والمنع، وبيده العزة والذلة، وبيده الملك والتدبير: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

وكذلك صادرةٌ عن الحكمة الشاملة، فالله في ملكه وفي خلقه له الحكمة الشاملة، وأفعاله كلها حكمة، وعدل، ورحمة، وإحسان.

فأفعاله جل جلاله في ملكه صادرة عن صفات ثلاث عظيمة للرب جل جلاله: قدرةٌ كاملة له، والمشيئة النافذة له، والحكمة الشاملة المقرونة بالخير المطلق، فكل أفعاله خير مطلق: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران: ٢٦].

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله علمٌ عظيم، وهو بمنزلة الرأس من الجسد في باب

التوحيد والإيمان، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وملكه وسلطانه، ودينه وشرعه؛ أحبه وحمده ومجده، وعظمه، وكبره، فالعلم بالله ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تفانى في طاعته، وأظهر حبه،وانكسر بين يديه، وتذلل بين يديه، وخشع قلبه، وخضعت جوارحه لمولاه؛ لأنه عرف القوي القادر القاهر، وعرف الرحمن الرحيم، العفو الغفور الرحيم.

ومن عرف أوامر الله الشرعية قبل أن يعرف ربه تفنن في التفلت من أوامره.

هو العزيز الغفور الذي يغفر الذنوب جميعًا، ومغفرته فضلٌ وإحسانٌ منه، لا يُسأل إذا غفر أو عفى، أو أعطى أو منع، أو أعز أو أذل، لأن أفعاله كلها حكمة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٩].

سبحانه هو الغفور الذي يغفر الذنوب جميعًا، هو سبحانه الذي المغفرة أحب إليه من العقوبة، والرحمة أحب إليه من القسوة والانتقام، وما أمرنا أن نستغفره إلا ليغفر لنا، والعبد من شأنه أن يذنب، والله من شأنه أن يعفو ويغفر: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤].

هو سبحانه العزيز الغفار الذي كلما تكررت الإساءة من الإنسان وأقبل عليه واستغفره؛ غفر له وعفا عنه، هو الغفار الذي ستر منك أيها العاصي السوءات والقبائح، وأظهر كل حسنٍ من الصفات والأقوال والأعمال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

هو الغفور الذي يغفر الذنوب مهما عظمت، ومهما كثرت، ومهما تكررت، هو الغفور كثير المغفرة والستر، وقد تقتضي الحكمة والعدل أحيانًا أن يفضح المسيء أو يعاقبه ليعود إليه بعد إصراره وجحوده، لكن المغفرة من الغفور أكثر: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

فهو غفور يستر الذنب، ويضفي رحمته على العبد، فيدخله الجنة، وينسيه ذنوبه.

والله غفور رحيم، لا يفضح إلا من لديه إصرار على الذنب، فالله لا يفضح العاصي من

أول مرة، بل حين يصر على الذنب ويألفه، ويبارز الله ﷻ بالمعاصي، ويجعله سلوكًا له، فعند ذلك يفضحه ويؤدبه ويعاقبه؛ لئلا تفسد حياة الناس، ويُقتدى به في السيئات والقبائح والكبائر:﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى: ٣٠].

فإذا أصرّ العبد وجهر بالمعصية؛ فعند ذلك يفضحه الله ويؤدبه ويعاقبه﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء/ ١٢٣].

فسبحان الغفار الذي لسعة حلمه يغفر للمذنب مرةً بعد مرة من سعة رحمته يغفر الذنوب جميعًا، كبيرها وصغيرها، أقوالها وأفعالها.

هو سبحانه الغفار إذا عدت إليه وتبت إليه بصدقٍ وإخلاص:﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر/ ٤٩- ٥٠].

فهو شديد العقاب لمن كفر به، واستكبر عن عبادته، وأصر على معصيته، وجهر بها، فلا تعلق آمالًا على مغفرة الله وأنت مقيم على معصيته:﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأعراف/ ١٥٣].

هو الغفور الذي يستر ذنوب العباد، وأعلمنا بأنه الغفور الغفار؛ حتى نستغفر الله من كل ذنب، فالذنوب قبائح، كما أن السوءات البدنية تُستر بالملابس، وكذلك سوءات الخلق وقبائحهم من المعاصي، فالعفو الغفار يستر ذنوب العباد؛ لئلا يخجلوا، ويعفو عن التائبين، فلا يوقع عليهم العقاب:﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[المائدة/ ٣٩].

فكل عاصٍ هو ظالم، والظالم لا بد أن يستغفر:﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف/ ٢٣].

هو سبحانه غافر الذنب إكرامًا لعبده الذي آمن به وأطاعه، إذا زلت به قدمه، وقابِلُ التوب إنعامًا، الغفور الذي يغفر الذنوب جميعًا إكرامًا لك، إما أن يمحوها من صحائفك، وإما أن ينسيها الملائكة، وإما أن ينسيك إياها؛ لتأتي إليه يوم القيامة فرحًا مسرورًا، سليمًا جميلًا، بلا جاهلية ولا ذنب، ولا قبيح تخجل منه أمام ربك الكريم، وهذا منتهى الكرم والعفو والإحسان: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾[غافر/ ٣].
وهو سبحانه الغفور الغفار الحق، الرحيم بعباده، الذي يغفر ذنوب عباده وخطاياهم، صغيرها وكبيرها، قليلها وكثيرها، ظاهرها وباطنها:﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦﴾[ص/ ٦٦].
فسبحان ربنا العظيم واسع الرحمة، واسع العلم، واسع المغفرة، واسع الحلم.
وقد ورد اسم الله الغفور في القرآن الكريم إحدى وتسعين مرة، وورد اسم الله الغفار خمس مرات، وورد اسم الغافر مضافًا مرة واحدة في قوله:﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر/ ٣].
ومجموع هذه الأسماء لله ﷻ وردت في القرآن الكريم سبعاً وتسعين مرة.
والغفر والغفران هو الستر والتغطية، والغفور والغفار صيغ مبالغة تدل على كثرة الغفران، وكثرة الستر، وكثرة المسامحة، وكثرة التجاوز من الرب الرحمن الرحيم.
والله سبحانه هو الغفور الذي يستر الذنوب بفضله، ويتجاوز عن العصاة، ويمحو سيئاتهم بعفوه، هو الغفور الغفار الذي ترجى منه المغفرة، ويغفر لعباده مرة بعد مرة، فهو يكرمهم بالأرزاق مرة بعد مرة، ويغفر لهم مرة بعد مرة، ويعفو عنهم مرة بعد مرة:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه/ ٨].
فله سبحانه صفات الجلال، وصفات الجمال، فنحن نعظمه لجلاله، ونحبه ونحمده لجماله؛ لأنه متصف بالرحمة، والعفو، والمغفرة، والكرم، فنعظمه ونحبه، لجلاله وجماله وكماله:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾[الحشر: ٢٢ -٢٣].
فهو جل جلاله الغفور الغفار، وهذه صيغ مبالغة تدل على كثرة الغفران والمغفرة لعباده الذين يخطئون بالليل والنهار، وهو يغفر الذنوب جميعًا، فهو الغفور الغفار الذي تكثر منه المغفرة والغفران، ويغفر ذنوب العباد مرة بعد مرة، في كل زمان ومكان، مهما تنوعت من صغائر وكبائر:﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦﴾[ص: ٦٦].
هو الغفور الغفار الذي يستر ذنوب العباد، ويسدل عليهم ثوب ستره، وعطفه، ورأفته،

ويغفر لهم مهما بلغت ذنوبهم وكثرت وتنوعت؛ إذا استغفروه وتابوا إليه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزمر/ ٥٣].

والمغفرة أوسع مدلولًا من العفو؛ فالعفو محو السيئات وإذهابها بالكلية، والمغفرة تتضمن محو السيئات وستر العيوب، مع الرضا والقبول من الرب، ولهذا قرن الله ﷻ في القرآن بين العفو والمغفرة في قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

العفو والمغفرة والرحمة درجات؛ والرحمة والمغفرة أحب إلى الله من الانتقام، فهو يزيل الذنوب بالعفو بالكلية، وهو يغفر الذنوب التي فعلها العباد، ويرضى عنهم، ويقبل توبتهم: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].

فما أعظم رحمة الله بخلقه! وما أشد عنايته بهم، وترغيبهم في الطاعات، وتخويفهم من المعاصي والسيئات!: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾[الحج/ ٦٥].

والصفة المشتقة من اسم الله الغفور والغفار هي المغفرة والغفران، وهي صفة فعليةثابته لله ﷻ، فمن شأن العبد أنه يطيع ويعصي، ويؤمن ويكفر، ومن شأن الرب أنه يعفو ويغفر، مع تكرار الذنوب والمعاصي، ومع تنوعها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب/ ٧٠ - ٧١].

وقال الله ﷻ عن موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾[القصص/ ١٦].

ومن دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِئَي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي**» رواه مسلم(١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٩).

وقد اقترن اسم الله الرحيم مع اسم الله الغفور في القرآن إحدى وسبعين مرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾[الأحزاب/ ٥].
وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾[الحجرات/ ٥].

وسر ذلك وحكمته والله أعلم: الإشارة إلى أن مغفرة الله لعبده مع استحقاقه العقوبة بمقتضى عدله، ما هو إلا أثر من آثار رحمته جل جلاله، كما أن المغفرة -وهي ستر الذنوب- تخلية من الذنوب بستر الذنوب، والرحمة تحلية بعد التخلية، وهكذا يُتبع الله ﷻ المغفرة بالرحمة، فالمغفرة تخلية، والرحمة تحلية، تحلية بماذا؟ تحلية بالفضائل، والثواب، والكرامات، والتخلية مقدمةٌ على التحلية، فتكون القلوب زاكيةً إذا خلت من الشرك والنفاق والرياء، وتحلت بالتوحيد والإيمان والتقوى، ومن رحمة الله: إزالة الشر، ثم التحلية بالخير: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[الجمعة: ٢].

واقترن اسم الله الشكور مع اسمه الغفور ثلاث مرات في كتاب الله، منها: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾[فاطر/ ٢٩- ٣٠].

وسر ذلك والله أعلم الإشارة إلى أن الله سبحانه يغفر ذنوب العباد، ويصفح عن سيئاتهم، وإذا أحسنوا وعملوا الصالحات بعد توبة؛ تاب الله عليهم، وشكرهم على طاعاتهم، فضاعف لهم الأجر، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة، إلى ﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧﴾[النساء/ ٦٧].

وكذلك اقترن اسم الله الحليم مع اسمه الغفور أربع مرات في كتاب الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝٢٣٥﴾[البقرة/ ٢٣٥].
وقال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾[الإسراء/ ٤٤].

حليمًا على هؤلاء الناس، جميع المخلوقات تسبح بحمد ربها، إلا الإنسان الذي أضله الشيطان، واتبع هواه، ولكن الله حليم لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، غفور يستر

الذنوب؛ لعل هؤلاء أن ينيبوا، ويتوبوا، ويستغفروا ربهم؛ فيغفر لهم.
فسر اقتران الحليم مع اسم الله الغفور الإشارة إلى أن مِن مقتضى حلم الله ﷻ أنه يغفر ذنوب عباده، ولا يؤاخذهم عليها، ويكفر عنهم سيئاتهم، ويتوب عليهم: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر: ٤٩ – ٥٠].
فقدّم المغفرة والرحمة على الانتقام: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩﴾؛ مهما عَمِلوا، مهما أخطؤوا، مهما أذنبوا؛ فالله ﷻ هو الغفور الرحيم: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر/ ٤٩- ٥٠].ليكون الناس بين الرجاء والخوف.
واقترن اسم الله الودود مع اسمه الغفور مرة واحده في كتاب الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾[البروج/ ١٣- ١٤].
فسر اقتران الودود بالغفور الإشارة إلى أن موجبات رحمة الله ومحبته للمستغفرين التائبين مغفرته لعباده، وقبول توبتهم.
واسم الله الغفور والغفار يدلان على كثرة مغفرة الله ﷻ، وكثرة من يغفر لهم، وكثرة الذنوب التي يغفرها الله لعباده، فمهما كثرت، ومهما تنوعت، ومهما تكررت، هو الغفور الغفار، الغفور الذي يغفر الذنوب مهما عظمت، ومهما كبرت، الغفار الذي يغفر الذنوب مهما تعددت، وكثرت، وتكررت.
فسبحان الغفور الذي يغفر الذنوب العِظام الكِبار، الغفار الذي يغفر الذنوب والآثام مهما كثرت وتعددت: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾[فاطر/ ٣٤]؛ يغفر الذنب، ويشكر على الطاعة بعد الذنب.
وسبحان الغفور الغفار الذي لا تحصى مغفرته، الذي كلما تكررت توبة العبد من الذنب؛ تكررت المغفرة من الرب؛ لأنه الغفور الغفار.
هو سبحانه الغفور الذي يستر ذنوب من عصاه من خلقه، ولا يكشف ذنوب العاصي لخلقه، ولا يهتك سِتره للعقوبة التي وضعها من حدودٍ وتعزيرات، فكم غفر الله! وكم ستر من المذنبين والعصاة! ولا يحصي هذه الذنوب والمعاصي إلا الله ﷻ، ولكنه يغفرها ويسترها ويمحوها، ويوم القيامة يُنشر للإنسان تسع وتسعون سجلًّا قد عملها العبد،

فالله ﷻ يظهر كرامته ورحمته لعبده، ويقول له: هل تنكر من هذا شيئًا يا ابن آدم؟ أو كما قال ﷻ فيقرره بذنوبه، فيقول: أنت عملتها في الدنيا، وأنا سترتها عليك، وأغفرها لك اليوم، فالحمد لله رب العالمين على كمال ذاته، وجلال أسمائه وصفاته، الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فهو الغفور الذي يغفر الذنوب، ولا يشهرها في عيون الناس، غفار يغفر ويستر، ولا يوبخ ولا يعنف:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢].

وقد اقترن اسم الله العزيز بالغفار، كما قال سبحانه:﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾[ص/ ٦٦].

واقترن اسم الله العزيز بالغفور، كما قال سبحانه:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك/ ١- ٢].

وسر اقتران العزيز بالغفور وحكمته -والله أعلم- الدلالة على مزيد من صفات الكمال لله ﷻ، فالله عزيزٌ في مغفرته، وغفور في عزته، الله سبحانه مع كمال عزته وقدرته؛ غفور لمن تاب إليه مهما أذنب، غفور لمن تاب إليه وأناب بعد معصيته، ولكمال رحمته ومغفرته يعفو ويصفح ويتجاوز، ويغفر ويستر:﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر/ ٤٩- ٥٠].

هكذا يعيش المسلم بين الخوف والرجاء، فمغفرته سبحانه عن عزةٍ وقدرة، فهو يغفر ويستر لا عن ضعف، فمغفرته سبحانه لعباده عن معاصيهم صادرةٌ عن عزةٍ وقدرة، لا عن عجز وضعف، وهو سبحانه الغني عن العالمين كلهم، ومغفرته لهم فضل محض منه لهم؛ لأنه ملك عزيز غني، لا ينتفع بالمغفرة للخلق والعصاة، ولا يضره كفر الكافرين، ولا معصية العاصين، فلا يضره كفرهم ومعاصيهم أصلًا، ولا يغفر للعصاة خوفًا منهم، ولا رجاءً لما عندهم، كما قال الله سبحانه على لسان عيسى ﷺ:﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[المائدة/ ١١٨].

أنت العزيز الذي لا يُغلب، الذي يفعل ما يشاء، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه.

هو سبحانه العزيز القادر على معاقبة المصر على كفره وطغيانه، الغفور للتائب من عصيانه، وهو أهل أن يُخشى؛ لأنه عزيز قادر قاهر، وأهل أن يُحب؛ لأنه كريم، رؤوفٌ،

رحيمٌ، عفوٌ، غفور: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨]

هو سبحانه الكريم الذي ملأ الكون بنعمه، فعلينا أن نملأ الكون بحمده، وشكره، وذكره، وتسبيحه، وتمجيده، والثناء عليه، فهو العزيز الذي له ملك السماوات والأرض، وله ما في السماوات والأرض، وله خزائن السماوات والأرض، وله جنود السماوات والأرض، وله غيب السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض.

فهو عزيز في ملكه وسلطانه، ومع عزته وكمال قدرته فهو يغفر للعصاة، ويستر عليهم؛ لعلهم يتوبون إليه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

فهو سبحانه الكريم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، هو الكريم الذي نعمه لا تعد ولا تحصى، ولا يستطيع أحد عدها، فضلًا أن يطيق القيام بشكرها، فلهذا استحق العبادة وحده لا شريك له على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وعلى عظيم نعمه وإحسانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٨].

والله غني كريم: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فما أعجب حال الإنسان، فهو يرى النعم من الله، ويسكن في ملك الله، ويتقلب في هذا الخير، ويعصي الله بنعمه، يستعمل لسانه فيما حرم الله، ويسمع ما حرم الله، ويرى ما حرم الله، كأن الله ليس بسميع ولا بصير، ولا يعلم بحاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨].

فالله سبحانه غفور يستر الذنوب، ويتجاوز عن التقصير في شكر النعم، ويتجاوز عن التقصير في فعل الطاعات، وما قصر به العباد من كفران النعم: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

وهو رحيم، حيث أفاض النعم على العصاة والمطيعين، وعلى الأبرار والفجار، أفاض

النعم على العصاة مع استحقاقهم للقطع والحرمان العاجل، لكنه غفور رحيم، يمهلهم لعلهم يتوبون إليه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤﴾[إبراهيم/ ٣٤].

وأكثر ما جاء في القرآن تقديم الغفور على الرحيم كما مر معنا، وقدم سبحانه الرحيم على الغفور في قوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ٢﴾[سبأ/ ٢].

وسر ذلك والله أعلم الإشارة إلى أن ما يحصل في السماوات والأرض من المصالح والمنافع والطاعات فهو من آثار رحمته، كل شيء من آثار رحمته، وآثار نعمته، وما يحصل من دفع المصائب والعقوبات فهو من آثار مغفرته، وعفوه، ومغفرته من آثار رحمته: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥٠﴾[الروم/ ٥٠].

فرحمته لنا أن أمدنا بغذاء الأبدان، وعرفنا بغذاء القلوب، وهدانا إلى ما يسعدنا في الدنيا والآخرة، أما ما يحصل من دفع المصائب والعقوبات فهو من آثار مغفرته؛ لأن الذنوب والمظالم كثيرة، والله غفور رحيم، غفور لمن استغفره، تواب على من تاب إليه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠﴾ [النساء/ ١١٠]. فالمغفرة هي محو الذنوب التي تزول معها المكروهات والعقوبات، والرحمة حصول الخيرات والبركات: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس/ ١٠٧].

الغفور الذي يستر الذنوب، الرحيم الذي يرحم عباده، لأنه أرحم الراحمين، ولولا مغفرة الله ورحمته لهلك الناس، وضلوا: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١﴾[النور: ٢١].

وقال ﷺ: «**لَا يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُمُ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ مِنْهُ وَرَحْمَةٍ**» متفق عليه(١).

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦).

والله غفور رحيم، فكل ما نحن فيه من آثار رحمة الله، ولولا فضله ورحمته لهلك الناس، ولكن الله غفور، رحيم، ودود، لطيف بعباده، فالأمور كلها بيد الله، له مقاليد السماوات والأرض، ولولا مغفرة الله ورحمته بعباده؛ لهلك الناس في الدنيا والآخرة: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود/ ٤١].

ولولا حلم الله على الجناة، ومغفرته للعصاة؛ لزالت السماوات والأرض؛ لِعظم ما يفعله العباد على ظهرها من الجنايات، والكبائر، والقبائح والمعاصي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

فما أعظم حلم الله على العصاة والفجار والكفار والطغاة.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم/ ٩٠- ٩٥].

فسبحان ربنا الحليم العفو الغفور الذي جمع لأوليائه بين الإمهال والإنظار؛ ليقدموا على التوبة والاستغفار: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

واسم الله الغفور والغفار من أسماء الجمال التي تدل على ستر الله في الحال والمآل، ومحو السيئات عن العباد، وتغطية القبيح وستره عن أن يشتهر بين الناس: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

فاللهم اغفر لنا ما قدمنا، وما أخرنا، وما أسررنا، وما أعلنا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

ومن جلال هذين الاسمين الغفور والغفار أنه مهما بلغ عظم الذنب واستغفر العبد منه ربه؛ غفر الله له كل ما صدر منه، وأزال عنه ما ترتب عليه، من إثم وعقوبة: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

وقال الله في الحديث القدسي: «**يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا**

تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»أخرجه أحمد [(١)].
فمِن جلال اسم الله الغفور والغفار: أن الله يبدل للمؤمنين سيئاتهم التي عملوها حسنات في الدنيا والآخرة، فيبدل شركهم إيمانًا، كما حصل للصحابة، ومعاصيهم طاعات، ثم يضاعفها لهم، ثم يثيبهم عليها بأحسن ما كانوا يعملون، ويضاعفها لهم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان/ ٦٨- ٧١].
ومن جلال مغفرته سبحانه أنه لا يسجل الذنب على العبد إلا بعد وقوعه، أمّا الحسنة فتُكتب للعبد عند الهم بها، فإذا فعلها الإنسان كُتبت حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «**إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً؛ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا؛ فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي؛ فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً**» أخرجه البخاري[(٢)].
ومِن جلال مغفرته سبحانه أنه لا يعاجل بالعقوبة فور وقوع الذنب، بل يمهل العبد، ويترك الفرصة للتائبين والمستغفرين: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف/ ٥٨].
والمغفرة والغفران من صفات الرب الفعلية، التي يفعلها متى شاء، في أي وقت شاء، فمغفرته ﷻ من صفاته الفعلية التي يفعلها متى شاء، مقترنة بحكمته العلية: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٤]. فهو أعلم بمن يستحق المغفرة ممن يستحق العذاب، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم حيث يجعل هدايته، وأعلم حيث يجعل مغفرته أو عقوبته؛ لأن أفعاله جل جلاله صادرة عن قدرة

---
(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢١٤٧٢).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٥٠١).

مطلقة، ومشيئة نافذة، وحكمةٍ شاملة، مقرونةٍ بالخير المطلق: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

هو سبحانه الغفور الذي يستر على العبد ذنبه، فلا يفضحه بين الناس في الدنيا، لا يفضحه بين أهله، وجيرانه، والناس، ولا يفضحه يوم القيامة، فيغفر له، ويجعل بينه وبين العقاب ساترًا، فلا يعذبه ولا يعاقبه يوم القيامة.

وقد ورد اسم الله الغافر مضافًا، كما قال سبحانه: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر/ ٣].

فيُنادى بهذا الاسم مضافًا كما ورد في القرآن.

والله غفور رحيم لأي مذنب، ولأي ذنب، سواءً كان الذنب في الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل.

فقد جاءت صيغة المغفرة عما مضى من الذنوب، كما قال سبحانه عن داود: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص/ ٢٤- ٢٥].

وجاءت بصيغة الحاضر؛ يعني بلفظ المضارع: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٤].

وجاءت صفة المغفرة بصيغة الأمر: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة/ ١٩٣].

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

ووردت صفة المغفرة بصيغة المصدر، في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٥].

فسبحان العفو الغفار الذي يغفر الذنوب جميعًا، يغفر جميع الذنوب الماضية والحاضرة، والمستقبلة.

ومغفرة الله مطلقة، لا بداية لها ولا نهاية، ولا أول لها ولا آخر: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

والله سبحانه غافر الذنب إكرامًا لهذا العبد، وقابل التوب إنعامًا عليه، شديد العقاب للكافرين، ذو الطول للسابقين المقربين، فهو سبحانه غافر الذنب للمقصرين من المؤمنين، وقابل التوب للمقتصدين الذين اقتصروا على فعل الواجبات، وترك المحرمات، وذو الطول للسابقين الذين يجمعون بين الواجبات والمستحبات، ويتركون المحرمات والمكروهات، وشديد العقاب للكافرين: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر: ٣].

فسبحان ربنا الغفور الغفار، الذي يستر العباد في الدنيا فلا يفضحهم، ولا يظهر ما في قلوبهم للناس، من كرهٍ، وبغضٍ، وحسدٍ، ونفاقٍ، ورياء، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق.

فهو الذي يستر عباده في الدنيا، فلا يفضحهم، ولا يظهر ما في قلوبهم للناس؛ لعلهم يتوبون إليه، ولكي لا يكره الناس بعضهم بعضًا، ويعيشوا إخوة كما أراد الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات/ ١٠].

وهو غفور ستِّير، يستر ما يكره الإنسان كشفه، ويأمره بستر السوءات والعورات، فستر سبحانه الأجهزة الداخلية بهذا الجلد الساتر لما في داخل البدن، وأظهر الجميل من الوجه والعيون واليدين والرجلين.

- **والله سبحانه خلق مما خلق أصنافًا ثلاثة:**

صنف خير كله، وهم الملائكة، فهؤلاء: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٢٠].

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦].

وصنف شر كله، وهم الشياطين، وهم إبليس وجنوده: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

وصنف يصدر منهم خير وشر، وطاعات ومعاصٍ، وهم بنو آدم، وهؤلاء أخبر الرسول

ﷺ عنهم بقوله: «**كل بني آدم خطاء وخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»أخرجه اِبْن ماجة وأحمد[1].

فهؤلاء يطيعون ويعصون، والله ﷻ يثيبهم على الطاعات، ويغفر لهم المعاصي إذا استغفروه، فإن كنت مؤمنًا ظالمًا؛ فالله غافر، وإن كنت مسرفًا في المعاصي؛ فالله غفور، وإن داومت على الإصرار على المعاصي والكبائر بأنواعها؛ فاعلم أن الله غفار: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩- ٥٠].

وهو سبحانه غفور ستير لعباده المؤمنين، فلا يفضح العبد بذنبه بين الناس يوم القيامة، بل يستر عليه، ويستره من النار، ويحميه من العقاب مهما كثرت ذنوبه، فالله ﷻ غفور لمن استغفره وتاب إليه: ﴿ **فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٣٩﴾﴾[المائدة: ٣٩].

وهو سبحانه الكريم الذي ينادي المذنبين ويدعوهم إلى التوبة والاستغفار؛ ليغفر لهم ويرحمهم، ويدعوهم إلى المبادرة إلى العمل الصالح قبل الموت: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٣ – ٥٤].

فما أعظم عناية الرب بعباده! وما أشد احتفاءه بهم! وما أشد رحمته بعباده، بل للناس كافة! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة/ ١٤٣].

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾[النجم/ ٣٢].

والله جل جلاله غفور رحيم، وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها التي ذكرها الله بقوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[طه/ ٨٢].

اهتدى إلى الحق، فعَمِل به، وجافى الباطل، اهتدى إلى السنة وجافى البدعة.

فسبحان الكريم الذي تكرم بتبديل سيئات المذنبين إلى حسنات، ثم ضاعفها لهم بعد

(١)صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٤٢٥١)، وأخرجه أحمد برقم (١٣٠٤٩) وهذا لفظه.

توبتهم؛ لكمال حبه للتوبة والتائبين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

أما من كفر، وأصر على المعاصي والكبائر، ثم تاب؛ تاب الله عليه، ومن لم يتب؛ فإن الله ﷻ يضاعف له العذاب: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠].

ولا يجوز للمسلم أن يتعمد فعل المعاصي والخطايا والفواحش والسيئات، فيقترفها بحجة أن الله غفور رحيم؛ لأن المغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين الذين عملوا السوء بجهالة: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء/ ٢٥].

ومن أصاب ذنبًا ثم تاب من قريب؛ تاب الله عليه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء/ ١٨].

واعلم رحمك الله أن غفران الذنوب والسيئات فضل من الله ورحمة عظيمة للعباد؛ لأن الله غني عن العالمين، لا ينتفع بالمغفرة لهم، ولا يضره كفرهم، كما لا تنفعه طاعاتهم، ولا ينفعه إيمانهم، ولا يغفر لهم خوفًا منهم؛ لأنه جل جلاله غني قوي عزيز: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

ولا زال ولا يزال جل جلاله واسع الرحمة، واسع المغفرة، واسع الحلم، يكرم عباده بالنعم مع معاصيهم، فمن تاب إليه؛ قبل توبته، وغفر له، ومن أصر على المعاصي وأبى التوبة؛ عاقبه بجرمه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد/ ٦].

فسبحان مالك الملك، العزيز الغفور، الرحمن الرحيم، الذي يجود على جميع العباد

بالمغفرة والرحمة والعفو، ويكفر عنهم سيئاتهم، ويقيل عثراتهم، ويضاعف حسناتهم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٩].

والله جل جلاله غفور رحيم، يغفر للمستغفرين، ويتوب على التائبين، ويغفر لمن لم يستغفره؛ لأنه هو الغفور، ولأنه عالم بما سبق لهذا العبد في أم الكتاب بما هو عامله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم/ ٣٢].

والله غفور وغفار وعفو، وأحب شيء إليه العفو والمغفرة، يغفر لعباده كل شيء إلا الشرك لمن مات عليه ولم يتب منه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء/ ١١٦].

ولما يعلمه النبي ﷺ من كريم عفو ربه، وسعة مغفرته، وسعة رحمته، ومحبته لذلك؛ قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا؛ لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُم**» أخرجه مسلم[1].

فلا إله إلا الله! ما أوسع رحمة ربنا! وما أوسع مغفرته! وما أوسع كرمه وحلمه جل جلاله!: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

والله جل جلاله واسع المغفرة، ولا يقدر قدر مغفرته إلا هو، وكل آن يغفر الله من الذنوب الكثيرة والكبيرة والصغيرة ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص/ ٦٦].

- **وغفران الله ﷻ للخلق نوعان:**

الأول: غفران عام لجميع الخلق، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، وهو مغفرة الإنظار والإمهال في الدنيا؛ لينال كل إنسان نصيبه من الكتاب، ويستوفي ما قدر الله له من العمل، ثم يؤخذ كل إنسان بحسب عمله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف/ ٥٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣١).

الثاني: غفران خاص بأوليائه المؤمنين، فكلما أذنبوا واستغفروا؛ غفر الله لهم سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[طه/ ٨٢].

فسبحان الغفار الحق الذي فتح أبواب مغفرته وعفوه ورحمته للعالمين كلهم، إذا استغفروه وتابوا إليه؛ غفر لهم، ورحمهم، وتاب عليهم، من مؤمن وكافر، ومشرك ومنافق، ومسيء ومذنب، وفاسق وظالم: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر/ ٥٣].

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت، يا من يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد حبات الرمال، وعدد ما أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار، يا من لا تواري منه سماء سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، اجعل خير أعمارنا أواخرها، وخير أعمالها خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، واغفر لنا ذنوبنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم فقهنا في الدين، وارزقنا حقيقة التوحيد والإيمان، واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، واجعل جميع أعمالنا خالصةً لوجهك الكريم.

- **كل مسلم مأمور بأمرين:**

أولًا: أن يعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته حتى يعبده كما يليق بجلاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

ثانياً: هو مأمور باتباع الرسول ﷺ، والاقتداء به، وهذا الاتباع مبني على المعرفة: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

ولن نستطيع أن نتبعه، حتى نعرف سنته وسيرته، وجهده ودعوته، وجميع أحواله، لا بد من معرفة هذه الأمور، فلا بد من معرفة هذا وهذا؛ حتى يكون التعبد لله ﷻ خالصًا على ما جاء به رسول الله ﷺ، فيكون خالصًا وصوابًا: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

ومعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته لها ثمرات عظيمة، فإن الله ﷻ هو رب العالمين، ويجب علينا أن نعرفه حتى نعبده حق عبادته جل جلاله، فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض، فلا بد للإنسان أن يكون له قسط كبير من هذه المعارف الإلهية: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

وثمرات الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله كثيرة، وتثمر للعبد ثمرات عظيمة، وأهم هذه الثمرات:

أولًا: تنزيه الله ﷻ عن العيوب والنقائص، ووصفه بصفات الكمال والجمال والجلال، فهذه المعرفة تجعل العبد ينزه ربه عن العيوب والنقائص، والمثيل، والشبيه، والكفء، ويصفه بصفات الكمال، والجلال، والجمال، ولا يمكن أن يصفه بذلك حتى يعرف هذه الأسماء، ويعرف آثارها في هذا الكون العظيم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ

مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

ثانيًا: من ثمرات دراسة أسماء الله وصفاته: زيادة إيمان العبد وتقواه بسبب معرفته بأسماء الله وصفاته، فهذا العبد إذا عرف أنه إن تحرك فالله يراه، وإن تكلم فالله يسمعه، وإن أضمر فالله عليم بما في قلبه، وإذا عرف أن ربه غفور رحيم، وأنه كريم، وأنه عفو؛ أقبل على ربه بحسن الطاعة، وابتعد عن المعصية، وخاف ربه ورجاه وأحبه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثالثًا: من ثمرات معرفة أسماء الله وصفاته: الثناء على الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فالله ﷻ غفور رحيم، وسعت رحمته كل شيء، ووسعت مغفرته كل شيء، فهو يمجد ربه بعد معرفته بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ويمجده ويحمده بلسانه فيقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢- ٢٤].

هذا كله ثناء على رب العالمين بأسمائه وصفاته، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته؛ أثنى عليه بها، وجعل الإنسان دائمًا يذكر ربه، ويحمده ويشكره ويمجده، ويثني عليه.

رابعًا: من ثمرات معرفة أسماء الله وصفاته: ذكر الله وسؤاله ودعاؤه بأسمائه وصفاته، فإذا عرفت أن الله غفور؛ فأنا أستغفره، وإذا عرفت أن الله ﷻ قادر؛ فأنا أستعين به، وإذا عرفت أن الله غني؛ فأنا أتوجه إليه بالسؤال.

فمعرفة أسماء الله وصفاته تثمر كثرة ذكر الله، وسؤاله وحده لا شريك له، ودعاءه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، فأقول: يا غفار اغفر لي، يا رحمن ارحمني، يا رزاق ارزقني، يا عفو اعف عني، يا شافي اشفني وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

خامسًا: من ثمرات معرفة أسماء الله وصفاته: أن العبد يسعى إلى الاتصاف والتخلق، والتعبد لله بما عرف من أسماء الله وصفاته على شاكلة العبودية، فالله عفو يحب العافين، والله مؤمن يحب المؤمنين، والله محسن يحب المحسنين، والله شكور يحب الشاكرين، والله عليم يحب أن أتصف بصفة العلم، فالله علمني، فأتعلم وأعلم، والله أكرمني بما أعطاني، فأنا أكرم خلقه، فأتخلق وأتعبد لله بهذه الصفات، فأكون كريمًا، وعفوًا، وغفورًا، وحليمًا، ورؤوفًا، وهكذا نتعبد لله بأسمائه وصفاته على شاكلة العبودية، فالله عليم فكن عليماً: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

ولكن العلم الذي أُعطى الإنسان حادث، وعلمه محدود، وعلم الله مطلق، وعلم الله أزلي لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، أما علمي فهو حادث ومحدود.

فالعبد إذا عرف أسماء الله وصفاته يسعى للاتصاف والتخلق بها؛ لأنها صفات حسنى وجميلة ومحمودة، فيتعبد لله ﷻ بما عرف من أسماء الله وصفاته؛ ابتغاء مرضاته.

سادسًا:التسليم لله في كل شيء، بعد أن يعرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، ويعرف كمال قدرته وقوته وجبروته، وعظمته وكبرياءه، ويعرف إنعامه وإحسانه، وعفوه ومغفرته، ويعرف عظمته في الخلق، وكمال قدرته وعزته، يسلِّم حينذاك لله في كل شيء، فلا يحكم إلا بما أنزل الله الحكيم جل جلاله، ولا يتحاكم إلا إلى ما أنزل الله ﷻ، ولا يعبد إلا الله وحده، لماذا؟ لأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى:﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

فتتغذى القلوب بمعرفة هذه الأسماء، وتعرف ربها، وتتوجه إليه، فتستأنس به، وتتوجه إليه وتعبده، ولا تلتفت لأحد سواه، وتفرده بالحب والذل والتعظيم له، وتفرده بالخوف والرجاء والمحبة، وتعبد الله ﷻ بعد هذه المعرفةبأسمائه وصفاته، فتتخلق بصفة العلم، بصفة الحلم، بصفة العفو، بصفة المغفرة ، وهكذا:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠].

وإذا عرفنا الله بأسمائه الغفور والغفار فكيف نتعبد لله باسمه الغفور، واسمه الغفار؟

فأولًا نعرفه بأسمائه وصفاته، ونعرف كمال عفوه ومغفرته، وثانيًا: كيف يأتي هذا الاسم في حياتنا، كيف نتخلق به، وكيف نتعبد لله به؟

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى؛ هذا لا بد من معرفته، والقلوب تتعلق بصفات الكمال، والجلال، والجمال، والله ﷻ أسماؤه حسنى وصفاته عليا، وأفعاله حميدة، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض، فتتعلق القلوب به لكماله وجلاله وجماله:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨].

- **ومعرفة اسم الله الغفار يثمر للعبد ثمرات عظيمة:**

أولها: محبة الله: يحب العبد الرب الغفور الذي يغفر الذنوب جميعًا، ويمحوها ويرضى عن العبد، بل يبدل سيئات هذا العبد الذي عصى ربه إلى حسنات.

الثانية: تثمر له معرفة ربه باسمه الغفور والغفار: حمد الله وشكره على رحمته لعباده، وغفرانه لذنوبهم، وعفوه عن سيئاتهم، وتوبته عليهم، ووقايته لهم من المعاصي وعقوبتها في الدنيا والآخرة:﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٦ - ٣٧].

الثالثة: من عرف ربه باسمه الغفور الرحيم أحسن الظن به، وأقبل على طاعته، واستغفر ربه الذي يغفر الذنوب جميعًا مهما كثرت، ومهما كبرت، ومهما تكررت، وانفتحت له أبواب الرجاء، فأقبل على ربه، وأغلقت عنه أبواب اليأس والقنوط؛ لأن الله واسع المغفرة، وواسع الرحمة، يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب المتقين:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر/ ٥٣].

والمؤمن حقًّا إذا علم أن ربه غفور رحيم؛ أكثر من الأعمال الصالحة، والحسنات الماحية؛ لأنه لا بد من ذنب، ولا بد من معصية، فالعين قد تعصي، والأذن قد تعصي، واللسان قد يتكلم بمعصية، والقدم قد تمشي إلى معصية، واليد قد تفعل المعصية، فالإنسان من بني آدم، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، فالمؤمن إذا علم أن ربه غفور

رحيم؛ أكثر من الأعمال الصالحة، والحسنات الماحية؛ لأنها من أسباب الحصول على مغفرة الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه/ ٨٢].

الرابعة: من ثمرات معرفة الله باسمه الغفور والغفار: تعظيم الله بكمال طاعته: فإذا عرفت أن ربي غفور وغفار؛ فهذا يثمر في القلب تعظيم الله؛ لاتصافه بهذه الصفة العظيمة، تعظيم الله بأي شيء؟ بكمال طاعته، وعدم الإقدام على معصيته؛ اتكالًا على مغفرته ورحمته، واعتمادًا على كرمه وعفوه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة/ ٢١٨].

فلا بد أن أعمل وأجتهد في الأعمال الصالحة إذا علمت أن الله ﷻ غفور رحيم، فالله ﷻ وصف المؤمنين وأثنى عليهم بأنهم يُتبِعون العلم بالعمل، ويتصفون بأحسن الصفات ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾[البقرة/ ٢١٨].

فالله غفور رحيم أبدًا، والمغفرة والرحمة صفة ذاتية للرب، لا تنفك عنه أبدًا، ولا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، وهي وكذلك صفة فعلية ، فهو يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، ويرحم من يشاء متى شاء، في أي وقت شاء، فهذه الصفة صفة ذاتية للرب، وصفة فعلية متعلقة بالعبد وفي الكون، فالله يخلق ما شاء صفة فعلية، في أي وقت شاء بأي حجم شاء على أي شكل شاء، صفة فعلية يفعلها الرب ﷻ، والمغفرة صفة فعلية، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء متى شاء على أي ذنب شاء، ومن عرف ربه أحسن الظن به، ومن أحسن الظن به، فإنه يطيع ربه بفعل ما يحبه ويرضاه، واجتناب ما يكرهه ويسخطه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾[النحل/ ١١٩].

فمغفرة الذنوب للذي يعمل السوء بجهالة، ويضعف إيمانه، فيجترئ على المعصية، ثم يتوب من بعد ذلك، ويتوب من قريب، ويصلح ما أفسد ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٩﴾[النحل/ ١١٩].

والله غفور رحيم، ومن عرف ربه بذلك؛ استحيا من معصيته، وصفة الرحمة والعفو والمغفرة صفات جمال لله ﷻ، فيستحيي العبد من ربه أن يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويتنعم بنعمه ويعصيه.

فمن عرف ربه بالمغفرة والغفران استحيا من معصيته، أو التقصير في طاعته، وهذا الحياء من ربه يثمر له تعظيمًا للرب العزيز القهار، الغفور الرحيم، هذا الحياء الذي نتج من هذه المعرفة يثمر له تعظيم الرب، والحب له، والحمد له، والمبادرة إلى طاعته، والبعد عن معصيته: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩- ٥٠].

وإذا عرف المؤمن أن ربه هو الغفور الرحيم، وعرفه باسمه الغفور؛ فعليه أن يتخلق بخلق العفو والمغفرة والصفح، فيعفو عن الناس، ويستر عوراتهم وأخطاءهم، ويصفح عمن أساء إليه، لأن الله ﷻ عفا عنه، وستر عليه عورته، وصفح عنه، فليعف عن الناس، ويستر عوراتهم وأخطاءهم، ويصفح عمن أساء إليه منهم، ويقابل سيئاتهم وإساءتهم له بالحسنات: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور/ ٢٢].

فمن أراد مغفرة الله؛ فليعط من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت/ ٣٤- ٣٥].

ومن زلت قدمه، وظلم نفسه، واقترفت يداه من الذنوب ما يؤرقه؛ فليستغفر ربه، فإن ربه غفور رحيم: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[النساء/ ١١٠].

والمؤمن حقًّا من أكثر من استغفار ربه في كل حال، لأنه يرى عظمة ربه، وعظمة عفوه ومغفرته، فيطمع في ثوابه، ومغفرة ذنوبه، فمن عرف ربه حقًّا؛ أكثر من استغفار ربه في كل حال؛ لتقصيره في فعل الواجبات، وإقدامه على فعل المحرمات، وغفلته عن كثير من الطاعات، فهو لا يرى نفسه إلا مذنبًا ومقصرًا، ولا يرى ربه إلا غفورًا رحيمًا.

ومن كمال رحمته ومغفرته أن الله ﷻ ينزل كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟

فكم عدد المذنبين من خلقه؟ وكم عدد الذنوب العظيمة المتنوعة التي فعلوها؟، وكم عدد السائلين والمستغفرين من خلقه: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[النساء: ١١٠].

والله يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويستر عباده فلا يفضحهم؛ لأنه هو الغفور الذي يصفح ويتجاوز عن عبده لكمال رحمته، وسعة مغفرته جل جلاله.

لهذا أمر الله ﷻ أولياءه المؤمنين بالمسارعة إلى الخيرات، وكثرة الاستغفار؛ فإن في الاستغفار خيرات كثيرة، فقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾[آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٦].

ومفاتيح أبواب الخيرات والبركات والحسنات مقرونة بالاستغفار، فمن استغفر ربه؛ حصل له ما يسعده في الدنيا والآخرة: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح/ ١٠ - ١٢].

ومن عظيم بركات الاستغفار، ما قاله هودﷺ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾ [هود/ ٥٢].

فهذه من بركات الاستغفار العظيمة، لهذا يقف العبد بين يدي ربه حامدًا له جل جلاله على كماله، وكمال ذاته وأسمائه وصفاته ، فهو حامد لربه على عظمته وجلاله، وعلى نعمه وإحسانه، ومستغفر له من ذنوبه التي ارتكبها وغفل عنها، فهو يحمد الله على أن ربه عظيم، وعلى نعمه وإحسانه، وهو في نفس الوقت يستغفر من ذنوبه، وتقصيره في حق ربه؛ لأن حق الله عظيم، وعمل العبد ناقص وقليل، ويشوبه أحيانًا الخلل.

ولذا أُمرنا بالاستغفار بعد العبادات الكبار، بعد الصلاة، بعد الصوم، وبعد الحج، فنقول بعد التسليم من الصلاة: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، وكذلك بعد الصيام، وكذلك بعد الحج.

وإذا عرف المؤمن أن ربه غفور رحيم؛ حمده على عظمة أسمائه وصفاته، وعلى إنعامه وإحسانه، وعلى كمال قدرته وعزته، وعلى عظمة ملكه وسلطانه، وعلى كمال دينه وشرعه، وعلى حسن ثوابه وعقابه.

وإذا عرف المؤمن ربه باسمه الغفور والغفار؛ أثمر له ذلك توقي معاصي الله، الصغائر والكبائر وغيرها، فيتوقى معصية الله ﷻ، ويراقب أعماله الظاهرة والباطنة، والاستتار بذنبه عن الناس، والاعتراف به، والاعتذار عنه أمام ربه، وملازمة الاستغفار لله في الليل والنهار: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾[الذاريات/ ١٥ - ١٨].

يستغفرون الله من نقص العمل، وقلة العمل، وتأخير العمل.

وقال ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ؛ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللهِ؛ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**» متفق عليه[1].

ولهذا يجب علينا أن نعترف بالذنب ثم نستغفر منه، فنقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف/ ٢٣].

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٦٦١)، واللفظ له،ومسلم برقم (٢٧٧٠).

ونذكر تقصيراتنا في أداء الواجبات، وفي الجرأة على المحرمات، ونذكر تقصيرنا في عدم القيام بالصلاة، وعدم إقامة الصلاة كما يجب، وعدم إكمال شروطها وأركانها، وهكذا في سائر العبادات، فنستغفر الله والله ﷻ غفور رحيم.

- **وينال العبد مغفرة الله ﷻ بأحد أمرين:**

الأول: ما يغفره الله لعبده من دون عمل؛ بل برحمة الله، كما قال النبي ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ**» أخرجه مسلم[1].

فهذا عطاء من الغفور الغفار جل جلاله، فيغفر للعبد بهذه الأمور التي تحصل للعبد.

فهذه مكفرات الذنوب، فهذه الأمراض تكفر الذنوب، وهذه المصائب تكفر الذنوب، وترفع الدرجات، والله ﷻ إذا ابتلانا بالمصائب؛ فلا ننظر إلى المصائب، بل ننظر إلى جمال المبتلي، لأن المبتلي ابتلاني بهذا المرض؛ حتى أصبر؛ لآخذ أجر الصبر، وأكون مع الصابرين، والله يحب الصابرين، ابتلاني بسفيه يشتمني ويسبني، وأنا أغفر له ذنبه، وأستر عليه، ولا أفضحه؛ لآخذ أجر المغفرة، فأغفر للناس، وأستر معايبهم، وأصفح وأتجاوز عنهم.

وإذا ابتلاني بإنسان قد يسبني ويقول فيَّ ما ليس فيَّ، فالله ﷻ ابتلاني بهذا لآخذ جوهرة العفو، فأعفو عنه؛ ولذلك أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ لأنه بقوة الابتلاء تظهر المعادن النفيسة، يظهر حلم النبي ﷺ على قومه في مكة، وحلمه على أهل الطائف، وحلمه على من عاداه، ومن سبه، وقاتله، واتهمه، وقال فيه ما ليس فيه: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور/ ٢٢].

هذه الابتلاءات ليست مقصودة لذاتها؛ المقصود: ما تثمر من الصبر والعفو والمغفرة والرحمة والصفح والتجاوز، فينال العبد مغفرة الله تعالى بأحد هذين الأمرين: الأول: ما يغفره الله لعبده من دون عمل؛ بل برحمة الله ﷻ، من الأمراض والمصائب والهموم وغيرها.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٣).

الثاني: أعمال يقوم بها العبد، ومنها: الاستغفار والتوبة، كما قال سبحانه:﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾** ﴾[النساء/ ١١٠].

ولا يظهر اسم الله الغفور إلا إذا جاءت معصية، وجاء مني الاعتذار، وجاء مني الاستغفار، ليظهر التعبد باسم الله الغفور:﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴾[القصص: ١٦].

وكذا قول الله ﷻ:﴿ **فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾** ﴾[نوح/ ١٠]. فهذه أعمال يقوم بها العبد، ومنها التوبة والاستغفار:﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾** ﴾[طه/ ٨٢].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**» أخرجه مسلم[1].

فهذه المعارف تفتح باب الأمل أمام العبد، وأمام العاصي الذي كثر فسقه، وإجرامه، وعصيانه، فالله يناديه، بل ينادي جميع العصاة والكفار:﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾** ﴾ [الزمر/ ٥٣].

فالاستغفار والتوبة، والصلوات الخمس، وصوم رمضان، وصيام عاشوراء، وصيام عرفة، والحج، والمصائب، والأمراض، وغيرها، كلها مكفرات للذنوب:﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾** ﴾ [محمد/ ١٩].

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

فنكثر من الاستغفار؛ لأن حق الله عظيم، ونحن طاقتنا محدودة، وغفلاتنا كثيرة، والشهوات تلهينا عن ربنا، ونستعمل الجوارح أحيانًا في غير طاعة الله؛ ولكن الله ﷻ ضيق أبواب المعصية، ووسع أبواب المغفرة:﴿ **إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ** ﴾[النجم: ٣٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

- **وأبواب المغفرة كثيرة:**

الاستغفار .. والتوبة .. والصلوات الخمس .. وصوم رمضان .. والجمعة إلى الجمعة .. وصيام عاشوراء .. وصيام يوم عرفة .. والحج .. والمصائب.. والأمراض.

وغير ذلك، كلها مكفرات للذنوب.

فسبحان الكريم الرب الرحيم الذي ضيق أبواب المعصية، ووسع أبواب المغفرة؛ لكمال رحمته بخلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فهو ضيق أبواب المعصية، وجعل عليها حدودًا وعقوبات، ونفر منها، وتوعد من عصى بالشقاء والضنك: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه/ ١٢٤].

ووسع أبواب المغفرة، لكمال رحمته بخلقه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩- ٥٠].

ليكون الإنسان بين الخوف والرجاء، والمؤمن إن أطاع ربه؛ تاب واستغفر من تقصيره، وإن عصى ربه؛ تاب من تقصيره وذنبه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

فالمؤمن إن أطاع ربه؛ حمد الله على نعمة الطاعة، وتاب واستغفر من التقصير فيها؛ ولذلك من السنة: بعد كل صلاة، بعد السلام من الصلوات المفروضة، أن نقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

فهذه حال المؤمن، إن أطاع ربه؛ حمده على الطاعة، وتاب من التقصير واستغفر، وإن عصى ربه؛ تاب من تلك المعصية، ومن تقصيره في أعماله، ومن ذنبه الذي عمل.

أما الأنبياء والرسل، فلكمال معرفتهم بالله يستغفرون ربهم، النبي ﷺ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ ولكن لماذا يكثر من الاستغفار؟ فيستغفر في اليوم أكثر من مائة مرة، ويستغفر في الجلسة الواحدة أكثر من سبعين مرة أو مائة مرة، كما ورد في الحديث؛ لأنه يرى أن حق الله عظيم، ويرى أنه لم يؤده بالشكل الذي يريده الله ﷻ منه، والشكل الذي يرضي نفسه، ولهذا كان النبي ﷺ يستغفر الله كثيرًا في أوقاته ومجالسه، مع أنه قد غُفر له

ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ**» أخرجه مسلم[1].

وعن ابن عمر قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحدة مائة مرة؛ «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»أخرجه أبو داود وابن ماجة[2].

فالأنبياء والرسل يستغفرون الله ﷻ؛ لكمال معرفتهم بالله، وأسمائه وصفاته، وعظمته وكبريائه، وعظيم حقوقه، مع أنهم أكمل الناس معرفة، وأكملهم عبودية، وأكملهم صفات، لكنهم يعلمون ما لا نعلم، فهم علمونا مما علمهم الله ﷻ؛ ولهذا النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه؛ فيُقال له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»متفق عليه[3].

شكورًا لهذا الرب العظيم الذي خلقني وهداني، وأمدني بالأرزاق، وأنا أسكن في ملكه، وهو يوالي علي نعمه، فهو يجب أن يشكر ربه الذي أحسن إليه، وعادةً الناس يشكرون من أحسن إليهم، ولا أحسن من إحسان الرب، ولا أعظم ولا أكمل منه.

فالتعبد لله باسمه الغفور والغفار كان ﷺ أكثر ما يتعبد لله به، أكثر ما يتعبد لله ﷻ من أسماء الله الحسنى باسمه الغفور والغفار، ولذلك يكثر في مجالسه من الاستغفار، حتى يحسب له في المجلس الواحد مائة مرة: أستغفر الله وأتوب إليه، وكم مجالسه؟ مجالسه مع أهله، مجالسه مع أصحابه، مجالسه مع الضيوف، مجالسه ﷺ كثيرة، فكل مجالسه ﷺيملؤها بالاستغفار، والاستغفار أعظم ما تعبد الرسول ﷺ لله به، فالتعبد لله باسمه الغفور والغفار من أعظم عبادات العبد الذي يتعبد لله بها.

فعلينا التعبد لله في جميع أوقاتنا، وملء مجالسنا بكثرة الاستغفار؛ فإن الله جعل الاستغفار سببًا لحصول كل خير، كما قال ﷻ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾[نوح/ ١٠- ١٢].

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).
(٢)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥١٦)، وأخرجه ابن ماجة برقم (٣٨١٤) وهذا لفظه.
(٣)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٩).

- **وغفران الذنوب من ربنا ﷻ لعباده المذنبين له سببان:**

الأول: توبة من العبد إلى ربه، سواء كان مشركًا أو عاصيًا، فهذا يتوب الله عليه ويقبل توبته، فالتوبة تجُبُّ ما قبلها، كما قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [الأنفال/ ٣٨].

وقال ﷻ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة/ ٣٩].

الثاني: هبة من الرب من غير توبة من العبد، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

فمن مات مؤمنًا، لكنه لم يتب من بعض المعاصي؛ فإن الله جل جلاله يغفر له، ويتوب عليه: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩- ٥٠].

فيقول الله ﷻ حينما يدعو العبد العاصي الموحد يوم القيامة، ويقر بذنوبه، ثم ينشر له تسعة وتسعون سجلًّا كلها مليئة بالذنوب والمعاصي، فيقال له: أتنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا ربي، فيقول الله ﷻ: أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فادخل الجنة، أو كما قال ﷻ؛ لأن الله غفور رحيم، ورحمته وسعت كل شيء.

ولذلك على المسلم دائمًا أن يكثر من الاستغفار له وللمؤمنين والمؤمنات كما قال نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ [نوح: ٢٨].

وكما ملأ الله الكون بنعمه، وفتح لنا أبواب مغفرته، وعلمنا دينه؛ فيجب علينا أن نملأ الكون بحمده وشكره، والاستغفار والتوبة إليه.

وحظ العبد من اسم الله الغفور والغفار أن يستر من الناس ما يحب أن يستره الله ﷻ منه، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، وكما غفر الله لك وستر عليك؛ فيجب أن تغفر لإخوانك، وأن تستر ذنوبهم، وعوراتهم، وزلاتهم.

فهذه المعارف التي نستفيد منها في مجالسنا الإيمانية ومجالسنا العلمية تعطينا أو تفيدنا قوة حب الرب، والتقرب إليه، والتوكل عليه، والاستعانة به، والتخلق بهذا الخلق العظيم؛ لهذا يجب أن نعلم أن الملك الحق جل جلاله أرأف من ملك، وأكرم من أعطى، وأجود من سُئل، وأرحم من قدر، وأعظم من غفر.

فاللهم اجعل لنا من ذلك أوفر الحظ والنصيب يا ذا الجلال والإكرام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ومغفرة الله سبحانه من آثار رحمته، فرحمته وعلمه ومغفرته وسعت كل شيء، واسم الرحمن ورد في القرآن كثيرًا، حتى إن الله ﷻ ذكر أنه استوى على العرش برحمته؛ حتى نتوجه إلى الرحمن الرحيم ليغفر لنا ذنوبنا، ويكفر عنا سيئاتنا، فهو رب كل شيء، ورحمته وسعت كل شيء، ومغفرته وسعت كل ذنب، يغفر الذنوب العظيمة، والذنوب الكثيرة، والذنوب المتكررة لجميع الخلق، سواء كانت توبةً من الشرك، أو من المعاصي، الله ﷻ رحمته ومغفرته وسعت كل شيء، وسعت كل من تاب منالكفر والمعاصي والقتل والزنا والشرك والكبائر: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

فاسأل الله أن يغفر لك ما أذنبت، ما ظهر من ذنوبك وما بطن، ما تعلمه منها وما لا تعلمه، فإن ربك واسع المغفرة، والمغفرة أحب إليه من العقوبة، واغفر لمن أخطأ في حقك؛ يغفر الله لك: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٠﴾ [المائدة/ ٤٠].

ألم تقرأ: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩- ٥٠]؟.

وبادر رحمك الله إلى طاعة مولاك الكريم بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنه الذي خلقك ورزقك، وهداك وأعانك، ووسع عليك في رزقك، ووضع نعمه بين

يديك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم/ ٣٢].

فالله واسع المغفرة والرحمة؛ فاستحِ من ربك الكريم، الحليم، الغفور، الرحيم، ولا تستعمل نعمه في معصيته، ولا تعصه في ملكه الذي أنت منه، فإن عصيته؛ فاستغفره، فإنه غفور رحيم: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

فهذا أمر ملكي من ربنا ﷻ، هذا خبر ملكي، هذا فتح لباب الرجاء، فليستغفر العبد ربه من ذنبه، ولا يشهره بين الناس، ولا يخبر الناس به، وقد ستره الله ﷻ، ومن ستر عليه في الدنيا؛ فسوف يستر عليه في الآخرة.

واستغفر الغفور الرحيم الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا من أجلك، فقف خاشعًا بين يديه، وارفع أكف الضراعة إليه معتذرًا منه، ومستغفرًا له، وحامدًا وشاكرًا له، وممجدًا ومثنيًا عليه: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾ [الإنسان/ ٢٥- ٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**» متفق عليه(١).

فاستغفر الغفور الرحيم من كل ذنب، واسأله العفو عن كل هفوة، وستر كل زلة من تقصير في عبادة، أو رياء في عمل، أو ترك واجب، أو تأخير فرض، أو إهمال حق، أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو غير ذلك من الذنوب التي توجب الاستغفار والتوبة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾ [الأنعام/ ١٦٥].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

واعلم أيها المسلم أنه كما يجب علينا حمد ربنا وشكره على النعم والطاعات؛ كذلك يجب علينا الاستغفار والتوبة من الذنوب والسيئات، والله كريم، يشكر هذا، ويغفر هذا؛ لأنه الغفور الرحيم ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[فاطر/ ٣٤].

شكور يشكر الطاعات، ويثيب عليها أعظم الحسنات، وغفور يغفر السيئات: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[الأنعام/ ٥٤].

وليعلم العبد أن الاستغفار من أعظم أسباب سعة الرزق، وكثرة الأولاد، ونزول الأمطار: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾[نوح: ١٠ - ١٢].

وكل خير يُنال في الدنيا والآخرة بالاستغفار، فاستغفر ربك الغفور، تخِفَّ من الذنوب، وتنال كل محبوب، استغفر ربك الغفور الرحيم الذي يغفر الذنوب جميعًا، استغفره صباحًا ومساءً من كل ذنب، استغفره صباحًا لما جرى منك من التقصير والنقص والإساءة في الليل، واستغفره مساءً لما جرى منك في النهار من المعاصي والسيئات: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[النساء/ ٦٤].

الله أكبر! ما أعظم مغفرة رب العالمين لعباده! وما أشد حبه لرحمتهم، والعفو عنهم، وغفران ذنوبهم، وستر زلاتهم!: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر: ٥٣].

واعلم أنه ليس الأمر أن تفعل ما تشاء من الذنوب ثم تستغفر الله؛ وإنما الأمر أن مَن ضعف إيمانه فوقع في المعصية، وزلت قدمه، فندم وتاب إلى ربه؛ فهذا الذي يغفر الله له: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[طه/ ٨٢].

والمؤمن حقًّا من عبد ربه حقًّا، ولن يعبد الله حقًّا إلا من عرفه حقًّا، ومعرفته جل جلاله تتحقق بمعرفة سبعة أمور:

أن نعرف الله، ونعرف أسماءه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، فالمؤمن حقًّا من عبد ربه حقًّا، ليأخذ الثواب حقًّا، ويدخل الجنة حقًّا.

فالمؤمن حقًّا من عبد ربه حقًّا، وأحسن إلى الناس حقًّا، إن رأى خيرًا نشره، وإن رأى عورةً سترها، وإن رأى زلةً غفرها، من اعتذر إليه من الناس قبل عذره، ومن أساء إليه أحسن إليه، ومن ظلمه عفا عنه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

فاغفر أخي المسلم لمن أساء إليك؛ يغفر الله لك، واعف عمن ظلمك؛ يعفُ الله عنك.

وعفو الله شامل لجميع ذنوبك، فإن عفوت عن أخيك المسلم، وعن أختك المسلمة؛ فعفوك محدود مقدور، لكن عفو الله مطلق، يعفو عن الصغائر والكبائر المتعلقة بحقه، أما ذنوب العباد فإن لم يسامحوك بها؛ فستُسأل عنها يوم القيامة، ويقتص منك، فاحرص على العفو والغفران لإخوانك المسلمين، واطلب المسامحة منهم تُزال ذنوبك، وتُستر عيوبك، وتنال رحمة الرحمن الرحيم، وغفران الغفار، وعفو ربك الكريم: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور/ ٢٢].

فطوبى لمن كان دأبه الحمد والشكر، والاستغفار والاعتذار، وما أمر الغفار بالاستغفار إلا ليغفر لكل مستغفر، فاستغفر الله كثيرًا؛ تغنم كثيرًا: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

وعليك بتقوى الله ﷻ في كل زمان ومكان وحال؛ تنال كل خير في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال/ ٢٩].

ومن أراد صلاح الأعمال، وغفران الذنوب، والفوز بالجنة، فليتق الله ربه، ويدعو الناس إلى ربه العظيم الغفور الرحيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ

﴿ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٠- ٧١].

واعلم أن الغفور الرحيم يريد لك كل خير، والشيطان يريد لك كل شر، فالزم باب الغفار، واجتنب باب الشيطان؛ تغنم وتربح أجرًا كثيرًا في الدنيا والآخرة: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٨].

فالله واسع العلم، وواسع المغفرة، وواسع الحلم، وواسع الرزق، وواسع الملك.

وسارع إلى مرضاة ربك الغفور الرحيم بكل عمل صالح تقدر عليه؛ تنال مرادك من ربك: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

واعلم أن حق الله عظيم، وشأن الله كبير؛ ولكن الله برحمته طلب العمل على قدر الطاقة، والتقصير لا يسلم منه أحد من البشر؛ فإن أردت الفلاح والنجاة: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر/ ٣].

واعلم أن المؤمن يجب عليه أن يستر على إخوانه ما ستره الله منه، فإذا وقع أخوك في ذنب أو معصية، فمن عيره به؛ ابتلي به، ومن تكلم به؛ فقد اغتابه، ومن رضي به؛ فقد شاركه في الإثم، ومن ستره؛ ستر الله عليه، ومن استغفر له غفر الله له.

اللهم إنا نعوذ بك من إمام سوء، إن أحسنت؛ لم يقبل، وإن أسأت؛ لم يغفر، ونعوذ بك من جار سوء، إن رأى خيرًا؛ كتمه، وإن رأى شرًا؛ أذاعه، والحمد لله على حلمه بعد

علمه، وعلى مغفرته وعفوه وستره، ونستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب وخطيئة، إنه هو الغفور الرحيم: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

فلا إله إلا الله! كم تولَّد هذه المعارف العظيمة من الحب لله ﷻ، والإقبال عليه، وحسن عبادته، والتلذذ بمناجاته، والانكسار بين يديه، والاستحياء منه، وكمالمحبته!

والذنوب كلها سموم، والطاعات كلها أغذية، والذنب شؤم على صاحبه، إذا أذنب أحد ذنبًا؛ فهو شؤم على صاحبه أولًا، وعلى غير صاحبه؛ لأنه إن تكلم به من رآه؛ فقد اغتابه، وإن عيره به؛ ابتلي به، الذنب شؤم على صاحبه وعلى غيره من الناس؛ لأن الناس إذا رأوه؛ إما أن يتكلموا به فيغتابوه؛ فيأثموا ويكون هو السبب، وإن عيره به أحد؛ ابتلي به، وإن رضيه أحد؛ شاركه في هذا الإثم، فكيف بمن فعله؟!

فكل من تغافل عن المقابح والمساوئ، وذَكَر المحاسن والفضائل؛ فله نصيب عظيم من هذا الاسم، كل من تغافل عن القبائح والسيئات، وذكر غيره بالمحاسن والفضائل؛ فله نصيب عظيم من اسم الله الغفور والغفار، فيغفر ويستر على أخيه، ومن ستر مسلمًا؛ ستره الله يوم في الدنيا والآخرة، فاللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ونعوذ بك من الشرور كلها، ومن مساوئ الأخلاق، والأقوال، والأعمال، ويكتم المساوئ؛ لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وإنما المؤمنون إخوة، فلا يليق بالإنسان أن يذم يده أو قدمه أو رأسه، فالمؤمنون إخوة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات/ ١٠].

وقال ﷺ: «**كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**» متفق عليه(١).

فإذا تعاملنا بهذه الإخوة؛ كنا يوم القيامة إخوانًا على سرر متقابلين، فاللهم ارزقنا هذه المحبة، وهذه الأخوة، وهذه الصفات العالية، فالمؤمن دائمًا يظهر المحاسن في غيره، ويكتم المساوئ، فهذا الذي يحبه الله، ويحبه الناس، فأظهر الجميل، واستر القبيح؛ يُقبل عموم الناس عليك، ويَقبلون حديثك إليهم، وينقادون لأمرك: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٥٨).

﴿مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾[النساء: ١٢٥].

فنحن بشر نخطئ ونصيب، فتارةً الشهوات تغلبنا، وتارةً العقل يؤدي بنا إلى المصائب، وتارةً الهوى يحرفنا إلى ما لا يحمد، فنكثر من قول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف/ ٢٣].

لهذا أخبرنا الله ﷻ أنه غفور يغفر الذنوب جميعًا، ويستر العيوب، فاللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا.

فأول طريق لغفران الذنوب أن تعترف بها أمام ربك الغفور الرحيم، الذي ترجو أن يغفر لك، ويستر عيوبك ويصفح عن مساوئك، كما قال يونس لربه: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾؛ فهو عرض حاله وأقر بأنه ظالم، والظالم يحتاج لمغفرة هذا الظلم فكان الجواب: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنبياء/ ٨٧- ٨٨].

وسيد الاستغفار «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» أخرجه البخاري(١).

فنحرص على كثرة الاستغفار، ومن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ أحبه وكبره وعظمه، وأخلص له العبادة، وحمده وشكره على نعمه الظاهرة من الإسلام والأرزاق، وعلى نعمه الباطنة، وهي ستر العيوب والذنوب، ودفع البلايا والمصائب: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان/ ٢٠].

وإذا قال العبد: أستغفر الله العظيم، فينبغي أن يقصد ثلاثة أمور؛ ليعظم أجره وثوابه:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الأول: اغفر لي ذنوبي، واستر عيوبي، ولا تفضحني في الدنيافي نفسي وأهلي، بين الناس، فكم من الزلات التي يستحيي العبد منها، لو كشفها الله للناس، لاستاء هذا الإنسان!

الثاني: استرني ولا تفضحني بين الناس يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء/ ٨٨- ٨٩].

استرني إذا الصحف نشرت، وجاء الحساب: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٧- ٨].

فينوي: استرني يوم القيامة، ولا تفضحني بين الناس يوم العرض الأكبر، لا تفضحني بين الناس يوم القيامة، فأستحيي من أبي وأمي، وزوجتي وأهلي، والناس.

الثالث: استرني من عذاب جهنم يوم القيامة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥ – ٦٦].

فليحمد العبد ربه على عظيم مغفرته وستره لذنوب العباد ومعاصيهم، مع كثرتها، وعظمتها، وتنوعها: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف/ ٥٨].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣]. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم/ ٤١].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري[1].

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

يا عالم الخفيات، يا كريم العطيات، يا غافر الذنوب، يا ساتر العيوب، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة والرحمة، نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا كربًا إلا نفسته، ولا ضرًّا إلا كشفته، ولا عسيرًا إلا يسرته برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(1) أخرجه البخاري برقم (   ).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسـم الله

الودود

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله الودود

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

هو سبحانه الودود الذي يحب المؤمنين به، ويكرمهم بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة.

وهو سبحانه الودود المحبوب، الودود الذي يوده ويحبه خلقه لذاته، وجلاله، وجمال أسمائه، وصفاته، وجزيل نعمه وإحسانه: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ۝٩٠﴾ [هود: ٩٠].

وهو سبحانه الودود الذي يحب ويود من أناب إليه، وذو المغفرة لمن تاب إليه، الودود لأهل طاعته، الراضي عنهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، المحسن إليهم لأجلها، المادح لهم بها، المثيب لهم عليها: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وهو سبحانه الودود الذي أظهر وده لخلقه بما سخره لهم في السماوات والأرض من النعم الظاهرة والباطنة؛ ليحبوه، ويعبدوه، ويطيعوه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

هو الودود الذي تودد إلى عباده بالنعم التي لا يحصيها إلا هو: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ۝٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو الودود الذي كل ما في الكون مظهر لعظمته، وكل ما في الكون مظهر لرحمته، وكل ما في الكون مظهر لقدرته، وكل ما في الكون مظهر لحبه، وكل ما في الكون مظهر لوده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِي

﴿ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾[الأعراف/ ٥٤].

له الأمر الكوني القدري، وله الأمر الديني الشرعي، وله الأمر الجزائي.

فسبحان ربنا العظيم الودود الذي تودد إلى خلقه بكل نعمة وكرامة وخير؛ ليتوددوا إليه بالإيمان به، وطاعته، وعبادته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة/ ٢١- ٢٢].

وقد ورد اسم الله الودود في القرآن مرتين، في سورة هود في قوله سبحانه: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾[هود/ ٩٠].

وفي سورة البروج في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾[البروج/ ١٤].

واسم الودود صيغة مبالغة بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول، فهو سبحانه الودود الوادُّ لأهل طاعته، المحب لعبيده، الذي يود ويحب أنبياءه ورسله، وأولياءه وعباده المؤمنين.

وهو سبحانه الودود المودود المحبوب الذي يستحق أن يُحَبَّ ويودَّ؛ لكثرة إنعامه، وإحسانه إلى عبيده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

فسبحان ربنا الودود الذي يتودد إلى عباده بأصناف النعم في كل مكان وزمان، الودود الذي يود ويحب من تاب إليه، وأناب إليه، وأقبل عليه!: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل/ ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾[إبراهيم/ ٣٤].

هو سبحانه الودود الذي يحبه أولياؤه الصالحون، ويملأ حبه قلوبهم، وأسماعهم، وأبصارهم، وجوارحهم، وأرواحهم، فهو أحب إليهم من أنفسهم، وأولادهم،

وأموالهم، وأوطانهم: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

وهو سبحانه الودود الذي تقرب إلى أوليائه وتحبب إليهم بالقرب منهم، وتحبب إلى المذنبين بالمغفرة والرحمة، وتحبب إلى كل الخلق بالعطاء والإحسان والإكرام والإنعام واللطف: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

- **واعلم أيها الإنسان أن الودود سبحانه يتودد إليك بطريقين:**

الأول: الود العام؛ وهذا ود لكل البشر؛ مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم.

فكل ما في الكون من النعم دلائل ظاهرة لتودد الله إليك؛ من شمس وقمر، وبحار وأنهار، وطعام وشراب؛ لعلك توده وتحبه، وتؤمن به وتعبده؛ لما تراه من ألوان وده وإحسانه وإنعامه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

كم أنواع النبات خلقه الله في الأرض من أجلك؟! كم أنواع الحيوان التي خلقها الله ﷻ في الأرض من أجلك؟! كم أصناف الطير في الجو؟! كم أنواع الأسماك في البحار؟! كم أنواع الأزهار والثمار في الأشجار؟! كل هذا من مظاهر تودد الودود إلى عباده، وهم لا يحتاجون من ذلك إلا القليل، ولكن الودود غمرهم بهذه النعم؛ ليودوه ويحبوه ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان الودود الذي غمر عباده بأنواع النعم، لعلهم يشكرونه ويحبونه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

الثاني: الود الخاص؛ وهذا الود خاص بالمؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

سيجعل الله للمؤمن والمؤمنة ودًّا في الدنيا والآخرة، يوده ويحبه الله، وكل من يحب الله،

وكل من خلق الله، فكل المؤمنين لهم من الودود حب خاص، وعناية خاصة: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور/ ٤٨].

وحين مات أبناء النبي ﷺ في مكة؛ قال الكفار: بُتِر محمد، فأنزل الله عليه سورة الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر/ ١- ٣].

وحين أخرجه الكفار من مكة؛ بكى لفراقها، فأنزل الله عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص/ ٨٥].

فالود ممتد ومتصل ومستمر من الودود على أوليائه المؤمنين في الدنيا والآخرة.

والودود سبحانه يتودد إليك بصنوف النعم؛ لأنه يحب أن تذهب إليه وحده، ولا تلتفت إلى غيره، فتتودد إليه بأنواع الطاعات والقربات: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠- ٥١].

- **واعلم أن تودد الله لعباده له ثلاث حالات:**

الأولى: أن يتودد الله إلى عبده بأنواع الإكرام والإحسان والأنعام؛ ليذكره ذلك بربه؛ ليزداد حبه لله، فيقبل على طاعته وعبادته في كل حال، فهذا بأعلى المنازل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

الثانية: أن يتودد الودود سبحانه إلى عبده بما يسعده ويسره، ولكن العبد غافل غير منتبه لذلك، قد أشغلته النعم عن المنعم، فهو غارق في شهواته، غير ذاكر لمن أسدى إليه تلك النعم العظيمة، فهذا أخسر الناس: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

الثالثة: ألا يتودد إليك الودود؛ لأنك لا تستحق؛ لأن آثار وده لم تؤثر فيك، فيقطع عنك بعض وده؛ لعلك تذكره وتتوب إليه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ

ﭐلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ
١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾
[البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧].

فسبحان الله العظيم ما أرحم الله بعباده، وما أعظم تودده إليهم بأنواع النعم:﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾[النحل: ١٨].

والله جل جلاله هو الودود الذي تودد إلى أوليائه، فعرَّفهم بأسمائه وصفاته، وآلائه وإحسانه، وعظمة ملكه وسلطانه، بما أظهره لهم في آياته الكونية، وبما أنزله من آياته الشرعية، يحبونه ويؤمنوا به ويشكروه:﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾[ق/ ٦ - ٨].

وهذا أجل أنواع الود، فهو الذي وضع كل سبب يتوددهم به، ويجذب قلوب خلقه إليه، وهذا خاص بأوليائه المؤمنين:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾[مريم: ٩٦].

وهو سبحانه الودود الذي يتودد إلى العصاة والمذنبين بعفوه ومغفرته ورحمته وإحسانه، ويتحبب إليهم، ويتودد للتائبين منهم بما شرع من الأسباب التي ينالون بها مغفرته وعفوه ورحمته، كما قال سبحانه:﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر/ ٤٩ - ٥٠].

وقال سبحانه:﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزمر/ ٥٣].

وقال سبحانه:﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

ومن كمال مودته لخلقه أنه يفرح بتوبتهم ورجوعهم إليه أشد الفرح، وأمرهم بالتوبة ليتوب عليهم.

وهو سبحانه الودود الذي تودد إلى جميع خلقه برزقه وكفايته، وآلائه ونعمه السابغة،

ونعمه الظاهرة والخفية التي بها أوجدهم وأبقاهم وأحياهم، وبها أصلحهم، وبها كمل لهم ما يسعدهم ويغنيهم ويعينهم على أمور دينهم ودنياهم، وبها هداهم للإسلام والإيمان الذي هو أكبر النعم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧].

ومن وده لخلقه أنه أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وغمرهم بأنواع النعم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢].

وقد اقترن اسم الله الودود بالرحيم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود/ ٩٠].

واقترن بالغفور في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج/ ١٤].

وفي ذلك إشارة إلى أن الله يغفر لعبده المذنب ويرحمه إذا تاب إليه، ويحبه ويوده بعد المغفرة، ويغفر له ويحبه، فإذا تاب إليه تاب الله عليه وأحبه ولو كان منه ما كان؛ وذلك لمحبة الله للتوبة والتائبين، والاستغفار والمستغفرين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

ولأن التوبة من أعظم موجبات المودة التي تقتضي الرحمة والمغفرة في الدنيا والآخرة.

ومن جلال اسم الله الودود أنه يدل على صفة المحبة، وهي صفة فعلية لله ﷻ تتعلق بمشيئته وإرادته، وتقتضي الإحسان والإنعام والإكرام والثواب.

ومحبة العبد لربه ومودته له فضل من الله وحده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

فليست هذه المحبة والمودة بحول العبد ولا قوته، وإنما بفضل الله ورحمته.

وهو سبحانه إذا أحب عبده؛ جعل المحبة لله في قلبه، فاطمأن قلبه بذكره: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

ومن جلال الودود سبحانه أنه يرزق أولياءه محبة الناس، فيحببهم إلى خلقه من أهل السماء والأرض من غير تودد منهم إليهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم/ ٩٦].

واعلم أن الكون كله بما فيه من المخلوقات، والآيات، والنعم، كله من قبل الله تودد إلى هذا الإنسان الذي كرمه الله على غيره، وكل أعمال الإنسان الصالحة تودد إلى الرب الخالق العظيم: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

هو الغفور الودود الكريم الذي خلق الإنسان قبل أن يكون شيئًا، ورزقه من كل شيء، وهداه إلى معرفة ربه، وحبب إليه الإيمان، وزينه في قلبه، وأعانه على طاعته، ووفقه لحسن عبادته، وضاعف له أجر عمله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وهو سبحانه الودود الذي خلق المودة، وعنده خزائن المودة.

هو الودود الذي ألقى المودة بينه وبين أوليائه، وألقى المودة بين المؤمنين مع بعضهم، وألقى المودة بين الأب وأبنائه، وبين الأم وأولادها، وبين الزوجة وزوجها: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الروم/ ٢١].

هو سبحانه الودود الذي من آثار مودته ما جعله بين الزوجين من المودة والمحبة، وهو من آيات الله الكبرى، ومعنى السكنى أن الرجل يكمل نقصه العاطفي بزوجته، والزوجة تكمل نقصها القيادي بزوجها، فكل واحد يكمل الآخر، والحب بين الزوجين لا يخبو؛ لأنه من آيات الله: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾ [هود/ ٩٠].

وإذا أطاع العبد ربه؛ أحبه، وإذا أحبه؛ أحبه أهل السماء، ووضع له القبول في الأرض: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم/ ٩٦].

هو سبحانه المؤمن الذي يحب الإيمان والمؤمنين، ويحب التقوى والمتقين، ويحب الإحسان والمحسنين، ويحب الصبر والصابرين، وهو سبحانه الودود الذي يحب من آمن به، ويبغض من كفر به، ويتوب على من تاب إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

هو الودود الذي يحب المؤمنين والمتقين، ويحب التوابين والمتطهرين، ويحب الصابرين والصادقين، ويحب المتوكلين والمحسنين، وأمثالهم من أهل الصفات الطيبة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ٣١- ٣٢].

ويكره الودود سبحانه الكفر والكافرين، والشرك والمشركين، والكذب والكاذبين، والكبر والمستكبرين، والمنافقين والمعتدين، والظالمين والمفسدين، والمسرفين والخائنين، وأمثالهم من أهل الصفات السيئة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج/ ٣٨].

وهو سبحانه الودود بكثرة إحسانه، الذي يوده عباده ويحبونه، المستحق لأن يُود ويُعبد ويُحمد ويُشكر؛ لكماله وجلاله وجماله، وعظيم إحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢- ١٠٣].

وهو سبحانه الودود الرحيم الذي يتحنن إلى عباده بتتابع إحسانه، ويتودد إليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، ويحب لقاءهم وقنوتهم إليه، ويفرح بتوبتهم إليه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء/ ٢٧- ٢٨].

فسبحان الرحمن الرحيم الغفور الودود الذي يحب عباده المؤمنين به، الموحدين له، العابدين له، وهم يودونه ويحبونه؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، ولما خصهم به من الهداية إلى الإسلام، وجزيل الإحسان

والإنعام: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

واعلم رحمك الله؛ أن الود هو خالص الحب، وود العبد لربه على قدر معرفته به: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وود الرب لعبده على قدر إيمانه وطاعته لربه، وإيثاره لمرضاته ومحبته له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

وإذا أحبك الودود سبحانه جعل في قلوب الخليقة في السماء والأرض مودتك ومحبتك، وأنزل لك القبول في الأرض، وإذا أبغضك؛ أمر أهل السماء والأرض ببغضك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا؛ دَعَا جِبْرِيلَ،فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ. قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ. ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا؛ دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**» متفق عليه[1].

واعلم نور الله قلبك بالتوحيد والإيمان؛ أن الحب والود والرضا خاص من الله لعباده المؤمنين، يختص به من يشاء على قدر المعرفة والإيمان والتقوى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣- ٧٤].

وود العبد لربه هبة من الودود الحق سبحانه، جعله في قلبه؛ فودَّ ربه به، وألقى في قلوب الخلائق الود له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

ومن أحبه الودود، وأحب هو الودود، رأى نعمه ابتلاءً، ورأى منعه عطاءً؛ لأن الودود

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٩)، ومسلم برقم (٢٦٣٧) واللفظ له.

أبعد عنه ما يشغله عنه، فهو عبد صابر شاكر، لكن من نوع آخر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ [لقمان/ ٣١].

لا يشغله عن عبادة ربه شاغل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

فهذا العبد الرباني المقرب يجازيه الودود سبحانه بكل ما يسره في الدنيا والآخرة؛ من لذيذ مناجاته، والأنس به، وحسن عبادته، ودخول جنته: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة/ ٢٢].

ويعذره الودود سبحانه في زلته، ويضاعف حسناته ليزيد له في ثوابه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

ومن أبغضه الله لكفره وعناده وسوء عمله؛ مَقَتَه لكفره واستكباره، وسخط عليه لكراهيته الحق وصدِّه عنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة/ ١٦١- ١٦٢].

فهذا إن كان منه عمل حسن زين له الشيطان ما يفسده به من رياء، أو عُجب، أو كِبر، أو آفة تحبطه أو تبطله، وإن أنعم عليه الكريم سبحانه استدرجه، وإن ابتلاه عاقبه، وإن هَمَّ بخير قيض له ما يصرفه عنه: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر/ ٣٤].

فتعرف أخي المسلم إلى ربك الحق سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتعرف على عظيم نعمه وإحسانه، فمعرفته تثمر تعظيمه ومحبته، ومن أحب الله فليحبه الحب كله، ويستقبل أحكامه كلها بالرضا والتسليم، ويشكره على جميع أفعاله ونعمه وإحسانه، مع كمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فعليك بشكر ربك الرحمن الرحيم الغفور الودود، ودوام الذكر له، والعمل بما يرضيه، وقبول أحكامه، والتسليم لأمره: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء/ ٦٥].

فالمحب لربه الودود حقًّا لا تراه إلا قائمًا عند باب محبوبه بظاهره وباطنه، بلسانه وجوارحه، بقلبه وقالبه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر/ ٩].

واعلم أن كل محبوب موجود في العالم فهو آية على حب الله، وجمال وكمال أسمائه وصفاته، وحجة منه على المحبين لغيره لـمّا أحبوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم، ولما أحبوا ما ليس بعلي في أسمائه وصفاته: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾[المائدة/ ٧٦].

فسبحان الله! ما أسفه من عبد غير الله، وأحب غير الله، وتعلق بغير الله! ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان/ ١٠- ١١].

فالذي خلق كل شيء وحده هو الذي يستحق أن يعبد وحده: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

فما أسفه عقول الكفار والمشركين والمجوس، وكل من عبد غير الله! لماذا لم يحبوا الملك الحق الذي بيده جلب كل خير لهم، ودفع كل شر عنهم؟ ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[فاطر/ ١٣- ١٤].

فأسفه عقول العالمين هم الكفار والمشركون: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٤ – ٦٦].

واعلم أن الحب من الودود الحق سبحانه يتوجه إلى عبده المؤمن على مراتب:

فتارة يكون بالإنعام والإكرام؛ كقضاء الحاجات، وسعة الرزق، وإدرار النعم، وإجابة الدعوات، والحبا بالكرامات، وخفي الكفايات: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ [الطلاق/ ٢- ٣].

وتارةً يكون بالابتلاء في الظاهر، فترى عبده المؤمن ينادي ربه فلا يكاد يجاب، ويسأل فلا يُعطى، ويستغيث فلا يكاد يُغاث، ليس لهوانه على محبوبه الحق سبحانه؛ لكنه سبق له في أزله أنه ينال تلك المحبة بحسن صبره على البلاء: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ۝١٩٥﴾ [آل عمران/ ١٩٥].

ويشتد بالمؤمن الأمر مع حُسن استقامته، حتى أن أبناء جنسه يرحمونه لما به من الضر والفاقة، والملائكة تغبطه بما له عند ربه من عظيم الذكر، وكريم المآب: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥- ١٥٧].

فسبحان ربنا الودود الحق الذي يتودد إلى خلقه بنعوته الجميلة، ونعمه العظيمة، وألطافه الخفية: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ۝٩٠﴾ [هود/ ٩٠].

وهو سبحانه الودود الكريم الذي أحب عباده، وتودد إليهم بحسن أفعاله، وجزيل إنعامه، وجعل في قلوبهم المحبة فأحبوه، والفضل كله راجع إليه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ [الحجرات/ ٧- ٨].

هو سبحانه الودود الذي وضع كل سبب يتودد به إلى عباده، ويجلب قلوبهم إلى وده، بما

عرفهم سبحانه من أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، ونعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

وهو سبحانه الرحيم الودود الذي يفرج عن عباده الكربات، ويدفع عنهم الكربهات، وهو الودود الرحيم الذي بيَّن لعباده الدين الحق، وهداهم إليه، وحببه لهم، وأعانهم عليه، وأثابهم عليه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة/ ٢- ٤].

واعلم ملأ الله قلبك بالإيمان، وزين جوارحك بأحسن الأعمال؛ أن جميع ما في السموات والأرض من محبوبات القلوب والأبدان كلها من كرم الرب الرحيم، وإحسانه وجوده، خلقها الله ليتودد بها إلى عباده، وجعلها شاهدةً بتوحيده، دالة على كمال قدرته: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

واعلم أن القلوب مجبولة على حب كل من أحسن إليها، فأي إحسان أعظم من هذا الإحسان من الرحمن الرحيم الذي يتعذر عده وإحصاء أجناسه وأنواعه وأفراده! ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧ – ١٨].

وكل نعمة من الودود الكريم توجب على العباد أن تمتلئ قلوبهم بمحبته وتوحيده ومودته، ومن ألسنتهم وقلوبهم حمده وشكره، وتعظيمه وتسبيحه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

والحب الصادق حقًّا لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء، وحب المؤمنين لربهم أعظم من كل حب، وإنه ليزيد في قلوبهم حتى يكون تلذذهم بمنعه، وابتلاؤهم كتلذذهم بنعمه

وإكرامه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴿١٦٥﴾﴾[البقرة/ ١٦٥].

فهم يحبون ربهم لذاته وجلاله وجماله، وجمال أسمائه وصفاته.

فسبحان الله! ما ألطفه فيما يقدره مما يجلب محبته، ويزيد مودته، ويبعث على طاعته وحسن عبادته!: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ -١٠٣].

فإذا رأيت نفسك أخي المسلم تحبه وهو يبتليك؛ فاعلم أنه يريد أن يطهرك ويصطفيك، فاصبر لحكم ربك، واستغفر من ذنبك؛ فإن ربك رحيم ودود يريدك له: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[الحجر/ ٩٧- ٩٩].

فسبحان الملك الحق الغفور الودود الذي يتودد إلى خلقه بأنواع الرحمة والعفو والمغفرة، وأنواع الإكرام والإحسان والإنعام، وأنواع الإجابة والهداية والكفاية واللطف: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس/ ٣].

واعلم أن كل ود وحب ورحمة وحنان موجود في المخلوقات فمن آثار وده وحبه ورحمته وحنانه جل جلاله، ولا ريب أنه موجود في عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان، ثم يزداد ظهورًا وقوةً في المؤمن، ثم في الولي، ثم في النبي، ثم في الملائكة الذين: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٩- ٢٠].

والذين: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم/ ٦].

يزداد ذلك الحب والود لله حسب زيادة المعرفة بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومشاهدة عظمة آياته ومخلوقاته، ومطالعة نعمه وإحسانه، وتدبر كتابه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فما أعظم حب الله لعباده المؤمنين! وما أوسع رحمته بهم! وما أعظم إكرامه لهم! وما أحسن مودته لهم! ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾ [هود/ ٩٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

إن العبد يشرد عن ربه فيقصر في الواجبات، ويتجرأ على المحرمات، والله الحليم بستره يستر عباده، ويحلم عليهم، ويمدهم بالنعم، ثم يقيض لهم من الأسباب ما يرجعهم إليه، ويتوب عليهم، ويغفر لهم تلك الجرائم، ويمحو عنهم ما أسلفوه من الذنوب، ويعيد عليهم وده ومحبته: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج/ ١٥- ١٦].

ومن كمال مودته سبحانه للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**» متفق عليه(١).

واعلم رحمك الله؛ أن الودود سبحانه من أحبه من أوليائه، وتقرب إليه بما يحب؛ أحبه الله، ورزقه حسن عبادته، وجعله إمامًا يهتدي الناس به، وجعله مجاب الدعوة، ووجيهًا في الدنيا والآخرة: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة/ ٢٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي**

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٨)، ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له.

لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري[1].

أما مودة أولياء الله له فهي روحهم وحياتهم، بها تلذذوا بعبادته، وبها حمدوه وذكروه، وبها لهجت ألسنتهم بذكره، وبها تحركت جوارحهم بعبادته، وبها ذرفت دموعهم من أجله.

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

وبهذه المودة والمحبة صارت جميع محابهم الدينية والطبيعية تبعًا لهذه المحبة.

أما المحبة الدينية فإن أولياء الله لما أحبوا ربهم؛ أحبوا أنبياءه، ورسله، وكتبه، وأولياءه، وأحبوا كل عمل يقرب إليه، وأحبوا كل ما أحبه ربهم من زمان ومكان، وأعمال وعمال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان: ٦٣ – ٦٤].

وأما المحبة الطبيعية؛ فإنهم تناولوا شهواتهم التي جُبلت النفوس على محبتها على وجه الاستعانة بها على ما يحب مولاهم بنية امتثال أوامر الله عند تناولها؛ فصارت عاداتهم عبادات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة/ ١٧٢].

فسبحان الودود الذي يتحنن إلى عباده بكل ما يكون سببًا في مودتهم له، وحبهم له، وعبادتهم له: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[البقرة: ٢٤٣].

واعلم أن حنان المخلوق رأفة في النفس، ورقة في القلب، وميل مفرط في الجبلة لحب ورحمة من يحن إليه وعليه، والله الرحيم الودود الذي ليس كمثله شيء أتمُّ حنانًا وأشد

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

رأفةً ورحمةً بعباده المؤمنين من أنفسهم: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣﴾ [مريم/ ١٢- ١٣].

واعلم أن الحنان والود والمحبة والرحمة مما ينزل من صفات الحق إلى الأرض، وتنشأ من لدن عالم الجماد إلى عالم الملائكة، كما تحن الطيور إلى أوكارها، وكما تحن الحيوانات إلى أولادها، وكما حن الجذع إلى النبي ﷺ حين ترك الخطبة عليه في صلاة الجمعة.

فلا إله إلا الله! كم ملأ الكون بحنانه وإحسانه، ومخلوقاته وآياته! ومن ملأ الكون بنعمه وإحسانه؛ فيجب أن نملأه بحمده وشكره وذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤٢- ٤٣].

ومسالك الحنان من الرب في أصناف العالمين ظاهر بالرحمة التي عم بها جميع خلقه، واللطف الذي عم كل مخلوق: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾ [الأنعام/ ١٠٢- ١٠٤].

فانظر نور الله بصيرتك بالعلم والإيمان إلى الجنين في بطن أمه كيف حن عليه اللطيف، فخلقه وصوره بأطواره! وكيف سهل خروجه! وكيف حنن عليه أبويه وكافليه! وكيف جعل الرحيم في قلوبهم الشفقة عليه! وكيف لطف في تغذيته في أطواره وبعد خروجه! ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩﴾ [السجدة/ ٦- ٩].

فهذا حنانه جل جلاله بالآدمي وغيره من أنواع الحيوان في البر والبحر والجو.

فإن كان هذا المولود الآدمي قد سبق له القضاء بالهداية؛ وفقه الكريم للإيمان والعمل الصالح، فاتصل له الحنان أوله بآخره، فسعد في الدنيا والآخرة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

التعبد لله ﷻ باسمه الودود

من عرف الله ﷻ باسمه الودود؛ كبره وعظمه، وأحبه وأثنى عليه، وحمده وشكره، وأطاعه ولم يعصه، وأفرده بالعبادة وحده لا شريك له، وتوكل عليه وحده، وذلك لما يراه من كمال قدرته، وعظيم إحسانه، وعموم لطفه بعباده، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة جلاله وجماله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يتودد إلى الناس بكل خير؛ ليحبوه ويقبلوا قوله، فيكرمهم بما يستطيع من أنواع الإحسان، فيحلم على سفيههم، ويعفوا عمن أساء إليه منهم، ويطعم فقيرهم، ويعلم جاهلهم، ويواسي بائسهم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣- ١٣٤].

ويتودد إلى ربه بفعل الأسباب التي تقتضي محبة الله له بطاعته وعبادته وحده لا شريك له، واتباع رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

ويحب كل من أحبه الله ورسوله، ويعادي من أبغضه الله ورسوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة/ ٢٢].

وليس العجيب من فقير يتودد لغني، ومن صغير يتودد إلى كبير، ومن ضعيف يتودد إلى قوي؛ بل العجيب من غني يتحبب ويتودد إلى فقير، لكمال رحمته بخلقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وليس الشأن أن تحب الله فقط؛ بل الشأن كل الشأن أن يحبك الله، فبادر إلى طاعة الله ورسوله؛ ليحبك الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران/ ٣١].

وبادر رحمك الله إلى أداء الفرائض والتقرب إلى الله بالنوافل؛ ليحبك الله.

وحظك من هذا الاسم الكريم أن تحبِّب الناس إلى ربهم بتعريفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتذكر لهم عظيم إنعامه وإحسانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩- ٥٠].

ومن عرف الله حقاً وحده حقاً: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢- ٢٤].

وذكِّرهم بآلاء الله ونعمائه، وعقوبته وانتقامه، فإذا عرفوا نعمه؛ عظموه وأحبوه، وأطاعوه وعبدوه، وإذا عرفوا شدة بلائه وبطشه؛ خافوا منه ولم يعصوه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

وأحب لأخيك ما تحب لنفسك، فعلامة الإيمان حب إخوانك المؤمنين، فالمؤمن إذا تفوق أو اغتنى؛ فتفوقه وغناه للمؤمنين عمومًا، فافرح لكل مؤمن بعطاء الله له، فالأرزاق مقسومة بين الخلق: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

أما إذا تألمت من ذلك؛ فذلك علامة بغضك لأخيك، وذلك من علامات النفاق: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة/ ٥٠- ٥١].

والله سبحانه ودود رحيم بعباده، إذا أحب وفق، وإذا أحب أحسن، وإذا أحب أعطى، وإذا أحب أعان، وإذا أحب حفظ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل/ ١٢٨].

والإنسان إذا أحب ربه خضع له، وسجد لكبريائه:﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة/ ١٥- ١٧].

واعلم أن الودود سبحانه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، لكمال وده ومحبته ورحمته بعباده.

قال النبي ﷺ:«**يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَيَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟**» متفق عليه[1].

فمن أراد أن يحصل له الود كله؛ فليبادر إلى الأعمال الصالحة فرضها ونفلها:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾[مريم/ ٩٦].

فاسأل الله أن يحبك، وتضرع إليه أن يتقبلك، ومن دعاء النبي ﷺ:«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ**» أخرجه الترمذي[2].

والله ﷻ هو الغفور الودود، الكريم ، الرؤوف الرحيم، الذي منَّ على جميع مخلوقاته بالنعم الظاهرة والباطنة، ومنَّ على بني آدم بنعمة الخلق والإيجاد، ونعمة القوت والإمداد، ونعمة الهداية والإسعاد:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾[المائدة/ ٣].

فاشكر ربك الودود على نعمه وآلائه، واستغفره من التقصير عما يستحقه من الشكر والعبادة، وتضرع إلى مولاك الودود أن يتولاك في جميع أمورك، وأسأله أن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يتحمل عنك ما عجزت عنه من الشكر لربك، وأن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٢١)، ومسلم برقم (٧٥٨) واللفظ له.
(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٠).

يصفح عن تقصيرك في أداء واجباته وحقوقه، وقل صادقًا: لا إله إلا أنت، سبحانك، إني كنت من الظالمين.

واستغفر ربك الودود من كل ما تعلمه وما لا تعلمه من الذنوب، فإنه غفور ودود، وقل منكسرًا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

واعلم رحمك الله أن زبدة الإيمان واليقين حسن الظن بالله؛ فأحسن الظن بربك في جميع أحوالك، في حال السراء، وفي حال الضراء، فمن أحسن الظن بربه؛ أحبه، وقضى حوائجه؛ لأنه الكريم الرؤوف الرحيم الذي لا يرد سائلًا، ولا يخيب مؤملًا أبدًا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فكن مع مولاك الكريم بالذكر والعمل الصالح ما حييت؛ يعطك من خزائنه ما تريد، فمن كان لله؛ كان الله له ومعه في كل حال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله ﷻ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي؛ أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» متفق عليه[1].

فهو سبحانه الكريم الودود، الباسط يديه بالعطايا في الشدة والرخاء، والعطاء أحب إليه من المنع، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والإحسان أحب إليه من العدل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم/ ٢٧].

وهذا هو المثل الأعلى الذي اختص الله به على الكمال جل جلاله، فخذ منه على قدر ما تستطيع، فإن الله يحب من عبده أن يتصف بصفاته التي تليق به، ولهذا بينها الله في كتابه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

فتعبد لله بموجب أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فسبحان الملك الحق الغفور الودود الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠- ١١١].

واعلم حفظك الله؛ أنه يجب على الإنسان كما تودد إليه ربه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ أن يتودد ويتقرب إلى ربه بجعل حياته كلها، وأوقاته كلها، في طاعة مولاه، وعبادة ربه الودود، والإحسان إلى خلقه: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١- ١٦٣].

واعلم رحمك الله أن المودة والمحبة من العبد لربه تستبين بحسن الموافقة والطاعة لمولاه، ودوام ذكره وشكره وحسن عبادته، والمسارعة إلى ما يحبه ويرضاه، ومحبة تلاوة كتابه، واتباع رسوله ﷺ، ومحبة كل ما يحبه ربه من الأقوال والأعمال والأخلاق وغيرها، فكن ذلك المحب رحمك الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢- ٤].

ومن دلائل حب العبد لله: حب الرسول ﷺ، واتباع سنته، وحسن الاقتداء به: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران/ ٣١].

ومن علامات حب الله: ترك الشكوى إلى غيره، وكتمان ما حكم به عليك من الضيق والشدة، وتفويض الأمر إليه وحده، كما قال يعقوب ﷺ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف/ ٨٦].

فمفاتيح كل شيء ومقاليد كل شيء بيد الله جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢- ٦٣].

ومن دلائل حب الله جل جلاله: عدم الإقبال على الدنيا، وتقديم أمور الآخرة على أمور الدنيا: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢٠ – ٢١].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

ومن علامات حب العبد لربه: حب التعرف على أسمائه وصفاته، والعمل بشرعه، والدعوة إليه، وتعليم أحكام دينه، ولزوم هذا الطريق حتى الموت: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

ومن علامات حب العبد لربه: كثرة ذكره، وكثرة النظر والتفكر في عجائب مخلوقاته، وتدبر معاني كتابه، وحسن الثناء عليه، وطول القيام بالليل في مناجاته: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥ – ١٧].

ومن علامات حب العبد لمولاه: صدق الانقطاع إليه في كل حال، وسبق النظر إليه عند كل حادثة، والأنس به، والطمأنينة بذكره، وحسن الأدب والافتقار بين يديه، وتسليم القلب والبدن إليه بحسن السمع والطاعة له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

ومن علامات حب العبد لمولاه طول القنوت بين يديه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

واعلم أن محبة الله تُنال بترك المناهي أكثر من منالها بفعل الأوامر، فالأعمال الصالحة يعملها البر والفاجر، والكف عن المناهي والمعاصي مع فعل الأوامر لا يكون إلا من صدِّيق رباني، فتقرب إلى ربك بفعل الأوامر، واجتناب المناهي؛ تكن ربانيًّا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧ - ١٨].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر/ ١٠].

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» أخرجه البخاري(١).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

اللهم يا غفور يا ودود، يا ذا العزة والجبروت، يا بديع السموات والأرض، يا من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، نسألك رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك، وعافية نقوى بها على طاعتك، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك.

اللهم ارحمنا بترك المعاصي أبدًا ما أبقيتنا، وارحمنا أن نتكلف ما لا يعنينا، وارزقنا حسن النظر والعمل فيما يرضيك عنا يا أرحم الراحمين.

اللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، وارزقنا حسن التودد إليك بتوحيدك والإيمان بك، والعمل بطاعتك.

وارزقنا حسن التودد إلى خلقك بما يؤلف قلوبهم على دينك، يا ذا الجلال والإكرام.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

البر

اسم الله البر

الله ﷻ هو البر، الواسع الخير والفضل، البار عباده بما ينفعهم ويصلحهم، الصادق في أخباره، وفي وعده ووعيده، المحسن إلى خلقه، الرحيم بهم، الودود لهم، المكرم لهم بأنواع الكرامات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وهو سبحانه البر اللطيف بعباده، الذي عم ببره جميع خلقه، ووسعهم برزقه وإحسانه.

هو البر الغني الذي يملك خزائن البر كلها: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١)﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو سبحانه البر الرحيم بعباده، المحسن إليهم بكل نعمة، الذي عم جميع خلقه بعطائه، البر بالمحسن بمضاعفة الثواب له، والبر بالمسيء بالصفح والتجاوز عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥)﴾ [الحج/ ٦٥].

وهو سبحانه البر الرفيق بعباده، الذي يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، ولا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون، العفو الذي يعفو عن سيئات العباد، الكريم الذي يجزيهم بالحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، ولا يجزيهم بالسيئة إلا واحدة يمحوها بالتوبة أو برحمته: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)﴾ [الشورى/ ٢٥].

فسبحان البر الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده، ويعطي الأجر الجزيل على العمل القليل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

هو البر الحق بعباده، الذي وسعهم خيرًا وكرمًا، وفضلًا وإحسانًا، وحمدًا وشكرًا، ومغفرةً وعفوًا، ورحمةً وودًّا: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٢- ٥٣].

وقد ورد اسم الله البر في القرآن مرةً واحدة في قوله سبحانه عن أهل الجنة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور/ ٢٦- ٢٨].

والبر كلمة جامعة لكل صفات الخير، والفضل والإحسان، والبر ضد الإثم، كما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

وقد اقترن اسم الله البر بالرحيم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور/ ٢٨].

وسر ذلك والله أعلم أن البر هو اللطيف بعباده، الرفيق بهم، المحسن إليهم بأنواع الإحسان، وذلك كله من آثار وموجبات رحمته التي وسعت كل شيء: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر/ ٧].

فسبحان ربنا البر الرحيم اللطيف بعباده، كثير الخير والعطاء في كل حين، لا ينفد عطاؤه، ولا ينقطع إحسانه، ولا تنقص خزائنه: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦]

هو البر الكريم الذي يُعطي من يشاء، كيف شاء، بقدر ما شاء، على مر الدهور، ومن أَكرَم الله من خلقه فلا مهين له، ومن أهان فلا مُكرم له.

وأعظم الكرامات أن يكرمك البر بالإيمان والهدى، ولو كنت فقيرًا مبتلى، وأعظم الإهانات أن يهينك الله بالكفر والفسوق والعصيان، ولو كنت وجيهًا من أهل الثرى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ

﴿وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج/ ١٨].

وهو سبحانه البر بعباده، البر الذي كل بر وإحسان وخير منه وحده لا شريك له.

فهو البر بعباده المحسن إليهم في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فبما أسبغ عليهم من النعم والأرزاق، وبما هداهم إليه من التوحيد والإيمان والطاعات: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة: ٢ - ٤].

وأما في الآخرة فبما وعد الله المؤمنين به من الثواب العظيم، ودخول الجنة، ورضوانه على من آمن به ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].

هو سبحانه البر الرحيم الذي مَنَّ على السائلين بحسن العطاء، وتفضل على المحسنين بجزيل ثوابه، وامتن على المسيئين بحسن إمهاله، والصفح عنهم، والمغفرة لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

هو سبحانه البر الرحيم الذي لا يقطع الإحسان بسبب الكفر والعصيان، بل يُدِرُّ إنعامه في الليل والنهار.

هو سبحانه البر الذي لا أبر منه، فمع كمال غناه عن عباده، وكمال فقرهم إليه؛ يبرهم بنعمه، وهم يكفرون به، ويعصونه، ويحاربونه بنعمه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ [غافر/ ٦١].

فأيها العبد كنت معدومًا فأوجدك الله، وكنت فقيرًا فأغناك البر، وكنت عاريًا فكساك البر، وكنت جاهلًا فعلمك البر، وكنت مريضًا فشفاك البر: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل/ ٥٣].

هو سبحانه البر الذي من اتصل به فهو آمن في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام/ ٨٢].

هو سبحانه البر الذي كل بر في العالم فمن آثار بره العظيم، هو البر الذي خلق كل بر وبار: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه البر الذي إحسانه وإنعامه وبره ليس له حد، فبره بعباده لا ينقطع في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾[ص/ ٥٤].

هو سبحانه البر الذي يربيك ويطهرك بالبلاء؛ لتكون من الأبرار الأتقياء الذين خصهم ببره: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾[الانفطار/ ١٣].

نعيم في الدنيا، ونعيم في القبر، ونعيم في الجنة.

هو سبحانه البر الذي طهر قلبك من الرياء والنفاق، وطهر لسانك من الكذب والغيبة والنميمة، وطهر بصرك من الخيانة، وطهر جوارحك من المعاصي، وطهر أعمالك من البدع، إنه هو البر الرحيم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب/ ٣٣].

هو سبحانه البر ذو الإحسان والبر الباهر المتوالي المنهمر الذي عم كل أحد في الدين والدنيا والآخرة: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم/ ٣٤].

هو سبحانه البر الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

ومَن هذه صفاته، وهذه أفعاله، وهذا بره بعباده؛ أيليق بالإنسان أن يعصيه، ويخالف أمره من بين خلقه؟! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار/ ٦- ٨].

والله بر رحيم بعباده، يدعو من عصاه ويتودد إليه أن يتوب إليه، ويذكره ويرغبه بالرجوع إليه مهما كان ذنبه: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾ [المائدة/ ٧٣- ٧٤].

وقال ﷻ: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

والعبد المسلم بَر بربه؛ يؤمن به، ويوحده، ويحمده، ويشكره، ويسارع إلى مرضاته، ويجتنب ما يكرهه، ويراقب أمره ليطيعه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر/ ١٧- ١٨].

ويتذلل المؤمن لعظمة ربه، ويتصاغر لكبريائه، ويسبح بحمده، ويؤدي إليه حقه: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٥- ١٧].

فسبحان ربنا البر الكريم الرحيم الذي عم الكائنات كلها ببره، وإحسانه وفضله، وعطائه، وإنعامه، فهو مُولي النعم، دافع النقم، واسع العطاء، دائم الإحسان، ليس لبره حد، وليس لكرمه مقدار، ذو الكرم الواسع، وذو العطاء الجزيل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو سبحانه البر المحسن إلى خلقه بكل خير؛ لأنه خلقهم ليسعدهم، ويكرمهم، ويحسن إليهم، يربيهم بالنعم ليحبوه، ويربيهم بالشدائد ليتضرعوا إليه، ويفروا إليه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

هو سبحانه البَر المحسن بالبِر المطلق، الذي بره وسع جميع خلقه، هو البر الذي لا يقطع الإحسان بسبب العصيان، البر الذي ينعم على من أطاعه وعصاه؛ لأنه لا رب غيره، ولا إله سواه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ١٨- ٢٢].

مذمومًا لا حامد لك، مخذولًا لا ناصر لك.

فسبحان الملك البر المحسن إلى جميع خلقه، الذي يحسن إلى السائلين بحسن عطائه، ويتفضل على العابدين بجزيل ثوابه، الذي كل أفعاله حسن مليح: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/ ٣١- ٣٢].

هو سبحانه البر الذي عم خيره وإحسانه جميع خلقه، البر بعباده، الذي دلهم عليه، وبين لهم كل ما يقربهم إليه، وحبب إليهم الإيمان به، وحسن عبادته، وكرّه إليهم كل ما يبعدهم أو يشغلهم عنه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧- ٨].

فسبحان البر الرحيم الذي انتفع بأنواع بره وإحسانه جميع خلقه، وخص من آمن به وأطاعه بمزيد من البر والإحسان: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ

ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الأعراف/ ٣٢].

- **واعلم رحمك الله أن بر الله بخلقه نوعان:**

الأول: بر عام: وسع الخلق كلهم من بني آدم وغيرهم بما قسم لهم الكريم من الأرزاق والنعم والعطايا في كل زمان ومكان، فمنه جل جلاله نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية العامة: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود/ ٦].

الثاني: بر خاص: وهو هداية الكريم جل جلاله لمن شاء من خلقه لهذا الدين القيم، والله أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته، وتوفيق هؤلاء للإيمان به وطاعته: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧].

وبر الله بعباده المؤمنين لا يمكن عده، ولا إحصاؤه، ولا حصره، ولا الوقوف على آحاده: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[النحل: ١٨].

هو الملك الحق الذي ابتدأ الخلق بجوده، وجاد على عباده بفضله، وأحسن إليهم بفعله، وتقديره، وتدبيره، وأوصل إليهم البر والخير في كل مكان وزمان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء/ ٧٠].

هو سبحانه البر الكريم الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأعطى الغنى، وأسبغ النعماء، وأجزل المواهب، ويسر الأرزاق، وأجاب الدعاء، وعلم الإنسان ما لم يعلم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو البر الرحيم الكريم الفياض بالخير، الذي يعطي ويغني ويثري، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٦٨﴾﴾[يونس/ ٦٨].

فالله غني، وكل ما سواه فقير إليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥].

وهو البر النصير، ملاذ المستجير، وجابر الكسير، وشافي المريض، وراحم المسكين، ومعين المستعين، ومغني الفقير، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر/ ٦١].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي إليه المنتهى، وإليه المرجع والمآب، وإليه المفزع والملجأ في الشدائد والأهوال، الذي يتكرم بالعطيات، ويدفع الكريهات، ويفرج الكربات والمتعسرات: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

أوضح جل جلاله براهين الهدى، وأبان دلائل اليقين، وأعلن شواهد التوحيد، في الملك والملكوت: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١].

فسبحان البر الكريم الذي بين الحق في كل شيء، وسهل العمل به، والدعوة إليه، وبين الصفات والأعمال والسبل التي يستحق بها العبد المزيد من التكريم، وضاعف أجر من قام بها: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١- ١١].

واشترى سبحانه أحسن الناس أقوالاً وأعمالاً وأخلاقاً: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

هو سبحانه البر العليم وحده بمضمرات القلوب، الخبير بمحجوبات الغيوب، المطلع على خفيات الأسرار والأوهام: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣ – ١٤].

فسبحان الله! كم من كافر ومشرك ومنافق، وكم من ظالم وفاسق وكاذب، لم ينههُ عقله، ولم تؤثر فيه نعم ربه، فعصى ربه، وأطاع هواه، واستعمل نعمه في معصيته: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

والله البر الرحيم يشاهد ذلك كله ويعلمه، ثم أنزل به الكريم بره وفضله، ومَنَّ عليه برحمته، فهداه إليه، فأذهب عنه السوء والشك والريب، وأذهب وحشته، وسكَّن اضطرابه، وتاب عليه، وقوم اعوجاجه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء/ ٢٧– ٢٨].

ثم بوأه الكريم كنفه، وآواه إلى ظله، وتلقاه برحمته؛ فأقامه وأصلحه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس/ ٦٠].

ثم فتح الكريم البر له أبواب فضله، وفتح له أبواب عبادته، وألبسه لباس التقوى، ثم نشر له ثوب الثناء بين الخلق، فصار بين الناس حميد الاسم، حميد الذكر، حميد الفعل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

فسبحان الرب البر الحق الذي يكرم خلقه في كل مكان، ويحسن إليهم في كل وقت، ويحب البر، ويحب أهل البر، ويحب أعمال البر، ويجازي عليها بالهدى والفلاح والرفعة في الدنيا والآخرة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فجاهد نفسك رحمك الله على القيام بجميع أنواع البر؛ تنلْ أعلى أنواع الثواب: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [آل عمران/ ٩٢].

ومن جوامع بره بخلقه ما سخره لهم من أنواع الظاهرة والباطنة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٢ – ٣٤].

واعلم أن البر اسم جامع للخيرات كلها، ولا ينال العبد بر الله تعالى إلا باتباع ما يفضي إلى مرضاته ورحمته، وذلك بالاستقامة على طاعته وعبادته وحده لا شريك له، وبذل كل محبوب في سبيل مرضاته جل جلاله.

وقد بين الله ﷻ جميع أعمال البر في آية واحدة، في قوله سبحانه من سورة البقرة: ﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة/ ١٧٧].

- **فاقطع من وقتك أوقاتًا للتجارة مع ربك للقيام بأعمال البر كلها:**

فأولها كما ورد في الآية: الجانب الإيماني: ليزيد إيمانك، وتحسن أعمالك.

وأما الجانب العملي فأوله البذل في وجوه البر إحسانًا إلى الخلق.

وأما العبادات التي تصل المخلوق بخالقه فأعظمها الصلاة.

وأما المعاملات التي تجمع المخلوق بالمخلوق على المحبة فهي الزكاة والصدقة.

وأما العبادات الأخلاقية فهي الوفاء بالعهد، والصبر في كل حال.

واعلم أن من شروط البر أن تبذل الأحسن، وتعطي الأفضل من الأموال، والأخلاق، والمنافع، من أجل مرضاة الله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران/ ٩٢].

واعلم أن الكفار يأكلون من رزق الكريم، ويتمتعون به في الدنيا قليلًا، ثم يساقون إلى النار يوم القيامة، فلا يغرنك ما هم عليه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٦- ١٩٧].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد/ ١٢].

أما المؤمنون بالله ﷻ المتقون له؛ فلهم مع عز الدنيا جنات الآخرة؛ نزلًا من البر الكريم لعباده الأبرار الذين برت قلوبهم بالتوحيد والإيمان، فبرت أقوالهم وأفعالهم؛ فأثابهم البر الرحيم من بره أجرًا عظيمًا، وفوزًا دائمًا: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين/ ٢٢- ٢٦].

وكتاب هؤلاء الأبرار في أعلى مكان، وهم في أعلى الجنة، وكتابهم يشهده المقربون من الملائكة والأنبياء والأبرار: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين/ ١٨- ٢١].

وما يحصل لهؤلاء في الدنيا من الشدة والعناء فهو بالنسبة إلى النعيم المقيم في الآخرة نزر يسير، وهو منحة في صورة محنة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

فلله ماذا ينتظر هؤلاء الأبرار والأخيار من النعيم والبهجة والسرور! ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧].

هو سبحانه البر الذي يبر بوعده في الدنيا والآخرة، فهو بر لا يخلف الميعاد: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم/ ٦].

وهو سبحانه البر الذي يحب دعاء عباده: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وهو سبحانه البر الذي يفرح بعبادتك، فيغمرك ببره جزاء عبادتك له، ويضاعف لك أجرها، ولا يضيع عليك أجر أي عبادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُسْلِمًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ**» أخرجه مسلم(١).

هو سبحانه البر ذو الإحسان بلا حدود، فإحسانه دائم لا ينقطع في الدنيا والآخرة، وإحسانه إلى خلقه كبير وكثير وعظيم، فهو سبحانه البر دائم البر والإحسان والرحمة: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [الطور/ ٢٨].

هو سبحانه البر الصادق في أخباره، الصادق في وعده، الصادق في وعيده، الصادق في محبته، الصادق في رحمته، الصادق في تربيته، الصادق في كلامه: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر/ ٧٤].

وقال ﷻ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعام/ ١١٥].

وقال ﷻ: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ٢٧﴾ [الفتح/ ٢٧].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ**» متفق عليه(٢).

هو سبحانه البر الذي أظهر الجميل، وستر القبيح، وغفر الذنوب، وضاعف الأجور، وقبل توبة التائبين، وغفر للمستغفرين: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

فسبحان ربنا العظيم الذي وصل بره وإحسانه إلى جميع مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة! ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومن هذا بره، وهذا إحسانه، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

ومن بره بعباده أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وعرفهم بالحق: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٩].

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

من عرف الله ﷻ باسمه البر أحبه؛ لما يراه من عظيم كرمه، وإحسانه، وإنعامه، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى.

وسعى في إظهار وتحقيق هذه المحبة بالإكثار من ذكر ربه بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

من عرف ربه باسمه البر أفرد الله وحده بالعبادة، وفعل ما يرضي الله ﷻ، واجتنب ما يسخطه، وبادر إلى التوبة من كل ذنب وقع فيه، واستحيا من الله في كل وقت، فمع كثرة المعاصي من الخلق؛ فالبَر سبحانه لم يقطع عنهم بره وإحسانه، ولم يمنع عنهم عطاءه وكرمه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ

﴿إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال/ ٢-٤].

وما أعظم بر الرب بعبده العاصي! حيث ستره حال ارتكاب المعصية، مع كمال رؤيته له، ولو شاء البر لكشف ستره، وفضحه بين الخلق، وذلك من كمال بر الرب بعبده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾[البقرة: ١٤٣].

ومن عرف ربه باسمه البر تعلّق به وحده، وتوكل عليه وحده، وفوّض أموره إليه وحده؛ لأنه البر الذي لا أبرّ منه، الكريم الذي لا أكرم منه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات/ ٥١].

التعبد لله ﷻ باسمه البر

حظ العبد من هذا الاسم الكريم البر أن يكون برًّا بجميع الخلق؛ يدعو الضال، ويعلم الجاهل، ويواسي المحتاج، ويكرم أهل الفضل، ويحسن إلى الناس بقوله وفعله، وماله وجاهه، ويغيث الملهوف، ويرحم الخلق، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو

عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

والبر هو رد على الخير بخير؛ فالله برّك بكل خير، فكن من الأبرار الذين يردون على الجميل بالجميل، فكما برّك الله بكل خير؛ فآمن به، وأطعه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأحسن كما أحسن الله إليك، وأحسن إلى نفسك، وأهلك، وأقاربك، وجميع الخلق؛ تكن من الأبرار: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران/ ٩٢].

والبر هو التوسع في الخير الموصّل إلى الجنة ورضوان الله، فسارع إلى كل طاعة، وسابق إلى كل فضيلة، ونافس في كل ما يرضي الله ﷻ، وادع الناس إلى ذلك، واصرف كل أوقاتك في أنواع البر والإحسان؛ تكن من الأبرار السابقين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-١٢].

واعلم وفقك الله لأعمال البر أن أوائل البر: أداء الفرائض، واجتناب المحرمات، والأبرار من الخلق هم المؤمنون الصادقون في القول والعمل، وبالتوسع في أعمال البر، والمسابقة إلى الخيرات، يصعد الأبرار إلى درجة المقربين من الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-٢٦].

فعليك بتحري الصدق في جميع الأحوال، والأقوال، والأفعال، ظاهرها وباطنها، فنعم المركب الصدق.

وميز بين ما يكون حسنًا وما هو أحسن، وبين ما يكون برًّا وما يكون إثمًا، ثم افعل البر والأحسن مما يحبه الله ويرضاه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

وعن النّواس بن سمعان الأنصاري ﷺ قال: سألت الرسول ﷺ عن البر والإثم، «**قَالَ: الْبِرُّ حُسْنُ الْـخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**» أخرجه مُسْلِمٌ(١).

واعلم أن التعبد لله بهذا الاسم الكريم يدور على حسن الثناء على المولى، وتذكر الآلاء والنعم، والتعرف على مواقع النعماء، والعلم بمسالك بِرِّه وجُوده في ملكوته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ [الرعد/ ٢-٣].

فهذا من بر ربنا العظيم، فأخلص لربك البر العظيم العمل، وأوفي له بالعهد، وخصّه بالحب والود، وأكثر له من الحمد والشكر، وأحسن إلى خلقه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة/ ٥].

وقال ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

وسل الله البر أن يصل نعمه عليك في الدنيا من الصحة، والإيمان، والطاعات، والأعمال الصالحة، بنعمه في الآخرة؛ من رضوانه، ورؤيته، ودخول جنته: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣).

﴿مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ [البقرة/ ٢٠٠-٢٠٢].

واشكر ربك البر الرحيم الذي ألوان بِره بعباده لا يحصيها إلا هو، ثم استعمل نفسك في كل عمل يحبه الله ويرضاه فيما بينك وبينه، وفيما بينك وبين خلقه، وبر والديك بأحسن ما تملك من الخُلق والمال والجاه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥﴾ [الإسراء/ ٢٣-٢٥].

- **فالدين ركنان:**

عبادة الحَقّ .. والإحسان إلى الخلق.

ومن أعظم أنواع الإحسان: بر الوالدين اللذين هما سبب وجودك.

وبرَّ أهلك، وعشيرتك وأقاربك بما برّك الله به، وأعطاك منه، وأنفق مما خولّك من فضله، يُخلِف الله عليك خيرًا منه: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ/ ٣٩].

واعلم أن أعظم البر معرفة من خلقك، ومعرفة ما يحب، والعمل بمقتضى ذلك، والدعوة إليه بين خلقه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٥].

وغُض البصر، واكظم الغيظ، واصبر على أذى الناس، وأعرض عن كل جاهل، وأحسن إلى كل مسيء إليك؛ تكسب مودته، ويندفع عنك شره.

واصفح الصفح الجميل عن كل من أساء إليك، وأَقِلْ عثرات الناس، وأسدِل الستر على زلاتهم، وطيّب قلوبهم بالبر والجود وحسن الخلق؛ يحبك الله والناس، وتحل عقدة عداوتهم بحسن خُلقك: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف/ ٢٠٠].

وأحسن إلى كل أحد؛ تكسب أجره، وتظفر بمودته، وتكون سببًا لهدايته ونفعه، فمن كان كافرًا، أو مشركًا، أو مجرمًا، أو سيئًا، أو عاصيًا، وهو لا يعاديك؛ فأحسن إليه، وتلطف معه، وأكرمه؛ عسى أن تكون سببًا لهدايته وتوبته: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة/ ٨].

وكما ذكّرك غيرك فاهتديت؛ فذكِّر غيرك، وكما أحسن الله إليك؛ فأحسن إلى خلقه، وكما أنعم الله عليك بنعمة الهداية؛ فأنعم على غيرك بنعمة الدعوة والبلاغ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل/ ١٢٥].

واعلم أن سلعة الله غالية، وسلعة الله هي الجنة دار السلام، ومن توهم أن ثمن الجنة ركعتان يؤديهما، أو درهمان ينفقهما فقط، وبعد ذلك يفعل ما تشاء، فهو مخطئ.

فالدين بذل، وعطاء، وعبادة، ودعوة، وجهاد، وصبر، وإيمان، وتقوى، وعبادة الحق، ومحاسنة الخلق، وما أكمله الله لا بد من تكميله، ومن قام بالدين كله؛ نال الثواب كله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة/ ٣].

فاتق الله أن يجدك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

ومن قدم هوى نفسه على هدى ربه أخزاه في الدنيا والآخرة: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥].

فسارع وسابق إلى الخيرات والفضائل والمحاسن كلها، واحذر ما سوى ذلك.

واعلم أن البر اسم جامع لكل الطاعات، ولكل أعمال الخير المقربة إلى الله، ولكل الأعمال المرضية لله؛ ولهذا أمر الله ﷻ بالتعاون على فعله، ونهانا عن ضده، فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

واعلم أن البر اسم جامع لخيري الدنيا والآخرة، ولا يناله إلا من صدق في إيمانه وتوحيده، وصدّق ذلك بأقواله وأفعاله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

- **والصدق أنواع:**

صدق مع الله.. وصدق مع النفس.. وصدق مع الناس.

وأعلى أنواع الصدق أن تكون صادقًا مع الله: فإذا عاهدته على التوبة؛ لا ترجع إلى الذنب، وإذا عاهدته على الطاعة، وفعل الأوامر، واجتناب النواهي؛ لا تعصه بعد العهد: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل/ ٩١].

وأن تكون صادقًا مع نفسك: تحملها على طاعة الله، وتزجرها عن معصية الله، وتعطيها حظها مما فطرها الله عليه حسب الشرع: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

وأن تكون صادقًا مع الناس: تحب للناس ما تحب لنفسك، فالمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فتصدقهم الحديث، وتؤدي حقوقهم، وتدلّهم على كل خير، وتحذرهم من كل شر، وأن تكون صادقًا مع الخلق: فتكون وفيًّا برًّا كريمًا مع كل أحد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة/ ١١٩].

وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ! فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**» متفق عليه[1].

فيا عبد البر ذكّر العباد بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وآلائه، ونَعمه، وخزائنه؛ فأكثر

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

من يعصيه لا يعرفه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٦].

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى/ ٩-١٥].

واسأل الله مخلصًا، وتضرع إليه باكيًا، أن يحْلِل سخيمة قلبك، ويزيل عنه كل ما يفسده من غل، وغش، وحسد، و كبر، ورياء، وكذب، وشرك: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

ثم اسأله أن يملأه بالتوحيد، والإيمان، والتقوى، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**» متفق عليه(١).

وإذا عرف المؤمن أن ربه بر رحيم؛ فيجب عليه أن يكون بارًّا بكل أحد: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٣].

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم/ ٨].

«**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْ**

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٥٩٩).

أَمَامِي نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، اللَّهُمَّ وَأَعْظِمْ لِي نُورًا» أخرجه مسلم[1].

اللهم يا بر يا رحيم، يا غني يا كريم، يا من يسمع كلامنا، ويرى مكاننا، ويعلم سرنا ونجوانا، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا، نسألك أن تكفينا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، أنت ولينا؛ فاغفر لنا، وارحمنا يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الرؤوف

اسم الله الرؤوف

الله ﷻ هو الرب الرؤوف الحق بعباده، فلا أحد أرأف منه، هو الرؤوف الرحيم الذي يرى عجز العباد وضعفهم وتقصيرهم، فيرحمهم ويضاعف أجورهم، ويرى جرأتهم على المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة وهو القادر، بل يمهلهم، ويبسط لهم نعمه؛ لعلهم يشكرونه ويتوبون إليه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾[البقرة/ ١٤٣].

وهو سبحانه الرؤوف الذي يفرح بتوبة التائبين أشد الفرح، ولشدة حبه لعباده الذين عصوه يرغبهم في التوبة إليه، ويذكّرهم بأنه الغفور الرحيم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾[المائدة/ ٧٣-٧٤].

هو سبحانه الرؤوف الرحيم الذي لشدة رأفته ورحمته بعباده يأمرهم أمرًا جازمًا بالتوبة من كل ذنب في كل وقت؛ لأنه يريد لهم الخير والفلاح، ويعلم عظمة ذنوبهم، وشدة عقوبتها: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾[النور/ ٣١].

هو سبحانه الرؤوف بجميع الخلق بما يسر لهم من أنواع الأرزاق، وفتح لهم سبل المعاش في هذه الحياة في كل زمان، وفي كل مكان، مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾[النحل/ ١٣].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة/ ٢١-٢٢].

واسم الله الرؤوف جل جلاله ورد في القرآن الكريم عشر مرات، منها: قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر/ ١٠].

والرأفة أبلغ من الرحمة، فهي أرقها وأشدها، والرحمة تقتضي إيصال النعم عمومًا، ولكن قد يصاحبها ألم وكراهة، كشرب الدواء المر رجاء الشفاء.

وأما الرأفة فتقتضي إيصال النعم صافيةً من الألم والكدر والكراهة، فهي مسعِدة للإنسان من جميع الوجوه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

والرؤوف سبحانه عمّت رأفته جميع خلقه، والرؤوف اسم الله ﷻ، والصفة المشتقة منه الرأفة، وهي صفة فعلية للرب جل جلاله، عامة لجميع الخلق، والرأفة أخص من الرحمة.

وقد اقترن اسم الله الرؤوف مع اسمه الرحيم ثمان مرات، منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾ [الحديد/ ٩].

وسر ذلك والله أعلم الدلالة على أن رأفة الله سبحانه بعباده من أعظم موجبات رحمته، ومن جلال رأفة الله بعباده أن في رأفته بهم صلاحًا لهم في دينهم ودنياهم وأخراهم.

- **ويظهر ذلك من وجوه:**

الأول: أن الرؤوف سبحانه قد حذّر عباده، ورغّبهم، ورهّبهم، ووعدهم وأوعدهم رأفةً بهم، ومراعاةً لمصالحهم، كما قال سبحانه: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران/ ٣٠].

الثاني: أن الرؤوف سبحانه لكمال رحمته بعباده أرسل الرسل إليهم، وأنزل الكتب؛ ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعات: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾ [الحديد/ ٩].

الثالث: أن الله ﷻ من جلال رحمته ورأفته بعباده المذنبين يمسك السماء أن تقع على الأرض، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

الرابع: ومن رأفته سبحانه بعباده أنه يضاعف لهم الأجور، ولا يضيع عنده عمل عامل مهما قل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

الخامس: ومن رأفة الله سبحانه بعباده إمهاله الكفار والعصاة، فلم يعاجلهم بالعقوبة وهو القادر، بل أمهلهم، وأسبغ عليهم نعمه، وهم يؤذونه، ويؤذون أولياءه، ومن كمال رأفته أن فتح لهم أبواب التوبة إليه وقبلها منهم: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧﴾[النحل/ ٤٥-٤٧].

السادس: ومن رأفته سبحانه بعباده أن سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض؛ ليذكروا عظيم إنعامه، ويؤمنوا به، ويحبوه، ويعظموه، ويوحدوه، ويكبروه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[لقمان/ ٢٠].

وسخر لهم الرؤوف سبحانه من وسائل النقل القديمة والحديثة ما يسهل حياتهم، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ [النحل/ ٨].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾[النحل/ ٥-٧].

السابع: ومن رأفة الرؤوف بعباده أنه اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، وهم خالص ملكه؛ ليرغبهم في العمل الصالح الذي نفعه عائد عليهم: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾[التوبة/ ١١١].

ويثني على من باع نفسه لله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾[البقرة/ ٢٠٧].

الثامن: ومن جلال رأفته بعباده أنه يجيب دعاء أوليائه، ودعاء كل من دعاه، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا

﴿بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر/ ١٠].
وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

التاسع: ومن رحمته سبحانه بعباده أن شرع لهم الحدود الزاجرة عن الكبائر والفواحش والمعاصي: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠﴾ [النور/ ٢٠].

العاشر: ومن جلال رحمة الله ورأفته بعباده أنه كلفهم بما يطيقون، ولم يحملهم ما لا يطيقون، بل حملهم أقل مما يطيقون، وأوجب فرائضه في حال القوة، وخففها في حال الضعف: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١﴾ [النساء/ ١٠١].

وكل ما في الكون، وكل ما في العالم العلوي والعالم السفلي، من المخلوقات والتصريف والتدبير؛ كله من آثار رحمته ورأفته ولطفه بعباده.

الحادي عشر:ومن رأفة الله بعباده أن يبتليهم بالمصائب؛ ليظل العبد موصولًا بالله، يذكره ويحمده ويستغفره كلما رأى هذا البلاء فيه أو في غيره: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن/ ١١].
﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

الثاني عشر:ومن رأفة الله بعباده أنْ بين لهم طرق الخير والفلاح، ويسر لهم سبلها، ورغّبهم فيها، وأثابهم عليها، وحذّرهم من سبل الغي والفساد؛ ليسلموا من العقوبات: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾ [الحديد: ٩].

الثالث عشر:ومن رأفة الله بالناس ما فتح لهم من أبواب الرزق المختلفة في الأرض كلها: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك/ ١٥].

الرابع عشر:ومن رأفة الله ﷻ ورحمته بالناس في هذا الزمان خاصة ما يسّر لهم من المراكب المريحة الجميلة؛ كالسيارات، والقطارات، والطائرات، والسفن، ووسائل الاتصالات المختلفة، وفنون الزراعة والصناعة وغيرها؛ مما سهل لهم سبل العيش، فلله الحمد والمنة: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل/ ٨].

فهو سبحانه الذي خلق الإنسان، وخلق فيه العقل، وخلق المادة التي تُصنع منها هذه المصنوعات، وهدى الإنسان إلى كيفية صناعتها: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل/ ٥٣].

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي عم برأفته عموم خلقه في الدنيا، وخص بها أولياءه في الآخرة، وأرسل إلى خلقه في هذه الدنيا الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وخص هذه الأمة بأفضل رسله الذي جمع محاسن الأخلاق، وأنزل عليه أحسن كتاب، وشرع له ولأمته أحسن دين:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة/ ١٢٨].

فما أعظم إشفاقه ﷺ على الكفار الذين أعرضوا عن دين الله، وما أشد رأفته ورحمته بالمؤمنين والخلق أجمعين: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٠٧].

والله ﷻ رؤوفٌ رحيمٌ بعباده المؤمنين، أدخلهم في رحمته وفي دينه، وأعانهم على طاعته، وهو الكريم الذي يضاعف أجورهم، ويغفر ذنوبهم، ويتجاوز عن سيئاتهم وتقصيرهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء/ ٤٠].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي أنزل على عباده الحق؛ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإيمان والتقوى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾[الحديد/ ٩].

واعلم أن رأفة الله بالخلق ظاهرة في كل تدبير وتصريف، والرأفة هي شدة الرحمة، بل

هي نهاية الرحمة، فلكمال رأفة الله بالإنسان يسوق إليه كل ما ينفعه، ويشفق عليه من كل مكروه يحل به، ويدفع عنه السوء الذي يضره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فالرأفة بالعبد قبل أن يقع المكروه، والرحمة بعد أن يقع المكروه.

ومن رأفته سبحانه أنه يحمل العبد على التوبة قبل أن يقع في المعصية، فإذا وقع في المعصية رفع عنه العقاب برحمته، فالرأفة فيها معنى الوقاية، والرحمة فيها معنى العلاج.

فسبحان الله! ما أعظم وأوسع رحمته ورأفته بعباده! وسبحان من رأفته بعباده أن يصونهم عن موجبات عقوبته، ويرحم من أذنب منهم بالعفو عنهم والمغفرة لهم!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

هو سبحانه الرؤوف الرحيم الودود الذي بآياته ومخلوقاته يدل الناس عليه، وبنعمه وإحسانه وإكرامه يجر الناس للثناء عليه، وبالفتن والمصائب يرجعهم إليه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرعد/ ٢].

واعلم أن المصائب والشدائد كلها عصي بيد الله يؤدب بها النفوس، ويسوق بها الناس إليه ليتوبوا إليه، فالخوف يدفع الإنسان إلى ربه، والشدائد والمحن تسوقه إلى بابه، فمن تاب نجا، ومن أعرض هلك: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [غافر/ ١٣].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾ [الأعراف/ ٩٤].

هو سبحانه الرؤف الرحيم الذي يسوق عباده إليه بالمصائب والمكاره، ليعودوا إليه: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٤٣ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٥﴾ [الأنعام/ ٤٣-٤٥].

فسبحان الرؤوف الرحيم الذي يتفضل على عباده بكل نعمة، ويستر ما يرى من

العيوب، ويعفو عما ستر من الذنوب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[الشورى/ ٢٥].

واعلم رحمك الله أن الله رؤوف بالعباد، يصبر على من كفر به وعصاه، ولا يعاجله بالعقوبة؛ لعله يتوب إليه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء/ ١١٠].

وما عمل عامل بمعصية الله إلا استأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه، واستأذن موضعه من الأرض أن يخسف به، ولكن الرؤوف الرحيم يمهله؛ لعله يتذكر، وينيب، ويتوب إلى ربه: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾[النحل/ ٤٥-٤٧].

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي برأفته ورحمته جعل عبده المذنب أوابًا إليه، متوجعًا من ذنوبه، وبرأفته ورحمته أوجع قلبه بمعصيته، وأحزن نفسه على إتيانها الإثم مع علمه بما كتبه عليه في اللوح المحفوظ، وعلمه بضعفه وما يقاسيه منه، وما ينازعه من الشهوات والشبهات عن طاعة ربه ومولاه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾[غافر/ ٦١].

فالعبد بين هذه النوازع والفتن والغفلة موضعٌ للرأفة والرحمة، وأن يُشفَق لحاله، ويرحَم من أجلها من ربه الرؤوف الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فلا إله إلا الله! ما أعظم رحمة الله بخلقه! وما أعظم رأفته بهم! وما أعظم إحسانه إليهم! ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[الأنعام/ ٥٤].

أفلا يستحي الكافر والفاسق من ربه الرؤوف الرحيم الذي نعمه عليه كثيرة متوالية، وهو مكبٌّ على إجرامه، ومبارز لربه الجبار السميع البصير بمعاصيه؟ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾[الملك/ ١٦-١٨].

والله سبحانه رؤوفٌ رحيم، جَبَل الخلق على الرأفة والرحمة، حتى القاسي منهم.

والأنبياء والرسل أشد الناس رأفةً ورحمةً بالخلق، ومحمد ﷺ أرأف الخلق بالخلق، وأرحم الخلق بالخلق: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

والله سبحانه رؤوف بالعباد، خلقهم، وخلق فيهم حب الحق والخير والفضائل، وخلق فيهم بغض الباطل والشر والمساوئ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

فسبحان الرؤوف في رحمته، الرحيم في رأفته، الرؤوف الذي يفرج كل كرب، وييسر كل عسير، ويعافي بعد البلاء ويعطي بعد المنع: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

الأول: الإيمان بأن الله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، فمن سار إلى الله ﷻ باسم من أسمائه الحسنى وصل إليه، ومن تعلق بصفة من صفاته العلى أخذت بيده حتى تدخله عليه، بكمال الحب والتعظيم والذل له، فحياة القلوب بمعرفته ومحبته وتعظيمه، وحياة الجوارح بالتقرب إليه بعبادته بما شرع، وحياة اللسان بدوام ذكره وشكره، والثناء عليه، والدعوة إليه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢-٤].

ومعرفة الله ﷻ وبأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم روافد الإيمان، وأعظم السبل لزيادة الإيمان وذوق حلاوته، وأيسر الطرق للوصول إلى حقيقة التوحيد، وصدق العبودية: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

وأحب عباد الله إليه وأكرمهم عليه أهل هذه المعرفة؛ لأنهم في رياض معرفته حاضرون، وإلى جلاله وجماله ناظرون، وبأوامره الملكية الشرعية يعملون.

إن نظروا إلى صفات جلاله هابوه، وإن نظروا إلى صفات جماله أحبوه، وإن نظروا إلى شدة نقمته خافوه، وإن نظروا إلى سعة رحمته رجوه وأنابوا إليه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٢ - ٢٤].

الثاني: عبادة الله بما تقتضيه أسماؤه الحسنى، وصفاته العلى.

فمن أيقن أن الله هو الأول؛ فوض الأمور كلها إليه، وتوكل عليه وحده، ولم يلتفت إلى غيره: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن: ١٣].

ومن أيقن أن الله هو الآخر؛ أيقن أن الأمور كلها أولها وآخرها بدأت منه، وترجع إليه،

فلم يلتفت لأحدٍ سواه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢].
ومن أيقن أن الله هو الظاهر؛ قصده وصمد إليه في جميع حوائجه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].
ومن أيقن أن الله هو الباطن؛ علم قربه منه واستحيا منه لكثرة نعم الله عليه، وكثرة معصيته له، وأحبه وخاف منه ورجاه؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد/ ٣].
وهكذا التعبد لله في بقية أسماء الله الحسنى فكرًا وتفكرًا، ويقينًا وتعبدًا، وذكرًا وسؤالًا، وحمدًا وثناءً وتوبة واستغفارًا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].
فإذا عرفتم ذلك؛ آمنتم بالله، ووحدتموه، وكبرتموه، وعظمتموه، وأحببتموه، وحمدتموه، وذكرتموه.
الثالث: الاتصاف بموجب تلك الأسماء والصفات لله جل جلاله.
فالله سبحانه يحب أسماءه وصفاته، ويحب أن يتصف الإنسان بموجبها على شاكلة العبودية، فالله شكور يحب الشاكرين، تواب يحب التوابين، والله عفو يحب العافين، وهو رحمن يحب الرحماء، مؤمن يحب أهل الإيمان، محسن يحب المحسنين، وهكذا في باقية الأسماء.
وما كان من أسماء الله وصفاته كمالًا في حقه نقصًا في حق المخلوق؛ فلا يجوز الاتصاف بموجبه؛ لأنه مختص بالله، كاسم الله الجبار، والمتكبر، وأمثالها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].
فاعلم رحمك الله ووفقك لما يرضيه أن الله رؤوف بالعباد، وأنه لا يوجب لك رحمته ورأفته على الكمال إلا بالعلم به، والتطهر له، والعمل بما يحبه ويرضاه، وعلى قدر اتقائك في التعبد له بمقتضى أسمائه وصفاته، على طريقة رسوله ﷺ؛ يكون قربك منه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وعلى قدر قربك منه تكون عنايته بك، وعطفه عليك، ولطفه ورحمته بك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فاذكر ربك يذكرك، واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته يحبك، وكن له يكن لك، والبس له لباس الإيمان والتقوى؛ تظفر بكل ما تحب وترضى في الدنيا والآخرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي؛ أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» متفق عليه[1].

واعلم أيها العبد أنه كما مَنَّ الله عليك بنعمه الظاهرة والباطنة؛ فيجب عليك أن تكون بالناس رؤوفًا رحيمًا، فتدلهم على كل خير، وتحسن إليهم بالقول والفعل، وتدفع عنهم ما يضرهم: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد/ ٧].

وأن تكون قدوة للناس في كل ما ينفع الناس: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾**﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وكن رؤوفًا بالعباد؛ يرأف بك رب العباد، وليكن حظك من هذا الاسم الكريم الرأفة والرحمة بالخلق: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

واعلم أن الله لعظيم رحمته ورأفته بعباده لا يعذب إلا من أبى عليه، وكفر به، وأشرك به، وأعرض عنه، وعمل بما يسخطه، وأصر على ذلك: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا**

١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (   )، واللفظ له، ومسلم برقم (

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطلاق: ٨ – ١٠].

فاحذر أن تعصيه بنعمه، وتجاهره بالفواحش والمنكرات وهو يراك، فإنه غفور رحيم، وأخذه أليم شديد: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠].

واعلم أن من رحمة الله بعباده ورأفته بهم أنه يذودهم عن مراتع الهلكات، ويمنعهم من موارد الشهوات، ويحميهم من مجالس الغفلات، فمتى أصابهم نصيبهم من كتاب سبق في القدر؛ أقال عثرتهم، ونبههم من سِنة غفلاتهم؛ فانتبه لنفسك، واعلم أن كل شيء بقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

فتب إلى ربك واستغفره؛ تنلْ بره وإحسانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف/ ٢٠١].

والله جل جلاله حكيم عليم، ربما رأف بعباده ورحمهم بما يكون في الظاهر من القبض عنهم، والمنع لهم، ونحو ذلك مما يشغلهم عنه، وينسيهم إياه، من كثرة الأموال والأولاد التي تشغل المخلوق عن الخالق، إلا من عصم الله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٥-٥٦].

لهذا فالواجب علينا حتى نعبد الله بما يليق بجلاله أن نعلم أن الله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وأن نعلم أن لا رؤوف على الإطلاق، ولا رحيم على الإطلاق، ولا قوي على الإطلاق، ولا كريم على الإطلاق، إلا الله وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يتصل بالرؤوف، ويرأف بنفسه كما رأف الله بها، ويرأف بالناس وجميع الخلق: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ

أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].
والرأفة بالنفس: أن تسلك بها سبل النجاة، وتقيها موارد الهلاك: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦].
والرأفة بالناس: أن تحب لهم ما تحب لنفسك، وتحسن إليهم بالقول والفعل، وتأمرهم وترغبهم بما ينفعهم، وتحذرهم مما يضرهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].
والعبد إذا عرف ربه باسمه الرؤوف؛ أحبه، وآمن به، وأخلص العبادة له وحده لا شريك له؛ لما يراه من آثار رأفته ورحمته التي وسعت كل شيء، ولما يراه من عظمة ملكه وسلطانه، وجميل أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].
وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].
وهذه المعرفة تثمر للعبد المسارعة إلى مرضاة الله ورسوله، والدعوة إلى توحيده، والجهاد في سبيله، وفعل كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].
وبقدر المعرفة تكون المحبة لله، وبقدر المحبة تكون قوة العبادة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

يا عبد الرؤوف كن رؤوفاً بالعباد كلهم، وخذ حظك من هذا الاسم الكريم بما تستطيع.

ادع الناس إلى الله، وعلم جاهلهم، وأحسن إليهم، ليحبوا ربهم، ويعبدوه على بصيرة.

وصل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليه، يحبك الله، ويحبك الناس، وتكون سبباً لهداية الناس: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت: ٣٣ – ٣٦].

وكلما حقق المسلم معاني العبودية لله محبة وخوفًا ورجاءً؛ كانت رحمة الله به أعظم، وعنايته به أكثر، ورأفته به أكبر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فسبحان ربنا العظيم الرؤوف الرحيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة! والمثل الأعلى، سبحانه ما أحكمه في تدبيره! فكم من عبد فقير يرحمه الخلق مما به من الفاقة والضراء، وهو بغاية الرحمة تغبطه الملائكة في حالته، وأبناء جنسه عنه غافلون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن هداه إلى معرفته فقد أدخل جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر/ ١٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: ٨].

«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ؛ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ

عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه[1].

اللهم إنا نسألك أن تدخلنا في رحمتك، وتقضي أعمارنا في طاعتك، وتشغل ألسنتنا بذكرك، وتستعمل جوارحنا في عبادتك، يا رؤوفًا بالعباد.

اللهم إنا نسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، ودوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا أرحم الراحمين.

يا رؤوفًا بالعباد، كم أنزلت من رزق! وكم هديت من ضال! وكم علمت من جاهل! وكم شفيت من مريض! وكم فرجت من كربة!.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم أنت الرؤوف الذي هديت إليك القلوب بحسن أسمائك وصفاتك، وجميل أفعالك، وأنت الرحيم الذي وسعت رحمتك المطيع والمخالف، ارزقنا حسن الرأفة بأنفسنا، وحسن الرأفة بخلقك يا رؤوف يا رحيم.

اللهم حبب إلينا العطف على كافة الخلق، حتى نحب الهدى للكافرين، ونتمنى التوبة للعاصين، ونستغفر للمسيئين، ويطلب السعة للمحتاجين، وينال قسطًا من ميراث سيد المرسلين، إنك أنت الرؤوف الرحيم.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

---

(1) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٥).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

البـاب الرابع عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٧٠- اسم الله القريب.

التعبد لله عز وجل باسمه القريب.

٧١- اسم الله المجيب.

التعبد لله عز وجل باسمه المجيب.

٧٢- اسم الله المستعان.

التعبد لله عز وجل باسمه المستعان.

٧٣- اسم الله التواب.

التعبد لله عز وجل باسمه التواب.

٧٤- اسم الله الرقيب.

التعبد لله عز وجل باسمه الرقيب.

٧٥- اسم الله الشهيد.

التعبد لله عز وجل باسمه الشهيد.

٧٦- اسم الله الواسع.

التعبد لله عز وجل باسمه الواسع.

٧٧- اسم الله المحيط.

التعبد لله عز وجل باسمه المحيط.

٧٨-٧٩- اسم الله الحسيب.. الحاسب.

التعبد لله عز وجل باسمه الحسيب.. الحاسب.

٨٠- اسم الله المقيت.

التعبد لله عز وجل باسمه المقيت.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسـم الله

القريب

اسم الله القريب

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].

- **وأسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:**

الأول: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته: مثل: الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وأمثالها من الأسماء الحسنى.

الثاني: الأسماء الدالة على الملك والقدرة: مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، المقدم، والمؤخر، وأمثالها من أسماء الله الحسنى.

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد: مثل: الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، وأمثالها.

الرابع: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة: مثل: السميع، البصير، العليم، الخبير، الرقيب، القريب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وأمثالها.

الخامس: الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة: مثل: الرب، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحليم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، المجيب، العفو، الغفور، التواب، وأمثالها.

السادس: الأسماء الدالة على الهداية والبيان: مثل: الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل، وأمثالها من أسماء الله الحسنى.

وجميع أسماء الله الحسنى واحدة في الدلالة على الذات، متعددة المعاني والصفات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر: ٢٢-٢٤].

ومن أسماء الله الحسنى القريب جل جلاله، فالله ﷻ هو القريب الحق من جميع خلقه، وهو أقرب إلى المخلوق من نفسه ومن مجرى الروح فيه، كما قال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾[المجادلة/ ٧].

هو سبحانه القريب البصير الذي يرى جميع مخلوقاته في السموات والأرض، القريب السميع الذي يسمع دعاء من دعاه، ويجيب دعوة الداعي إذا دعاه، القريب من كل متكلم، الذي يسمع كل ما ينطق به، ويعلم ما في قلبه قبل أن ينطق به، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٦١﴾[يونس: ٦١].

وهو سبحانه القريب اللطيف الذي يرى ويسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا هادي إلا هو: ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠﴾ [سبأ/ ٤٩-٥٠].

- **وقرب الله ﷻ من خلقه نوعان:**

الأول: قرب عام من كل مخلوق في ملكوته بعلمه به، ومشاهدته له، وإحاطته به، ومراقبته له، وقربه منه، فلا يخفى عليه مثقال ذرة من كل مخلوق في السماء

والأرض: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق/ ١٦].

أحاط سبحانه بكل شيء سمعاً وبصراً، وقدرة وعلماً: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

الثاني: قرب خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهؤلاء هم المؤمنون به، ومن آثاره: لطفه بعبده، وعنايته به، وإجابة دعوته: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف/ ٥٦].

وهو سبحانه القريب المجيب لكل من دعاه، من كانوا، وأينما كانوا، وعلى أي حال كانوا، متى ما وحدوه وتوجهوا إليه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وهو سبحانه القريب المجيب لمن أخلص له العبادة، ورغب إليه في التوبة: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

وهو سبحانه العلي الأعلى الذي استوى على عرشه المحيط بكل ذرة في ملكه، القريب من كل مخلوق في ملكوته: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان الملك الحق، العزيز الجبار، الغني الكريم، الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؛ إكرامًا لأهل طاعته، وحبًّا لهم، وتحننًا إليهم، ورحمة بهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟**

مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»متفقٌ عليه(1).

وقد ورد اسم الله القريب في القرآن الكريم ثلاث مرات منها: قوله سبحانه:﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾** ﴾[البقرة/ ١٨٦].

وفي السنة: عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺقال:«**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ**»متفق عليه(2).

وقد اقترن اسم الله المجيب مع اسمه القريب في القرآن مرة واحدة، كما قال سبحانه في سورة هود:﴿ **إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾** ﴾[هود/ ٦١].

وسر ذلك والله أعلم؛ أن الله فطر القلوب على علوه فوق خلقه، فبين سبحانه أنه مع علوه على خلقه فإنه قريب يسمع كلامهم، ويجيب دعاءهم، لأنه قريب في علوه، عالٍ في قربه:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾** ﴾[الشورى: ١١].

واقترن اسم الله القريب مع السميع في القرآن مرة واحدة في قوله سبحانه في سورة سبأ:﴿ **إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾** ﴾[سبأ/ ٥٠].

وسر ذلك بيان أن الله مع علوه على خلقه فإنه قريب يسمع كلامهم، ودعاءهم، وشكواهم؛ لأنه أقرب إلى كل أحدٍ من نفسه:﴿ **وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾** ﴾[الملك: ١٣ - ١٤].

فسبحان ربنا العظيم القريب، الغني عن جميع مخلوقاته، الذي استوى على عرشه فوق خلقه، وهو القريب من جميع خلقه، وهو أقرب للإنسان من عنق راحلتهِ إليه.

قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، إن الذي تدعونه أقربُ إلى أحدكم من عُنقِ راحِلتِه**» متفق عليه(3).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٤).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٦)، ومسلم برقم (٢٧٠٤) واللفظ له.

ومن جلال القريب سبحانه أنه لقربه كأنك تراه بأسمائه وصفاته وأفعاله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويسمع ويرى، وهو العلي الأعلى الذي على العرش استوى، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

وأعظم مقامات الدين هي الإحسان، ومقامات الدين هي: الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان.

والإحسان كما قال الرسول ﷺ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» متفق عليه[1].

والله سبحانه قريب بعلمه، وسمعه، وبصره، وإحاطته بجميع مخلوقاته، وقريب من عابديه وسائليه قرب خاص، كلٌّ حسب خشوعه وتقواه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف/ ٥٦].

هو سبحانه القريب المحيط بكل ذرة ، ولا يحيط به محيط: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق: ١٢].

وقد ورد اسم الله القريب مفردًا، ومقترنًا بغيره، فالمفرد كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة/ ١٨٦].

وورد مقترنًا مرةً بالسميع، ومرةً بالمجيب، كما تقدم.

والله سبحانه هو القريب من خلقه، وهو فوق عرشه ، فإن أسماءه جل جلاله مطلقة، لا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهايةفهو الحي الذي لا أول لحياته ولا آخر، ولا بداية

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٨).

ولا نهاية: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وهو العليم بكل شيء، وعلمه لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].

وهو البصير بكل شيء، السمع لكل شيء، القريب من كل شيء، وهو على عرشه العظيم: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

هو سبحانه القريب الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يحجبه ظاهر عن باطن، ولا يحجبه باطن عن ظاهر، ولا تواري منه سماء سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم رحمك الله؛ أن من أنار الله قلبه بالتوحيد والإيمان، وأزال الحجب عن بصره وبصيرته؛ سما بقلبه وعقله إلى الملكوت العظيم، فرأى صمود المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي إلى ربها، وسمع المخلوقات كلها لها زجل بالتسبيح والتقديس، وأصوات تخطب بالتوحيد والتكبير والتمجيد: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

وشاهد استسلام الملك والملكوت لذي العزة والكبرياء، والملكوت والجبروت: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨ وَلِلَّهِ

يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ٥٠﴾[النحل/ ٤٨-٥٠].

واعلم أنه على قدر القرب من الهادي سبحانه، وصدق الافتقار إلى الغني، وذل الانكسار بين يدي الملك؛ يكون قدر العطاء، وحسن الثناء:﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾[النحل/ ٩٧].

فلا إله إلا الله! من صعد بقلبه، ونظر في الملك والملكوت؛ رأى مَلِكًا كبيراً، ورأى مُلْكًا عظيما، وصنعًا بديعًا، وتدبيرًا حكيما، وخلقًا كثيرًا يراه البصر، وتشهد به البصائر:﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾[ق/ ٦-٨].

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾[يونس/ ٣١-٣٢].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾[الغاشية: ١٧ – ٢٦].

فكيف لو وصل هذا العبد بلبه إلى من ليس دونه مقصد، ولا وراءه منتهى وصعد إلى الحق من أسمائه، وصفاته، وأفعاله، ورأى المحيط بكل محيط، الخالق لكل مخلوق، القاهر لكل قاهر، القادر على كل قادر، الرازق لكل مرزوق.

هو سبحانه الملك الحق المبين، والرب العلي العظيم، والغني القوي العزيز، والعفو الغفور الرحيم، والحي القيوم الكريم، والكبير الجبار المتكبر، الذي له جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وكلما قربت أيها المؤمن من ربك؛ قويت دلائل الدالِّين عليه، وكثرت إشارات المشيرين إليه: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام/ ١٩].

فما أعظم كرامة من وصل إلى ربه العظيم، وانتهى إليه، وشاهده بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، ورآه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فعبده بموجب هذا العلم، وبموجب هذه الرؤية! ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم/ ٤٢].

هو سبحانه الرب الخالق القريب الرقيب الذي لا يخفى عليه شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الرب الذي يخلق ويرزق، ويكرم ويهين، ويأمر وينهى، ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل.

أترى هذا العبد المكرم الذي مَنَّ الله عليه بمعرفة أسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة عظمة دينه وشرعه، ومعرفة عظمة ووعده ووعيده، أتراه يتعداه إلى سواه، أو يشتغل بغيره عنه، أو يلزم عبادته وطاعته بالذل والانكسار بين يديه؟ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟

سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فسبحان الملك الحق القريب المجيب، القريب السميع، الذي تجلى لعباده بأسمائه وصفاته وأفعاله، وألهم معرفته وهيبته جميع مخلوقته، فخضعت لجلاله، وسجدت لعظمته وكبريائه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

هو سبحانه القريب من خلقه، الذي يرى أشخاصهم، ويسمع كلامهم، ويعلم أحوالهم، ولا يخفى عليه شيء من حركاتهم، وسكناتهم، وجميع أمورهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [الحديد/ ٤-٥].

هو سبحانه القريب السميع البصير، العليم بكل شيء، فهو مع الداعي إذا دعاه، ومع المسافر في سفره، ومع أهله في وطنه، هو الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٢-٣].

فسبحانه ما أعظم شأنه! وما أقربه من عباده! وما أعظم شكره لمن أطاعه! وما أحلمه على من عصاه.

هو العظيم الذي جميع مخلوقاته تشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتخضع لأمره، وتستجيب لإرادته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هللنا،

وكبرنا، وارتفعت أصواتنا.

فقال النبي ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا؛ إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيب، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ**» متفق عليه(١).

وهو سبحانه الملك الحق القريب، الذي يتقرب أقرب إلى من تقرب إليه بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا؛ تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي؛ أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**» متفقٌ عليه(٢).

واعلم رحمك الله وهداك لما يحبه ويرضاه؛ أن قرب الرب من عباده المؤمنين يكون على قدر تحققهم في صفات الإيمان، والإسلام، والإحسان والتقوى، واليقين.

وقربه منهم يكون بسرعة إجابته لدعائهم، وسماعه لنجواهم، وشهوده اللطيف لأحوالهم، فهو القريب منهم، إن سألوه أعطاهم، وإن استغفروه غفر لهم، وإن دعوه أجابهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

اعلم رحمك الله أن الملك الحق المبين قريب من جميع مخلوقاته، القريب والبعيد كله عنده قريب، والصغير والكبير كله عنده صغير، لأن الله وحده هو الكبير الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

فيا عبد الرقيب تقرب إلى ربك القريب بكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٨٧) واللفظ له.

الظاهرة والباطنة، تكن بالقرب منه يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر: ٥٤ – ٥٥].

وأخلص جميع أعمالك لربك، وأحسن عبادتك له، وتوكل عليه وحده: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾[الشعراء: ٢١٧ – ٢٢٠].

واعلم إن رحمة الله تنال بالإحسان بالقول والعمل والخلق، فأحسن كما أحسن الله إليك: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف: ٥٦].

يا عبد القريب ليكن حظك من هذا الاسم الكريم أن تتقرب إلى الله بكل ما يحبه ويرضاه، وتقرب الناس إلى ربهم بذكر نعمه وآلائه، ليحبوه ويشكروه، وتذكرهم بعظمة أسمائه وصفاته ليكبروه ويعظموه، ويخافوه ويتقربوا إليه ويعبدوه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣].

واعلم أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فتقرب إلى القريب منك في جميع أحوالك، وأكثر من السجود له، والانكسار بين يديه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧].

واعلم يا عبد القريب أن كمال الإيمان والتقوى سببه العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة جلاله وجماله، ومعرفة نعمه وإحسانه، والعلم بدينه وشرعه، ووعده ووعيده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

واعلم أن التقوى درجة فوق الهداية إلى الإيمان، وهي من أعظم ثمراته، وهي الدليل على صحة الإيمان، فاتق الله حيثما كنت، وتقرب إلى ربك القريب بكل ما يحبه ويرضاه، وترك كل ما يسخطه ويكرهه، والحذر من اتباع الهوى والبدع: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطلاق: ٢ – ٣].

واعلم أن الله ﷻ لا يقبل ولا يتقبل من الأقوال والأعمال إلا من المتقين، والتقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

واعلم يا عبد القريب إنك إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ذهب البعد كله من ربك في حقك، وإنما تجد البعد كله في حقك أنت.

فتقرب إلى مولاك القريب منك ما يحبه ويرضاه يقرب منك، وتزول مسافة البعد بينك وبينه بكمال الإيمان والتقوى تسعد بالقرب منه في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.

ونسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، ومرافقة سيد الأنبياء والمرسلين في جنات النعيم.

اللهم قنا شر أنفسنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا تنزع منا صالح ما أعطيتنا: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المجيب

اسم الله المجيب

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧].

ومن أسماء الله الحسنى التي تربط المخلوق بخالقه اسم الله المجيب.

فالله جلّ جلاله هو المجيب الحق لجميع من في السموات والأرض من المخلوقات.

هو الذي الذي يُجيب كل داع وسائل على اختلاف اللغات، وكثرة السؤلات، وتباين الحاجات، وتكرار الأوقات: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وهو جلّ جلاله وحده الذي يسمع دعاء الخلق كلهم، ويُجيب دعاءهم، المجيب الذي يُجيب المضطر الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه من الكريهات والكروب: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل/ ٦٢].

وهو سبحانه الكريم الرحيم المجيب الذي يكشف السوء والشر والبلاء عن عباده على مرّ الدهور، لأن الخلق خلقه، والملك ملكه، وجميع أنواع التدبير والتصريف بيده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء، وله خزائن كل شيء، الذي صمد لجميع حوائج الخلق، وصمدت جميع الخلائق إليه في حوائجها؛ فلا رب لها سواه، ولا إله لها غيره: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/ ٢٩].

فليس في هذا الملك الكبير والملكوت العظيم إلا خالق واحد ومخاليق، وملك وعبيد، كما أنه ليس فيه إلا عابد ومعبود، وسائل ومجيب: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر/ ٦٠].

والله جلّ جلاله واسع كريم، يعطي خلقه من فضله ورزقه ابتداءً بلا سؤال، ويعطي السائلين، ويُجيب الداعين إذا دعوه من كانوا وحيث كانوا، وكل ذلك كتبه الله وقدّره، ثم أظهره وبيّنه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣﴾[القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان ربنا العليم القدير الذي خلق كل شيء، وقدِر على كل شيء، وكتب مقادير كل شيء: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾[الحج/ ٧٠].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السموات وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» أخرجه مسلم[1].

- **وقد ورد اسم الله المجيب في القرآن الكريم مرتين:**

في قوله سبحانه في سورة هود: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾[هود/ ٦١].

وفي قوله سبحانه في سورة الصافات: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥﴾[الصافات/ ٧٥].

والله سبحانه هو المجيب الذي يقابل الدعاء والسؤال بالإجابة والعطاء، المجيب الذي يُجيب المضطر إذا دعاه، ويُغيث الملهوف إذا ناداه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة/ ١٨٦].

واسم الله المجيب الصفة المشتقة منه هي الإجابة، والإجابة من صفات الله الفعلية،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

كما قال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [آل عمران/ ١٩٥].

وقال ﷺ: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**» أخرجه الترمذي(١).

وقد اقترن اسم الله المجيب مع اسمه القريب، في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ [هود/ ٦١].

وسر ذلك والله أعلم؛ أن الله قريب من عباده، يسمع كلامهم، ويُجيب دعاءهم، ويقضي حوائجهم؛ وذلك لكمال رأفته ورحمته بهم.

هو سبحانه الكريم المجيب لدعوة الداعين، وسؤال السائلين، المجيب الذي يسأله خلقه جميع مصالحهم الدنيوية والدينية؛ من الطعام والشراب والمال، كما يسألونه الهداية والمغفرة والتوبة: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن/ ٢٩].

والله سبحانه كريم؛ إذا سُئل أعطى، وإذا عاهد وفّى، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، لا يرد سائلًا، ولا يُخيب مؤملًا: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

- **وإجابة الله ﷻ لعباده نوعان:**

الأول: إجابة عامة: فكل من وحده ودعاه أجابه، من كانوا، وحيث كانوا، وعلى أي حال كانوا، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

الثاني: إجابة خاصة: للمؤمنين به، المستجيبين له، المنقادين لشرعه، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وهو سبحانه المجيب إجابة خاصة للمضطر إذا دعاه، ولكل من تعلّق قلبه بربه، وانقطع رجاؤه من المخلوقين، بعد أن استنفذ الأسباب التي يقدر عليها كما قال سبحانه:

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٩).

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ٣٢﴾ [لقمان/ ٣٢].

فسبحان الرب الرحيم القريب المجيب الذي يُجيب من دعاه؛ فيغفر الذنوب، ويفرج الكروب، ويهدي الضال، ويعطي السائل، ويجبر الكسير، ويُغني الفقير، ويُشبع الجائع، و يُروي الظمآن، ويعافي المبتلى، ويشفي المريض، ويُؤمِّن الخائف، ويكسو العريان، وينصر المظلوم، ويقصم الجبار: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن/ ٢٩].

يسأله أهل السموات والأرض بلسان الحال والمقال؛ فيُجيب دعاءهم، ويعطيهم سؤلهم؛ فالملائكة تسأل الله سبحانه مالا حياة لها إلا به؛ من إعانته لهم على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وتنفيذ أوامره في ملكوته، وتسأله كذلك أن يغفر لبني آدم من المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر/ ٧].

وتسأل الملائكة ربها أن يتوب على أهل الأرض جميعاً، ويهديهم إليه: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾

[الشورى: ٤ – ٥].

والأنبياء والرسل تسأل المجيب سبحانه أن يعينهم على أداء رسالاته، وتبليغها للناس، وأن ينصرهم على أعدائهم: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

والناس كلهم يسألون ربهم مصالحهم على اختلافها وتنوعها: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة/ ٢٠١].

والحيوان كله على اختلاف أنواعه في البر والبحر والجو، يسأله رزقه وقوته.

والشجر والنبات بأنواعه يسأله غذاءه، ومايكمُل به، والجماد والكون كله يسأله امتداد بقائه وحياته: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩].

فسبحان الغني الكريم القادر الذي جميع الخلائق فقراء إليه، وأكفّهم ممتدة إليه بالطلب والسؤال، ويده جلّ جلاله مبسوطة بالعطاء والنوال، يمينه جلّ جلاله ملأى؛ لا يغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار، وعطاؤه وبرّه مبذول للأبرار والفجار، وأنواع رحمته وإحسانه غمر المؤمنين والكفار: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو سبحانه المجيب الذي يُنعم بالعطاء قبل النداء، ويتفضل قبل الدعاء؛ لأنه الذي تكفل بالرزق والعطاء وحده لا شريك له، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦].

فسبحان الله العظيم الذي فضله عم الخلق أجمعين: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر/ ٦١].

هو سبحانه القريب المجيب الذي يقابل سؤال السائلين بالإسعاف، ويوصل إليهم ما يصلحهم بالألطاف: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

واعلم رحمك الله، أن من حب الله جلّ جلاله لإجابة السائلين ودعاء الداعين أن عرّف عباده بأسمائه وصفاته، وبيّن لهم أفعاله في ملكوته العظيم، وأمرهم أن يدعوه بها، وبيّن لهم عظمة خزائنه المملوءة بكل شيء، ودعاهم للاستفادة من خزائنه بسؤال خالقها ومالكها وحده لا شريك له: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

فسبحان الله! ما أعظم ملكه! وما أعظم حبه لخلقه! وما أعظم حبه للإحسان إليهم! أعطاهم من كل ما سألوه، ودلّهم على ما ينالون به ما يحبون.

والله جلّ جلاله العطاء أحب إليه من المنع، كريم لا يرد سائلًا أبدًا، ومن حبه للعطاء ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؛ ليقرب من عباده، ويقضي حاجة من سأله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل رَبُّنَا تبَارَكَ وَتعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**» متفق عليه(١).

هو سبحانه المجيب الذي ينعم قبل الطلب والنداء، ويتفضّل قبل السؤال والدعاء؛ لأنه الرحمن الرحيم الذي هو أرحم بالعباد من أنفسهم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

هو القريب المجيب الذي يقابل دعاء الداعين بالإجابة، ويقابل ضرورة المضطرين بالإغاثة، لأنه الرحيم الذي لا أرحم منه، الكريم الذي لا أكرم منه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

هو المجيب الكريم الذي يعطي قبل الدعاء، وإذا تأخر العطاء إلى ما بعد الدعاء؛ فإنما يريد المجيب أن تدعوه، وتناجيه، وتلجأ إليه، وتتصل به، وتمرغ وجهك في أعتابه، ويحب أن يسمع صوتك، ويُسعدك بالاتصال به، ويجعل حاجتك وسيلة لهدف هو الاتصال بالرب العظيم، والتعبد للحق الكريم: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

فسبحان ربنا الملك الرؤوف الرحيم، الذي قد يُحوج عبده إلى شيء، وقد يُخيفه من شيء؛ من أجل أن يسأل ربه، ويفزع إليه، ويتصل به، ويستعين به، ويلوذ بحماه؛ ثم يُجيبه إذا صفا توحيده ودعاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

واعلم أن سؤال الله،ودعاءه، والتضرع إليه هو الهدف والمقصود، والحاجات والمصائب هي الوسيلة، فالله خلق عباده ليسعدهم، وجعل الحاجات والمصائب وسائل لسؤاله وحده، والاتصال به، وإخلاص الدعاء له هو المقصود؛لأنه سبحانه يعلم حاجة المحتاجين، ويعطيهم إياها قبل سؤالهم، وإذا أخّرها فإنما يحب أن يسمع سؤالهم ودعاءهم وتضرعهم، ويسعدهم بالاتصال به:﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان/ ٢٠].

فإذا أراد الله أن يرد عبده إليه أحوجه إليه، فسأله فأجابه:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فإذا سأل المجيب فأجابه أكرمه بعشر كرامات:

إيمان جديد، وتوبة جديدة، وحب جديد لربه، وتعظيم جديد، وخوف جديد، ورجاء جديد، وشكر جديد، وعبادات جديدة، واستغفار جديد، وحياء جديد من ربه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم: ٣٠].

هو سبحانه الغني الكريم الذي خلق الخلْق، ووفّر حاجاتهم قبل أن يخلقهم، وساقها إليهم قبل أن يسألوه:﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[الجاثية/ ١٢-١٣].

فسبحان الملك العظيم الذي له في ملكه وملكوته ومخلوقاته حِكم وأحكام، وخلْق وأمر، وبسط وقبض، ورفع وخفض، وتدبير وتصريف:﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١ – ٢].

هو سبحانه الحي القيوم، الرحمن الرحيم، القريب المجيب، الذي يقابل الدعاء بالإجابة، ويقابل السؤال بالعطاء، ويقابل الاستغفار بالمغفرة، ويقابل العمل الصالح القليل

بالثواب الجزيل الكبير.

هو القريب المجيب الذي يفرج كرب المكروبين، ويُجيب دعاء المضطرين: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل/ ٦٢].

فسبحان الرب العظيم الذي يسمع دعاء جميع الداعين في السموات والأرض، وفي العالم العلوي والعالم السفلي، ويُجيب جميع أسئلة السائلين، ويحب أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية كما يسألونه الهداية، والرحمة، والمغفرة، والإعانة على الطاعة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٧].

هو سبحانه الغني الذي خزائن كل شيء عنده: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

واعلم رحمك الله؛ أن من وفقه الله للإيمان به، ودوام ذكره، والأنس بمناجاته، وتدبّر كتابه، والتفكّر في مخلوقاته، والاعتبار بآياته؛ آتاه رحمة من عنده، وعصمه مما يبعده عنه، واستوجب القرب منه، بحسن عبادته له، ودوام مجالسته له بالذكر والشكر والفكر: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩].

وكذلك من آثار محبة الله للعبد الإكثار من الطاعات، والزهد في الحلال، والاقتصار على الكفاية، وترك ما لا يعني، واجتناب فضول الكلام والنظر والطعام، وترك الحرام، واجتناب الفواحش والآثام، ولزوم الذكر والاستغفار، وحسن التوكل عليه، وصدق التوبة إليه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

[الأنفال: ٢ – ٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طيبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾** [المؤمنون/ ٥١].

وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!» أخرجه مسلم(١).

فهذه الأمور وأمثالها أسباب مشروعة ترفع صاحبها إلى استحقاق إجابة دعائه، ومحادثة الملائكة له.

عن حنظلة قال: لقيني أبو بكر فقال: «**كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهَّ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا.**

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهَّ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ؛ نَسِينَا كَثِيرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ؛ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» أخرجه مسلم(٢).

فمن وصل إلى هذه الدرجة العالية في الإيمان والتقوى أجاب الله دعاءه؛ بل كاد لو أقسم على الله لأبرّه.

عَنْ أنس ﷺ، **أَنَّ الرُّبَيِّعَ ابْنَةَ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا إِلَيْهَا العَفْوَ فَأَبَوْا،**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠).

فعَرَضُوا الأَرْشَ فَأَبَوْا، فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ وَأَبَوْا، إِلَّا القِصَاصَ فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ الله أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ؟ لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَنَسُ، كِتَابُ الله القِصَاصُ**»، فَرَضِيَ القَوْمُ فَعَفَوْا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ الله مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ**» أخرجه البخاري(1).

ومَن لم يبلغ تلك الدرَجة؛ فإن إجابة دعائه في حقه ليس بوعد من الله؛ بل فضل منه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر/ ٦١].

ونحن أقل من هذه الدرجة بكثير؛ فنستغفر الله، ونتوب إليه، ونسأله من فضله: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[المائدة/ ٣٩].

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر/ ٥٣].

وأما الكافرون فما دعاؤهم إلا في ضلال، وهم يطمعون في الإجابة طمع الباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه؛ لأنه مقطوع، كما انقطع الكافر عن ربه الذي له دعوة الحق: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾[الرعد/ ١٤].

واعلم رحمك الله؛ أن الكافر في حال الاضطرار والشدة يرجع إلى الفطرة؛ فيوحد ربه، ثم يدعوه، فإذا قضى الكريم حاجته؛ عاد إلى كفره وشركه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النحل/ ٥٣-٥٥].

وعقوبة هؤلاء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾[البقرة: ١٦١ – ١٦٢].

والله جلّ جلاله غني كريم يُجيب كل سائل، ويعطيه ما ينفعه في الدنيا والآخرة، وإجابة الرب لمن سأله من عباده تتنوع، وتُعجّل، وتُؤخر، بحسب مصلحة العبد التي لا يعلمها

---

(1) أخرجه البخاري برقم (٢٧٠٣).

إلا الحكيم العليم الذي خلقه وصوره: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران/ ٢٩].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء: ٣٠].

فمن دعا ربه أجاب دعوته في الدنيا، أو ادخرها له في الآخرة، أو صرف عنه من السوء مثلها.

فسبحان من له خزائن السموات والأرض، وجميع مخلوقاته تسأله؛ فيُجيبهم جميعاً على اختلاف الحاجات، وتباين اللغات، وتكرار الأوقات؛ فيعطيهم جميعاً، ولا ينقص مما عنده مثقال ذرة؛ لأن المحدود إذا أُخذ من غير المحدود لا ينقص أبدًا: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/ ٢٩].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**» أخرجه مسلم(١).

فسبحان من لا تنقضي خزائنه ولا تنقص أبدًا على كثرة الإنفاق في المكان والزمان لكل مخلوق: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

والله غني، وغناه يقتضي ألّا تنقص خزائنه؛ أما المخلوق فتنقص خزائنه بكثرة الإنفاق أو قلته؛ لأن غناه موهوب من ربه، والغني جلّ جلاله لا تنقص خزائنه، مع أن يده سحّاء الليل والنهار، وخزائنه ملأى لا تغيضها نفقة: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦].

ولهذا ابتلى الخلق ليسألوه ويدعوه وحده، ولا يلتفتوا إلى غيره: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

والله جلّ جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى.
وهو الكريم الذي لا أكرم منه، ولا منتهى لكرمه، الذي عمّ بفضله وكرمه جميع خلقه؛ فالكل يأكلون من مائدة نعمه المبسوطة في كل مكان وزمان على مرّ الدهور والأزمان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام/ ٩٩].
وهو سبحانه الكريم المجيب الذي يخص عباده المؤمنين بما لم يسألوه، إذا علم أنهم يريدونه، وربما قيّضهم للسؤال والدعاء؛ تعبدًا منه لهم، فسألوه امتثالاً لأمره، وإظهارًا لفقرهم إليه؛ فيُجيب سؤالهم، إلا أنهم لا يسألونه دنيا، ولو سألوه ما أعطاهم ذلك؛ حبًّا لهم، وحماية لهم مما يُشغلهم عنه، ويبعدهم عن سبل رضاه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].
فسبحان ربنا الملك الكريم اللطيف الخبير الذي حمى أنبياءه ورسله والمؤمنين به من كل ما يُشغلهم عنه؛ ليتفرغوا لعبادته، وطاعته، وذكره، وحمده، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة/ ٤].
وربما أعطى الله من المؤمنين بعض الرزق ممن يعلم أنه يزكو بذلك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠].
واعلم رحمك الله؛ أن جميع الأنبياء والرسل، أعطاهم الله جلّ جلاله مع الإيمان أمرين عظيمين هما:
الأول: عبادة الله وحده لا شريك له.
الثاني: الدعوة إليه، وتعليم شرعه، وفرّغ قلوبهم وأبدانهم مما سوى ذلك.
وكذلك اجتبى الله هذه الأمة، وأعطاها ما أعطاهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

فرسل الله جلّ جلاله والمؤمنون وصلوا ما أمرهم الله به أن يوصل؛ فاتصلوا،فأجاب الله دعاءهم، وكذلك يُجيب المجيب سبحانه دعاء المؤمنين إلى يوم القيامة: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

واعلم رحمك الله أن سرعة إجابة الله لدعاء الرسل والأنبياء والمؤمنين أسرع من مسارعتهم في الخيرات إليه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

واعلم أن الله ﷻ يستجيب للمؤمنين به أعظم من استجابتهم إليه؛ لأنه الكريم الذي يعطي بسؤال وبدون سؤال، ويعطي الكثير على العمل القليل، ويقبل التوبة من المسيء، ويضاعف الأجر للمحسن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].

فسبحان الله! ما أعظم شأنه! وما أوسع عطاءه! وما أسرع إجابته لمن دعاه! ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم رحمك الله؛ أن الله إذا أراد زيادة إيمان عبده، ورفع درجاته، وتكفير سيئاته؛ ساق إليه المصائب، ثم هيأ له الدعاء، فدعا ربه؛ فكشفها عنه؛ فزاد إيمانه بربه، وزاد حبه له، وزاد حمده له، وزاد تعظيمه له، وزادت طاعته له، فهذه كرامات الرب لعبده، أثمرتها تلك المصائب والمكاره: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

وكذلك إذا ساق المجيب سبحانه إلى عبده النعم، أو سأل العبد ربه نعمة فأعطاه إياها؛ زاد إيمان العبد بربه، وحبه له، وحمده له، وطاعته له، وزاد تعظيمه لمن سأله فأعطاه:

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الأنفال: ٢٦].

هو سبحانه الكريم المجيب الذي ما أمر بالدعاء إلا وهو يريد أن يُجيب.

هو المجيب الذي أنطق ألسنة السائلين بالدعاء، ثم أكرمهم بجزيل العطاء:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر/ ٦٠].

هو سبحانه الكريم الذي العطاء أحب إليه من المنع، المجيب الذي فتح أبواب الدعاء في كل وقت، ولكل أحد، ولأي سؤال، وما يسّر الدعاء لأحد إلا وهو يريد إجابة دعائه:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة/ ١٨٦].

هو سبحانه المجيب القادر، الذي لا يُشغله سمع عن سمع، ولا سؤال عن سؤال، ولا عطاء عن عطاء، ولا تختلط عليه الأصوات، على اختلاف اللغات، وتنوع الحاجات.

فهذا العبد يُسبّح، وهذا يحمد، وهذا يُكبّر، وهذا يدعو، وهذا يسأل، وهذا يشكو، وهذا يستغفر، وهذا يبكي، والله قريب مجيب، يسمع ويرى، ويُجيب دعاء من دعا، ويعطي من سأل، لا يُشغله شأن عن شأن:﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرحمن/ ٢٩].

هو سبحانه المجيب الذي إذا نسيته وغفلت عنه؛ أرسل إليك مصيبة أو مرضًا أو فقراً أو هما؛ لتعود إلى ربك المجيب، وتطلب منه أن يرفع عنك البلاء، وترفع يديك إليه، وتطلب منه أن يُغنيك ويُعينك:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

والإجابة والمجيب تأتي دائما مع اسم الله القريب، كما قال سبحانه:﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[هود/ ٦١].

وقال سبحانه:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة/ ١٨٦].

وذلك لتعلم أن الذي تدعوه قريب، ولا يحتاج أن تشرح له ما تريد؛ لأنه يعلم ما تريد؛ لأنه قريب: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [ق/ ١٦].

وجاء أعرابي إلي النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أقريبٌ ربنا منا فنناجيه، أم بعيدٌ عنا فنناديه؟ فأَنْزلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة/ ١٨٦].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي له معاقد العز، والجلال، والجمال، والكبرياء، والعظمة: فله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك السموات والأرض، وله ملك ما في السموات والأرض، وله ملك ما بين السماوات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض.

فهذه المعاقد الكبرى لله ﷻ وحده لا شريك له: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾[آل عمران/ ٢٦].

اعلم رحمك الله ووفقك لما يحبه ويرضاه؛ أن ربك قريب مجيب، ورحمته وكرمه وإحسانه وعفوه أحب إليه من كل شيء، وخزائنه مملوءة بكل شيء: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٧﴾ [المنافقون/ ٧].

فاسأل ربك الهداية، وكل ما يعينك على طاعته من خيري الدنيا والآخرة؛ فإنه حي قيوم يحب أن تسأله ليُجيبك: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

وإذا دعوت ربك فادعه بحالة الاضطرار، ورؤية الافتقار، وذلة الانكسار: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

ولا تحدث نفسك حال سؤالك إياه بعمل حسن عملته، أو ذنوب منك تخاف أن يحرمك من أجلها، بل فقط ادع ربك المجيب بحالة الاضطرار والافتقار والانكسار؛ فذلك أكمل لتوحيدك، وأولى بمقامك ذاك، وأقرب إلى الثقة منك بمولاك: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر/ ٩].

واعزم المسألة؛ فإن الله لا مُكرِه له، وأكثر من الدعاء؛ فإن الله لا يمل حتى يمل العبد، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَّ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**» متفق عليه(١).

وتزين لربك العظيم بالخصال النبيلة، والأعمال الصالحة، والأفعال الرضية، والنصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قال رسول الله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» أخرجه مسلم(٢).

وكن أول المسلمين في العبادة والدعوة والإحسان إلى الخلق: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٨٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

﴿لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر/ ١١-١٣].

واعلم بأن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره؛ لحسن ظنه بالله، ويقينه على ذاته وأسمائه وصفاته، فاجتهد في العلم والعمل؛ لعلك تزكو: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر/ ١٨].

ومن عرف ربه المجيب حقاً أقبل عليه، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

واحرص رحمك الله على الإحسان إلى الخلق، وإياك أن تظلم أحدًا، واتقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، وتعبد لله مع خلقه بصفة الإحسان؛ يحبك الله والناس: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

واعلم بأن مقاليد الأمور كلها بيد الملك الواحد الأحد جل جلاله، فاخلص له العبادة وحده لا شريك له: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم أن الله أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، فإذا مسك الضر؛ فاسأل ربك وحده، فإنه قريب مجيب، وهو وحده أهل أن تدعوه وترجوه: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

وإياك أن تنزل حاجتك بإنسان، أو تضع ثقتك في غير الله، فإن فعلت؛ فمن رحمة الله بك أن يُلقِي في قلب من وثقت به الاعتذار إليك، ويُخيب ظنك فيه تأديبًا لك؛ لتعود لربك العظيم الذي بيده مقاليد الأمور وحده لا شريك له: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس/ ١٠٧].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» أخرجه الترمذي(١).

واعلم أن الدعاء الذي يجيبه الله ما كان بتورع، وكان بخفية، وتجنب صاحبه الاعتداء فيه، وتجنب أكل الحرام: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف/ ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين/ ١٤].

واعلم بأن من عرف الله حقًّا عبده حقًّا، وأحبه حقًّا، وخافه حقًّا، وتوكل عليه حقًّا، فمن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة؛ أحبه وعظمه، وحمده وشكره، وآمن به ووحده، وأخلص له العبادة وحده لا شريك له: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

والمسلم إذا عرف ربه باسمه المجيب أحبه، وتعلق به، ورجاه، وطمع فيما عنده، وتضرع بين يديه، وأنزل به حاجته؛ لحسن ظنه بربه، ومعرفته بعظيم كرمه وإحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وقال النبي ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي**» متفق عليه(٢).

ومن استجاب لله إذا أمره أجابه إذا سأله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون مستجيبًا لأوامر الله ﷻ، ولأوامر رسوله ﷺ في كل حال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الأنفال/ ٢٤].

وأن يحسن إلى الناس بما أنعم الله عليه من الخير إن قَدِر، وباللطف في الجواب إن عجز: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وقال ﷻ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[البقرة: ٢٦٣].

واعلم أن المجيب سبحانه يجيب دعاء من دعاه في كل الأوقات، وآكد ذلك وأرجاه ثلث الليل الآخر حين ينزل الكريم سبحانه ويقول لعباده: من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟.

وكذا بين الأذان والإقامة، وساعة في يوم الجمعة خبئت لتدعو ربك في كل الأوقات، وآكدها آخر ساعة بعد العصر، وكذا يوم عرفة، وليلة القدر، وفي حال السجود،وحال الاضطرار، ونحو ذلك: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[النمل/ ٦٢].

فادعُ الله وأنت موقن بالإجابة، بقلب خاشع متذلل لله، وعين تبكي من خشية الله، وجوارح تركع وتسجد لله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر/ ٩].

ولا تستبطئ الإجابة، ولا تستعجل، ولا تقطع الدعاء.

قال النبي ﷺ: «**يُسْتَجَابُ لأحدكم مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ ، قالوا: كيف يستعجل؟ قال: يقول: دَعَوْتُ وَدَعَوْتُ ولم يُستجب لي، فيترك الدعاء، فلا يُستجاب له**»أخرجه مسلم(1).

وتجنب أكل الحرام؛ فإنه مانع من إجابة الدعاء.

قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾**[المؤمنون/ ٥١].

وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[البقرة/ ١٧٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٥).

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟» أخرجه مسلم[1].

وتيقن يا عبد المجيب أن الإجابة مقرونة بالدعاء الصادق، فأخلص الدعاء لله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[البينة: ٥].

وإذا تأخرت الإجابة؛ فاعلم أن الله يحب أن يسمع تكرار صوتك بالدعاء، أو أنَّ طلبك فيه ضرر عليك، أو أنه ادخره لك وأخره لتنتفع به حال حاجتك إليه، أو ادخر لك خيرًا منه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦﴾[البقرة: ٢١٦].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه؛ أن الميت حقًّا هو كل من تمتع بدنه بأعلى درجات الصحة والعافية، لكن قلبه ميت لا يعرف ربه، ولا يذكره، ولا يعبده، فهذا هو ميت الأحياء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤﴾[الأنفال/ ٢٤].

ومن فقد النور عاش في الظلمات: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢٢﴾[الأنعام/ ١٢٢].

فسبحان الرب الحكيم الرحيم بعباده، القريب المجيب.

أحيانًا يعطي العبد قبل أن يسأله؛ ليحبه، ويقبل عليه، ويطيعه، وأحيانًا يدعوه العبد فيعطيه، فيحبه ويشكره: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾[غافر: ٦٥].

فهو سبحانه القريب المجيب، إما أن تدعوه فيعطيك، وإما أن يعطيك لتدعوه، فإن كان الدعاء قبل العطاء؛ فالمبادرة منك، وإن كان العطاء قبل الدعاء؛ فهذه نعمة أراد الله أن يمتحنك بها.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

فأنت إما أن تطيعه فيكرمك، أو يكرمك فتطيعه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)﴾ [الأنفال/ ٢٦].

يا عبد المجيب كن أول من استجاب لربه في عبادته، وأول من استجاب لربه في الإحسان إلى خلقه، وأول من استجاب لربه في قضاء حوائج الناس، والعفو عن زلاتهم، وتحمل أذاهم، من أجل الله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، واستعملنا في طاعته وتقواه، وجعلنا ممن سبقت لهم من ربهم الحسنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢)﴾ [الأنبياء/ ١٠١-١٠٢].

ورفع درجاتنا في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)﴾ [آل عمران: ٨].

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»

اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطر، نسألك أن تهدي قلوبنا، وتغفر ذنوبنا، وتيسر أمورنا وترحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك.

يا قريب يا مجيب، اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا فيما أعطيتنا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم كما صُنت وجوهنا عن السجود لغيرك؛ فصُن ألسنتنا عن سؤال غيرك، فإنه لا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك، يا ولي العطاء والإحسان: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)﴾ [آل عمران/ ٥٣].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المستعان

اسم الله المستعان

العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أشرف العلوم على الإطلاق، وأعظم أبواب التوحيد، وتاج أركان الإيمان، وأزكى العلوم وأعلاها، وأحسنها وأعظمها، وأفضلها وأوجبها؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الله جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

وهذا العلم العظيم أشرف ما صُرفت فيه الأنفاس، وخير ما سعى في تحصيله الأكياس، وهو عماد السير إلى الله، وهو الباب الأعظم لمعرفة الله، ونيل محابه ورضاه، وهو الصراط المستقيم لكل من أحبه الله واجتباه، وقد أمرنا الله ﷻ بمعرفته، ومعرفة أسمائه وصفاته، فقال سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد/ ١٩].

وقال ﷻ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾[المائدة/ ٩٨].

والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أساس بنيان الدين، وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، ومتى كان الأساس راسخًا حَمَل البنيان، والأقوال والأعمال بنيان الدين، وسقفه الأخلاق الحسنة مع الخالق ومع المخلوق.

فأساس أركان التوحيد والإيمان هو معرفة الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، وأساس كل ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وتوحيده بها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف: ١٨٠].

ومتى كان الأساس قويًّا حمل البنيان، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه، وإن كان الأساس غير وثيق؛ لم يحمل البنيان، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان كله، وعلى قدر إحكام الأساس يكون علو البنيان: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر/ ٦٥- ٦٦].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة/ ٥].

وأوثق أساس يبني عليه العبد بنيانه مركب من أمرين:

معرفة الله وتوحيده بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وتجريد الانقياد لله ورسوله، والقرآن كله بيان لهذا الأساس، وتوثيق له، ودعوة إلى إتقانه، والعمل به، فهو الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦- ٥٨].

وقد أمرنا الله ﷻ أن نتعلم هذا العلم العظيم، ونعتني به، ونعمل بمقتضاه؛ لعظم شأنه، وعلو مقامه، وكثرة بركاته وخيراته، فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾ [البقرة/ ٢٣١].

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم كثيرًا من أسمائه وصفاته وأفعاله، وأظهرها في آياته ومخلوقاته؛ ليعرّف عباده بها، ليعبدوه بموجبها، ويدعوه بمقتضاها.

وأسماء الله وصفاته وأفعاله أحب شيء إلى الله، وهي أفضل شيء في القرآن وأعظمه وأحسنه؛ لأنها صفات الخالق العظيم جل جلاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

فيجب علينا تعلم هذا العلم العظيم، لأنه أساس التوحيد، وأعظم أركان الإيمان، وأعظم أصول الدين، وعليه تُبنى بيوت الإسلام الرفيعة، ومنازله العالية، وصفاته الحسنة الجميلة، ولن تستقيم حال البشرية أبدًا إلا بمعرفة ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله،

وعبادته وحده لا شريك له، والعمل بدينه وشرعه الذي به سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس/ ٦٢- ٦٣].

لهذا يجب علينا معرفة الكبير من الصغير، والغني من الفقير، والقوي من الضعيف، والقادر من العاجز، والملك من العبد؛ لنعبد الله بموجب هذه المعرفة العظيمة: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

هو سبحانه الملك القادر المستعان الذي يعين كل أحد، ولا يطلب العون من أحد، الغني عن المعين، الغني عن الظهير، الغني عن الشريك والوزير وكل أحد: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

هو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، فكل عبد يطلب منه العون على فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، وجلب المنافع، ودفع المضار.

فلله الحمد على نعمه وفضله، ورحمته وعونه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢ - ٧].

وهو سبحانه الحي القيوم المستعان، الذي جميع أهل السماء والأرض محتاجون إلى الاستعانة به؛ بل لا قيام ولا حياة ولا بقاء ولا وجود إلا به: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢- ٦٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الغني الذي يملك كل شيء، المستعان وحده لا شريك له، والخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه، لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه

وعلمه وعونه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم رحمك الله؛ أن المستعان هو الله وحده لا شريك له، فأهل الطاعة يستعينون به على فعل الطاعات، وترك المعاصي، فدأبهم دائماً: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة/ ٥].

أما أهل المعصية، فحين تَرك العاصي سؤال العون من الله على طاعته، وأعرض عن طاعة ربه إلى معصيته؛ أعانه على معصيته، فتوجه إليها بعونه، وحرمه سبحانه العون على الطاعة، فلم يتوجه إليها: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الصف/ ٥].

فالخلق كلهم في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة؛ كلهم مصرفون في حركاتهم وسكناتهم بقدرة الله وعونه وإذنه ومشيئته: ﴿۞وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ١١١﴾ [الأنعام/ ١١١].

فالخلق كله، والأمر كله، والملك كله، بيد الله وحده لا شريك له: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١].

والإنس والجن مصرفون في طاعاتهم ومعاصيهم بقدرة الله وعونه، إما بجنود الملائكة الهادية، أو بجنود الشياطين المضلة.

فلا طاعة ولا معصية إلا بإذن الله وعونه، ولا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله وعونه وحده لا شريك له: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ [الأنعام/ ١٠٦ - ١٠٧].

فاللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، ولزوم طاعتك، واجتناب معصيتك، والفقه في دينك: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان/ ٢٩ - ٣١].

- **وقد ورد اسم الله المستعان في القرآن الكريم مرتين:**

في قوله سبحانه في سورة يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف/ ١٨].

وقوله سبحانه في سورة الأنبياء: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء/ ١١٢].

والاستعانة: هي طلب العون من الله؛ كما قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة/ ٥].

وقد أمرنا الله ﷻ بالاستعانة بالصبر والصلاة على إقامة الدين، وإبلاغ الحق بقوله سبحانه:: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة/ ١٥٣].

هو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، المستعان الذي يستعان به على جلب المنافع ودفع المكاره، وفعل الطاعات وترك المعاصي.

هو المستعان الذي كل عون وإعانة فمنه وحده لا شريك له، المستعان الذي يستعين به عباده؛ لما يعلمون من عظمة قدرته وقوته، وكمال لطفه ورحمته: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٢ - ٥].

وقال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله**» أخرجه الترمذي[١].

والله سبحانه خلق الإنسان ضعيفًا برحمته؛ ليقف بباب العبودية لربه في كل حال، ويستعين بالقوي القادر على كل شيء، المستعان الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢ - ٦٣].

هو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، المستعان الذي إن كنت ضعيفًا فسألته قواك، وإن كنت فقيرًا فسألته أغناك، وإن كنت مريضًا فسألته شفاك، وإن كنت عاجزًا فسألته

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٤٢١٦).

أقدرك ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

هو سبحانه المستعان الذي يستعين به كل أحد، ويطلب العون منه كل أحد، ولا يستعين هو بأحد؛ لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

وقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» أخرجه أحمد وأبو داود(١).

الله وحده هو المستعان إذا اشتد الكرب، وادلهم الخطب، وحل الأمر الصعب، ووقع الجدب: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

الله المستعان وحده لا شريك له، إذا قل النصير، ووقع الأمر الخطير، وكُذب أنبياؤه، وأوذي أولياؤه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١ - ٥٢].

وضع الكفار خليله ﷺ في المنجنيق، وهدده الكفار بالحريق، فتوجه بقلبه إلى ربه المستعان، واستغاث بقلبه ولسانه: حسبنا الله ونعم الوكيل، فكان الله هو المستعان: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٩- ٧٠].

وكذب الكفار أنبياءه ورسله فأخذهم القوي العزيز بقوة انتقامه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وأُوذي محمد ﷺ، وأُخرج من بلده بغير حق، وشُج رأسه، وكُسرت رباعيته، وجُرح في وجنته، واجتمعت عليه الأحزاب من كل مكان، وسخر منه الكفار واليهود والمنافقون؛ فالله المستعان عصمه وحفظه، وأظهر دينه، وخذل أعداءه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢) وهذا لفظه، وأحمد برقم (٢٢١٧٢).

﴿إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

هو وحده المستعان إذا اشتد الكرب: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩ – ١٠].

هو وحده المستعان إذا ضاقت الأمور، وادلهمت الخطوب: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة/ ٢٥ – ٢٦].

هو المستعان وحده لا شريك له على إظهار دينه، ونصر أوليائه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة/ ٣٣].

هو سبحانه المستعان على رد كيد الأعداء: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف/ ٨].

هو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، الذي ينصر أنبياءه ورسله وأولياءه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة/ ٤٠].

هو سبحانه المستعان إذا فَجعت المصائب الناس، وجاعت البطون والأمهات والولائد، وأخلفت الظنون، وركب الظالمون الأكتاف، وعاثوا في الأرض فسادًا؛ ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف/ ١١٠].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر/ ٥١].

هو المستعان وحده لا شريك له على رد كيد الأعداء، وتدمير المخالفين المعاندين المعارضين لدينه في ملكه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

هو سبحانه القوي العزيز، المستعان على المصائب العظيمة، والفواجع الأليمة، والخطوب المدلهمة: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: ١٧ – ١٨].

وهو المستعان وحده لا شريك له عند تفرق الإخوان، وفقد الأحباب، وموت الأصحاب والأخيار: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ [الأعراف/ ١٢٨ – ١٢٩].

الله وحده المستعان عند تبدل النعم، وحلول النقم، الله المستعان على فقد الولد، وقحط البلد، وضعف السند.

الله وحده المستعان إذا نزل المرض، وقلت الأمطار، وأجدبت الديار، وذبلت الأشجار، وانقطعت الثمار، وبكت عين الوحش والحيوان: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠ – ٥١].

الله وحده المستعان إذا قست القلوب، وكثرت الذنوب، وظهرت العيوب، وادلهمت الخطوب: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الله وحده المستعان على كل ظلوم جبار، وعلى كل خائن غدار، وعلى كل جاحد كفار: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف/ ١٨].

الله وحده المستعان على فتنة السراء والضراء، وفتنة العافية والبلاء، وفتنة الشدة والرخاء: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

هو المستعان وحده لا شريك له إذا تحطمت الآمال، وصاح العيال، واسود الظلام،

وكثرت الديون، وقل النصير، وضاقت الأمور: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

هو المستعان وحده لا شريك له في كل حال، هو المستعان الذي فتح أبواب الدعاء، ودعا عباده لدعائه؛ لكشف كرباتهم، وقضاء حوائجهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

نصر أولياءه من أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، فماذا قال الكفار لإبراهيم ﷺ؟ ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

هو المستعان الذي ينصر رسله وأنبياءه وأولياءه: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٦- ٧٧].

هو وحده المستعان الذي يجيب كل من دعاه: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٣- ٨٤].

هو وحده المستعان الذي يجيب دعاء كل من دعاه واستغاث به: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ

وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء/ ٨٧- ٩٠].

الله المستعان عند جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء، واضطراب الأحوال، وارتفاع الأسعار، وقلة ذات اليد، ومس الجوع والفقر والمرض: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر/ ٦٥].

هو سبحانه المستعان وحده إذا اشتدت الأمور، وأغلقت الأبواب، وصاح الكبار والصغار، وطغى كل ظالم جبار، وقلت المياه، واختفت الأقوات، وعم البلاء والظلام: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[النمل/ ٥٩- ٦٤].

فلا إله غيره، ولا رب سواه، هو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات/ ١٨٠- ١٨٢].

فاعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه؛ أن الله وحده هو المستعان، وأن الاستعانة هي طلب العون من الله.

والإنسان وكل مخلوق موسوم بأربع صفات: فهو ضعيف، فقير، عاجز، محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على الابتلاءات، فاستعن بالله أيها العبد في كل حال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ

﴿فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٧ – ١٢٨].

﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [الطور: ٤٨ – ٤٩].

فمن استعان بالله أعانه الله، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره؛ وكَله إلى من استعان به، فصار مخذولًا من جهة من استعان به، ليقطع رجاءه مِن سواه، ويعود إلى ربه ومولاه: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩﴾ [النمل: ٧٩].

واعلم أن من استعان بالله فهو محمود منصور، ومن استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مذموم مخذول؛ ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾ [الإسراء/ ٢٢].

مذمومًا: لا حامد لك، مخذولًا: لا ناصر لك.

والله سبحانه هو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

واعلم رحمك الله أن الاستعانة بالله تقوم على أصلين عظيمين:

أحدهما: الثقة بالله وحده: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

الثاني: الاعتماد عليه وحده: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة/ ٥].

فالإنسان قد يثق بغيره؛ ولكن لا يعتمد عليه في أموره لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به، لحاجته إليه.

والله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، بيده كل شيء، وهو المستعان في كل شيء، والعبد ليس بيده شيء، وهو محتاج إلى عون ربه في كل شيء: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود/ ١٢٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي ليس له شريك في الملك، ولا في الخلق، ولا في الأمر، ولا في الأسماء، ولا في الصفات، ولا في الأفعال!: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

هو سبحانه القوي الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هذا هو الرب العظيم الذي يستحق أن يعبده الخلق وحده، ويكبروه وحده، ويحمدوه وحده: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠- ١١١].

المسلم إذا عرف ربه باسمه المستعان؛ كبَّره، وعظَّمه، وأحبه، وحمده، وشكره، وأفرده بالعبادة، واستعان به، ووثق في نصره وعونه، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يستعين بربه العظيم في كل حال، وأن يكون عونًا لغيره في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، فيغيث الملهوف، ويعين المحتاج، ويعطي السائل ويحسن إلى غيره: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

فكن عونًا لأخيك؛ تغيث الملهوف، وتعين المحتاج، وتعطي السائل، واستعن بالله في كل أمر، في عبادتك، في دعوتك، في تعليمك، في إصلاح نفسك وأولادك، وفي قضاء حوائجك، وفي دفع ما يضرك.

قال النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**» أخرجه الترمذي[1].

وإذا عرفت الله باسمه المستعان اطمأن قلبك إليه، ووثقت بنصرته وعونه، وتوجهت إليه بالدعاء لكشف الضر، ورفع البلاء، وفي طلب العطاء: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد/ ٢٩].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

واعلم رحمك الله؛ أن سر الخلق والأمر، وسر الكتب والشرائع، وسر الأمر والنهي، وسر الثواب والعقاب، لتحقيق أمرين:

الأول: عبادة الله وحده لا شريك له.

والثاني: أن تستعين به وحده لا شريك له.

كما قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة/ ٥].

فعبادة الله وحده تدفع الرياء، والاستعانة بالله وحده تدفع الكبرياء، وقدم الله العبادة على الاستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة/ ٥].

لأن العبادة لله هي الغاية، والاستعانة بالله هي الوسيلة، فأنا أستعين بك يا الله على عبادتك، وتقديم المفعول به وهو إياك لإفادة الحصر والقصر، أي: أعبدك ولا أعبد غيرك، وأستعين بك ولا أستعين بغيرك: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾[الزمر/ ٦٤- ٦٦].

وقال سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾[يس/ ٦٠- ٦١].

ولما كانت عبادة الله فيها للعبد عز وافتخار، أتبعها الله بـ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ إظهارًا للذل والافتقار للرب العزيز الجبار.

وقد ذكر الله ﷻ الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها؛ لاحتياج العبد في جميع أموره وأحواله، وأقواله وأعماله وعباداته ومعاملاته إلى الاستعانة بالله المستعان، كما قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة/ ٥].

واعلم أن قلب الإنسان يعرض له مرضان عظيمان؛ هما: الرياء والكبر، وإذا لم يتداركهما العبد؛ ترميا به إلى التلف، فدواء مرض الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة/ ٥].

ودواء مرض الكبر بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة/ ٥].

وإذا عُوفي الإنسان من مرض الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة/ ٥].

وعوفي من مرض الكبر والعجب بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة/ ٥].

وعوفي من مرض الجهل والضلال بـ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾[الفاتحة/ ٦].

فقد عوفي من أمراضه وأسقامه كلها، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر/ ١٨].

وهؤلاء هم المنعَم عليهم الذين عرفوا الحق، واتبعوه، ودعوا إليه.

والمغضوب عليهم هم أهل فساد العمل والقصد، كاليهود الذين عرفوا الحق واستكبروا عنه، ولم يدعوا إليه.

والضالون الذين هم أهل فساد العلم، كالنصارى الذين عرفوا الحق، ثم ضلوا عنه، أو جهلوا الحق ولم يعرفوه، فهم يعمهون في الضلال، كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[الفاتحة/ ٢- ٧].

والاستعانة جزء من العبادة، والعبادة حق الله الذي أوجبه على عباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾[البقرة/ ٢١].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾[الذاريات/ ٥٦- ٥٨].

وكلما كان العبد بالله وأسمائه وصفاته أعرف كانت عبوديته لله أتم، وكانت الإعانة له من الله أعظم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾[الحج/ ٤٠- ٤١].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

- **والناس في العبادة والاستعانة أربعة أقسام:**

الأول: أهل العبادة لله، والاستعانة بالله عليها.

وهؤلاء أجل الأقسام وأفضلهم، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل، ثم من تبعهم بإحسان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢- ٤].

الثاني: أهل الإعراض عن العبادة والاستعانة بالله.

وهؤلاء هم شر البرية، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة/ ٦].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة/ ١٦١- ١٦٢].

الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة، أو باستعانة ناقصة.

فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والعون بحسب استعانتهم بالله، ولهم نصيب من الخذلان والمهانة بحسب قلة استعانتهم بالله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨].

الرابع: الذين يشهدون تفرد الله بالنفع والضر، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون، ولم يدوروا ما يحبه الله ويرضاه، ومع ذلك توكلوا عليه، واستعانوا به، على حظوظهم وشهواتهم.

فهؤلاء لا عاقبة لهم، وما أُعطوه من جنس الملك والمال لا يدل على الإسلام، فضلًا عن الولاية والقرب من الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ/ ٣٧].

فاستعن بالله رحمك الله في جميع أمورك؛ يعِنك، وأعن كل محتاج تقدر على نفعه، وعلم الجاهل، واهد الضال، وارحم المسكين؛ تكن ربانيًا: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها؛ أنت وليها ومولاها.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وجوارحنا من المعاصي، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

التواب

اسم الله التواب

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

هو التواب الذي يتوب على من يشاء من عباده، ويقبل توبته، الكريم الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر منه القبول لها: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾ [التوبة/ ١٠٤].

وهو سبحانه التواب الرحيم بعباده، الذي يسر لهم أسباب التوبة مرةً بعد أخرى بما يظهر لهم من آياته، حتى إذا عرفوا غوائل الذنوب، استشعروا الخوف من الجبار جل جلاله، فرجعوا إليه بالتوبة، فرجع إليهم فضل الله التواب بالقبول: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾ [المائدة/ ٤٠].

وهو سبحانه التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين، التارك مجازاته بعد توبته بما سلف من ذنبه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة/ ٣٧].

وهو سبحانه التواب الذي من رأفته ورحمته مَنَّ على من شاء من عباده بالتوبة، وحببها إليه، وقبلها منه، وتاب عليه قبل أن يتوب: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١١٨﴾ [التوبة/ ١١٨].

فسبحان ربنا التواب الرحيم الذي ييسر لعباده أسباب التوبة، ويتوب عليهم قبل أن يتوبوا؛ فضلًا منه ورحمة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة/ ٣٧].

وقد ورد اسم الله التواب في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [النور/ ١٠].

واسم الله التواب من صيغ المبالغة، فالله تواب على من تاب من الذنوب العظيمة، تواب يتوب على من تكررت ذنوبه، وتكررت منه التوبة: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة/ ٣٩].

واعلم أن الله سمى نفسه توابًا؛ لأنه خالق التوبة في قلوب عباده، والذي يسر لهم أسبابها، والراجع بهم من الطريق الذي يكرهه إلى الطريق الذي يرضيه.

ولَمَّا كانت المعاصي متكررة من العباد، جاء بصيغة تواب، صيغة مبالغة، ليقابل الخطايا الكثيرة والذنوب العظيمة بالتوبة الواسعة الدائمة: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر/ ٣].

فسبحان من وصف نفسه بالتواب ؛ لكثرة من يتوب عليه من العباد في مشارق الأرض ومغاربها في كل لحظة، ولحبه للتوبة، ولتكرر التوبة من الشخص الواحد، وتنوع الذنوب وتكرارها واختلافها: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر: ٣].

فالصفة المشتقة من اسم الله التواب هي التوبة، والتوبة صفة فعلية لله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾[التوبة/ ١١٧].

وقال النبي ﷺ: «**لَوْ أَنَّ لابنِ آدَمَ وَادِياً مِنْ ذَهَبٍ؛ أَحَبَّ أَنْ يكُونَ لَهُ وَادِيانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتْوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**» متفق عليه(١).

وقد ورد اسم الله التواب مفردًا في سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر/ ١- ٣].

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٣٦)، واللفظ له، و مسلم برقم (١٠٤٨).

واقترن اسم الله الرحيم مع اسمه التواب في القرآن الكريم تسع مرات، منها: قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾[التوبة: ١٠٤].

والسر في ذلك والله أعلم الإشارة إلى أن توفيق الله للعبد إلى التوبة، ثم قبولها منه، وتوبته عليه، مع استحقاقه للعقوبة ما هو إلا أثر من آثار رحمة الله بخلقه:﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزمر: ٥٣].

واقترن اسم الله الحكيم مع اسمه التواب مرةً واحدةً في القرآن، بعد ذكر حد الزنا والقذف، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [النور/ ١٠].

والسر في ذلك والله أعلم أن الله بعد أن ذكر هذه الأحكام العظيمة المشتملة على كمال رحمة الله؛ بين أنه تواب على من تاب من عباده، وأنه حكيم يضع الحكمة في موضعها، والرفق في موضعه، وفي ذلك إشارة إلى أن في هذه التوبة حكمة، وهي استصلاح الناس، وحفظ أعراضهم:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾[البقرة: ١٤٣].

فسبحان الرب التواب الحكيم الرحيم الذي يستر على العصاة والمذنبين والمجرمين، ثم يوفقهم للتوبة إليه، ثم يقبلها منهم؛ لكمال رحمته وبره وإحسانه! فلولا سعة رحمته ما قبل التوبة ممن عصاه، ولا وفَّق من شاء إليها، ولعاقبهم على تفريطهم ومعاصيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ٦٠﴾[يونس: ٦٠].

وفي اقتران الرحيم بالتواب زوال المكروه من تبعات السيئات والآثام بالتوبة، وحصول المطلوب والمحبوب من الإنعام والإحسان بالرحمة:﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾[البقرة: ١٦٣].

هو سبحانه التواب الرحيم الذي يتوب على عباده مع كثرة معاصيهم، وعظمة ذنوبهم، وتكرارها منهم، وكثرة من يتوب عليه في كل زمان ومكان وحال:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٢٥﴾[الشورى/ ٢٥].

ولعظيم رحمته قابل الذنوب العظيمة الكبيرة، والذنوب المتكررة، بالرحمة والتوبة الواسعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾ [الحجرات/ ١٢].

فلله الحمد والشكر أولًا وأخيرًا على أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، وعظيم نعمه وإحسانه؛ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)﴾ [الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

وفق من شاء للتوبة، وحرك دواعي قلبه إليها، حتى قام العبد بالتوبة؛ توفيقًا من الله ﷻ، ثم قبل الله توبته، وعفا عن خطاياه، وحرك دواعيه للطاعات، وهيأ له أسبابها، وصرف عنه موانعها، ثم أثابه عليها، وضاعف له أجورها: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ [آل عمران/ ٧٣- ٧٤].

هو سبحانه التواب الذي يحب التوابين، ويفرح بتوبة التائبين أشد الفرح، وهو الغني عنهم من كل وجه، وهم المحتاجون إليه من كل وجه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)﴾ [النساء/ ٢٧- ٢٨].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾ [فاطر/ ١٥].

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**» أخرجه مسلم(١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٧).

هو سبحانه التواب الرحيم الذي تفرَّد بقبول توبة التائبين من عباده، ولا يغفر الذنوب والخطايا إلا هو وحده لا شريك له، وليس لأحد أن يقبل توبة من أسرف على نفسه إلا هو، ولا أن يغفر ويعفو عن ذنوب المذنبين إلا هو وحده لا شريك له: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

فسبحان من لا يغفر الذنوب إلا هو وحده لا شريك له: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة: ٣٩].

وهو سبحانه التواب الحكيم الذي لا يعاجل أهل المعاصي بالعقوبة؛ بل يمهلهم ليتوبوا إليه، الحكيم الرحيم الذي لا يفضح أهل الذنوب ابتداءً؛ بل يسترهم، ليكون ذلك عونًا لهم على التوبة، والرجوع إلى الله، ولولا فضل الله ورحمته؛ لعاجلهم بالعقوبة، وفضح مخازيهم بين عباده، وكشف مساويهم للناس: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النور: ١٠].

فسبحانه من عظيم ما أكرمه! ومن كريم ما أجوده! ومن تواب ما أرحمه! ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤].

هو سبحانه التواب الرحيم الذي لم يعاملنا بعدله فنستحق النار، ولكنه عاملنا برحمته؛ ليؤهلنا لدخول الجنة: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٧-٢٨].

فسبحان التواب الرحيم الذي يربي عباده، ويحسن إليهم، ويراقبهم بسمعه وبصره، وعلمه وإحاطته، ويحاسبهم على كل حركة وسكون؛ ليكرمهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة، ويطهرهم من الذنوب والخطايا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الرقيب الشهيد لكل ما في الكون من الذرات والنسمات، والمخلوقات والمجرات، هو مع كل إنسان في جميع أوقاته وأحواله.

وكل شأن فيه الإنسان لله معه شأن يقابله.

فإذا كان شأنك الإحسان؛ فشأنه الإكرام جل جلاله، وإن كان شأنك العدوان؛ فشأنه العقاب: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩- ٥٠].

وإن كان شأنك الإقبال؛ فشأنه التجلي، وإن كان شأنك الإعراض؛ فشأنه التأديب: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

هو سبحانه التواب الرحيم الذي يسوق الشدائد لمن عصاه؛ ليحمله على التوبة إليه، والانكسار بين يديه.

فسبحان التواب الحكيم الذي لو ترك الخلق على معاصيهم لهلكوا؛ لكنه الرحيم الذي يسوق الشدائد إليهم؛ لعلهم يتضرعون إليه، فيتوب عليهم: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام/ ٤٣].

واعلم أنه إذا جاءت توبة الله قبل توبة العبد؛ فتعني الشدائد والمصائب التي يسوقها الله للعبد؛ ليتوب إلى ربه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة/ ١١٧].

وإذا جاءت توبة الله بعد توبة العبد؛ فتعني قبوله سبحانه توبة عبده: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة/ ٣٩].

فسبحان التواب الرحيم الذي يحب عباده، ويفرح بتوبتهم، ويحب لهم كل خير.

وهم في العناية الإلهية، من أطاعه منهم زاده إيمانًا وتقوى، وهدًى وثوابًا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

ومن عصاه منهم ابتلاه بالمصائب ليتوب إليه: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥ – ١٥٧].

هو العزيز الكريم الذي يمن بالهداية على من يشاء، فيأتيه محبًّا راغبًا؛ لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه، أو يأتيه راغمًا بحمله على التوبة إليه بالشدائد والمصائب التي أرسلها الله له رحمةً به: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾[التغابن/ ١١].

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة/ ٥١].

واعلم أن التوبة واجبة على كل عبد من جميع الذنوب: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[النور: ٣١].

وأفضل الناس أكثرهم قيامًا بها، وتكرارًا لها، وإذا تخلى عنها العبد صار ظالمًا؛ لشدة تقصيره، وإسرافه على نفسه.

وأكثر الناس توبة هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكان النبي ﷺ يستغفر الله في المجلس الواحد سبعين مرة، وفي رواية: مائة مرة.

والناس اثنان: تائب وظالم: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[الحجرات/ ١١].

فالظالم هو الكافر إذا لم يتب، والعاصي إذا لم يتب، والتائب هو المؤمن الذي تاب إلى ربه من معاصيه وذنوبه؛ ولهذا وصف الله المؤمنين الذين اشتراهم بأعظم الصفات، وأولها التوبة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة/ ١١٢].

وكلما وقع العبد في معصية فقد فارق فطرة الإسلام بقدر عمده وخطئه، وكبر ذنبه وصغره، وإصراره عليه، وإشهاره بين خلقه، فإن تاب تاب الله عليه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

فسبحان الله التواب الرحيم الذي يتوب على من يشاء بالتوفيق للتوبة، فإذا تاب العبد المذنب قَبِل توبته، وعفا عن سيئاته: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة/ ٣٩].

فإن كان التائب صادقًا في توبته تاب الله عليه، وغفر ذنوبه، وعفا عن سيئاته، وبدل سيئاته حسنات ثم ضاعفها له؛ لأنه الكريم الرحيم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان/ ٦٨ - ٧٠].

واعلم زادك الله معرفةً بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وآياته، ومخلوقاته أن الله أوجد التوبة على مسالك حكمته، وطرقات سنته، فكما يرجع سبحانه الليل بعد النهار، ويرجع النهار بعد الليل، ويرجع الحياة بعد الموت، ويرجع الموت بعد الحياة، كذلك من أذنب ثم تاب تاب الله عليه، فإن عاد تاب عليه، فإن عاد تاب عليه؛ لأنه التواب الرحيم بخلقه، غافر الذنب، وقابل التوب، وواسع الرحمة، وواسع المغفرة: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر/ ٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ، وَرُبَّمَا قَالَ: ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ.**

فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ، وَرُبَّمَا قَالَ: ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا

آخَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ » متفق عليه(١).

واعلم رحمك الله أنه لا بد للعباد من الذنوب؛ ليظهر مقتضى اسم الله التواب لهم، ولا غنى لهم عن توبة الله عليهم، ثم لا بد لهم من العودة إلى المعصية، ثم يرجعهم التواب الرحيم إليه بالتوبة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فالعود والبدء سنته في خلقه العظيم، وتدبيره الحكيم: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر/ ٤٣].

فسبحان التواب الرحيم بعباده الذي رحمته على قدر شأنه جل جلاله.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**» أخرجه مسلم(٢).

- **واعلم زادك الله إيمانًا وتقوى أن أفعال الله ﷻ تنقسم إلى قسمين:**

الأول: أفعال لازمة: تتعلق بذات الله سبحانه فقط، كالاستواء على العرش، والنزول كل ليلة إلى السماء الدنيا، والمجيء يوم القيامة لفصل القضاء، ونحو ذلك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥].

الثاني: أفعال متعدية: تتعلق بالمخلوقات، كالخلق والرزق، والعطاء والمنع، وأنواع التدبير والتصريف، والتوبة والرحمة والمغفرة، ونحو ذلك: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء/ ٢٧- ٢٨].

والله سبحانه تواب يحب التوابين؛ لما في قلوبهم من انكسارة الخجل، والحياء من الله، والقرب من الله ﷻ، والشعور بألم الذنب، وهذه حقيقة العبودية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

والله سبحانه خلق الإنسان، وجعله خليفةً في الأرض، ولو لم يكن باب التوبة مفتوحًا؛ لفسدت الأرض، ولتضاعفت الذنوب، وحصل اليأس: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة/ ٣٩].

والله سبحانه هو الرب الذي يربي عباده بما يصلحهم، فلو كانت حياة المسلم كلها طاعات بلا معاصي؛ فسوف يُصاب هذا الإنسان بالعُجب والغرور ورؤية النفس، كما حصل من إبليس، فإنه أُعجب بعبادته فكفر، وقال لربه: أنا خير منه؛ يعني: آدم ﷺ، وآدم أُخرج من الجنة عندما أكل من الشجرة، ثم تاب؛ فتاب الله عليه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة/ ٣٧].

والطاعات تجعل المسلم يدخل على ربه دخول الملوك على الملوك، والمعاصي تجعله يدخل على ربه دخول العبيد على الملوك، مستحيًا من ذنبه، خاضعًا منكسرًا متذللًا، وذلك أحب إلى الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

والله سبحانه اخرج آدم ﷺ من الجنة إلى الدنيا؛ ليبذر فيها بذور الإيمان والتقوى، والأخلاق الكريمة، ويصلح فيها، ثم سيعود إلى الجنة مع من آمن بالله ﷻ.

فالله سبحانه خلق الجنة لآدم، ولأنبيائه ورسله، ومن آمن بهم: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة/ ٣٠].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف/ ١٠٧- ١٠٨].

والله سبحانه تواب رحيم، ومقتضى عدله أن يترك العبد يفعل ما يشاء، ثم يحاسبه يوم القيامة؛ لكن الله برحمته هدى العاصي إلى التوبة من ذنبه بابتلاء أو مصيبة، فلكمال رحمته سبحانه يريد ربك أن تذهب إليه راكضًا، ومسارعًا إلى فعل الخيرات، أو يأتي بك إليه راكضًا، وألم الذنب شديد لا يذهب إلا بالتوبة، وفعل الذنب يورث الخجل من الله ﷻ، والتواب سبحانه يقول لعبده المذنب: افعل حسنةً تذهب عنك الخجل، وأتبع السيئة

بالحسنة تمحها: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود/ ١١٤].

واعلم حفظك الله أن شهر رمضان شهر الطاعات والمغفرة، والصبر والتوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة/ ١٨٣].

هو سبحانه التواب الذي يعود بأصناف إحسانه وإنعامه على من تاب إليه، ورجع إليه، فالتوبة في حق العبد هي عودته إلى الطاعة والعبودية بعد الإباق.

والتوبة في حق الرب هي عودته سبحانه إلى الإحسان اللائق بالربوبية بقبول توبة من تاب إليه، وتوفيقه للطاعات: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ٦٤﴾ [النساء/ ٦٤].

فسبحان التواب الذي يحب التوبة، ويفرح بتوبة التائبين في كل حين، ويقبل الله توبة التائبين ما لم تغرغر النفس بالموت، أو تطلع الشمس من مغربها: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨﴾ [النساء/ ١٧ – ١٨].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» أخرجه مسلم(١).

ومهما بلغت المعاصي والذنوب فالله تواب على من تاب إليه، مهما كانت ذنوبه، ومهما عظمت ذنوبه، ومهما تكررت ذنوبه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٩).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً.**

ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَّ فَاعْبُدْ اللهَّ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهَّ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ.

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ» متفق عليه(١).

فلا إله إلا الله ما أعظم رحمة الله بعباده:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والأنبياء والرسل أكثر الناس توبةً واستغفارًا؛ لعلمهم بعظمة ربهم، وما يجب له.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**» أخرجه البخاري(٢).

وعن الأغر المزني رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**» أخرجه مسلم(٣).

وإذا كان هذا فعل سيد الخلق الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فماذا يجب على

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٦).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

غيره من الاستغفار والتوبة: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

واعلم رحمك الله أن الله تواب رحيم، يحب كل من يتوب إليه، ويتطهر له، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

بل يفرح بتوبة عبده المذنب أشد الفرح؛ لكمال رأفته ورحمته بخلقه.

قال النبي ﷺ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**» أخرجه مسلم(١).

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أكمل الخلق عبوديةً لله، وأكثرهم توبةً واستغفارًا؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له، خاصةً سيدهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ الذي كان يقول: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**» أخرجه مسلم(٢).

ورسولنا محمد ﷺ أكمل الخلق، وأكرمهم على الله، والمقدم على الخلق كلهم في جميع أنواع الطاعات والعبادات، وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**» أخرجه أبو داود والترمذي(٣).

والنبي ﷺ أفضل المحبين لله، وأفضل المتوكلين عليه، وأفضل العابدين له، وأفضل الداعين إليه، وأفضل التائبين إليه؛ ولهذا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢﴾ [الفتح/ ١- ٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).
(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥١٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤) وهذا لفظه.

وبهذه العبودية التامة، والأخلاق العظيمة، أعطاه ربه الوسيلة، وأكرمه بالشفاعة الكبرى يوم القيامة: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

فتب رحمك الله إلى ربك التواب الرحيم، واستغفره في كل وقت، وبعد كل عمل لا يحبه الله، وبعد أداء الفرائض والواجبات والسنن التي أمر الله ورسوله بها.

واعلم أن الغفلة عن الله تؤدي إلى ترك الواجب والمستحب، واقتحام المحرم والمكروه، فذكِّر وتذكَّر: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف/ ٢٠٥].

والتقصير حاصل في كل عمل في حينه ووقته وشكله، والإخلاص عزيز، والرياء معترض قاطع للثواب والعمل الواجب دون الطاقة المعطاة من الله للعبد؛ من عبادة وإحسان، ودعوة وتعليم، وجهاد وإنفاق، فنستغفر الله ونتوب إليه من كل تقصير وتأخير، وقلة إخلاص: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

اعلم أن الذنوب تتراكم على العبد، والمعاصي تجتمع عليه؛ ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بالتسبيح والحمد والاستغفار فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر/ ١- ٣].

واعلم أنه كما لا بد من الأغسال المتكررة لإزالة الأوساخ من الأجسام؛ كذلك لا بد من التوبة المتكررة لإزالة آثار الذنوب والآثام من القلوب؛ ولهذا قرن الله بينهما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾[البقرة/ ٢٢٢].

فعليك أيها العبد بالتوبة النصوح من الذنوب كلها مهما كانت، ومهما عظمت، ومهما تكررت، فإن ربك واسع المغفرة، فإذا أُحكمت التوبة بالإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم العود إليه، ورد المظالم إن كانت؛ فقابل ذنوبك بما يزيل وحشتها من العمل المصلح لها، واشكر ربك الذي هداك للتوبة منها، وقبلها منك: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾[المائدة/ ٣٩].

فإذا أنبت إلى الله، وأنست بقربه ولذة عبادته؛ فاذكر كثرة المذنبين والغافلين والعصاة، وادع الله أن يغفر لهم، ويتوب عليهم، وذكِّرهم بالله، وما يجب لله: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾[الذاريات/ ٥٥].

واعلم أن من عرف الله حقاً كبره حقاً، وأحبه حقاً، واستغفره حقاً: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وادع إلى الله في جميع الأوقات، وادع كل إنسان إلى ما يحب ربك ويرضاه؛ لعل الله يتوب على الكافر بسببك فيسلم، وعلى العاصي فيطيع، وعلى الضال فيهتدي، وعلى الغافل فيتذكر، وعلى الجاهل فيتعلم، فالله يحب التوابين، وهو أشد حبًّا لمن يكون سببًا لعودة عباده الشاردين عنه إليه بالتوبة: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾[آل عمران/ ١٠٤].

واعلم أسعدك الله في الدنيا والآخرة أن للتوبة وقتًا لا تقبل إلا فيه، فبادر إلى التوبة

النصوح قبل أن يفاجئك الموت وأنت على ذنوبك مقيم: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء/ ١٧].

وإياك أن تؤخر التوبة، ثم تتوب إذا رأيت علامات الموت؛ فإن الله لا يقبلها إلا بشروطها في وقتها: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء/ ١٨].

- **وتوبة العبد إلى ربه تتضمن ثلاثة أمور:**

الماضي..والحاضر..والمستقبل.

فالندم على الذنب في الماضي، والإقلاع عن الذنب في الحاضر، والعزم على عدم العودة إليه في المستقبل.

أما الاستغفار فهو عن ذنب وقع في الماضي، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

والله سبحانه يحب التوبة والتوابين، ويفرح بتوبة عبده وهو الغني عنه؛ لكمال رأفته ورحمته بعباده.

والواجب على كل من عرف ربه باسمه التواب أن يحبه كل الحب، ويحمده ويشكره، ويثني عليه بما هو أهله، وأن يرجع إليه بالتوبة من ابتعد عنه من خلقه بالمعاصي: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وحظ العبد من اسم الله التواب أن يتوب على من أخطأ في حقه، ويستر زلة من زل من إخوانه، ويحسن إليهم ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣- ١٣٥].

ومن عرف ربه باسمه التواب أحبه واستحيا منه، وحمده وشكره، وكبره وعظمه، واستأنس به، واستوحش من غيره، وأكثر من الثناء عليه، وأقبل على طاعته، واستغفر من ذنبه، ولم ييأس من روحه؛ لما يراه من آثار أسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه، وسعة رحمته ومغفرته: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

وحين يرى العبد آثار اسم الله التواب على الخليقة؛ فعليه أن يتوب إلى ربه في كل حين، من كل ذنب، فكلما أحدث ذنبًا أحدث توبةً حتى يلقى ربه.

ومن منا لم يذنب عن طريق لسانه، أو سمعه، أو بصره، أو فكره، أو جوارحه؟

ولحاجة العباد إلى التوبة في كل حين؛ أمرهم الله بها، وذكرهم بها، فأمر بها أمرًا جازمًا مطلقًا في الزمان والمكان والحال، فقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور/ ٣١].

وأخبر سبحانه أن من لم يتب فهو ظالم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات/ ١١].

وقال النبي ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى؛ فَإِنِّي وَاللهِ لَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**» أخرجه البخاري(١).

وإذا كان التواب سبحانه يقبل التوبة عن عباده بعد اجترائهم عليه بالمعاصي والفواحش؛ فحري بالمؤمن أن يقبل معاذير المجرمين، ويعفو عن زلاتهم، ويصفح عن مسيئهم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى/ ٢٥].

فيا عبد التواب صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن كما أحسن الله إليك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

ومن زلت به القدم، ووقع في المعصية؛ فليذكر أن ربه تواب غفور رحيم، عفو كريم: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

فيتوب إلى ربه، ولا يقنط من رحمته، بل يحسن الظن بربه الذي يغفر الذنوب جميعًا مهما كانت، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر/ ٥٣ – ٥٥].

وعلى العبد المذنب إذا تاب إلى ربه أن يكثر من الأعمال الصالحة؛ لأنها من أسباب الحصول على مغفرة السيئات: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود/ ١١٤].

وقال ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه/ ٨٢].

ومن حسن الظن بالله ﷻ: الإقبال على طاعته، والبعد عن معصيته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة/ ٢١٨].

فمن أحسن الظن بربه أطاعه ولم يعصه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل/ ١١٩].

والتوبة إلى الله ﷻ مطلوبة من جميع المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور/ ٣١].

وهي في حق المجرمين والفساق والعصاة والمشركين والكفار آكد، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان/ ٦٨ – ٧١].

لهذا يجب علينا وعلى جميع العصاة التوبة من جميع الذنوب، التوبة من النفاق والكبر

والحسد، التوبة من جميع الفواحش ما ظهر منها وما بطن، التوبة من فاحشة الزنا، وأكل الربا، وقتل النفس بغير حق، التوبة من الغيبة والنميمة، التوبة من السرقة والرشوة، والتوبة من أكل أموال الناس واليتامى بالباطل، التوبة من تعاطي الخمور والفجور، التوبة من سماع الأغاني وآلات العزف والطرب، التوبة من ترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها، التوبة من البخل وعدم إخراج الزكاة، التوبة من ظلم الناس، من ظلم الزوجة، من ظلم الفقراء، والمحتاجين، ومن ظلم الأولاد، التوبة من الغفلة عن الله، التوبة من إضاعة الأوقات، فهؤلاء وغيرهم مأمورون بالتوبة إلى الله ﷻ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة/ ٣٩].

وباب التوبة مفتوح لكل الناس: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور/ ٣١].

ومن رحمة الله أنه يتودد لمن أشرك به وعصاه أن يتوب إليه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾ [المائدة/ ٧٤].

يا عبد التواب مهما بلغت ذنوبك، ومهما بعدت عن ربك، ومهما أسرفت على نفسك بالمعاصي؛ فربك الرحمن الرحيم، يناديك لتتوب إليه: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

- **واعلم يا عبد التواب أن شروط التوبة سبعة؛ وهي:**

الأول: الندم على فعل الذنب.

الثاني: الإقلاع عنه فوراً.

الثالث: العزيمة على أن لا يعود إليه.

الرابع: إصلاح ما أفسدت، ورد ما أخذت بغير حق.

فإن اغتبت أحدًا فامدحه في المجالس التي اغتبته فيها، وإن أخذت شيئًا من الأموال بغير حق فأرجعه إلى صاحبه.

الخامس: أن تكون التوبة خالصة لله ﷻ.

السادس: أن تكون التوبة في وقتها قبل حضور الموت.

السابع: أداء الأمانة كما أمر الله ورسوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[البقرة/ ١٥٩- ١٦٠].

إلا الذين تابوا من بعد ما ظلموا، وأصلحوا ما أفسدوا، وبينوا ما كتموا: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[المائدة/ ٣٩].

وعلى المسلم أن يتوب إلى ربه توبةً نصوحًا، والتوبة النصوح هي التي لا رجعة بعدها إلى الذنب، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾﴾[التحريم/ ٨].

والتوبة النصوح هي التي يتبعها التائب بالطاعات: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر/ ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾﴾[الفرقان/ ٧١].

فسارع إلى التوبة، وكرر التوبة تعبدًا لله؛ لأن الله يحب التوابين، ويفرح بتوبة التائبين، ويفرح أشد الفرح بمن يكون سببًا لتوبة التائبين: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت/ ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران/ ١٠٤].

فعلينا جميعًا أن نتوب إلى الله توبةً نصوحًا من جميع الذنوب، ونبادر إلى كل عمل يحبه الله ورسوله، ونجتنب كل عمل لا يرضاه الله ورسوله؛ ليحصل لنا الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة: ١١٢].

والله تواب رحيم، من تاب إليه تاب عليه، ومن تقرب إليه تلقاه بالفرح، ومن أعرض عنه ناداه ليتوب عليه، ويغفر له، فنستغفر الله ونتوب إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى

ﭐلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٦٠].

وإذا عرف الكفار والعصاة كريم صفاته سبحانه، وجميل إحسانه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة/ ٧٤].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» أخرجه البخاري(1).

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا برحمتك شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، نستغفرك اللهم من جميع الذنوب ونتوب إليك.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا واغفر لنا إنك أنت التواب الرحيم.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠- ١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٢٣).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الرقيب

اسم الله الرقيب

الله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

الله جل جلاله هو الرقيب الحق، المطلع على جميع ما في ملكه العظيم من الذرة إلى المجرة، الرقيب الذي يراقب جميع خلقه في جميع أحوالهم، فلا يسترهم منه شيء، الرقيب الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

وهو سبحانه الرقيب الحافظ لكل شيء، الذي يحفظ عباده ويحرسهم مما يضرهم، ويحميهم مما لا يحبه ولا يرضاه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾ [هود/ ٥٧].

وهو سبحانه الرقيب الباقي ذو البقاء الدائم والشهود الأعلى، والحفاظة المحيطة بكل شيء، والعلم المحيط بكل شيء، والرقابة التي أحاطت بكل شيء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء/ ١].

وهو سبحانه الرقيب العليم بكل شيء، المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الحافظ الذي لا يغفل ولا يغيب عما يحفظه، الذي حفظ جميع المخلوقات، وأجراها على أحسن نظام، وأكمل تدبير: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الرقيب على كل شيء، الرقيب الذي يعلم بجميع أحوال الخلق، ويعد أنفاسهم، ويحصي كلماتهم، وأعمالهم، وخطواتهم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم أن الإنسان كله مكشوف أمام ربه، بل كل ذرة في ملكه مكشوفةً للذي خلقها جل جلاله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾ [إبراهيم: ٣٨].

فالإنسان الذي تحمل الأمانة مكشوف أمام ربه في كل أحواله.

في بيته مراقب، وفي سوقه مراقب، وفي عمله مراقب، وفي حضره مراقب، وفي سفره مراقب، وفي جلوته مراقب، وفي خلوته مراقب: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة/ ٧].

وإذا علم الإنسان أن ربه يراقبه خاف منه، واستحيا منه، ولزم أمره، وأحسن عمله؛ فسعد في الدنيا والآخرة: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون/ ٥٧- ٦١].

فسبحان الرقيب الحفيظ الذي لا يغفل، الرقيب الحاضر الذي لا يغيب، الرقيب العليم الذي لا يخفى عليه شيء: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة/ ٦- ٧].

وإذا علم العبد أن ربه يراقبه خاف مقام ربه، ووصل إلى مقام الإحسان، فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن/ ٤٦].

ومن خشي ربه اتقاه، وفاز برضاه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

ومن علم أن الله يراقبه أطاعه ولم يعصه، ولم يكذب، ولم يظلم، ولم يسرق، ولم يزنِ، ولم يغش، ولم يغتب، ولم يفجر: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

وقد ورد اسم الله الرقيب في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ منها: قوله سبحانه: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾[الأحزاب/ ٥٢].

واسم الله الرقيب الصفة المشتقة منه الرقابة، وهي من صفات الله الذاتية.

فهو سبحانه الرقيب الذي يرى ويسمع جميع مخلوقاته، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، الرقيب المطلع على كل شيء، الذي يعلم الجهر وما يخفى، العليم بالسر والنجوى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾[الملك: ١٣ - ١٤].

هو سبحانه الرقيب الذي يراقب جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي الكبير منها والصغير، العالي والسافل، في آن واحد، ورقابته لمخلوقاته عن استعلاء وفوقية، وقدرة وصمدية: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾[الأنعام/ ١٨].

هو سبحانه الرقيب على كل شيء بعلمه الواسع، المقدَّس عن النسيان، الرقيب على المبصرات ببصره المحيط بكل شيء، الرقيب للمسموعات بسمعه المدرك لكل شيء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾[آل عمران/ ٥ - ٦].

هو سبحانه الرقيب الذي أحاط بكل شيء علمًا، وسمعًا، وبصرًا، وكل مخلوقاته تحت قدرته ورقابته، الكليات والجزئيات، والذرات والمجرات، الظاهرات والخفيات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر: ٢٢ - ٢٤].

فسبحان الرقيب المطلع على ما في الضمائر، العليم بما أكنته السرائر، الخبير بما لحظته العيون، وما أخفته الصدور، الرقيب الذي أحصى على خلقه كل قول أو فعل، وكل صغيرة وكبيرة: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦﴾[السجدة/ ٦].

واسم الله الرقيب قد جاء في القرآن مفردًا، لم يقترن به أي اسم من أسماء الله الحسنى، كما

قال سبحانه عن عيسى ﷺ أنه قال: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[المائدة/ ١١٧].

وسر ذلك والله أعلم أن الرقيب اسم جامع، فالله رقيب مطلع على الأحوال الظاهرة والباطنة، مطلع على السر والعلانية، حافظ لخلقه، يحفظ جميع أقوالهم وأفعالهم، وحركاتهم وسكناتهم.

هو سبحانه الرقيب الذي يراك حين تأكل وتشرب، ويراقبك حين تتكلم أو تسكت، وحين تسمع، وحين تنظر، وحين تعدل أو تظلم، ويراقبك حين تعطي أو تأخذ، وحين تحسن أو تسيء، ويراقبك حين تعفو وتسامح، وحين تبكي أو تضحك، وحين تقول أو تفعل، وحين تغش أو تخون، وحين تتقي أو تفجر، وحين تطيع أو تعصي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء/ ١].

فسبحان ربنا الرقيب العليم بكل شيء، البصير بكل شيء، السميع لكل شيء، الخبير بكل شيء: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[غافر/ ١٩].

هو سبحانه الرقيب العليم الخبير بكل شيء: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام/ ٥٩].

واعلم أحسن الله إليك أن رقابة الرقيب للعبد رقابة لطيفة، رقابة تبعث السرور في القلب؛ لأنها رقابة للحسنات والسيئات، رقابة تدفعك لفعل الطاعات، واجتناب المعاصي.

ومن رحمة الله بك أنك لا ترى الرقيب، ولا المراقبين من الملائكة، وهي رقابة عناية لا تشعرك بأنك مراقب، وذلك من رحمة الله بك.

أما رقابة البشر لك فهي رقابة مزعجة تجعلك تشعر بالخوف والقلق؛ لأنك ترى من يراقبك من إنسان أو آلة.

واعلم أن اسم الله الرقيب متضمن لأسماء الله الحسنى؛ فالرقيب لا بد أن يكون حيًّا، سميعًا، بصيرًا، عليمًا، قادرًا، محيطًا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فسبحان الرقيب الذي يراقب عبيده لكي يحفظهم، ويحفظ أعمالهم؛ عنايةً بهم، وحرصًا عليهم؛ لئلا يقعوا فيما يكره الله، فهو الرقيب الذي لا يغيب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[النساء: ١].

واعلم أن المؤمن الصادق حقًّا يرى أن الله معه يراقبه ويراقب عمله، ويحفظه ويحفظ أعماله، أحواله مع ربه لا توصف، ومناجاته لا تنقطع، يتزين قبل أن يصلي؛ لأنه سيقف بين يدي ربه جل جلاله، ويحسن صوته بالقرآن إذا قرأ؛ لأنه يعلم أن الله أول من يسمعه، ويكرم الناس؛ لأنه يعلم أن هؤلاء عبيد ربه، ويستحيي أن يكون في حال يُعتذَر منها؛ لأنه يعلم أن ربه يراه ويعلم ما في قلبه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾[الأنفال/ ٢- ٤].

وإذا علم العبد أن ربه يراقبه؛ وصل إلى مقام الإحسان، فعبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وكلما ازداد العبد مراقبةً لله؛ كان أكثر ورعًا، وأكثر تقوى، وأكثر حياءً، وأكثر حبًّا وتعظيمًا وتكبيرًا وذلًا لله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)﴾[المؤمنون/ ٦٠- ٦١].

وهو سبحانه الملك العظيم القادر على كل شيء، القاهر فوق عباده، الرقيب على كل المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي عالم الغيب، وفي عالم الشهادة، وفي عالم الدنيا، وفي عالم الآخرة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾[الحج: ٧٠].

هو الرقيب على المبصرات كلها ببصره، الرقيب على المسموعات كلها بسمعه، الرقيب الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، المحيط الذي أحصى كل شيء عددًا: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾[الأنعام/ ٥٩].

فسبحان الملك الحق، والإله الحق، العليم الرقيب على كل ما في هذا الكون العظيم،

الشهيد لكل ذرة في الملك والملكوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: ٥ – ٦].

هو العليم القادر القاهر الرقيب الذي يستوي عنده الصغير والكبير، والقريب والبعيد، والظاهر والباطن، والكليات والجزئيات، والأسرار والخفيات: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١].

وجميع الخلائق في هذا الملك العظيم، والملكوت الكبير، كلهم قائمون بأمر الله، قانتون له، خاضعون لهيبته، خاشعون لعظمته، مستجيبون لمشيئته، مسرعون إلى إرادته.

والكل يشهد بوحدانيته، ويعبده ويسبح بحمده بفطرته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وكل مخلوق من مخلوقات ربنا العظيم مراقب له، قانت له، يسبح بحمده، وينتظر متى ينزل عليه الأمر من رقيبه جل جلاله فيمتثله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩- ٥٠].

فالإنس والجن يمتثلون أوامر ربهم الشرعية، وبقية المخلوقات مسخرة بأوامره الكونية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فهو جل جلاله الملك الحق الذي له الأوامر الكونية، والأوامر الشرعية، والأوامر الجزائية: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فسبحان الرقيب الشهيد الحق الذي يراقب ويشاهد جميع ذرات العالم العلوي والسفلي كلها في آن واحد، الحفيظ لجميع أجزائها، العليم بحركاتها وسكناتها، الشهيد للظواهر

والبواطن: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ [الرعد/ ٨- ٩].

والله جل جلاله هو الملك القوي القادر على الخلق، والتأليف، والتجميع، والتخطيط، والتصوير، والتدبير، والتشكيل، وتقسيم جميع الهبات، والأرزاق، والأخلاق، والأعمال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾

[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

يخلق ويرزق، ويحيي ويميت ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، ويهدي ويضل، ويقدم ويؤخر، ويبسط ويقبض، ويفعل ما يشاء: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ۝٢٧ ﴾ [آل عمران/ ٢٦- ٢٧].

وهو الرقيب سبحانه على الكون كله، يدبره بأحكام ملكوتية نازلة إلى قوى ملكية، بأوامر جبروتية، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٍ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٣ ﴾ [يس/ ٨٢- ٨٣].

فسبحان من بيده وحده الأوامر الملكية، والشرعية، والجزائية، وجميع هذه الأوامر صادرة من ربك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.

لخلق ما أراد خلقه، ورزق ما أراد رزقه، ونصر من أراد نصره، وتثبيت ما أراد تثبيته، وهدى من أراد هدايته، ومحو ما أراد محوه: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ۝٣٨ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩ ﴾ [الرعد/ ٣٨- ٣٩].

والكل ملكه، والكل يجري بأمره، والكل تحت قبضته وقهره: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٤ ﴾ [الحشر/ ٢٢- ٢٤].

وهو سبحانه الرقيب المحيط بكل شيء، استوى في حقه القريب والبعيد، والساكن والمتحرك، والحي والميت، والظاهر والباطن، والكبير والصغير، الكل معلوم له، والكل مشهود له، والكل مرقوب له: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج/ ٧٠].

فلا إله إلا الله! ما أعظم شأنه! وما أعز سلطانه! وما أوسع علمه! وما أعظم قدرته! وما أوسع رحمته! ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

أفقر كل مخلوق إليه، وسبح بحمده بين يديه، وشهد على نفسه بالذلة بين يديه، فما من ذرة، ولا جماد، ولا نبات، ولا حيوان، ولا إنسان، ولا ملك، ولا شيء، إلا والله رقيب عليه، وهو مراقب لرقيبه الحق، يسبح بحمده، ويشهد بوحدانيته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ [النور/ ٤١].

وجميع مخلوقاته ساجدة لعظمته، متصاغرة لكبريائه، خاضعة لأمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

واعلم رحمك الله أن الإنسان أكرم المخلوقات على ربه؛ ولهذا خلقه الله بيديه من بين المخلوقات كلها، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وأكرمه وفضله على كثير من المخلوقات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وقد فضل الله ﷻ الآدمي على غيره بالعقل، فلما أوجد الرب فيه العقل؛ واجهه بالشرع، وابتلاه بالتكليف بالأمر والنهي، وجعله خليفةً في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة/ ٣٠].

فأنزل ربه عليه الأمر الشرعي بواسطة الرسل، كما كان ينزل عليه وعلى غيره من

المخلوقات الأمر الكوني: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل/ ٣٦].

وسخر له ما في السماوات وما في الأرض؛ ليتفرغ لأمر الخلافة في الأرض، وضاعف عليه يومئذ الرقابة والرقباء والمعقبات من الملائكة الكرام الحفظة، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار/ ١٠- ١٢].

والملائكة المعقبات تتعاقب عليه، تحفظه، وتسجل أعماله ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد/ ١١].

وسره وجهره، وظاهره وباطنه؛ كل ذلك مكشوف لربه الرقيب الشهيد: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف/ ٨٠].

والرقيب الحق يراقب العبد في جميع أحواله، ويعلم أسراره وأعماله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق/ ١٦].

وابتلى الحكيم العليم بني آدم بالشهوات الحيوانية، وبالأوامر الشرعية، وبالمصائب القدرية: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فعظمت المحنة على الإنسان، واشتد البلاء، وبدأ الامتحان، وفاز من فاز، وخسر من خسر، فمن أدى الأمانة فاز، ومن خان الأمانة خسر: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

هو سبحانه الرقيب الذي لا يغفل عن خلقه أبدًا، فاتق الله أن يراك الرقيب حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

وأسماء الله ﷻ كلها حسنى، دالة على كمال الذات والصفات لله ﷻ.

ما ذُكر واحد منها على قليل إلا كثّره، ولا على ضعيف إلا قوّاه، ولا على مريض إلا

شفاه، ولا عند كرب إلا فرّجه، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند عسر إلا يسّره، ولا عند ضيق إلا وسّعه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠].

هو سبحانه الرقيب الذي ما تعلق به ذليل إلا أناله العزة، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا نصره، ولا ضال إلا هداه.

فكل أسماء الله حسنى تُستجلب بها الخيرات، وتُكشف بها الكربات، وتُجاب بها الدعوات، وتُستنزل بها البركات، وتُقضى بها الحاجات: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

فلا إله إلا الله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر/ ٦٥].

والله سبحانه رؤوف بالعباد، أعلمنا أنه الرقيب الذي لا يغفل عن شيء أبدًا، حتى نخافه ونراقبه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام: ١٣٢].

أعلمنا أنه الرقيب الشهيد؛ لكي نستحيي منه، لكي نخافه، لكي نكثر من ذكره، لكي نحسن عبادته، لكي نجتنب معاصيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾[آل عمران/ ٥].

فقم بين يديه عابداً شاكراً، وبين يدي خلقه داعياً ومعلماً ومحسناً: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧- ٢٢٠].

إن شعور الإنسان بأنه مراقب يجعله يصدق في أقواله وأفعاله وسائر أوقاته، وينضبط في كل ذلك، وإذا كان الرقيب هو الله فإن الانضباط يكون أقوى في كل حال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة: ٢٥٥].

هو القائم على كل نفس، يراها ويسمعها، ويعلم ظاهرها وباطنها: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ

﴿ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٣- ١٤].

هو سبحانه الرقيب الذي يعلم ويرى جميع أحوال كل مخلوق، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا، مقبلًا أو مدبرًا، متكلمًا أو صامتًا.

فسبحان من إذا تكلمت فهو يسمعك، وإن تحركت فهو يراك، وإن أضمرت فهو يعلم ما في باطنك.

واعلم أن مراقبة الله لخلقه مراقبة لطيفة في مصلحة العبد؛ فهي مراقبة حفظ وعناية، كما تراقب الأم طفلها لئلا يقع فيما يضره، ولله المثل الأعلى، ومراقبة هيمنة؛ ليحصي أقوال العباد وأفعالهم، ومراقبة علم وإحاطة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ [النساء/ ١٢٦].

فسبحان الملك العليم بكل شيء، الرقيب على كل شيء، الذي له الخلق والأمر وحده، وأزِمَّة الأمور بيده وحده، ومصدرها منه، ومردها إليه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك/ ١ – ٢].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك هو الرقيب الحق الذي يراقب جميع مخلوقاته، وهو مستوٍ على عرشه، شهيد لا يعزب عنه مثقال ذرة من ملكه العظيم: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس: ٦١].

والمراقَبون هم جميع المخلوقات في السماوات والأرض، وفي الدنيا والآخرة، وفي عالم الغيب وعالم الشهادة.

والمراقبة فعل المراقب، فالمخلوق يترقب متى يتوجه إليه أمر من ربه فيمتثله، أو نهي فيجتنبه، أو قدر لا حيلة له في رده، ومن راقب الله، وعلم أن الله مطلع عليه؛ أطاعه ولم يعصه، وذكره ولم ينسه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وإذا علم العبد أن جميع حركاته الظاهرة والباطنة مكشوفة للرقيب جل جلاله، قد

أحاط العليم بعلمها، واستحضر هذا العلم في جميع أحواله؛ أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره من كل قول أو فعل يسخط الله، وعبَد الله بمقام الإحسان الذي يحبه الله، وعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه؛ فإن الله يراه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٢-١٤].

والمراقبة ثمرة من ثمار علم العبد بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وبأن ربه السميع البصير العليم رقيب عليه، ناظر إليه، مطلع عليه في كل لحظة.

فيوجب له ذلك مراقبة الله عند أمره؛ ليفعله على أحسن حال، ومراقبة الله عند نهيه ليجتنبه، وهذه هي التقوى التي هي ثمرة العلم بالرقيب وما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

والمؤمن الحق من أيقن أن الرقيب الحق سبحانه مراقب لأحواله، مبصر لأفعاله، سميع لأقواله، مطلع على أسراره، عليم بحركاته وسكناته.

فهذا العبد لعلمه أن الرقيب قريب شهيد عليم، يهاب جلال ربه، ويخاف من عقابه في كل حال: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

ومن علم أن ربه رقيب عليه، راقب الله ﷻ في سره وجهره، واتقاه في أمره ونهيه، وبادر إلى طاعته في ليله ونهاره، واستحيا من معصيته في خلوته وجلوته؛ لعلمه بأن ربه يراه ويراقبه ويشاهده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٢- ١٤].

ومن عرف ربه باسمه الرقيب خاف منه، وتحرى الصدق والإخلاص في أقواله وأفعاله، واتقى ربه في كل حال؛ لعلمه أن الله رقيب على ما في القلوب من النوايا والمقاصد: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

التعبد لله ﷻ باسمه الرقيب

حظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون مراقبًا لنفسه، لئلا تجنح إلى المعاصي، وتقعد عن الطاعات، والمراقبة: عِلْم العبد أن الله مطلع على ما في قلبه وسره.

وهذه المراقبة مفتاح كل خير للعبد، وبهذه المراقبة يطابق ظاهر العبد باطنه، وعلانيته سره: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة/ ١٥- ١٧].

واعلم أيها العبد أنك تستطيع أن تخبئ ألف سر، أو فكرة، أو خطة، عن أبيك، أو أبنك، أو زوجتك، أو قريبك، ولكن الرقيب أنت مكشوف له في ظاهرك وباطنك، سواء نطقت أو كتمت: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٣)﴾ [الملك/ ١٣].

والتعبد لله باسمه الرقيب مفتاح كل خير وصلاح للأمة، فاسم الله الرقيب لمن آمن به وعرفه واستشعر معناه خير للأمة جميعا، وأفضل وأقوى من ألف عسكري يراقب الناس، وخير من ألف جهاز تصوير يراقب الناس في المكاتب، والمصانع، والطرق، والمجمعات، وغيرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء/ ١].

فاتقِ الله أيها العبد حيثما كنت، واعلم أن ربك سميع بصير عليم بكل شيء.

- **واعلم أن ربك العزيز الرحيم جعلك مراقبًا من ثلاث جهات:**

الأولى: رقابة الله عليك، لتتقيه، وتخافه وترجوه، وتطيعه ولا تعصيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء/ ١].

الثانية: رقابة الملائكة الذين يراقبونك في جميع أحوالك، ويسجلون أقوالك وأفعالك: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾ [ق/ ١٨].

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

الثالثة: رقابة ضميرك، فالله سبحانه خلق في كل إنسان برحمته جهاز إنذار لمصلحته.

فحين تحسن وتطيع الله ﷻ تتهلل أسارير وجهك، وحين تفعل المعصية يحمر وجهك خجلًا من ربك، وينبض قلبك ندمًا على ما فعلت.

فمن رحمة الله وعنايته بكل إنسان أن الله يراقبه، والملائكة تراقبه، وضميره يراقبه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

ومن مات قلبه وعاش في الدنيا ظالمًا مجرمًا؛ فليعلم أن الرقيب مطلع عليه، وسوف يحاسبه على ظلمه يوم القيامة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

فكل أحد سوف يجازى بعمله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف/ ٤٩].

فكل ما عمله العبد مكتوب ومسجل صوتًا وصورةً، في أي مكان أو زمان: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية/ ٢٩].

وكل أحد سيرى ما عمل: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

وكل أحد من البشر سيجزى بما عمل من خير أو شر: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦-١١].

ومن عرف ربه باسمه الرقيب وصل إلى مقام الإحسان في عباداته ومعاملاته، وأقواله وأفعاله، والإحسان أعظم مراتب الدين.

قال النبي ﷺ: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»متفق عليه(١).

- **فتفقد حالك أيها العبد مع الرقيب في ثلاثة مواطن:**

الأول: في حال الخلوة: هل تشعر أن الرقيب يراك ويسمعك؟ فتستحيي أن تعصيه؟ أم أنك غافل عن مراقبته، فتخلو بمعصيته، وتعصيه بنعمه؛ لأن الناس لا يرونك؟ ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾**﴾[الملك/ ١٢].

الثاني: الحياء من الله: فمن راقب الله، وعلم برقابة الرقيب عليه، استحيا أن يعصيه في ملكه، كما قال النبي ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**»أخرجه الترمذي(٢).

فتحفظ الرأس وما وعى، ولا تتكلم بالقبيح، ولا تنظر إلى الحرام، ولا تسمع الخنا، وتحفظ البطن وما حوى، وتحفظ الفرج من الحرام.

الثالث: خشية الله، والخوف منه: فمن علم أن الله يراقبه في كل حال؛ خشي الله، وخاف منه، واتقاه، وراقبه أمام الحلال والحرام:﴿**إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾**﴾[فاطر: ٢٨].

وحظك من هذا الاسم الكريم أن تراقب الله في جميع أحوالك، أن تراقب نفسك؛ لئلا تقع في ما لا يحبه الله ويرضاه، وتراقب أهلك؛ لئلا يقعوا في المعاصي وما حرم الله: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾**﴾[التحريم/ ٦].

واعلم أن من راقب ربه أكثر من ذكره وشكره، وأخلص له العمل، وأحسن له العبادة؟: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا﴾ [مريم: ٥٨].

فاللهم زكِّ قلوبنا بالإيمان، وامنحنا عيونًا تراقب نعمك الظاهرة، وبصائر تتعظ بأسرارك الباهرة، وترى نعمك الباطنة:﴿**أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي**

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٥٨).

ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

والتوحيد والإيمان والتقوى جماع الدين كله؛ ولهذا أكثر الله من الأمر بها في القرآن، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

والنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات الشرعية، يثمر كمال التوحيد والإيمان.

والإيمان يثمر التقوى التي يحبها الله، وأهلها في معيته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة/ ٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل/ ١٢٨].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وهذا يثمر للعبد سرور القلب، وانشراح الصدر، وقرة العين بالقرب من الله، وهو نعيم معجّل للمؤمن، يجد حلاوته في دنياه قبل آخرته: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار/ ١٣/ ١٤].

وهذا النعيم هو جنة المعرفة التي من دخلها في الدنيا دخل جنة الآخرة يوم القيامة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» متفق عليه(١).

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٣).

وهذا النعيم والسرور يبعث العبد على دوام السير إلى ربه، وحسن مراقبته، وبذل الجهد في معرفة أسمائه وصفاته، وإحسان العمل له، والإكثار منه؛ ابتغاء مرضاته: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وتيقن أيها العبد أن من لم يجد هذا السرور فإنه محروم من أجل النعم وأعظمها، فليتَّهم إيمانه وأعماله، ويتفقد حاله، ويجدد إيمانه؛ لعله يصفو ويزكو، ويسعد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال/ ٢- ٤].

فالإيمان له طعم، وله حلاوة، وله حقيقة، من لم يجدها ولم يذقها؛ فليرجع وليقتبس نورًا يمشي به في الناس، ويذوق به طعم الإيمان وحلاوته: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**» أخرجه مسلم[1].

ومن لم يجد لعمله حلاوة في قلبه فليتهمه، فإن الله شكور لا بد أن يثيب العامل على عمله الصالح في الدنيا حلاوةً يجدها في قلبه، فمن لم يجدها فإيمانه وعمله مدخول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ [التغابن/ ١٦-١٨].

واعلم رحمك الله أن حقيقة المراقبة أن يكون الغالب على حال العبد دوام ذكر الله، ولزوم طاعته؛ لعلمه بأن الله مطلع عليه، وعلمه أن نظر الرقيب الحق إليه أسبق من نظره هو إلى المعصية: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)﴾ [آل عمران/ ٢٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

فما عصى الله أحد إلا من جهله بالرقيب عليه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق/ ٩- ١٩].

ومن صح علمه، وعرف أن الله رقيب عليه؛ أطاع ربه واتقاه، ولم يفنِ عمره في البطَالات، ولم يقتل أوقاته بالغفلات، بل يواصل طاعة مولاه في ليله ونهاره، ويعبد ربه بالمحبة والتعظيم والذل له، ويستحي من اطلاع ربه المنعم عليه، محتشمًا من مشاهدته له، وَجِلًا من عظيم رقابته له، شاعرًا بأنه لم يعبده كما أمره ربه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون/ ٦٠-٦١].

واعلم أن من لزم هذا السبيل؛ أوصله الله بإذنه إلى حسن المراقبة التي تزيد الإيمان، وتثمر كمال التقوى التي تثمر كمال القرب و المشاهدة والأنس بالله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

ومن عمي عليه أمره، وضل عن طريقه؛ فليرجع إلى مقام المراقبة؛ ويتوب من ذنبه، يكن من المهتدين: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى/ ١٣].

وارغب إلى ربك جل جلاله في إصلاح قلبك، واطلب الأدوية لذلك، وتفطن لمكائد عدوك، لئلا يصيدك ويأسرك، وتكون جنديًا من جنوده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر/ ٥-٦].

واعلم أن المسارعة إلى الخيرات أصل كل دواء تُداوى به القلوب، وسبب كل شفاء تشفى به الصدور، كما أن الغفلة أصل كل داء، وسبب كل بلاء، فسارع صابرًا محتسبًا إلى طاعة الله ورسوله؛ فهي سبيل النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

والزم بيئة الذكر، واحذر بيئة الغفلة: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨].

ومن أعظم الأدوية في زوال الغفلة واجتذاب اليقظة: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وآلائه، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة وعده ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

ومن أتاه الله عقلاً فعطله، وبصراً فلم ينظر به، وسمعاً فلم يسمع به، فليعلم أنه من أهل النار: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩-١٨٠].

وإذا أردت الشفاء والهدى؛ فلا تجعل لك إليه وسيلة سواه، فارْمِ بنفسك إليه، وضع قلبك بين يديه، وتخلَّ عن نفسك إليه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

واعلم رحمك الله أن المسافة القاطعة لك عن معرفة الله جل جلاله هي الجهل به، فاقطعها بمعرفته المُقَرِّبة إليه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا تحققت معرفة الله في قلبك زالت عنه الغفلة، ونالته بركة قرب الله جل جلاله، واستبان له الهدى، وأبصر بعد العمى، ونزل بمنازل المقربين، وأحسن الظن بالله رب العالمين، وفاز بمعيته: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[النحل/ ١٢٧-١٢٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي؛ أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» متفق عليه(١).

واسأل ربك العظيم أن يجعل ثواب ما عملته من أعمال صالحة وسيلة لوصولك إلى معرفته، ولا تبالِ بما فاتك دونه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾[المائدة/ ٣٥].

وأول ما تبدأ به أن تعمل بصدق في إخمال ذكرك، وإنقاص قدرك بين يديه، معتذرًا إليه من تقصيرك، وتفريطك، وأخطائك، بقولك: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القصص/ ١٦].

وقولك: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

واعلم أن شرفك كله في إقامة ذكره ونسيان ذكرك، فأكثر من ذكره وشكره؛ يذكرك ويشكرك: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾[البقرة/ ١٥٢].

ومن رُزق دوام المراقبة لربه نبعت من قلبه وجوارحه أصناف الخير، واضمحلت عنه أصناف الشر، واستأنس بربه، واستوحش من غيره: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾ [الطلاق/ ٤- ٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[الطلاق/ ٢- ٣].

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

واعلم رحمك الله أن معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، لا تنبت ولا تثبت ولا تثمر إلا في القلوب الطاهرة الزاكية:﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾[آل عمران: ١٦ – ١٧].

فطهر قلبك لربك بدوام الاستغفار والتسبيح؛ ليفتح لك الباب، وتشرق في قلبك الأنوار:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾[النصر/ ٣].

وانظر إلى كل شيء من الخير والطاعات تحبه لنفسك؛ فأحبه لغيرك، وكل شيء تكرهه لنفسك؛ فاكرهه لغيرك، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه:﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة/ ٧١].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»** متفق عليه(١).

ولا يزال بك طول المراقبة؛ حتى يكون لك من نفسك عليك رقيب وواعظ، وآمر وناهٍ، يسوقك إلى طاعة مولاك وتقواه:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[النور/ ٥٢].

واعلم زادنا الله وإياك علمًا وعملًا، وإيمانًا وتقوًى، أن صحة العلم مع طول المراقبة يوصل إلى حسن الاستقامة، وحسن الرعاية يورث صدق الموافقة، ويزكي الأعمال والأخلاق، فاصدق ربك فيما دعاك إليه تفلح:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى/ ١٤/ ١٥].

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٦).

وإذا لزمت باب العلم والتقوى رفعك ربك من مقام المراقبة إلى مقام المشاهدة، فاحمد الله كثيرًا أن بلغك ذروة السنام من المراقبة، ثم ألحقك بأهل الإحسان والمشاهدة، فصرت تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه ففي علمك بأنه يراك خير كثير: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥ – ١٧]. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩ – ٥٠].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ حين سأله جبريل عن الإحسان، قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» رواه مسلم[1].

وهذا وذاك كله تاج من الخير، ونور من المعرفة، وكنز من العمل الصالح يختص الله به من يشاء ممن جاهد لتحصيله، وعلم الله أنه يزكو به: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

والله أعلم بالشاكرين: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣/ ٧٤].

وعلامة ذلك حلاوة ذكر الله في قلبك، ولذة العمل بكل ما يحبه ويرضاه، وعدم الالتفات لما سوى ذلك: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر/ ٩٧ – ٩٩].

والإكثار من ذكر الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٤٢ – ٤٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

واضرع إلى ربك في حسن العاقبة، واسأله أن يرزقك حسن الخاتمة، واعلم أن من راقب الله في سره وجهره، واتقاه في أمره ونهيه؛ أوصله ذلك بإذن الله إلى مرضاة ربه، والفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

وإذا عرفت عظمة ربك الجبار جل جلاله، ودوام مراقبته لك، وكمال مشاهدته لك، فاعرف كذلك قدر نفسك، واخضع لمن خلقها وصورها، وكرمها وعلمها، ورزقها وسلمها، وانظر أي عبد تكون: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة/ ١٨ - ٢٠].

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣].

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩].

واعلم أن الله هو الغني عن كل ما سواه، وعاقبة عملك من خير أو شر لك أو عليك: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت/ ٤٦].

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء/ ٧].

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦].

واعلم رحمك الله أن الكريم سبحانه يصفي قلبك من الأكدار بدوام ذكره ومراقبته، ويطهره مما سواه، ويزيده من الإيمان والتقوى؛ حتى يصل إليه، ثم يرفعه، فيظهر فيه معاني أسمائه وصفاته جل جلاله؛ فيومئذ يسمع به، ويبصر به، وينال كرامة ربه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥٢].

وعن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**» أخرجه البخاري[1].

واعلم رحمك الله أنه لا يدوم لك العز في الدنيا والآخرة إلا بالوجه الذي ذل لربه العزيز، فلا تطلب عنده الجاه إلا بالعمل الذي وصلت به إليه، وهو الإيمان والتقوى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه/ ٧٤- ٧٥].

ومتى فارقت ما كنت عليه من العبودية والذل لمولاك؛ أزال عنك حلته التي حلاك بها، وسلبَك نعمته التي وهبها، وسَدَّ دونك الباب الذي وصلت منه إليه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف/ ٥].

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن/ ١٧].

ثم استدرجك سبحانه بذنبك بمعارف تبعدك عن مولاك، وأعمال لا تنفعك في دنياك وأخراك؛ لتحسب أنك يومئذ على شيء من العلم والعمل، وأنت ضال خاسر: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف/ ١٠٣- ١٠٦].

وأخطر شيء على هذا العبد الضال أن ينظر إلى ما فتح الله عليه في باطنه من الفهم والفطنة والذكاء، وما أراه من الآيات، ومعاني الأسماء والصفات، ثم يستكبر عن ربه بما أنعم عليه به، حيث خيل له الشيطان بمكائده ومصائده أن الله أعطاه ذلك لكرامته

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

عليه، وحبب إليه نفسه، وعظَّم عنده ما لديه، وأعلى عنده قدر نفسه، وحجب عنه النور المبين، فلم يرَ غير نفسه الخسيسة، فاقتصر عليها، وظن أنه على الحق: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨)﴾ [سبأ/ ٣٥- ٣٨].

ثم يورثه ذلك: العُجب، والكبر، والإعراض، والاستغناء بالعلم عن العمل، وهذا من الضلال، بل هو الظلم والخسران المبين: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾ [القصص/ ٥٠].

فاللهم احفظنا من الزلل، واعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾ [التوبة/ ١٢٩].

واعلم أن هذا الكلام وهذا النور إن لم يعبُر من عقلك إلى قلبك، ثم يظهر على لسانك وجوارحك؛ فاعلم أنك محجوب عن معرفة ربك بسوء كسبك، فأصلح حالك، وتعاهد إيمانك، قبل أن يشد ملك الموت رحالك، فلا تستطيع الوصول ولا الرجوع: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦)﴾ [المطففين/ ١٤- ١٦].

وهذه بصائر لأهل البصائر: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فاعبد ربك العظيم كما يليق بجلاله، وبعظمة ملكه وسلطانه، وبعظيم إنعامه وإحسانه، وراقب الله في كل حال من أحوالك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر: ١٨].

وعلامة مراقبة العبد لربه: الحياء من الرقيب، وتعظيم أمره، واجتناب نهيه، وفعل ما يحب، وترك ما يكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

واعلم أن الرقيب سبحانه إذا أكرمك بالإيمان والتقوى خدمك عدوك، وإذا انصرفت عنه إلى غيره تطاول عليك أقرب الناس إليك، فاتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر/ ١- ٣].

واعلم أن الرقيب برقابته عليك يريد منك أن تصل إلى درجة الإحسان فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين الخلق، وتستقيم على أوامر الله في كل حال؛ لتصل إلى أعلى مقام عند ربك يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ٥٥﴾ [القمر/ ٥٥].

ومن كان مع الله في الدنيا فليبشر بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠- ٣٢].

والمراقبة من العبد هي علم القلب بقرب الرب، مقرونًا بكثرة ذكره، وشكره،وحسن عبادته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

اللهم اجعل كتابنا في عليين، وألبس وجوهنا نضرة النعيم: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ [المطففين/ ٢٢- ٢٨].

اللهم يا سريع الرضا، يا واسع المغفرة، يا أرحم الراحمين، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم/ ٨].

«**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**» متفق عليه[1].

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا يا أرحم الراحمين.

اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأهل أنت أن تحمد، وأهل أنت أن تعبد، إنك على كل شيء قدير.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٧)، ومسلم برقم (٢٧٠٥).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الشهيد

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله الشهيد

الله جل جلاله هو الملك الحق، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

الله جل جلاله هو الشهيد، المطلع على كل ذرة في ملكه العظيم، الشهيد الذي يسمع الأصوات كلها، خفيها وجليها، ويبصر المخلوقات كلها، صغيرها وكبيرها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٢﴾ [الشورى ١١/ ١٢].

وهو سبحانه الشهيد العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي علم جميع أفعال العباد وأحصاها قبل فعلها، وكتبها في اللوح المحفوظ، ثم يخبر عباده بها إذا بعثهم يوم القيامة: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝٤٦﴾ [يونس/ ٤٦].

وهو سبحانه الشهيد القريب من خلقه، الذي يراهم جميعًا في آن واحد، ويسمع ما يتناجون به، ويرى ما يفعلون، ويعلم بما في قلوبهم .

هو الشهيد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الملك والملكوت: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس/ ٦١].

وهو سبحانه الشهيد الحق الذي شهد لعباده بما فعلوه من الخير والطاعات، وشهد على عباده بما عملوه من الشر والمعاصي: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [المجادلة/ ٦].

وهو سبحانه الشهيد الحق الذي شهد لنفسه بأعظم الشهادات، وهي شهادة التوحيد، وشهد له بها أفضل خلقه من الملائكة والبشر: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران/ ١٨].

فسبحان الرقيب الشهيد، الحفيظ العليم، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة من مخلوقاته في السماوات والأرض، يرى مكانها، ويسمع تسبيحها، ويعلم أحوالها: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج/ ٧٠].

وسبحان ربنا الشهيد الذي يرى الكون كله وهو مستوٍ على عرشه، يرى الهباءة الطائرة، ويرى الجبال الشاهقة، ويرى البهائم السائمة، ويرى الأشجار النابتة، ويرى الذرات والمخلوقات في قعر البحر الأسود كما يراها في شمس الضحى، ويرى سبحانه كل ذرة وكل نبتة وكل حشرة في العالم في ظلمة الليل الأسود كما يراها في النهار الأبيض: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

ويرى الذرة السوداء، ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٤].

ويرى سبحانه أهل الطاعات وهم يطيعونه، ويرى أهل المعاصي وهم يعصونه، ويرى الكفار وهم يسبونه، ويرى المشركين وهم يعبدون غيره، ويرى المنافقين وهم يستهزئون به، ويؤذون أولياءه، ثم ينبئ الجميع بما عملوا يوم القيامة: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة/ ١٠٥].

هو سبحانه: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ [البروج: ٨ – ٩].

وسبحان عالم الغيب والشهادة، الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء، وإن دق وصغر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران/ ٥/ ٦].

فالله جل جلاله شهيد على كل شيء في ملكه العظيم، وكونه الكبير، وملكوته الواسع، واعلم أن كل ما خلق الله في الإنسان من الحواس كالسمع، والبصر، والعقل، والشم، والذوق إنما تؤدي كلها معلومات إلى القلب، وتشهد عنده بما علمت به، ثم يحفظها القلب، وعند الحاجة لأداء هذه الشهادة يظهرها القلب؛ فيشهد لربه بالوحدانية، وبكل ما يعلم، وتلك أعظم الشهادات، وهي شهادة أولي العلم الذين وصلوا بشهادتهم ما أمر

الله به أن يوصل، فشهدوا لله بالوحدانية، وصدقوها بالعبودية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران/ ١٨].

واعلم أن شهادة الله جل جلاله أصل الشهادات كلها؛ فشهد سبحانه لنفسه بالوحدانية، وما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبما هو عليه، وبما هو أهله؛ من الجلال، والجمال، والكمال، والعزة، والكبرياء، وشهد لملائكته ورسله بحقيقة ما هو عليه، وشهد لجميع خلقه بما لهم وما عليهم: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ١٩﴾ [الأنعام/ ١٩].

ثم أفاض الكريم سبحانه من مصداق شهادته على الشاهدين سواه، فعم جميع الخلائق بأداء الشهادة للحق سبحانه، فشهدت له بما هو أهله، وشهدت على أنفسها بما كسبت، وبما يلزمها، فكل شيء شاهد لله بالوحدانية، والله على كل شيء شهيد.

وكل مخلوق يشهد شهادة حق بألسنة صدق، كل بحسبه وحاله ومقاله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ٤١﴾ [النور: ٤١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» أخرجه البخاري(١).

وكل الخلق شهداء، فالأنبياء والرسل شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على أممهم بما لهم وما عليهم.

والملائكة شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على الخلق بما عملوا.

والإنس والجن شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على أنفسهم وعلى غيرهم، وجوارح الإنسان تشهد عليه يوم القيامة بما عمل من خير أو شر: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٥٤٨).

﴿أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور/ ٢٤- ٢٥].

والذرات، والجمادات، والنباتات، والحيوانات، وكل مخلوق؛ الكل يشهد لربه بالوحدانية، ويسبح بحمده، ويشهد لغيره وعلى غيره بما عمل من خير أوشر: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود/ ١٨].

فسبحان الشهيد الحق الذي شهد بالحق، وأشهد جميع خلقه على أنه الحق وحده لا شريك له: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء/ ١٦٦].

وقد ورد اسم الله الشهيد في القرآن الكريم تسع عشرة مرة؛ منها: قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت/ ٥٣].

والشهود: هو الحضور مع الرؤية والمشاهدة، والشهادة: هي الإخبار بما شهد العبد، والشاهد هو الذي يشهد بما شاهد، والله سبحانه وتعالى هو الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء والأرض، يرى جميع الكائنات، ويسمع جميع الأصوات، ويعلم بجميع الظواهر والبواطن، ويعلم الجليات والخفيات: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الشهيد الذي شهد لعباده بما فعلوه، وشهد على عباده بما عملوه .

والصفة المشتقة من اسم الله الشهيد هي الشهادة، وهي من صفات الله الذاتية التي لا تنفك عنه أبدًا، فهو دائمًا وأبدًا على كل شيء شهيد، وعلى كل شيء رقيب .

فهو سبحانه شهيد لخلقه وعلى خلقه فيما عملوه من طاعة أو معصية، أو خير أو شر في كل زمان ومكان وحال.

وقد ورد اسم الله الشهيد، مفردًا، لم يقترن به اسم من أسماء الله الحسنى، كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت/ ٥٣].

هو سبحانه الشهيد الحق الذي يشهد بالحق واليقين القطعي؛ لأنه شهيد قريب، حفيظ عليم، سميع بصير، لا يغيب عنه شيء: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام/ ١٩].

أما المخلوق فعبد قاصر، يقع في شهادته الخلل، وذلك بالسهو، والخطأ، والغلط، والكذب، والظلم.

فسبحان الشهيد الحق الذي شهد لنفسه بالوحدانية، وشهد لرسله وملائكته والمؤمنين الذين وحدوه بالصدق، وشهد للمظلوم الذي لا شاهد له ولا ناصر له على من ظلمه واعتدى عليه.

هو الشهيد الذي تشهد له جميع الخلائق يوم القيامة بالوحدانية، ويقرون له بالعبودية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

هو الشهيد الذي أشهد أدم وذريته على وحدانيته وربوبيته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢- ١٧٤].

ومن جلال شهادته سبحانه قوله: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء/ ١٦٦].

وشهادة الشهيد سبحانه حق لا ريب فيه؛ لأنها نتجت من خبرته، ورؤيته، وعلمه المحيط بكل شيء: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء/ ٩٦].

- **واسم الله الشهيد من صفات الذات والأفعال:**

فدلالته على الذات: أن الله شهيد يرى جميع مخلوقاته، لا يغيب عنه منهم شيء أبدًا.

ودلالته على الفعل: أن الله شهد لنفسه بالوحدانية، وشهد لأنبيائه ورسله بالصدق والأمانة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة/ ١٢٨].

هو سبحانه الشهيد الذي شهد له خلقه بالوحدانية: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم/ ٣٠].

فهو سبحانه الشهيد الذي شهد له خلقه بالوحدانية، وأقروا له بالربوبية، واعترفوا له بالعبودية: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

هو سبحانه الشهيد الذي لا يغيب، الشهيد الذي هو على السر والعلن رقيب، الشهيد الذي هو من كل مخلوق قريب: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ [فصلت/ ٥٣].

- **وقد شهد الله ﷻ على سبعة أشياء عظمية، وكلها في كتابه:**

الأول: شهادة الله لنفسه بالوحدانية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران/ ١٨].

الثاني: شهادته على القرآن بأنه حق: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾ [النساء/ ١٦٦].

الثالث: شهادة الله على نبوة الرسول ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾ [الفتح/ ٢٨].

الرابع: شهادة الله على أعمال العباد: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦﴾ [المجادلة/ ٦].

الخامس: شهادة الله على كذب المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون/ ١].

السادس: شهادة الله على شريعة محمد ﷺ: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ١٩﴾ [الأنعام/ ١٩].

السابع: شهادة الله على جميع المخلوقات والأشياء كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ [فصلت/ ٥٣].

واعلم أن الشهادة على وجه الكمال والحق إنما هي لله وحده لا شريك له، وجميع الشاهدين سواه سيؤدون شهاداتهم عنده، كما قال سبحانه: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ [الزمر/ ٦٩- ٧٠].

فأيها العبد اشهد بحق، ولا تشهد بباطل؛ فإنك ستؤدي الشهادة مرة أخرى بين يدي ربك .

واعلم أن الشهيد سبحانه حينما ينصر المظلوم على الظالم، والقليل على الكثير، والضعيف على القوي، والعاجز على القادر؛ فإنما يثبت لعباده أن الأمر كله بيد الله وحده : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١].

فسبحان من بيده مقاليد الأمور كلها : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن العالم الذي خلقه الله ينقسم إلى قسمين :

عالم الشهادة، وعالم الغيب، والله شهيد يعلم كل ما في عالم الغيب والشهادة، وعالم الشهادة لا يساوي ذرة من عالم الغيب: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

أما البشر فلا يعلمون ولا يرون من عالم الشهادة إلا القليل، أما عالم الغيب فلا يعلمون ولا يرون منه شيئًا : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

هو وحده الشهيد لكل ما في العالم العلوي، والعالم السفلي، الشهيد لجميع الذرات والمجرات، الشهيد الذي يرى كل شيء، ظاهره وباطنه، في كل زمان

ومكان: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت/ ٥٣].

واعلم رحمك الله أن أعظم شهادات العباد هي الشهادة لله بالتوحيد، فالعالم كله أعلاه وأسفله ، وظاهره وباطنه ، يفرح ويسعد بشهادة المؤمن لربه بالتوحيد، ويشهد لهذا المؤمن بالحق والصدق، حين يقول: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» متفق عليه(١).

ويشهد الكون كله على الكافر والمشرك بالجور والظلم والكذب: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود/ ١٨].

وأشنع الشهادات هي الكذب على الله، وتنقُّصه، وتشبيهه بخلقه، ونسبة الولد له، وهو الغني عن كل ما سواه، الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم/ ٨٨- ٩٣].

والمؤمنون كلهم شهداء؛ لشهادتهم بالحق بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم.

وأصل الشهادات وأعظمها شهادة التوحيد، شهادة العلم والمعرفة، والإيمان واليقين .

فالعارف بالله جل جلاله، العالم بأسمائه وصفاته وأفعاله، الذاكر له، المؤمن به، العامل بشرعه؛ هذا رافع لربه أعظم شهادة من الخلق إليه، علمية وعملية: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٨٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٩٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

فالمؤمن يشهد لربه بالوحدانية بقلبه ولسانه وجوارحه، والموت قطْع لهذه الشهادة الكبرى؛ فإن الله كتب الموت على كل حي سواه؛ إبانةً لصفة الحياة الباقية المطلقة لله ﷻ، وتذكيرًا بالملك الحي القيوم الذي لا يموت أبدًا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو سبحانه الحي بجميع صفات الكمال وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

ثم يحيي الله الخلق ويحاسبهم، ثم يخلدون في الجنة أو النار حسب أعمالهم، ثم لا يموتون أبدًا: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج/ ٥- ٧].

والأنبياء والرسل شهداء على أممهم، والعلماء شهداء على قرونهم وأهل زمانهم، وهذه الأمة تشهد للأنبياء أنهم بلغوا الرسالة لأممهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وشهداء العلم والمعرفة شفعاء يوم القيامة: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف/ ٨٦].

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي تشهد لخالقها بالتوحيد والجلال، والجمال والكمال، وتشهد له بأن أسماءه حسنى، وصفاته على.

وتشهد على أنفسها بما هي عليه من الذل والفقر والعجز، وتسبح بحمد ربها العظيم، وتسبحه وتنزهه عن نقصها وفقرها اللازم لها، وتلك شهادة المخلوقات كلها لله الواحد الأحد بالتوحيد: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الملك الحق الذي خلق كل شاهد ومشهود، وكل شاهد ومشهود في هذا الملك الكبير يسبح بحمد ربه، ويؤدي الشهادة لربه بالتوحيد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ

﴿إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والشهيد الحق أعظم الشهود: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ٢٨﴾ [الفتح/ ٢٨].

وسبحان الملك القريب، الشهيد لخلقه كلهم، الحي القيوم الذي لا يواري منه ولا عنه ليل ساجٍ، ولا سماء ذات أبراج، ولا أرض ذات فجاج، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، ولا ظلمات بعضها فوق بعض: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٣٣﴾ [النساء/ ٣٣].

اللهم إني في هذا المقام أشهدك وأشهد جميع مخلوقاتك أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك، فاكتب شهادتي عندك مع الشاهدين يا خير الشاهدين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

واعلم رحمك الله أن الدخول في الإسلام أوله الشهادة لله بالوحدانية، والشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة، والصلوات التي هي صلة بين العبد وربه تشتمل على هذه الشهادة في البداية والنهاية، يؤديها العبد كل يوم وليلة بين يدي ربه الشهيد له، ويرضيه بالتحيات والصلوات والطيبات؛ فانظر كيف تشهد بين يدي ربك الواحد الأحد بحسن العبادة والطاعة، وتؤديها له كأنك تراه، بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

والملك الحق جلّ جلاله يدعوك أيها الإنسان للإيمان به، ومعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة؛ لتشهد له بالوحدانية، وتقوم له بالعبودية: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

ولأداء هذه الشهادة العظيمة يجب أن تكون من أهل العدالة؛ لتُقبَل شهادتك عند الملك الحق، وذلك يكون بالاستقامة على دينه، والعمل بما يحبه ويرضاه، واجتناب ما يسخطه

ويبغضه: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ ﴾ [هود: ١١٢ – ١١٣] .

وهؤلاء العدول هم المؤمنون الذين يكرمهم الله بالجنة يوم القيامة؛ جزاءً على شهادتهم بالحق، وأعمالهم الصالحة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾ [المعارج/ ٣٢-٣٥].

فسابق إلى الخيرات، وسارع إلى فعل الطاعات، وداوم على فعل الفرائض والنوافل المشروعة، ولا تملّ؛ فإن الله لا يملّ حتى تملّ أنت، ولا يضيق صدرك بمن سخر بك، أو أساء إليك، فإن ربك شهيد له: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم/ ٦٠].

وعليك بالتفكّر والتدّبر لما في الكون من المخلوقات والآيات العظيمة التي تشهد لربك العظيم بالوحدانية والقدرة والعظمة، وتشهد على نفسها بالفقر والعجز، والفاقة والذلة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرعد/ ٢].

فانظر رحمك الله كيف خلق الله الأرض وبسطها ودحاها بالمياه والخيرات، ونصب فوقها الجبال الشوامخ، فلا تميل بأهلها، وأحاطها بالبحار المسجورة، وشقّ بين قطعها الأنهار المفجورة، ودحا بطنها بالعيون المملوءة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ [الرعد/ ٣].

وانظر كيف جعل الحكيم العليم بين السماء والأرض السُحب المسخرة، والرياح المُرسلة، ودوائر الأفلاك المسخرة من الشمس والقمر والنجوم جارية بأمره على نسق محكم، وتركيب عجيب، يكون عنه الليل والنهار، والصيف والشتاء، والحر والبرد: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢ وَيُسَبِّحُ

ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد: ١٢ – ١٣] .

كل ذلك لإظهار قدرة القدير في أنواع العبيد، وإظهار بعض معاني الآخرة في الدنيا، وإظهار أسمائه وصفاته في مخلوقاته التي تُسبّح بحمده، وتشهد بوحدانيته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله، وأحببتموه، وكبّرتموه، وعبدتموه جلّ جلاله .

فأظهر الرب جلّ جلاله بذلك العجائب خلقًا وأمرًا، بأحسن تدبير، وأكمل ترتيب: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس/ ٣٨-٤٠].

وخلق سبحانه بين السماء والأرض هذا الفلك العظيم، وجعل فيه السُحب الثقال، والرعد الذي يُسبّح بحمده، والبرق الذي يُلقح السحاب، والماء الذي يُحيي به الأرض بعد موتها: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور/ ٤٣-٤٤].

ثم زاد الله جلّ جلاله هذا الإحكام إحكامًا بأن بيّن خضوع جميع المخلوقات لربها العظيم، وسجودها بين يدي مالكها الكبير؛ لتشهد أمام فاطرها بفقرها وذلها، وتُعلن طاعتها لمن خلقها بانتقالها كما شاء من حال إلى حال في مشارق الأرض ومغاربها بتدبير محكّم من العزيز الحكيم : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وخلق ربنا جلّ جلاله السماء، وجعلها سبعًا شدادًا، وبناها، ورفعها، وزينها بالكواكب والنجوم، وأمسكها بقدرته: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ

﴿نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح/ ١٥-١٦].

وجعل جلّ جلاله تلك السماوات السبع مسكنًا للمقربين من عباده، والمصطفين من أوليائه، ففتقهن الجبار سبع سماوات، أعلاهن أعظمهن خلقًا، وأوسعهن حجمًا، وكل واحدة محيطة بالأخرى، وملأهن بالملائكة التي تُسبّح بحمده، وتشهد بوحدانيته: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

فسبحان الملك القوي القادر الذي خلق السماوات بإحكام وإتقان لا خلل فيه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك/ ٣-٤].

وهذه السماوات السبع العظيمة تُقلّها قدرة الجبار جلّ جلاله، وتُمسكها قوته، وتحملها إرادته، دون دعائم من تحتها تُقلّها، ولا علائق من فوقها تمسكها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي خلق كل شيء بإرادته، وقهر كل شيء بقدرته، وملك كل شيء بجبروته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

وسبحان الشهيد الحي القيوم الذي أمسك السماوات العظام أبدًا وسرمدًا بقدرته وقوته، وأبقاها على ما هي عليه من الخلق والحسن والجمال، لا تميد مثقال ذرة، ولا تنقص مثقال ذرة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

واعلم أن كل تنقّل وتحول في الجماد والنبات، وكل مولود في البشر والحيوان، وكل شروق وغروب في الكواكب؛ كل ذلك يدل دلالة حسية قاطعة على وحدانية الله،

وحصول البعث بعد الموت: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [الحج/ ٥-٧].

فلا إله إلا الله! كم شواهد التوحيد والبعث في المخلوقات كلها صغيرها وكبيرها! فمجيء نهار بعد ليل، كحياتنا هذه بعد الموت الأول، ثم يخلف الليل النهار كموتنا بعد هذه الحياة، ثم يخلف النهار الليل كالحياة الأبدية في الآخرة بعد الموت: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور/ ٤٤].

فسبحان من جعل النهار آية على الحياة، وجعل الليل آية على الموت بعد الحياة: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران/ ١٩١].

هو سبحانه العزيز الحكيم الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السماوات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الجنة والنار، وجعل ذلك كله آيات بينات تشهد بعظمة خالقها، وتُسبّح بحمده، وتخطب بتمجيده: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

نصبها جلّ جلاله آية على وحدانيته، وآية على عظمة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وآية على البدء والإعادة، وآية على الحياة بعد الموت، وآية على فقر المخلوقات وذلها، وآية تشهد بعظمة خالقها: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرعد/ ٢].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق الإنسان، وأخرج منه هذا النسل العظيم من ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وحسن وأحسن، ومؤمن وكافر، وصادق وكاذب، وطيب وخبيث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا

وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١].

وسبحان ربنا الحكيم الخبير الذي سقى الأرض بالماء؛ فأنبتت من كل زوج بهيج من أبيض وأسود، وأحمر وأصفر، وحلو وحامض، وحار وبارد، وجامد وسائل، وذكر وأنثى، وكبير وصغير، وقائم ونائم: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق/ ٦-١١].

فسبحان الملك الحق الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته ، ومُسبّحة بحمده، وخاضعة لأمره، ومُستجيبة لمشيئته، ومُسرعة إلى إرادته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فالكل يشهد بوحدانية ربه، والكل يُسبّح بحمده، والكل يعمل بأمره: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

هل رأيت كهذه السماء العظيمة التي زينها الخلاق العليم بالشمس والقمر والكواكب والمصابيح التي ترسل النور إلى الأرض، وتشهد هي وكواكبها بوحدانية الله، وتُسبّح بحمده؟ ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾﴾ [نوح/ ١٣-١٦].

وهل رأيت كهذه الأم الضحوكة الكريمة التي أنبتت من كل زوج بهيج؟ خلقها الله بقدرته، تُسبّح هي وأولادها بحمده، وتقنت لعظمته، وتشهد بوحدانيته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وسخرها سبحانه لخلقه يشربون من مائها، ويأكلون من ثمارها، وينعمون بخيراتها،

ويسكنون فوقها، ويتقلّبون في بقاعها: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾ [النحل/ ١٠-١١].

كم في الأرض من آية وعبرة! وكم يخرج منها من زروع وأشجار وثمار! ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

تعطي الحبة من حبوبها وثمارها سبعمائة حبة أو أكثر بأمر الله ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة/ ٢٦١].

فهذا عطاء مخلوق لمخلوق بأمر الله في دار الدنيا، ما أعظمه! وما أحسنه! .

فكم يكون العطاء من الرب الكريم للمؤمنين في الدار الآخرة من النعيم المقيم الذي من كماله وحسنه لا تهتدي العقول لمعرفته، ولا تستطيع الألسن أن تصفه، ولا تقدر الأوهام أن تتخيله؟ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٧]» متفق عليه(١).

فسبحان الله! ما أجهل الإنسان بربه! وما أجهله بأسمائه وصفاته! وما أجهله بآياته ومخلوقاته! وما أجهله بدينه وشرعه! وما أجهله بوعده ووعيده! ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

ومن آيات الله العظيمة: خلق الإنسان، وتقلّبه من حال إلى حال؛ من تراب إلى نطفة إلى

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

علقة إلى مضغة، ثم إلى جسم من لحم وعظام، ثم حيًّا ذا روح، ثم إنشاؤه خلقًا آخر في صفاته وأخلاقه، وفي تبدله من حال الطفولة إلى الشباب إلى الاستواء إلى الكهولة إلى الشيخوخة : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤] .

فسبحان الذي خلقه وصوره، وأحسن خلقه وصورته! ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٩].

هو سبحانه الحكيم الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وزينه بالدين لمن شاء أن يستقيم : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [التين/ ٤-٨].

هو سبحانه الملك القدير القدوس الذي خلق ما شاء، وما يزال يخلق ما يشاء، الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الروم/ ١٩].

هو سبحانه الخلاق العليم القدير الذي خلق السماء وما فيها وما عليها، وخلق الأرض وما فيها وما عليها، ثم يُعيد ما فيها وما عليها إليها: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [نوح/ ١٧-١٨].

فانظر رحمك الله في ملكوت السماوات والأرض؛ ترى عجائب قدرة الله، وعظمة ملكه وسلطانه، وتشاهد التدبير والتصريف، والتحريك والتسكين، والحياة والموت في كل لحظة : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن

كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

واعلم أن الله جلّ جلاله خلق جميع الأجساد الحيوانية والبشرية، وأسكن فيها الأرواح؛ فصارت حيةً بأمر الله، والروح مخلوق تُحس بآثاره، ولا ترى شخصه، وهو دليل على الموجود بلا رؤية .

والروح سرٌّ باطنٌ موصوف بصفاته، معلوم بأفعاله، لا يحيط به العلم، ولا يكيّفه العقل، ولا يعلمه إلا الله، اختص الله جلّ جلاله بمعرفته وحده لا شريك له، وجعل الإيمان بالروح في الدنيا آية عليه، وطريقًا إلى الوصول إليه بالتفكر والتدبر : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء/ ٨٥].

والروح خلق من خلق الله، وهو أمر رباني، وعبد روحاني، حبسه الله في الجسم ابتلاءً له، وأجرى عليه محنته، فوقع المكروه بواسطة الجسم ابتداءً، فعاقبه بأن أهبطه من السماء إلى الأرض لما عصاه في الجنة:﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[البقرة/ ٣٥-٣٧].

فالجسم يتغذى من طعام الأرض، والروح يتغذى من وحي السماء، فإن آمن العبد بربه سار الجسم والروح إلى الجنة، وإن كفر بربه سار الجسم والروح إلى النار:﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ [طه/ ٧٤-٧٦].

والموت هو مفارقة الروح للجسد، وإذا مات الإنسان رجع الجسد إلى التراب الذي خُلق منه، وخرجت الروح الحية منه، ثم صعدت بها الملائكة إلى السماء، فإن كان مؤمنًا فُتحت له أبواب السماء، حتى تصعد به إلى ربه جلّ جلاله، فيؤمر بالسجود لربه؛ فيسجد له، ثم يعود إلى جسده في قبره، ويُنعّم فيه، ويبقى فيه إلى أن يُبعث، ثم يُحاسب،

ثم يدخل الجنة: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾ [الواقعة/ ٨٨-٩٦].

وإن كان كافرًا؛ لم تُفتح لهذه الروح أبواب السماء، ورُمي من علوٍّ إلى الأرض، ورجع إلى جسده في الأرض في شقاء وعذاب إلى يوم الدين، ثم يُبعث، ثم يُحاسب، ثم يدخل النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾ [الأعراف/ ٤٠-٤١].

فما أعظم الله في خلقه، وأمره، وحكمه، وتدبيره، وأسمائه، وصفاته! ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

أرسل الخلاق العليم الرياح بشرًا بين يدي رحمته، وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأعراف: ٥٧]

وخلق سبحانه الجنة، وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يُرغبهم فيها من المياه، والثمار، وسائر النعم، وخلق النار، وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يُخوفهم منها من النار، والسموم، والآلام، وسائر المكروه.

وأذن الله سبحانه للنار بنفسين:

نفس في الصيف، وهو أشد الحر، ونفس في الشتاء، وهو الزمهرير أشد البرد.

فلولا الرياح والماء لكان النفسان في الدنيا جهنم الصغرى، ولولا النفسان الحر والزمهرير لكانت الأرض بما فيها الجنة الصغرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**» متفق عليه(1).

فسبحان من أشار بهذه إلى تلك، وجعل ذلك تذكرة وعبرة، ودفع هذا بهذا، وكسر هذا بهذا، وتم أمره في الدنيا والآخرة على ما أراد، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢]

فلا إله إلا الله الحكيم العليم! كم أخرج بالماء النازل من السماء من الجنات، والعيون، والأنهار، والأشجار، والأزهار، والنبات، والثمار! ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/ ١٠-١١].

وكم أحيا الرب بهذا الماء الذي أنزله من السماء من النبات والحيوان والبشر! ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان/ ٤٨-٥٠].

فهل نعتبر بهذا الخلق العظيم، والملك الكبير، والتدبير العجيب؟ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

وإذا نظر إنسان إلى عظمة هذه المخلوقات؛ فليعد النظر إلى هذه النطفة المتكررة، كيف خلقها الله من ماء مهين؟ فجاء منها الرجال والنساء، والأبيض والأسود، والطويل والقصير، والكريم والبخيل، والمؤمن والكافر، والمطيع والعاصي: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ

---

(1) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٣٦)، واللفظ له، و مسلم برقم (٢٨٢٤).

﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم/ ٢٠-٢١].

فسبحان من شرّف الإنسان من بين المخلوقات؛ فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأحسن صورته ، وأسجد له ملائكته، وعلّمه الأسماء كلها، وكرّمه بالسمع والبصر والعقل : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

ثم زاده الله تكريمًا بأن شرّفه بالدين الذي يعبد به ربه، ويهتدي به في حياته، ويسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

وجعله في الدنيا خليفة في الأرض، وعبدًا لمولاه، وفي الآخرة ملكًا بالقرب من مولاه الملك الحق المبين: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

ونوّع له الكريم في الدنيا نعمه الظاهرة والباطنة، ونوّع له في الدين أنواع الطاعات والعبادات، ونوّع له في الآخرة أنواع النعيم والقصور؛ ليزداد معرفةً بربه العظيم، ويزداد شكره وحمده؛ ليعظُم أجره: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

وقال سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣].

ويوم القيامة يُكرِم سبحانه من آمن به وأطاعه بألوان النعيم، ويُهين من كفر به وعصاه بألوان العذاب: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ/ ٢٦].

فريق في الجنة ، وفريق في السعير : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ

جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء/ ٥٧].

فهل رأيت أفضل من هذا العدل والإحسان، وأجلّ من هذا التكريم، وأحسن من هذه الأحكام؟ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠].

فلا إله إلا الله! كم أضلّ الشيطان أكثر الخلق! وكم صرفهم عن التفكر في أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، ومخلوقاته العظيمة، وآياته الحكيمة! ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ/ ٢٠].

ولا إله إلا الله! كم عبد أكثر الناس الشيطان، وأعرضوا عن عبادة الرحمن! ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس/ ٦١-٦٢].

ثم اعلم رحمك الله أن الملك القدوس خلق آدم عليه السلام بيده، ثم استخرج ذريته من ظهره، وأشهدهم على ربوبيته، فأقروا بذلك، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

ثم جمع سبحانه الذوات بيديه الكريمتين قبل أن تدنّس بأنواع الكفر والمعاصي، وقال سبحانه: هؤلاء إلى الجنة، ولمن في يده الأخرى: هؤلاء إلى النار، ثم أعادهم إلى صلب آدم؛ ليخرجوا منه على مر القرون والدهور، والله سبحانه يتابع عليهم إرسال الرسل، وإنزال الكتب، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل/ ٣٦].

ثم إذا مات جميع البشر، وأراد الله بعثهم للحساب؛ لم يكن لهذه الأرواح التي تدنست بالكفر والمعاصي أن ترجع إلى يديه الكريمتين، فأوجد لهم الصُّورَ الذي جمع الله فيه الأرواح كلها، ثم ينفخ فيهم إسرافيل، فتطير كل روح إلى جسدها، ثم يقوم الناس لرب العالمين، وبعد البعث يكون الحساب، ثم الثواب والعقاب: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر/ ٦٨- ٧٠].

واعلم زادك الله علمًا وإيمانًا وتقوى أن عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الأرواح، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ كله من الغيب الذي شهدته العقول ببصيرة الإيمان، حتى صار يقينًا كالمشهود بالأبصار: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد/ ١٩- ٢١].

وفي عالم الغيب أضعاف أضعاف ما في عالم الشهادة، والله وحده عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

واعلم أن الصور من أمره سبحانه، والأرواح من أمره سبحانه، فأعاد الأرواح بالصور إلى الأجساد، ثم أعاد الكل يوم الفصل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴿٩﴾﴾ [التغابن: ٩].

ثم ساق المؤمنين إلى الجنة، وساق الكافرين إلى النار، حكمة بالغة، وحكم عدل، وأَمْر حَتْم، رجوع كل شيء إلى حيث كان، حسب علمه، وقيامهم يوم القيامة بين يدي الجبار ليحكم بينهم: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٦].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

ثم يكون الثواب والعقاب : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة: ٦ – ١١] .

فمن يشك بعد هذا البيان بالحق ، ودين الحق ، ومُلك الحق ، وأحكام الحق سبحانه؟ ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الذاريات/ ٢٣].

﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] .

فإن لم تدرك هذا الحق المبين فاعلم أنك محجوب عن ربك، قد أسرك الشيطان، وزين لك إتباع الهوى وترك الهدى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠] .

فارجع إلى ربك، وانظر في الآيات الكونية، وتدبر الآيات القرآنية؛ لعلك تبصر مع المبصرين: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤- ١٠٥].

واعلم رحمك الله أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ في الصور، فإذا نفخ فيه صعق كل روح في السماوات والأرض إلا من شاء الله، وفزع إلى الصور داخرًا صاغرًا: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [النمل/ ٨٧].

ثم يميت الله إسرافيل، وملك الموت، وتحق كلمة الله بموت كل نفس، ويبقى الملك الحق الحي القيوم جل جلاله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران/ ١٨٥].

فينادي جل جلاله: لمن الملك اليوم؟ ولا يجيب سواه، فيجيب نفسه: لله الواحد القهار: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر/ ١٦].

فإذا أراد الله إعادة الخلق بعد الصعق؛ أنزل من تحت العرش ماءً كمني الرجال، وأمر كل شيء أُخِذَ من شيء أن يعود إليه، ثم ينبت الله أجسام الخليقة كاملة كما ينبت النبات بالماء: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾ [نوح/ ١٧- ١٨].

ثم يحيي الله جل جلاله إسرافيل ﷺ ويأمره بالنفخ في الصور نفخة البعث، فينفخ فيه، فتخرج كل روح إلى جسدها: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر/ ٦٨].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي يخرج النبات الحي من الأرض الميتة، ويعيد الروح الحي إلى الجسد الميت؛ فيحيي الميت بالحي، ثم يخرجه من القبر للبعث والحساب والجزاء: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ [الروم/ ١٩].

وسبحان من يبعث هذه الأجساد والأرواح للحساب والجزاء! ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ٨﴾ [القمر/ ٧- ٨].

فلا إله إلا الله! متى يلين قلب الإنسان لعظمة مولاه؟ ومتى يؤوب إلى ربه من طغيانه وفجوره؟ ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد/ ١٦].

فارجع رحمك الله إلى ربك الذي يحيي الأرض بعد موتها، وتب إليه فإنه غفور رحيم: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [الحديد/ ١٧].

واعلم أسعدك الله بطاعته أن الساعة آتية لا ريب فيها، بعد انقضاء الآجال وتمام الآماد كلها: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر/ ٨٥].

فكما يأتي اليوم بعد اليوم، والشهر بعد الشهر، والعام بعد العام، والقرن بعد القرن؛ كذلك ينقضي يوم الدنيا ويخلفه اليوم الآخر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

واعلم أن الحكيم جل جلاله جعل النوم بين اليقظتين آيةً على الموت بين الحياتين، ومن كان في يقظته على شيء؛ فالغالب أن يكون على مثله في نومه، ومن عاش على شيء؛ فالغالب أن يموت عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فإذا بُعث رأى ما سمعه حقيقيَّة حين لا تنفع الرؤية: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق/ ٢١- ٢٢].

واعلم رحمك الله أن الله رحيم بجميع خلقه، أرسل إلينا رسوله محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهادة، حتى أظهر الله دينه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة/ ٣٣].

فعليك باتباعه في جميع ما أرسله الله به من الإيمان بالحق، والعمل بالحق، والدعوة إليه، والصبر على الأذى في سبيله؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

والله جل جلاله هو الملك الحق الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وأنزل على عباده الحق، وأرسل رسله بالحق: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج/ ٦٢].

وهو الحق الذي تشهد له جميع مخلوقاته بالحق والعدل، والملك والعظمة، والجلال والكبرياء: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٧].

وتشهد جميع مخلوقاته للإله الحق بالتوحيد، والعبودية له، والافتقار إليه.

فكل ما سواه من المخلوقات عبيد له، وكل منهم يشهد على نفسه بما هو عليه من النقص والفقر والضعف والعجز، والتناهي في الأقطار والحدود، والآجال والصفات: ﴿أَلَمْ تَرَ

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

ويشهد الكون كله لربه بأنه الملك الحق وحده لا شريك له، ويخضع لعبوديته، ويسبح بحمده: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة: ١].

فسبحان من اختص بالأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى! ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

هو سبحانه القادر على كل شيء، الذي خلق القدرة في كل قادر، وله وحده القدرة المطلقة، الذي يملك جميع خزائن القدرة وحده لا شريك له.

وهو سبحانه العليم بكل شيء، عالم الغيب والشهادة، الذي يملك خزائن العلم كلها، الذي خلق العلم في كل عالم، وله وحده العلم المحيط بكل شيء، وعلم ما سواه ناقص طارئ موهوب محدود مكسوب: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله بدين الحق، وخصهم بما ليس في طاقة البشر الإتيان به من الإخبار بالغيوب، وخرق العادات، وتأييدهم بالآيات والمعجزات؛ ليكون ذلك دليلًا على صدق رسله، وموجبًا لاتباعهم فيما يأتون به من سنن وأحكام وآداب: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد/ ٢٥].

وصفات النبوة، وأعمال النبوة، وآيات النبوة مبثوثة في العالم كله إلى يوم القيامة، تظهر في المسلم، ثم تتجلى في المؤمن، ثم تشرق في الموقن، ثم تستعلن في الصِّدِّيق وهو المحسن: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح/ ٢٨].

وجميع الأنبياء والرسل صادقون صديقون محسنون، صلوات الله وسلامه عليهم:

﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء/ ٩٠].

والصديقية هي المقام الرفيع بعد النبوة، يربط الله بالحق على قلوب أهلها، ويظهر شاهد الحق على ألسنتهم وأعمالهم، ويقيمهم ربهم بضروب الكفايات، وحصول الكرامات، وإجابة الدعوات، وقضاء الحاجات: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾[البقرة: ١٧٧].

وإنما بلغوا ذلك لكمال تصديقهم، وكمال انقيادهم للأنبياء وتوقيرهم، مع حسن الاقتداء بهم في نياتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وأخلاقهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات/ ١٥].

وكثيرًا ما يكون في هذا الصنف المجتبى محادثات السر، والنفث في الروع، وحسن السمت، والصدق في الرؤيا، وكثرة البكاء، وسرعة إجابة الدعاء: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾[الشورى/ ١٣].

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**» أخرجه البخاري(١).

والباب مفتوح لكل مسلم ليدخل مدخل الصدق، ويخرج مخرج الصدق، ويقوم مقام الصدق، فاطلبه بطاعة الله ورسوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء/ ٧٠].

ومقام هؤلاء الصديقين يوم القيامة في جوار ربهم: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ ﴾[القمر/ ٥٥].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٨٦).

فاجتهد في طلبه ممن يملكه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾[الإسراء/ ٨٠].

ولعظمة هذا المقام وعلو درجته؛ سيسأل الله أهله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾[الأحزاب/ ٨].

فعليك بالتسليم الكامل لربك، مع الإحسان في القول والعمل، يرضى عنك ربك، وتنلْ به كرامته : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل/ ٩٧].

وإنما يحيا العبد ويستقيم إذا سار على الصراط المستقيم إلى ربه، وصعد في المدارج العالية، فيرقى في الدرجات العلى من العلم والعمل؛ فيرى ويسمع الحق المفطور عليه العالم، فيكون كل شيء يراه ويسمعه أو يعلمه دليلاً من الحق يدل على ربه الحق المبين:﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام/ ١٥٣].

فإذا حقق العبد هذا أكرمه الله بالصعود في درجات الجنة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

فسبحان من أكرم آدم ﷺ وذريته، فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له جميع الملائكة، وجعله خليفةً في الأرض، وأكرمه بمعرفة الأسماء كلها! ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء: ٧٠].

وجعل سبحانه هذه المعرفة في عبده آدم ﷺ علماً وذكرى، وجعل ذلك في ذريته غريزةً وفطرة، وأشهدهم على ذلك شهادة حق، ثم استخرجهم من الأصلاب جيلاً بعد جيل على هذه الفطرة الربانية الإيمانية:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ

﴿عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم/ ٣٠].

فتجد المؤمن للبذرة التي في قلبه يصدق الرسل، ويؤمن بما جاءوا به من الحق والهدى والفرقان، فيصدق تلك المعرفة بالإيمان، ويزيدها بالفكرة، ويغذيها بالذكر والعبادات؛ فتفتح له أبواب العلم والهداية:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت/ ٦٩].

فلا يزال هذا المؤمن يترقى حتى يعم بفكره أقطار الأرض، ثم يخترق السبع الطباق، ثم يبلغ الكرسي الكريم، ثم ينتهي إلى العرش العظيم، فيشاهد الملكوت الأعلى، والمقام الأسمى .

فيرى قلبه ربه الملك الحق العزيز الجبار بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، ويرفع ويخفض، ويبسط ويقبض، ويأمر وينهى ، ويحيي ويميت : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾[آل عمران/ ٢٦ - ٢٧].

فإذا رأى قلبه ذلك خشع لعظمة ربه، وسجد لجلاله، وذل لجبروته، وسبح بحمده مع المسبحين:﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

فالإنسان في الحقيقة في طلب علم التوحيد ليس يتعلم، بل يتذكر ويسقي ما هو مركوز في فطرته من تلك المعرفة، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾ [الغاشية/ ٢١].

أما الكافر فيعادي الرسل وأتباعهم بحسب الحجب التي حالت بينه وبين تلك المعرفة السابقة فتجده يكذب على الله، ويكذب بآيات الله، ويخاصم ويجادل في أحكام الله، ويدعي الربوبية أو النبوة، ويملأ الأرض جورًا وظلمًا، ويسعى في الأرض فسادًا وبغيًا،

ويملأ ما بين السماء والأرض كذبًا وفجورًا: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس/ ١٧].

وما أظهر هذا في شرار الخلق! ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص/ ٤].

فيحتبس المطر من أجله، وتقحط الأرض بسببه، ويشيع في البلاد والعباد والدواب والنبات شؤمه وضرره: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم/ ٤١].

فاستقم كما أمرت، ولا تكن ممن يعبد هواه؛ فتكون من الضالين: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص/ ٥٠].

فاللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيما توليت .

واعلم أن الله هو الحق، وقوله الحق، ولا يهدي إلا إلى الحق، فعلى عبيده عبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس/ ٣٥].

ومن هداية الله إلى الحق جعله السبل في الأرض لأهلها ليسيروا عليها ، وجعله النجوم في السماء ليهتدوا بها في مقاصدهم ، وإنزاله الكتب ، وإرساله الرسل إلى الخلق؛ ليهتدوا إلى ربهم، وإلى الصراط المستقيم: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٥ - ١٨].

واعلم رحمك الله أن السبل كثيرة، وأهداها إلى الحق ما أوصل إلى الحق سبحانه، وهو الصراط المستقيم، والدين القيم الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه ، فاتبعه: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

التعبد لله ﷻ باسمه الشهيد

اعلم رحمك الله أن العبد إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، وعرف دينه وشرعه؛ وعرف وعده ووعيده، أوجب ذلك له أعظم أعمال القلوب من التوحيد، والإيمان، والتقوى، والصدق، والإخلاص: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وإذا عرف العبد ربه باسمه الشهيد أوجب له ذلك تعظيم الله وتكبيره، وحمده وشكره.

فإن العبد إذا علم أنه مكشوف أمام ربه في كل حال، وعلم أن الله محيط بحركاته الظاهرة والباطنة، واستحضر هذا الشهود في كل حال؛ أوجب ذلك له المراقبة لربه، فعبده بمقام الإحسان، وأوجب له كذلك الخوف من الله، والحياء منه عند المعصية، ورجاءه له عند الطاعة: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وحظ العبد من هذا الاسم أن يقوم بالشهادة لله في كل حال، في كل ما نفع وضر، ولو مع نفسه، أو الوالدين والأقربين، وكافة الناس: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق/ ١ – ٣].

وإذا كنت أهلًا للشهادة فأدِّ الشهادة لله؛ لتكون من الشاهدين، فالشهادة بالحق أرفع الرتب، وأقرب القرب: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

وإذا علمت بأن ربك شهيد فاستيقظ، واحذر الغفلة وركوب المعاصي، وتحرَّ الصدق والإخلاص، والزم تقوى الله في جميع الأقوال والأفعال، فإن الله شهيد رقيب على ما في القلوب من النوايا، وعلى ما تقوم به الجوارح من الأعمال: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

واشهد بالحق، ولا تشهد بباطل، سواء كانت الشهادة على نفسك، أو على غيرك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[النساء/ ١٣٥].

والمؤمنون من هذه الأمة يشهدون في الدنيا بعضهم على بعض، ويشهدون على الأمم السابقة أنها بلغتهم الرسل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة/ ١٤٣].

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾**[البقرة/ ١٤٣]. **وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ**» أخرجه البخاري(١).

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: **مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ ؟ قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ** » متفق عليه.

فيجب على المسلم الإتيان بالشهادة لله، ويحرم على المسلم كتمان الشهادة التي يثبت بها الحق، ويندفع بها الباطل، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾[البقرة/ ٢٨٣].

وأعظم الكتمان كتمان الحق، وعدم إبلاغه للناس : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾

[البقرة: ١٥٩ – ١٦٠] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٤٩).

ويحرم على المسلم الكذب بأن يشهد بباطل وزور، كما قال سبحانه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج/ ٣٠- ٣١].

وأعظم الكذب وأقبح الزور: الكذب على الله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦ – ١١٧].

والشهادة على الله بما هو بريء منه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الصف/ ٧].

ثم يليه الكذب على أنبياء الله ورسله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» متفق عليه(١).

ثم يلي ذلك: الكذب وشهادة الزور على الناس: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقد مدح الله ﷻ أولياءه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان/ ٧٢].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ. وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: «أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ». قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ**» متفق عليه(٢).

ثم يلي ذلك: الكذب على الحيوانات والبهائم: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ١٥].

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١٠٧)، واللفظ له، و مسلم برقم (٣٠٠٤).
(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤)، واللفظ له، و مسلم برقم (٨٧).

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف/ ٢٣].

واعلم رحمك الله أن اليوم الآخر من عالم الغيب، وسيكون شهادةً بيِّنًا لكل إنسان مؤمن أو كافر، ثم يصير الناس إلى مصائرهم، في دار القرار في الجنة أو النار: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ [الشورى: ٧].

واعلم أن الناس بعد موتهم سوف يُبعثون ويحشرون كلهم للحساب يوم القيامة.

والحشر يكون في ثلاثة مواطن:

فالأول: حشر قبل قيام الساعة من أقطار الأرض إلى بيت المقدس بعد البعث.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا**» متفق عليه(١).

الحشر الثاني: بعد نفخة البعث والنشور، وهو حشر عام لجميع الخلق للحساب يوم القيامة: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدًا ٤٧ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۢۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدًا ٤٨ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف: ٤٧ – ٤٩].

الثالث: حشر الناس إلى دار القرار:

حشر الكفار إلى جهنم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾[الأنفال/ ٣٦].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٢)، واللفظ له، و مسلم برقم (٢٨٦١).

وحشر المؤمنين إلى الصراط الأول المنصوب على متن جهنم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم/ ٧١- ٧٢].

ثم حشر المؤمنين إلى ربهم، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم/ ٨٥- ٨٦].

ثم يساق المؤمنون مكرمين إلى الجنة جماعات: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر/ ٧٣- ٧٤].

ويساق الكفار إلى جهنم: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧١- ٧٢].

واعلم أن كل الخلق سوف يسألهم ربهم ويحاسبهم يوم القيامة، فالسؤال: هل فعلت كذا؟ ولمن فعلته؟ وكيف فعلته؟ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر/ ٩٢- ٩٣].

والحساب يقال فيه: خذ هذا عن هذا: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم/ ٥١].

واعلم أن من حوسِب عُذِّب لا محالة، إذ لا يقوم أحد لحساب الله ﷻ، وله الحجة البالغة حقًّا، ولا يمكن لأحد القيام بحقه، وشكر إحسانه؛ إنما هي رحمة الرحيم، وفضل الكريم سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور/ ٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ**

يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ: لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُّ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا » متفق عليه(١).

واعلم رحمك الله أن الحساب منه عاجل وآجل .

فالعاجل: الحسنة نورها في القلب وثوابها، وللسيئة ظلمتها في القلب وعقوبتها.

والحساب الآجل: ما أخر الله جزاءه في الدار الآخرة، والعاجل منه دليل على الآجل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية/ ٢٥- ٢٦].

فسبحان الملك الرحيم بعباده، بيَّن لهم الصراط المستقيم في الدنيا؛ ليسيروا عليه إليه، ودعاهم لسلوكه ليصلوا إليه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[الأنعام/ ١٥٣].

ثم ينصب لهم سبحانه يوم القيامة صراطًا مستقيمًا على متن جهنم، وهو الصراط الأكبر المنصوب لكل العباد حاشا الكفار والمشركين، الذين اقتطعتهم عنق النار في عرصة المحشر، فهؤلاء يدخلون النار مباشرة دون سؤال ولا صراط: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾[الكهف/ ١٠٥- ١٠٦].

ثم تتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله؛ فيقعون جميعًا في النار: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[مريم/ ٦٨- ٧٢].

فإذا لم يبقَ إلا المؤمنون؛ نصب لهم الصراط ثقيلهم وخفيفهم، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط وهم المؤمنون؛ حبسوا على صراط خاص بهم على قنطرة بين الجنة والنار، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا من المظالم التي بينهم أذن لهم بدخول الجنة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عِنْدَ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى**

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، واللفظ له، و مسلم برقم (٢٨١٦).

إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى لِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ لِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» أخرجه البخاري(١).

وهذا الصراط منصوب لأهل العدل الثاني، وهم أهل المظالم من المؤمنين .

وأما أهل العدل الأول فهم الذين اقتطعهم عنق النار في المحشر إلى النار، وهم الكفار، والمشركون.

فاستقم على الصراط المستقيم في الدنيا تعبر الصراط الأكبر يوم القيامة إلى الجنة بإذن الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

واعلم أيها المسلم أنك ستمر على الصراط بلا ريب: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم/ ٧١- ٧٢].

وبحسب حسن السير على الصراط المستقيم في الدنيا؛ تكون سرعة العبور على الصراط يوم القيامة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « **قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ يَمُر عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**» متفق عليه(٢).

فلا إله إلا الله! إن قلبًا لا تهزه هذه الأهوال والكروب والشدائد والمشاهد لَقلب ميت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٥).
(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣).

﴿ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [الحديد/ ١٦- ١٧].

ثم توضع موازين القسط والعدل لوزن العباد وأعمالهم يوم القيامة، بعد دخول طوائف من المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

والميزان يوم القيامة حق، له كفتان، كل كفة تسع طباق السماوات والأرض، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في الأخرى، ويرى الإنسان نفسه وهو يزاول عمله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة/ ٦- ٨].

وبعد الميزان يكون الثواب والعقاب: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة/ ٦- ١١].

فسبحان الرب العظيم الذي خلق العرش العظيم، وخلق الميزان العظيم، وخلق كل شيء في الدنيا بموازين مقدرة! ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فكل شيء بميزان مقدر لا يزيد ولا ينقص، ولا يتقدم ولا يتأخر، الخلق، والتدبير، وإنزال الماء، وتقسيم الأرزاق، والنمو والتكاثر، والجبال والبحار، والسحب والرياح، وكل شيء معلوم مقدر: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر/ ٢١].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾ [القمر/ ٤٩- ٥٠].

واعلم أن حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة يمده ميزابان من الكوثر الذي أعطاه إياه ربه في الجنة، فيشرب منه كل من آمن به: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر/ ١- ٣].

وهذا الحوض عظيم واسع، سعته كما بين مكة وبصرى، ماؤه أشد بياضًا من اللبن،

وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وآنيته كعدد نجوم السماء، من شرب منه؛ لا يظمأ أبدًا، يشرب منه المؤمنون، ويذاد عنه كل من بدل دينه .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا؛ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا**» متفق عليه(١).

واعلم وفقنا الله وإياك للفقه في الدين أن هذه الدنيا نبذة من الآخرة، مزج الله فيها الخير بالشر، والحق بالباطل؛ امتحانًا وابتلاءً في هذه الدار؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه:﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الأنبياء/ ٣٥].

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[العنكبوت/ ٢- ٣].

أما الآخرة فإن الله جل جلاله خلص فيها الخير كله، وجعله بحذافيره في الجنة، وخلص فيها الشر كله، وجعله بحذافيره في النار: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢٠- ٢١].

فسبحان ربنا العظيم الملك الحق الحكيم الخبير، الذي خلق الدنيا والآخرة، ثم أظهر لنا الدنيا، وأخفى الآخرة، وقدم الدنيا، وأخر الآخرة، وجعل الدنيا دار زاد للآخرة .

فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة أكرمه الله بالجنة، وأعد له من النعيم ما لا تدركه العقول، ولا تعلمه النفوس:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة/ ١٧].

ومن كفر بالله أدخله النار، وأعد له فيها عذابًا عظيمًا:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩)، واللفظ له، و مسلم برقم (٢٢٩٢).

نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ [النساء/ ٥٦].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ نور، لا يراه أحد في الدنيا: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

أما في الآخرة فإن المؤمنين يرونه، ولا يحيطون به؛ لكمال عظمته وكبريائه: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢- ٢٣].

أما الكفار فيرونه في المحشر مع المؤمنين، ويريدون السجود له فلا يستطيعون، ثم يحجبهم عنه كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين/ ١٥- ١٦].

اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين.

واعلم رحمك الله أن من آمن بالله في الدنيا، ورآه ببصيرته؛ أكرمه الله برؤيته يوم القيامة ببصره، ودخول جنته، والفوز برضوانه، ومن كفر بالله في الدنيا، وعمي عنه ببصيرته؛ حرمه الله يوم القيامة من رؤيته، ودخول جنته، وأدخله ناره: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة/ ١٨- ٢٠].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أوعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل .

واعلم أن باب الإيمان مفتاحه التدبر والنظر في الآيات الكونية، وفي الآيات القرآنية: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾

[الأنبياء/ ٣٠- ٣٢].

فانظر رحمك الله في ملكوت ربك كل وقت لتزداد علمًا، وتوحيدًا، وإيمانًا، ويقينًا: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

وتدبر في آيات ربك الحكيمة؛ تعرف ربك بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ودينه، وشرعه، ووعده ووعيده: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء/ ٨٢].

إذا فهمت هذا؛ فاعلم رحمنا الله وإياك أن الخلاق العليم خلق من أجلك ثلاث دور، وأربعة مواطن، وخمسة أحوال، فاعرف هذه الأمور، وآمن بمن خلقها: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

أما الدور الثلاث: فدار الدنيا، ودار البرزخ في القبر، والدار الآخرة يوم القيامة.

وأما المواطن الأربعة: فأولها الدنيا، ثم البرزخ، ثم عرصة القيامة، ثم الجنة أو النار.

- **وأما الأحوال الخمسة:**

فالأول: الحال التي قبل دار الدنيا، وهي حال النطفة الأمشاج: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ٢- ٣].

الثاني: حالك في الدنيا، وهي محل الابتلاء والعمل.

الثالث: حالك في البرزخ، وهي محل الانتظار إلى يوم القيامة.

الرابع: حالك يوم القيامة، وهي محل الفصل بين العباد.

الخامس: حالك في دار الخلود في الجنة أو النار، وهي دار القرار الأبدي بالنعيم أو الشقاء: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم/ ١٤- ١٦].

فاعلم رحمنا الله وإياك ذلك كله؛ لتكون على بصيرة من أمرك، فما سمعته في هذه الدنيا

بأذنك سوف تراه يوم القيامة ببصرك، وما عملته سوف تلقاه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

واعلم أن علامة المخلص في عمله أن يعبد الله كأنه يراه، ولا يلتفت لأحد سواه؛ لأنه لا يبحث عن تقدير الناس، ولا عن إعجابهم، ولا ينتظر حمدهم وشكرهم؛ لأنه يعلم أن الله على كل شيء شهيد: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ [فصلت/ ٥٣].

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ [النساء/ ٧٩].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم/ ٤١].

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه[1].

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠- ١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسـم الله

الواسع

اسم الله الواسع

الله ﷻ هو الواسع الحق ذو الطول والاقتدار، واسع الكرم والإحسان، واسع العلم والإحاطة، واسع الرحمة والمغفرة، واسع الفضل والإنعام: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر/ ٧].

هو سبحانه الواسع الكريم الذي وسع خلقه كلهم بالكفاية والإحسان، الغني الذي وسع غناه جميع عبيده، الرزاق الذي وسع رزقه جميع خلقه، وبيده مقاليد الفضل والإحسان والإنعام: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣- ٧٤].

وهو سبحانه الواسع العليم الذي وسع علمه كل شيء، وأحاط بكل شيءٍ علمًا، فلا يخفى عليه مثقال ذرةٍ في ملكه الواسع العظيم: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه/ ٩٨].

وهو سبحانه واسع المغفرة الذي يغفر لكل من تاب وأناب مهما بلغت ذنوبه وخطاياه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم/ ٣٢].

وهو جل جلاله واسع العظمة والملك والسلطان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان الواسع العظيم الذي وسع كل شيء رحمةً ومغفرةً، وفضلًا وعلمًا، وحكمًا وسلطانًا: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة/ ١١٥].

وسعت أسماؤه جل جلاله كل شيء، ووسعت صفاته كل شيء، ووسعت كلماته كل شيء، ووسعت أفعاله كل شيء، ووسعت خزائنه كل شيء، ووسعت أرزاقه كل

شيء: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

هو سبحانه الواسع العظيم الذي لا نهاية لعظمته، ولا نهاية لكبريائه، ولا نهاية لملكه، ولا نهاية لعلمه، ولا نهاية لنعمه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة/ ١١٥].

هو سبحانه الواسع الكبير الذي وسع بصره الأشياء كلها، ووسع سمعه الأصوات كلها، ووسع علمه الذرات والمجرات كلها.

هو الواسع العظيم الذي وسع كل شيء، فلا يشغله شيء عن شيء، ولا شأن عن شأن: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر/ ٧].

هو سبحانه الواسع المحيط بجميع الخلائق، وجميع الأصوات، وجميع الصور، وجميع الذرات، وجميع المجرات: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة/ ١١٥].

هو الواسع الذي لا حد لعظمته، ولا حد لكبريائه، ولا حد لإبداعه، ولا حد لعلمه، ولا حد لقدرته، ولا حد لغناه، وكل ما سواه مخلوق محدود: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فسبحان الواسع العليم القادر الذي لا يشغله أهل السماء عن أهل الأرض، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا صورة عن صورة، ولا صغير عن كبير، ولا حي عن ميت: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

واعلم رحمك الله؛ أن كل إنسان مهيأ لمعرفة الله، والقلب واسع لا يملؤه إلا معرفة الله، والقلب مضطرب لا يطمئنه إلا معرفة الله ﷻ.

أما معرفة ما دون الله، فإنها معرفة دون ذلك، ويملها الإنسان بعد حين، ونفس الإنسان مخلوقة لتعرف العظيم جل جلاله، الذي لا نهاية لعظمته وكبريائه، فإذا شغلها الإنسان بالمحدود من المخلوقات عن معرفة ربها الواسع الذي لا نهاية لعظمته وكبريائه؛ سئمت

هذا المحدود، وتشرفت إلى غيره: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

ولن يسعد في الدنيا أحد إلا إذا عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرف الواسع الذي لا نهاية لعظمته ولا نهاية لسلطانه، الواسع الذي لا حد لإحسانه، ثم عبده بموجب هذه المعرفة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨- ٢٩].

جمع الله جل جلاله إلى المثل الأعلى جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، فهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحده لا شريك له: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم/ ٢٦- ٢٧].

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

وقد ورد اسم الله الواسع في القرآن الكريم ثمان مرات؛ منها: قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾ [البقرة/ ١١٥].

وقد اقترن اسم الله الواسع مع اسم الله العليم سبع مرات، وسر ذلك والله أعلم أن الله واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل، وهو العليم بمن تصلح له المضاعفة، وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠].

فهو سبحانه واسع العطاء العليم بمن يستحق فضله، ومن يستحق عدله، فيضع فضله مواضعه لكرمه ورحمته، ويمنعه من ليس أهل له بحكمته وعلمه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة/ ٢٦١].

واقترن اسم الله الواسع مع اسمه الحكيم مرةً واحدة في قوله سبحانه: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾ [النساء/ ١٣٠].

وسر ذلك والله أعلم؛ أن الله سبحانه واسع الفضل والعطاء والإحسان، وهو الحكيم الذي يعطي بحكمته، ويمنع بحكمته، فهو واسع الحكمة يضع فضله وإحسانه في

أفضل مواضعه، فيعطي هذا بفضله وكرمه، ويمنع هذا بعدله ورحمته، وهو العليم بمن يستحق فضله، ومن يستحق عدله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٤].

فهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته ونعمه وكرمه وإحسانه.

واسم الله الواسع من الأسماء الجامعة العظيمة، فالله سبحانه واسع الفضل، واسع العطاء، واسع الإحسان، واسع الغنى، واسع العلم، واسع الحلم، واسع الرحمة، واسع المغفرة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر/ ٧].

هو سبحانه الواسع الذي وسع رزقه جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، ووسعت رحمته كل شيء، ووسع غناه كل فقر: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦- ٥٨].

هو سبحانه الواسع، الذي له جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى.

هو سبحانه واسع الصفات والنعوت، واسع العظمة والكبرياء، واسع الجلال والجمال، واسع الملك والسلطان.

له سبحانه ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وملك الدنيا والآخرة، وله ملك السموات والأرض، وله ما بين السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض، فلا إله إلا الله! ما أوسع ملكه! وما أعظم قدرته! ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

هو سبحانه واسع الفضل والإحسان، لا يحصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما أثنى عليه به عباده، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ

﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

- **واسم الله الواسع أعم من اسمه الغني:**

فالغني: الذي استغنى عن كل شيء، واحتاج إليه كل شيء.

والواسع: الذي وسع غناه ورزقه جميع خلقه، فهو واسع الغنى، وواسع الفضل، وواسع الإحسان، وواسع العلم، وواسع القدرة، وواسع العظمة، وواسع الرحمة والمغفرة.

والسعة تكون في الذوات كالمخلوقات، وتكون في المعاني والصفات.

والصفة المشتقة من اسم الله الواسع هي صفة السعة كوصف ذات لله سبحانه، والتوسيع على الغير صفة فعل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[البقرة/ ١١٥].

هو سبحانه الواسع وحده في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، وملكه وسلطانه، وإنعامه وإحسانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص/ ١ – ٤].

فإن نظرت أيها المسلم إلى عظمة الله؛ فالله أعظم وأوسع وأكبر من كل شيء، وأكبر مما عرفت ومما لم تعرف، وكبرياؤه وجلاله وجماله لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

وإن نظرت إلى أسمائه وصفاته؛ فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وإن نظرت إلى أفعاله في ملكه العظيم، وأفعاله في خلقه، وأفعاله مع أوليائه، وأفعاله مع أعدائه؛ فهو الملك القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الخالق لكل شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك/ ١].

وإن نظرت إلى علمه؛ فهو العليم بكل شيء، ولا ساحل لبحر علمه العظيم، وسع ربي

كل شيء علما: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فما أوسع علمه وقدرته جل جلاله!، بل تنفد الأقلام والبحار ولا تنفد كلماته جل جلاله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٧- ٢٨].

وإن نظرت إلى سعة رحمته؛ فرحمته وسعت كل شيء: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر/ ٧].

وإن نظرت إلى سعة مغفرته مهما بلغت الذنوب من العباد؛ فهو واسع المغفرة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم/ ٣٢].

وإن نظرت إلى سعة خلقه؛ فهو خالق كل شيء، ومبدع كل شيء ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢- ٦٣].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢- ١٠٣].

وإن نظرت إلى سعة فضله وإحسانه؛ فكل ما في الكون من إحسانه وإنعامه، وفضله وكرمه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣- ٧٤].

وإن نظرت إلى سعة ملكه وسلطانه؛ فجميع عالم الغيب والشهادة ملكه، وجميع العالم العلوي والسفلي ملكه، وجميع ما في الدنيا والآخرة ملكه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة/ ١١٥].

فما أعظم ربنا العظيم! وما أوسع عرشه العظيم! وما أوسع كرسيه الكريم! وما أوسع

ملكه العظيم!:﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

فسبحان الواسع الذي أحاط بكل شيء علماً! ولا نهاية لسعة أسمائه وصفاته وأفعاله، وإنعامه وجلاله وجماله! ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[المائدة/ ٥٤].

هو سبحانه الواسع الكريم الذي يتجلى لعباده المؤمنين بما يسعدهم في الدنيا والآخرة، فيغنيهم من سعته بالمال الحلال، والذرية الطيبة، والقناعة بما أعطاهم، والرضا بما قدره عليهم، ويوسع عليهم في دينهم، فلا يكلفهم ما ليس في وسعهم:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[البقرة/ ٢٨٦].

أما في الآخرة فتتجلى سعته سبحانه بما أحل على أوليائه من رضوانه، وما أعد لهم في الجنة من ألوان النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة/ ١٧].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢].

فسبحان الواسع في ذاته وأسمائه وصفاته، الواسع في أفعاله، يوسع على من شاء بفضله، ويمنع من شاء بعدله، يوسع في الخلق والبناء كما قال سبحانه:﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الذاريات/ ٤٧].

ويوسع على من يشاء في الرزق:﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[الرعد: ٢٦].

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٣].

هو سبحانه الواسع الذي وسع علمه جميع المعلومات، ووسع سمعه جميع الأصوات، ووسع بصره جميع المبصرات، ووسع حلمه جميع العصاة، ووسعت رحمته جميع المخلوقات، ووسعت مغفرته جميع الذنوب:﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[غافر: ٧].

وقال ﷻ:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ

﴿ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

واعلم رحمك الله؛ بأن كل مخلوق واسع كالسماء والأرض فله حد ينتهي إليه، لكن وسع الله مطلق لا حد له، فهو سبحانه واسع الرحمة والمغفرة، واسع العلم والقدرة، واسع الأسماء والصفات: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝١١٥﴾ [البقرة/ ١١٥].

واعلم أن من علم الله منه حب التوسيع على الناس فوسع عليهم؛ وسع الله عليه، ومن علم منه حب التضييق على الناس، ضيق الله عليه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠].

هو سبحانه الواسع الذي لا نهاية لعظمته، ولا نهاية لملكه، ولا نهاية لأرزاقه، واسع في قدرته فلا يعجز، وواسع في علمه فلا يجهل: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

هو سبحانه الواسع الذي إذا أعطى فلا فقر، وإذا منع فلا غنى، وإذا حاسب فتَّش: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر/ ٢].

هو الواسع الذي بيده مقاليد الأمور كلها، العلي الذي لا نهاية لعلوه وقدرته: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام/ ١٧ - ١٨].

هو الواسع الذي لا يعزب عنه أثر الخواطر في الضمائر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

هو سبحانه الواسع الذي لا يشغله شأن عن شأن، ولا يشغله شيء عن شيء، ولا يشغله أمر عن أمر، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا يشغله دعاء عن دعاء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس/ ٦١].

هو جل جلاله الواسع الذي عم علمه وقدرته ومشيئته وإرادته كل كائن في السموات

والأرض، وكل كائن في الدنيا والآخرة، وكل ما كان وما يكون وما سيكون من كبير وصغير، وظاهر وباطن، وحي وميت، وناطق وصامت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة/ ١١٥].

الكل ملكه، والكل في قضبته والكل يشهد بتوحيده، والكل يسبح بحمده، والكل يسجد لعظمته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

فسبحان ربنا الواسع العظيم الذي جمع ذلك كله خلقًا وأمرًا وكتبه في اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس/ ١٢].

من المخلوقات والأشياء، والحركات والسكنات: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩ - ٥٠].

فسبحان من جمع هذه المخلوقات العظيمة؛ لتشهد بتوحيده، وتسبح بحمده.

ثم جمع الله جل جلاله الخليقة البشرية كلها في واحد جامع جعله عبدًا له، وهو آدم ﷺ، وخلقه متذللًا لعزته، خاضعًا لعظمته، قانتًا له، متصاغرًا لكبريائه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١].

جمع سبحانه في هذا الإنسان ما كان وما يكون منه في سابق علمه، وجمع فيه ما يخرج منه من مولود، وكلام، وأقوال، وأعمال، وأخلاق؛ فلا إله إلا الله! ما أوسع علمه! وما أوسع قدرته! جعل البشرية كلها في صلب آدم، ثم أخرجهم على مر القرون والأجيال.

وجمع سبحانه جميع ذرات الكون في العالم العلوي والعالم السفلي على ذكره وتوحيده وتسبيحه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ثم هو جل جلاله جامع الناس ليوم لا ريب فيه؛ لتوفى كل نفس ما كسبت: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران/ ٩].

ثم هو جامعهم في دار القرار في الجنة والنار: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن/ ٩].

هو الحق جل جلاله، جامع الخير كله بحذافيره لأوليائه في الجنة؛ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧].

وهو العزيز القادر جامع الشر كله بحذافيره لأعدائه في النار: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص/ ٥٥- ٥٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء/ ٥٦].

هو سبحانه الواسع القادر الذي يجمع أهل السماء والأرض، ويجمع الإنس والجن، ويجمع المؤمنين والكفار، ويجمع العبد مع عمله، ويجمع كل نبي مع أمته، ويجمع الأولين مع الآخرين: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء/ ٨٧].

فسبحان جامع الناس ليوم لا ريب فيه؛ ليحاسبهم ويجازيهم بما عملوا من خير أو شر! ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦- ٨].

هو سبحانه الواسع الذي يجمع يوم القيامة بين الظالم والمظلوم، ويجمع بين القوي والضعيف، ويجمع بين المعطي والآخذ، ويجمع بين الأمير والمأمور؛ ليقتص لبعضهم من بعض: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [التغابن/ ٩- ١٠].

وهو سبحانه الملك الحق الذي جمع الكمالات كلها في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، وملكه وسلطانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو الواسع الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي

ﭐلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وهو سبحانه الكريم الذي جمع الكمالات البشرية في رسله وأنبيائه، وجمع جميع كمالاتهم في سيدهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ، فهو ﷺ في أعلى درجات الخُلق، وفي أعلى درجات الأدب، وفي أعلى درجات العلم، وفي أعلى درجات العمل، وفي أعلى درجات التقوى، وفي أعلى درجات الرحمة، فهو كما أثنى عليه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

جمع الله فيه جميع صفات الأنبياء والرسل: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وهو سبحانه الكريم الذي لا أكرم منه، القوي الذي لا أقوى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الغني الذي لا أغنى منه، العزيز الذي لا أعز منه.

فسبحان واسع الذات، وواسع الأسماء، وواسع الصفات، وواسع الأفعال! ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

واعلم أن كل صحابي من صحابة الرسول ﷺ وكل مسلم من أمته إنما حاز على بعض تلك الأخلاق التي أكرم الله بها نبيه ﷺ، فاظفر بما استطعت منها: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

هو سبحانه الواسع الذي وسعت قدرته كل شيء، فجمع بين المتماثلات والمتضادات، والمتشابهات والمتباينات، وجمع بين المخلوقات وما ينفعها، وهداها لاجتناب ما يضرها، وجمع بين المتقابلات كالليل والنهار، والحر والبرد، والأمن والخوف، والحب والبغض، وجمع بين المتباينات، فجمع بين السماء والأرض، واليابس والماء، والجبل والسهل، والبحر والنهر: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٤].

هو سبحانه الذي جمع بين القلوب بالإيمان: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ

﴿جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦٣﴾ [الأنفال/ ٦٣].

فسبحان الله الواسع العليم الذي وسع كل شيء رحمةً وعلمًا، ومغفرةً وحلمًا، وقدرةً ومشيئة: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الواسع الحكيم رب كل شيء ومليكه، خالق كل شيء ومبدعه، الحي القيوم القائم على كل شيء، المحيط بكل شيء، الذي بيده خزائن كل شيء: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود/ ١٢٣].

فسبحان من وسع سمعه جميع الأصوات، ووسع بصره جميع الذوات، ووسع علمه جميع المخلوقات، وقهر بقوته جميع القوات! لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو سبحانه الواسع الحق الذي وسَّع على عباده في أرزاقهم ومساكنهم، ووسع عليهم في دينهم فلم يكلفهم إلا وسعهم، وهو سبحانه واسع الأجر والثواب: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة/ ٢٦١].

وهو سبحانه واسع الملك، الذي يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧﴾ [البقرة/ ٢٤٧].

التعبد لله ﷻ باسمه الواسع

الله ﷻ هو الواسع الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه؛ أن الواسع الحق جل جلاله له المحامد كلها، وله الثناء الحسن كله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧].

وإذا عرفت أن ربك واسع عليم؛ فاحمل نفسك على أحسن الصفات، وأوسعها خيرًا، وأنفق مما آتاك الله من فضله في مرضاته؛ يؤتك أضعافه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

واعلم رحمك الله؛ أنك لن تستطيع أن تسع الناس بمالك؛ فسعهم بأخلاقك الحسنة؛ يحبك الله، ويحبك أهل السماء والأرض: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**» متفق عليه(١).

واعلم أن الله واسع عليم؛ فسع الناس بحسن خلقك ورحمتك، ومن زاد إيمانه بربه؛ اتسعت دائرة رحمته لخلقه، فوسع رحمك الله دائرة علمك، ووسع دائرة عملك، ووسع دائرة أخلاقك، ووسع دائرة حلمك، ووسع دائرة عفوك، ووسع دائرة إحسانك: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩)، ومسلم برقم (٢٣٢١) واللفظ له.

﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن/ ١٧ - ١٨].

واعلم أن العبد إذا عرف ربه باسمه الواسع، وأنه واسع الأسماء والصفات، وواسع الملك والسلطان، وواسع الفضل والإحسان، وأن فضله غير محدود، وأن عطاءه غير منقطع، تعلق قلبه بربه الواسع العليم الذي لا ينساه، الواسع الذي يرزق بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢ - ٣].

فهو سبحانه يرزق بالأسباب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١ - ٢٢].

ويرزق بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢].

رزق مريم طعامًا بلا شجر، وابنًا بلا ذكر: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

ويرزق بضد الأسباب: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢ - ٣].

ويُنجي بأسباب الهلاك: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

ويهلك بأسباب النجاة كما دمر فرعون وجنوده، وقارون وماله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥ - ٥٦].

وإذا عرف العبد ربه الواسع العليم؛ توكل عليه وحده، وفوض أموره إليه وحده، ولم يتشوش قلبه إذا انسد عنه باب من أبواب الرزق، أو أصابته خسارة أو مصيبة أو كارثة؛

لأنه يعلم أن الله واسع عليم، وأن أبواب فضله لا تعد ولا تحصى، وأنه إذا انغلق منها شيء؛ انفتح ما هو أحسن منه وأنفع: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ١٣٠﴾[النساء/ ١٣٠].

فارض بما قسم الله لك، ولا تضجر مما قدر الله عليك: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢١٦﴾[البقرة/ ٢١٦].

وإذا علمت رحمك الله؛ أن الله واسع الصفات والنعوت، واسع الملك والعظمة والسلطان، واسع الإحسان والإنعام، واسع الرحمة والمغفرة؛ تيقنت أن الله بيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، وأحببت ربك، وأفردته بالعبادة، وحمدته على عظيم نعمه وإحسانه، وسعة رحمته ومغفرته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣].

ومن عرف ربه باسمه الواسع خافه ورجاه، وراقبه في السر والعلن؛ لعلمه أنه الواسع العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ٧﴾[غافر/ ٧].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم، أن يكون واسع الصفات والأخلاق، يتجمل بالأخلاق الحسنة، ويتجنب الأخلاق السيئة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل: ٩٠].

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾[الأعراف/ ١٩٩ - ٢٠٠].

وسارع إلى ربك بأنواع الطاعات والقربات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧﴾[الحج/ ٧٧].

وإذا عرف العبد ربه باسمه الواسع؛ كان واسع اليد بالعطاء والإحسان: ﴿ٱلَّذِينَ

يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[البقرة/ ٢٧٤].

ويكون كذلك واسع البر والأخلاق لكل الخلق، فيصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، ابتغاء مرضاة الله:﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[النساء: ١١٤].

واطلب من ربك الواسع العليم بكل شيء المغفرة والرحمة، والمال والولد، والغيث والنسل:﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾[الأعراف/ ٨٩].

وكن واسع الصدر، وواسع المغفرة، وواسع العطاء، تحب لإخوانك ما تحب لنفسك، تصبر على أذاهم، وتغفر زلاتهم، وتصفح عن مسيئهم، وتأخذ بيد من زل منهم:﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور: ٢٢].

وكن متعبدًا لله في سعة الصدر؛ من الصبر على الطاعات، والصبر على أقدار الله المؤمنة، والصبر على صنوف الأذى في سبيل الله، والصبر عن جميع المعاصي والمحرمات: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧].

وإذا وسع الله عليك في الغنى والأموال؛ فوسع على نفسك وأهلك، وولدك وإخوانك، وجيرانك وأقاربك:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال/ ٢ - ٤].

واعلم أن من وسع على الناس بكل خير؛ وسع الله عليه بأفضل منه، من العلم والمال، والخلق والفهم:﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[التغابن/ ١٧].

وكلما عَلا مقام الإنسان اتسعت رؤيته، وكلما عرف ربه بأسمائه وصفاته كبره وعظمه، وأحبه وحمده وشكره، وتقرب إليه بأنواع العبادة، وكلما عَلا علم الإنسان بربه؛ اتسعت محبته لله، واتسعت أنواع عبادته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكلما علا مقام الإنسان؛ اتسع إحسانه، وكثر استغفاره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا عرفنا الله باسمه الواسع؛ نتعاون، ولا نتقاتل، ولا نتحاسد، ونحسن ولا نسيء، ونرضى بما قسم الله لنا، ونسع الجاهل بالحلم، ونسع المسيء بالعفو: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت/ ٣٤- ٣٦].

واعلم أن ربك واسع الرحمة، فإذا أصابك كرب أو هم؛ فاعلم أن الواسع سوف يفرج كربك، فما منع سبحانه إلا ليعطي، وما قبض إلا ليبسط، وما ابتلى إلا ليعافي، وسيجعل الله بعد العسر يسرًا: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح/ ٦].

واعلم غفر الله لنا ولك ولجميع المسلمين والمسلمات؛ أن الوعاء الأكبر يتسع للأصغر، فالكبير يسع الصغير، والعالم يسع الجاهل، والغني يسع الفقير، والحليم يسع الأحمق، والمحسن يسع المسيء، فصِلْ من قطعك، وأعطِ من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وإذا علمت أن ربك واسع جامع لكل خير؛ فاجمع رحمك الله بين خيري الدنيا والآخرة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

واجمع بين الآداب الظاهرة على الجوارح، والحقائق الباطنة في القلوب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واجمع بين عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، فالدين ركنان: عبادة الحق وحده لا شريك له، والإحسان إلى جميع الخلق: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء/ ٣٦].

وأعلم أن الإحسان أعظم مقامات الدين، فكن من المحسنين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء/ ١٢٥].

والجزاء من جنس العمل، وأحسن العمل، فالعمل منك، والجزاء من ربك: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

واجمع بين العلم والعمل، والإيمان والتقوى، والعدل والإحسان، وحسن السيرة والسريرة؛ يجمع لك ربك ما تحبه وترضاه في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

واعلم أن من أعظم الأخلاق التي يحبها الله رحمة الناس، والرفق بهم، وإكرام أشرافهم، والإحسان إلى فقرائهم، والحلم عن سفيههم، ودعوتهم إلى الخير، والنصح لهم، وحب المؤمنين منهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران/ ١١٠].

واسأل الله أن يرزقك حسن الخلق مع الخالق والمخاليق في كل حال.

فحسن الخلق مع الخالق أن توحده وتعبده وحده لا شريك له.

وحسن الخلق مع المخلوق أن تحسن إليه بأنواع الإحسان، وأعلى ذلك هو الرحمة: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واعلم أن روح الدين هو اليقين، وروح الرسالة هو الرحمة: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٠٧].

فاليقين يمنع كل أحد أن يضرك، والرحمة تمنعك أن تضر أحداً.

وقد أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ بأحسن الأديان، وأحسن الأخلاق، وأحسن الأعمال، فاتبعه في نيته وفكره، وفي دينه وأخلاقه، وأقواله وأفعاله؛ لعلك تُرزق بعض صفاته التي أثنى الله عليه بها بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم/ ٤].

وقوله سبحانه: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة/ ١٢٨].

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٢١].

واعبد ربك الكريم العظيم بكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وتخلق بالأخلاق التي تخلق بها أنبياؤه ورسله، فإن فعلت ذلك؛ أكرمك الله بأنواع الثواب يوم القيامة: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥].

والأخلاق لباس الإنسان، فمن حسن لباسه حسن ثوابه: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ

﴿وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[الأحزاب/ ٣٥].

وتضرع إلى ربك الواسع العليم الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك من أبواب الخير ما يرضيه عنك، وأن يغلق عنك من أبواب الشر ما ينجيك من عقابه، فخزائن كل شيء عنده جل جلاله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر/ ٢١].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾[الحجرات/ ٧- ٨].

وأكثر رحمك الله من التدبر والتفكر في آيات ربك العظيمة الكونية والشرعية، وملكه الواسع، ثم أتبع العبرة بالعمل المحبوب إليه من الذكر والعبادة، والعمل بشرعه، والدعوة إليه، وتعليم أحكام دينه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾[فصلت/ ٣٣].

واجمع بين العلم والعمل، فالعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر، وثمرة العلم الحق العمل الحق، مع الخشية والرغبة والرهبة: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر/ ٢٨].

﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر/ ٩].

وسبح بحمد ربك العظيم في كل حين، وسبح باسم ربك الأعلى في كل وقت: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾ [الإنسان/ ٢٥- ٢٦].

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذاريات/ ١٥- ١٩].

واعلم أن شأن الله عظيم، وأسماؤه وصفاته الحسنى لا تحيط بها العقول، وجلاله وجماله، وجبروته وعظمته وكبرياؤه تعجز عن إدراك كنهها الأفهام، وآلاؤه ونعمه وإحسانه لا تعد ولا تحصى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [الزمر: ٦٧].

فسبحه كثيرًا، واحمده كثيرًا، واستغفره كثيرًا، واذكره كثيرًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)﴾ [الأحزاب/ ٤١- ٤٤].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)﴾ [النمل/ ١٩].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥)﴾ [الشعراء/ ٨٣- ٨٥].

«**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، إِنَّكَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» متفق عليه[1].

اللهم إني أسألك فواتح الخير، وخواتمه وجوامعه، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه، والدرجات العلى من الجنة، يا واسع العطاء والرحمة والمغفرة.

اللهم يا من رحمته وسعت كل شيء، أسألك خير الدعاء، وخير المسألة، وخير الفلاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وخير المقام، يا واسع الفضل والمغفرة والرحمة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾ [الصافات/ ١٨٠- ١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٥)، ومسلم برقم (٧٦٩) واللفظ له.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المحيط

اسم الله المحيط

اسم الله المحيط من الأسماء الحسنى العظيمة الجامعة لأوصاف الجلال والجمال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، المحيط بكل شيء، الذي أحاط بالأشياء كلها في العالم العلوي والعالم السفلي، من الذرة إلى المجرة، ومن الفرش إلى العرش: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ [النساء/ ١٢٦].

وهو سبحانه المحيط الذي أحاط بصره بجميع المخلوقات، وأحاط سمعه بجميع المسموعات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، ونفذت مشيئته وقدرته في جميع الموجودات، وسعت رحمته أهل الأرض والسموات، ودانت لعظمته جميع المخلوقات: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ [النساء/ ١٢٦].

وهو سبحانه العلي العظيم الذي أحاط بكل شيءٍ خلقًا، وأحاط بكل شيء أمرًا، وأحاط بكل شيء قدرة، وأحاط بكل شيء علمًا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه العلي الأعلى، الكبير المتعال، الذي أحاط بالعالم كله أوله وآخره، وظاهره وباطنه، وأعلاه وأسفله، وكبيره وصغيره: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد/ ٣].

وهو جل جلاله المحيط الذي أحاط بكل محيط في العالم العلوي والعالم السفلي، وأحاط بكل ذرة في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ [فصلت/ ٥٤].

وهو سبحانه الكريم الذي أحاط جميع خلقه بالنعم الظاهرة والباطنة، وأحاطهم

بالعافية والصحة، وأحاطهم بالأمن والحفظ، فلا أحد أكرم منه، ولا أحد أقوى منه، ولا أحد أعظم منه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

فسبحان الملك الحق المحيط بكل شيء، المحيط بالسموات والأرض، المحيط بالأبد والأمد، المحيط بالمكان والزمان، المحيط بالأوائل والأواخر، المحيط بالظواهر والبواطن، المحيط بالأقوال والأفعال، المحيط بالجهر والسر ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣- ١٤].

هو سبحانه المحيط بكل محيط، المحيط الذي لا يحيط به محيط: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء/ ١٢٦].

هوسبحانه الرب العظيم المحيط الذي خلق الملك والملكوت، وأحاط بعالم الغيب والشهادة، والدنيا والآخرة، خلق السموات والأرض، وملأ السموات السبع بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من الملائكة التي تسبح بحمده، وتشهد بتوحيده، وتطيع أمره: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩- ٥٠].

وهو سبحانه المحيط الذي ملأ الأرض بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من أنواع الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والذرات، والإنس، والجن: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ثم أحاط الجبار جل جلاله كل أرض بما فوقها إلى الأرض السابعة العليا، ثم أحاط الأرض العليا بالسماء الدنيا الأولى، وأحاط السماء الأولى بالسماء الثانية وهكذا؛ إلى السماء السابعة ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

ثم أحاط سبحانه السموات السبع والأرضين السبع بالكرسي الكريم: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

ثم أحاط الكرسي الكريم بالعرش العظيم، الذي أحاط بجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل/ ٢٦].

والسموات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكل في يد الجبار جل جلاله أصغر من الخردلة في يد الإنسان: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر/ ٦٧].

فسبحان ربنا الكبير المتعال الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وأحاط بكل شيء محيط، وله الحمد في الأولى والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

والله جل جلاله ذو العظمة والكبرياء، والعزة والجبروت، والملك والملكوت قد استوى على العرش الكريم بأعظم الصفات؛ وهي الرحمة، كما قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه/ ٥].

فسبحان الرب العظيم الذي استوى على العرش العظيم، وأحاط بكل محيط، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يخلق ويرزق، ويأمر وينهى، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

واعلم علمك الله من علمه أن هذه المخلوقات العظيمة، والتدبيرات العجيبة، في السماء والأرض، لكل واحد منها يومه، وساعته، ودقائقه، ولكل مخلوق أيامه، وأسابيعه، وشهوره، وأعوامه، وقرونه، يقع فيها حوادث لا يحصيها إلا الله من الأعمال المختلفة، والتسبيح والتحميد، والحياة والموت، منها ما نبصره، وأكثرها لا نبصره، والله محيط بكل ذلك: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق: ١٢].

والكل من الذرات والمجرات، والمحيطات والمخلوقات، يسبح بحمده، ويشهد له بالوحدانية، والكل أحاط به المحيط الذي أحاط بكل شيء علمًا، وقدرةً، وتدبيرًا،

وتصريفًا: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ١٢٦﴾ [النساء/ ١٢٦].

وأعظم تلك المخلوقات العظيمة وأكثرها عبادات هم الملائكة الذين ملأ الله بهم السموات السبع العلى، وحملة العرش المقربون، فهؤلاء كلهم عباداتهم لربهم سرمدية أبدًا: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩- ٢٠].

وهو جل جلاله الملك الغني عن جميع خلقه، وكلهم فقراء إليه في خلقهم وتدبيرهم وأرزاقهم: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

وجميع ما في الكون من المخلوقات تعبد ربها، وتسبح بحمده، وتشهد بتوحيده، ومن شذ من البشر عن عبادته؛ فالملائكة الكرام لا يسأمون من عبادته: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ٣٨﴾ [فصلت/ ٣٨].

فسبحان الكريم الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا يحيط بها إلا هو: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

وأكرمنا سبحانه بالدين الحق الذي يرضى به عنا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

وفرض علينا سبحانه أولًا خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خفف الكريم الرحيم عددهن من خمسين إلى خمس صلوات، وأعطى الأجر كاملًا على الخمسين من فضله، فالصلاة الواحدة بعشر صلوات، فصارت الصلاة الواحدة بمائة صلاة، والخمس صلوات بخمسمائة صلاة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ٧٠﴾ [النساء/ ٧٠].

فلله الحمد على عطاء ربنا الكريم، الذي العطاء أحب إليه من المنع، والرحمة أحب إليه من الانتقام: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٧٣ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣- ٧٤].

وجعل سبحانه كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة لا

يعلمها إلا هو، والسيئة بمثلها، ويمحوها إما بالتوبة أو بعفوه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

وقال ﷻ: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن/ ١٧].

واعلم أن مَن علت همته سارع إلى مرضاة ربه بأداء الفرائض، وتكثير النوافل وتحسينها من جميع الطاعات، واجتناب المنهيات من جميع المحرمات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

وعلى قدر المسارعة والمسابقة إلى الطاعات تكون الكرامات والهبات، وعلى قدر الغفلة والبطالة تكون الخسارة والعقوبات: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس/ ١٠٨].

هؤلاء المؤمنون وثوابهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢- ٤].

وهؤلاء الكفار وعقابهم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة/ ٦٨]،

فسبحان الكريم الرحيم بعباده الذي خلق المسبحين، وعرفنا بهم، وأرانا إياهم، وأخبرنا بدوام تسبيحهم؛ لنقتدي بهم، ونسبح بحمده معهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

هو الله المحيط الذي أحاط بكل شيء، وأحصى كل شيء من الذرات والذوات، والأعداد والأحوال، والآجال والأرزاق، والأنفاس والحركات، والأقوال والأفعال، والحروف والكلمات، وما في القلوب وما في الغيوب: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾[فصلت/ ٥٣- ٥٤].

وهو سبحانه المحيط الذي أحصى كل شيء خلقًا وأمرًا، عددًا وقدرًا، أولًا وآخرًا، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ذرات الرمال، وعدد ورق الأشجار، وعدد الطير والوحش والحيوان، وعدد الإنس والجان والملائكة، وأحصى تسبيحها وأنفاسها، وما خرج منها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[يس/ ١٢].

أوجد سبحانه العدد وجودًا لا منتهى له ولا آخر، والعدد هو الرقم واحد الذي له بداية وليس له نهاية، وجعله في الدنيا آيةً على بقاء ما له أول ولا آخر له، وهي الدار الآخرة: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت: ٦٤].

فسبحان من أحصى جميع المخلوقات بإحصاء واحد، ويحسبها بحساب واحد، ويعلم كل شيء بعلم واحد، وأحصى جميع المخلوقات جملةً وتفصيلًا: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[الأنعام/ ٦١- ٦٢].

والله جل جلاله أسماؤه لا تُحصى، وصفاته لا تحصى، ونعمه لا تحصى، ومن أحصى من أسماء الله ﷻ تسعةً وتسعين اسمًا دخل الجنة، وإحصاؤها هو معرفتها، وتوحيد الله بها، والتعبد لله بها، ودعاء الله بها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»متفق عليه[1].

فيجب علينا تعلم أسماء الله الحسنى؛ لندعوه بها، ونتعبد لله بها، بالاتصاف بما يليق

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٧).

بالعبد منها، فالله محسن يحب المحسنين، والله مؤمن يحب المؤمنين، والله شكور يحب الشاكرين، والله تواب يحب التوابين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وإذا كنت تعلم أن الله محيط بكل مخلوق، وهو المحيط الذي يحصي كلامك وأفعالك وأنفاسك، ولا يدع شيئًا إلا أحصاه عليك، ويراقبك حتى كأنه ليس ينظر لأحد سواك؛ فلماذا لا تجل نظره إليك، ولا تهاب رقابته عليك، ولا تستحي من مشاهدته لك؟ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج/ ٧٠].

ولا يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً، ولا يعصيه إلا من جهل قدره: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/ ١٣- ٢٠].

واعلم رحمك الله أن أنفاس العباد معدودة، وكل نفس يخرج من غير ذكر الله فهو ميت، وخطوات الخلائق كلها معدودة، وكل خطوة يخطوها الإنسان بلا إيمان فهي ميتة، فاذكر الله يذكرك، واعبده بما شرعه، واشكره على إحسانه: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

فلا إله إلا الله ما أرحمه بعباده، وما أعظم عنايته بخلقه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٩].

وقد ورد اسم الله المحيط في القرآن ثمان مرات، منها: قوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت/ ٥٤].

والله سبحانه هو المحيط بكل شيء علمًا وقدرة، ورحمةً وقهرًا، وبصرًا وسمعاً: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

أحاطت قدرته سبحانه بجميع خلقه، وأحاط سمعه بكل صوت، وأحاط بصره بكل مخلوق، وأحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ [النساء/ ١٢٦].

والصفة المشتقة من اسم الله المحيط هي صفة الإحاطة، وهي صفة ذاتية لله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ [فصلت/ ٥٤].

هو سبحانه المحيط بكل محيط ومحاط، ولا يحيط به محيط، أحاط بكل شيء قدرةً وعلمًا، وحركة وسكوناً، وسمعًا وبصرًا: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ [فصلت/ ٥٤].

هو سبحانه المحيط بك رأفةً ورحمةً ولطفًا، يطعمك إذا جعت، ويسقيك إذا عطشت، ويشفيك إذا مرضت، ويؤمنك إذا خفت، ويوصل إليك ما ينفعك، ويدفع عنك ما يضرك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

فمن هذه أسماؤه وصفاته، وهذا إحسانه وإكرامه، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة/ ٢١- ٢٢].

فسبحان ربنا العظيم المحيط الذي أحاط الأرضين السبع بالسموات السبع، وأحاط السموات السبع بكرسيه العظيم، وأحاط ذلك كله بعرشه العظيم، وهو المحيط بكل خلقه علماً، ولا يحيطون به علمًا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

هو سبحانه المحيط بكل شيء إحاطةً مكانية، وإحاطةً زمانية: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ [الحديد/ ٣].

هو سبحانه المحيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء، المحيط الذي يدرك كل شيء، ولا يدركه شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢- ١٠٣].

هو سبحانه المحيط الذي أحاط بكل مخلوق، فلا يفر منه أحد، ولا يخرج عن ملكه أحد، ولا يغيب عنه أحد؛ وذلك لكمال إحاطته وعلمه وقدرته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢].

هو سبحانه المحيط بذاته، المحيط بأسمائه، المحيط بصفاته، المحيط بأفعاله، المحيط بملكه وسلطانه؛ فهو العليم المحيط بكل عالم وجاهل، القادر المحيط بكل قادر وعاجز، السميع المحيط بكل ناطق وصامت، البصير المحيط بكل ذرة ومجرة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾[النساء/ ١٢٦].

فسبحان المحيط بالنيات والإرادات، المحيط بالأقوال والأفعال، المحيط بالحركات والسكنات، المحيط بكل ذرة ومجرة، المحيط بعالم الغيب والشهادة، المحيط بالعالم العلوي والعالم السفلي: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت/ ٥٤].

فسبحان المحيط بكل ذرة في ملكه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾[النساء/ ١٢٦].

اعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو الملك المحيط بكل ملك ومملوك، القوي المحيط بكل قوي وضعيف، الكبير المحيط بكل كبير وصغير، العزيز المحيط بكل عزيز وذليل، العليم المحيط بكل عالم وجاهل، الغني المحيط بكل غني وفقير: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء/ ١٢٦].

هو الرب المحيط بجميع أكناف العالم، وجميع ذرات العالم، المحيط بجميع أنفاس ونيات وحركات وسكنات وأقوال وأعمال الخلائق كلها في آن واحد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

فعليك رحمك الله بمواظبة التفكر، وزيادة التدبر؛ لتعرف الكبير حقًّا، والعظيم حقًّا، والملك حقًّا، والمحيط حقًّا، الذي أحاط بالملكوت كله حولًا وقوة، وعلمًا ومشيئة، وأحاط بكل إحاطة ظاهرة أو باطنة، كبيرة أو صغيرة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء/ ١٢٦].

ومَن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، وهذا ملكه، وتلك خزائنه؛ هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له؛ بأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣].

فعليك يا عبد الله بالاستسلام له، والحياء منه، وإخلاص العبادة له، والتبرؤ من الحول والقوة له، والخروج إلى الله من معاني النفس عند النعمة والكرامة والطاعة: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

فكل نعمة فإنما كانت لك منه بإذنه وفضله وعونه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور/ ٢١].

واحرص عفا الله عنا وعنك أن تكون محيطًا بأنواع البر والخير والإحسان من الفرائض والسنن، واجتنب البدع والمعاصي، وعليك بالصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر لله على النعماء؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

- **فالواجب عليك من ربك خمسة أمور:**

أوامر تفعلها، ومحرمات تجتنبها، ونعم تشكر الله عليها، وابتلاءات تصبر عليها، وذنوب تستغفر الله منها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

فبادر إلى كل عمل صالح: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

وأكثر من التوبة والاستغفار مما تعلمه من الذنوب ومما لا تعلمه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

ومن عرف الله حقاً وحده، وأكثر من استغفاره: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وإياك والاعتراض على أقدار ربك العليم المحيط بكل شيء، ولا تتبرم من أي مكروه قدّره، ولا تحزن على أي أمر من الدنيا منعه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد/ ٢٢- ٢٣].

والله المحيط يسوق عباده إليه بالنعم تارة، والمصائب تارة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن/ ١١].

وإذا وقع مكروه؛ فقل: قدر الله وما شاء فعل، وإذا لم يقع ما تحب؛ فاعلم أن الله لم

يقدره، ولو كان خيرًا لقدره: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» أخرجه مسلم(1).

وعليك بالحنيفية السمحة في جميع أمورك، وملازمة السنة في أقوالك وأفعالك، ومصاحبة الأيام والليالي، والشهور والأعوام، بالأعمال الصالحة؛ ابتغاء مرضاة الله: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١- ١٦٣].

واعلم أن الحق سبحانه يكون للعبد في حياته وبعد موته كما كان العبد لربه بعد بعثه من نومه، فإن كنت في الدنيا لربك عبدًا، ولحرماته معظمًا، وإلى ما يحبه ويرضاه مسارعًا؛ كان الله في الآخرة لوجهك مكرمًا، ولشأنك معظمًا، وإلى مسرتك بالنعيم مسارعًا: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن/ ٦٠].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].

ومن أحسنَ في القول والعمل أحسن الله إليه وزاده؛ لكمال رحمته وعظيم كرمه: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس/ ٢٦].

واعلم أن نعم الله على العباد كثيرة لا تحصى، ولا يحاط بجملتها فضلًا عن آحادها: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل/ ٥٢- ٥٣].

---

(1) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس/ ٣١- ٣٢].

فاشكر الله على كل نعمة أنعم الله بها عليك تأخذ أجرها مضاعفاً، واستغفر الله عن التقصير في كل عمل صالح؛ فإن ربك غفور رحيم، وأنت عبد فقير ضعيف: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء: ١١٠].

واعلم أن أعظم ما يستعين به العبد على الذكر، والعمل الصالح، ومدافعة الغفلة: مراعاة الأوقات قبل فواتها، وشغلها بفعل ما شرعه الله ورسوله من الفرائض والنوافل: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٨- ٩٩].

وتوكل على الله وحده في جلب ما ينفعك، ودفع ما يضرك: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٧- ٢٢٠].

وإياك وإضاعة الأوقات، والتسويف والتمني، والتراخي والانتظار، والتردد والتربص؛ فهذه كلها جنود إبليس، ورايات إبليس التي صاد بها أكثر الخلق: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ/ ٢٠].

واعلم أن الله كما يقلب الليل والنهار؛ كذلك يقلب الأنفاس بخواطر القلوب، فأكثر من ذكر الله، وفكر واعمل بما يحبه الله ورسوله تفلح: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف/ ٢٠٥].

واعلم أن الله جل جلاله هو المحيط بكل شيء علماً وقدرة ورؤية، فلا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، ولا يخرج عن ملكه أحد؛ لأنه هو المحيط القاهر لكل أحد، العليم بكل أحد: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[يونس: ٦١].

ومن عرف ربه باسمه المحيط أحبه، وتقرب إليه بأنواع الطاعات، وخافه ورجاه،

واستحيا من معصيته، وابتعد عن كل ما يسخطه؛ لأن علمه محيط بكل شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرف العبد أن ربه محيط بكل شيء؛ عظمه وكبره، وابتعد عن ظلم العباد، وأكل حقوقهم، والاعتداء عليهم؛ لعلمه أن الله محيط بكل أحد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

ومن عرف الله باسمه المحيط؛ استهان بقوة الأعداء مهما كانت، بعد أخذ الأسباب الدافعة لشرهم، والمأمور بها شرعًا، وتوكل على الله وحده؛ لعلمه أن الله محيط بهم، وقاهر لهم: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٠].

وإذا تكالب علينا الأعداء، وسفكوا الدماء، ونهبوا الأموال، وانتهكوا الأعراض، وخربوا الديار، فلأن المؤمنين لم يحققوا أمرين:

الصبر .. والتقوى.

فمن صبر واتقى ربه نصره الله على عدوه؛ لأنه جل جلاله قوي محيط بكل قوي: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر/ ٥١].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**»أخرجه مسلم[1].

اللهم يا محيطًا بالأوائل والأواخر، يا عليمًا بالظواهر والبواطن، يا سميعًا للمنادي والمناجي، يا بصيرًا بالشاهد والغائب، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا كربًا إلا نفسته، ولا ضرًّا إلا كشفته، ولا ضالًّا إلا هديته، برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾[الصافات/ ١٨٠- ١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـم الله

الحسيب.. الحاسب

اسم الله الحسيب.. الحاسب

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧].

الله جل جلاله هو الحسيب الحق، ذو الشرف والمجد، وذو العزة والجبروت، وذو العظمة والسؤدد، وذو الجلال، والجمال، والكبرياء، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وليس كمثله شيء: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١- ٤].

وهو سبحانه الحسيب الحق، العالم بمقادير الحسنات والسيئات، العليم بأنواع الطاعات والمعاصي، المحيط بمواقع الأقوال والأعمال والأرزاق، وأعدادها وأنواعها وأجناسها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء/ ٨٦].

وهو سبحانه الحسيب الكافي عباده، الذي لا غنى لهم عنه أبدًا، فهو خالقهم ورازقهم، وكافيهم في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر/ ٣٦].

وجميع النعم منه وحده لا شريك له: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

وهو سبحانه الحسيب الحاسب الحافظ لأعمال خلقه كلهم، الحسيب الذي أحصى جميع أقوال العباد وأفعالهم الظاهرة والباطنة، وجميع حركاتهم وسكناتهم: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣- ١٤].

فكل أقوال وأفعال وحركات العباد محسوبة عنده، لا يضيع منها شيء، ولا يزاد عليها شيء، ثم يجازي بها العباد يوم القيامة عدلًا وفضلًا، بلا ظلم ولا بخس، ولا هضم ولا

نقص: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

هو سبحانه الحسيب الكافي؛ لأنه القوي القادر، العليم الخبير، الرحمن الرحيم، الغني الحميد، الحليم الكريم، الحسيب الصمد، الذي انتهى إليه كل شرف في الوجود، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هو سبحانه الحسيب الذي يحاسب العباد على أقوالهم، وأعمالهم، يحاسب من أطاعه، ويثيب على طاعته الجنة والرضوان، ويحاسب من عصاه، ويجازيه على معصيته بالنار وسخط الرحمن، وحسابه جل جلاله دقيق، لا يترك مثقال ذرة منه؛ بل يطلع عليه من فعله، ثم يجازيه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦ – ٨].

وبعد الحساب يكون الجزاء بحسب العمل: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة/ ٦ – ١١].

وهو سبحانه الكريم الرحيم الذي يجازي على الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، ويجازي على السيئة بمثلها أو يغفرها: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن/ ١٧ – ١٨].

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[البقرة/ ٢٤٥].

فسبحان الحسيب الكريم الذي يحاسب عباده في الدنيا ليربيهم، ويحاسبهم في الآخرة ليجازيهم!: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨ – ٩].

واعلم أن من أيقن أن الحسيب سوف يحاسبه؛ فلا بد أن يخاف منه، ومن خاف منه؛ استقام على أمره ودينه، ففاز برضوانه وجنته: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن/ ٤٦].

ومن امتلأ قلبه بمعرفة الله أحبه، وخر بين يديه ساجداً: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة/ ١٥– ١٧].

هو سبحانه الحسيب الذي يكفي بفضله، ويصرف الآفات عن عباده بطوله، إذا رُفعت إليه الحوائج قضاها، وإن حكم بقضية أمضاها: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

هو سبحانه العليم بكل شيء، الحسيب الحاسب لكل شيء، الذي يعلم النيات والأسرار، ويعلم الأقوال والأعمال، ويعلم أصغر الذرات، ويعلم النقير والفتيل والقطمير: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ ۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[فاطر/ ١٣– ١٤].

فالله يعلم جميع أفعال العباد، ويحاسب عليها ولا يظلم أحدًا مثقال ذرة: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

والله جل جلاله سريع الحساب، بل هو أسرع الحاسبين، فإذا رجع العباد إليه يوم القيامة؛ حاسبهم في أسرع وقت، وحاسبهم جميعًا في وقت واحد، كما يرزقهم جميعًا في الدنيا في وقت واحد: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام/ ٦١- ٦٢].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي خلق جميع الخلق، وأحصى أعدادهم، وساق إليهم أرزاقهم، وحسب أقوالهم وأعمالهم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس/ ١٢].

وسبحان القوي القادر الذي لا يعجزه شيء، وحساب الخلائق كلهم سهل عليه، فكما أن خلقهم وبعثهم كنفس واحدة؛ فكذلك رزقهم وحسابهم كنفس واحدة: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٨].

واعلم أنه لن يفلت أحد من الموت، كما أنه لن يفلت أحد من الحساب، كما أنه لن يفلت أحد من العذاب، أو يحرم من الثواب: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥- ٢٦].

وسوف يسعد أو يشقى كل واحد بحسب عمله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت/ ٤٦].

فاختر لنفسك ما تسعد به، وإلا جرَّك الشيطان إلى ما تشقى به: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/ ١٣- ١٤].

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣- ١٢٦].

واعلم أن المؤمن حقًّا من استقام على الدين ظاهرًا وباطنًا، وحفظ لسانه وقلبه وجوارحه عن كل ما لا يرضي الله، وصرف فكره ووقته وماله في كل ما يرضي الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠- ٣٢].

فهذا العبد الذي استقام على طاعة ربه في جميع أحواله يعلم أن الله ﷻ سوف يحاسبه على كل أعماله، ولكن المؤمن حسابه يسير، أما الكافر فحسابه عسير، فاتق الله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦].

والعاقل من حاسب نفسه؛ ليستقيم على أوامر الله قبل أن يكون الحساب إلى غيره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر/ ١٨- ٢٠].

وشتان بين العملين والدارين والجزاءين: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٢- ١٦٣].

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠].

وكل شيء محسوب، وكل إنسان سيرى ويقرأ ما قدم وأخر: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٥].

واعلم أن الحساب يوم القيامة مبني على العدل والرحمة والإحسان؛ ومن نوقش الحساب هلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق/ ٦ - ١٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**» **فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾** [الانشقاق/ ٧ - ٨]؟ **فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ**: «**إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ**» متفق عليه[1].

وقد ورد اسم الله الحسيب في القرآن ثلاث مرات، منها: قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء/ ٨٦].

هو سبحانه الحسيب الكافي لعباده جميع ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم، الذي يوصل لهم المنافع، ويدفع عنهم جميع المضار: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

هو سبحانه الحسيب الذي يكفي من يؤمن به، ويتوكل عليه، ويحسن الظن به، ويصدق في الالتجاء إليه: **﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾** [الطلاق/ ٢ - ٣].

هو سبحانه الحسيب الذي يحاسب غيره على قوله وفعله في يوم القيامة، ويجازي على ذلك بميزان الحق والعدل والفضل؛ فيعامل الكفار بالعدل، ويعامل المؤمنين

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧)، واللفظ له، و مسلم برقم (٢٨٧٦).

بالفضل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

هو سبحانه الحسيب الرفيع الشأن، عظيم الأسماء والصفات، عظيم الملك والسلطان: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الحسيب الحاسب الذي أحصى كل شيء عددًا، وأحصى كل شيء علمًا، الذي أحصى أعمال المكلفين بأعدادها وأنواعها، وأحصى حسنها وسيئها: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٥١].

وهو سبحانه أسرع الحاسبين، فلا أحد أسرع منه حسابًا، يُحاسب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما يرزقهم جميعًا في لحظة واحدة.

هو سبحانه الحسيب الكافي عباده بفضله، الذي يصرف عنهم الآفات بطوله، إذا رفعت إليه الحوائج قضاها، وإذا حكم بقضية أمضاها، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

إذا حكم فلا حكم بعده، وإذا حاسب فلا محاسب بعده: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١].

- **والحسيب صفة ذات وفعل:**

فدلالته على الذات أنه سبحانه الحسيب ذو المجد والجلال والجمال، والأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٩].

ودلالته على صفة الفعل أنه سبحانه الكافي لعباده كل ما يحتاجون، المحاسب لهم على ما يعملون: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

فسبحان ربنا الحسيب الكافي لعباده كل ما يحتاجون، الحسيب الذي يحاسبهم على ما يفعلون، الحسيب ذو الشرف والمجد، والعزة والعظمة، والجلال والإكرام.

فهذه ثلاث معانٍ لاسم الله الحسيب جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

هو سبحانه الحسيب الكافي الذي إذا تولاك كفاك، وإذا أعطاك أغناك، وإذا مرضت شفاك، وإذا سألته أعطاك، وإذا استعنت به أعانك: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٧- ١٨].

بيده وحده مفاتيح كل شيء، وبيده وحده مغاليق كل شيء: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [فاطر/ ٢].

العزيز الذي لا يُغلب، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه.

واعلم أن الطبيب لا يعرف ما يؤلمك كله، لكن الله بقدرته يعلم ظاهرك وباطنك، ويعلم طاعاتك ومعاصيك، ويعلم سرك وجهرك: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة/ ٢٨٤].

هو سبحانه الحسيب الكافي الذي يعطي عباده كل شيء؛ لأن بيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر/ ٢١].

يعطيك العلم والقوة والذكاء، ويعطيك الهداية والتوفيق والحكمة، ويعطيك الطمأنينة والرضا والسلام، ويعطيك الحلال، ويمنعك من الحرام، ويعطيك المال والولد، ويعطيك الأمن والعافية: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

واعلم أن الله هو الحسيب الكافي وحده لا شريك له، فلا تعتمد على مالك، ولا على قوتك، ولا على جاهك، ولا على علمك، ولا على منصبك؛ بل توكل على الله وحده لا شريك له؛ لأن بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾[التغابن/ ١٣].

﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ ﴾[الشعراء/ ٢١٣].

والله سبحانه يعطيك عطاءً ينفعك ويسعدك في الدنيا والآخرة:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ٣ ﴾[المائدة/ ٣].

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾[الحجرات/ ١٧].

أما غير الله فقد يعطيك عطاءً ينقطع بعد الموت؛ لكن عطاء الله أعظم ثمراته تجده بعد الموت:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾[التوبة: ٧٢].

التعبد لله ﷻ باسمه الحسيب.. الحاسب

اعلم رحمنا الله وإياك أن ربك هو الحسيب الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

هو الحسيب الكافي عباده جميع ما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، المُيسِّر لهم جميع ما يحتاجونه، الدافع عنهم كل ما يكرهونه: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

واعلم أيها المؤمن أن الله شرفك بعبادته، وخَصّك بهدايته، وأكرمك بطاعته، فالزم طاعته في جميع أحوالك، وأكثر من ذكره وشكره وحمده في جميع أوقاتك: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾[الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

ولا تستكثر طاعتك له، فهو لجلاله وجماله، وكمال أسمائه وصفاته، أحق من عبد، وأحق من ذكر، وأحق من شكر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾[الأحزاب/ ٤٣].

ولا تُعدِّد حسناتك فإنها مكتوبة، محفوظة، مضاعفة لك عند ربك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾[النساء/ ٤٠].وعُدّ سيئاتك وتذكرها؛ لتستغفر الله منها، وتتوب إليه منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾[الحشر/ ١٨-١٩]

واحسب رحمك الله الساعات والأيام، واملأها بالأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها، وحاسب نفسك قبل أن تحاسَب، وتفقّد الإخلاص، وانظر ما قدمت وما أخرت: ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٥ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ

﴿ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس/ ١٠٥-١٠٦].

واعلم أن كل ما عملته لن يضيع منه شيء، فالكل محسوب ستراه يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

فسبحان ربنا الحسيب الذي حفظ على عباده كل ما يعملوه من خير، أو شر، أو طاعة، أو معصية، وميّز لهم صالح العمل من فاسده، وحسنه من قبيحه، وعلم ما يستحقون من الجزاء، ومقدار ما لهم من الثواب والعقاب؛ ثم يوفيهم ذلك بعد رجوعهم إليه يوم القيامة: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥٧﴾ [الحج/ ٥٦-٥٧].

واعلم أن من عرف ربه باسمه الحسيب عظّمه وكبّره، وحمده وشكره، وأحبه وأثنى عليه، وتوكل عليه واستعان به، ووحَّده وأفرده بالعبادة؛ وتيقن عليه وحده، ونفض القلب واليد عمن سواه؛ لعلمه بكمال كفايته ونصرته: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

ومن توكل على الله كفاه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ٣﴾ [الطلاق/ ٢- ٣].

وحظ العبد من اسم الله الحسيب أن يجتهد في قضاء حاجات الخلق، والإحسان إليهم، خاصةً أصوله وفروعه، وأقاربه وجيرانه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وقال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٢﴾ [المائدة/ ٢].

وكذا يحاسب نفسه على ما قاله، وفعله، وتحرك به، ويستغفر الله من كل ذنب، ويشكره

على كل نعمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾[الحشر/ ١٨-١٩]

ويسعى كذلك في تحصيل مكارم الأخلاق التي يحبها الله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[الأحزاب: ٣٥].

ويجتنب كل مساوئ الأخلاق التي يكرهها الله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾[الحج/ ٣٠-٣١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات/ ١١-١٣].

واعلم أنك إن كنت حاكماً أو مسؤولاً؛ فإن الله سوف يحاسبك على العدل والإحسان وعلى من تحت ولايتك من فقير جائع، أو مريض عاجز، أو شيخ كبير، أو أرملة وحيدة، فاتق الله فيهم، وأحسن إليهم بما استطعت من مال، أو بأي نوع من أنواع الإحسان؛ فإنك مسئول: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر/ ٩٢-٩٣].

وأعلم أن من أعطاك الحرية في العمل سوف يحاسبك على ما اخترت من العمل: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٥١ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم: ٥١ – ٥٢].

- **واعلم أنك ستسأل عن عشرة أمور:**

ماذا أجبتم المرسلين؟ ..وماذا كنتم تعملون؟ .. وسوف تسأل عن عمرك فيم أفنيته؟..وعن شبابك: فيم أبليته؟ ..وعن مالك: من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ ..وعن علمك: ماذا عملت به؟ ..وسوف تسأل في قبرك: من ربك؟ .. وما دينك؟ .. ومن نبيك؟: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

فاستعد لإجابة هذه الأسئلة بحسن العمل والإستقامة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦].

فحاسب أيها المؤمن نفسك قبل أن تحاسب، وزن نفسك قبل أن توزن، واجتهد في إخلاص العمل لله، وأن يكون مطابقاً لما جاء به رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

واعلم أن كل أحد سوف يسأل يوم القيامة عما عمل؛ الأنبياء والرسل، والمؤمنون والكفار: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف/ ٦-٩].

ومن شكا حاله لربه أجاب دعاءه، ونصره، وأكرمه، فانظر كيف نصر الله رسله وأولياءه، وخذل أعداءه: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٨-٧٧].

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٩٠]

فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر/ ٦٠].

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وإذا عرف العبد أن ربه هو الحسيب ذو الشرف، والمجد، والجلال، والجمال، والكمال؛ فعليه أن يتحلى بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة، وأن يكمل نفسه بما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال، والأخلاق، وأن يكمل غيره كذلك: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٢].

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١].

فتجمل رحمك الله بالأخلاق الكريمة، وبالأقوال الحسنة، وبالأعمال الصالحة، وجَمِّل غيرك بذلك، والبس لباس تقوى.

واعلم أن الله ﷻ سيسعدك في الدنيا والآخرة، وستجد جميع ما عملت يوم القيامة

مضاعفاً لك إن كان خيراً، وسوف تحاسب على ما عملت من خير أو شر: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فسارع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال، والأخلاق الحسنة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر/ ٧-٨].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٣].

«**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» أخرجه مسلم[1].

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم إنا نسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله،ما علمنا منه وما لم نعلم.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

المقيت

اسم الله المقيت

الله ﷻ هو المقيت الحق لخلقه أجمعين، الذي خلق الأقوات كلها، وأوصل إلى كل مخلوق ما يقتات به، وأرسل إلى جميع المخلوقات الحية أرزاقها:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾[هود/ ٦].

وهو سبحانه المقيت القائم على جميع المخلوقات بالتدبير والتصريف، المقيت الذي يعطي كل مخلوق قوته من جماد، ونبات، وحيوان، وطير، وإنسان، وملك، وجان على مر الأوقات والدهور:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٣٠ ﴾[الإسراء/ ٣٠].

فسبحان من يمد هذه الخلائق العظيمة في كل وقت بما جعله قوتًا لها، فإذا أراد موت شيء منها؛ حبس عنه ما جعله مادةً لبقائه في عالم النبات، وفي عالم الحيوان، وفي عالم الإنسان، وفي عالم الجن، وفي عالم الملائكة، فمات بإذن الله:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠ ﴾[الروم/ ٤٠].

والله جل جلاله هو المقيت الذي يملك خزائن الأقوات كلها وحده لا شريك له:﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ۝٨٥ ﴾[النساء/ ٨٥].

هو سبحانه المقيت الذي يقيت الأجساد بالطعام والشراب، ويقيت العقول بالعلوم والمعارف، ويقيت القلوب بالإيمان وفتوحات العلم، ويقيت الأرواح بدوام المشاهدة، ولذيذ المؤانسة، ويقيت الجوارح بحسن العبادة:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾[الأنفال/ ٢- ٤].

فسبحان الملك الحق الذي قدر جميع الأرزاق والآجال والأعمال في ملكه العظيم، وقدر أقوات أهل الأرض وما يصلح لمعايشهم من النبات، والأشجار، والثمار، وسائر المنافع: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

هو سبحانه الذي قدر هذه الأقوات العظيمة، وأوصل كل رزق وقوت إلى كل مخلوق: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

وجعل سبحانه في كل بلدة من المنافع والثمار والأقوات والمكاسب ما لم يجعله في الأخرى؛ ليشيع أوامره الشرعية في التجارة في كل بلد، وليرتزق الخلق بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد، ولينتشر العلم بين الناس في كل بلد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٦٠].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق الأقوات، وخلق الأرزاق، وخلق المرزوقين، وأوصل الأرزاق إلى المرزوقين برحمته وقوته وقدرته: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ

لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ [النحل/ ٣- ١٤].

ومن هذه قدرته، وهذه أرزاقه، وهذه رحمته، هو الذي يستحق العبادة والطاعة وحده لا شريك له: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

فيحصل بسبب هذا الخلق والتدبير من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يعلمه إلا الله العليم الحكيم: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٠].

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك/ ١٥].

فسبحان من خلق الإنسان من تراب، وخلق أقواته في الأرض بالقرب منه، يأكل ويشرب منها، ، حيث يشاء: ﴿۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت/ ٩- ١٠].

وسبحان خالق كل شيء، المقيت لكل شيء، الذي خزائنه مملوءة بكل شيء: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

خزائن النور عند الله، خزائن الطعام والشراب عند الله، خزائن الحبوب والثمار عند الله، خزائن النعيم عند الله، خزائن العذاب عند الله، خزائن الرحمة عند الله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢- ١٠٣].

هو سبحانه الغني الذي له خزائن السماوات والأرض، ويعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج/ ٦٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «**يَدُ اللهِ مَلأَى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**» متفق عليه(١).

وقد ورد اسم الله المقيت في القرآن الكريم مرةً واحدة في قوله سبحانه: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء/ ٨٥].

والله سبحانه هو الملك الحق المقيت الذي خلق الأقوات، وتكفل بإيصالها إلى الخلق في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦- ٥٨].

فسبحان الخالق المقيت الرزاق الذي أعطى كل مخلوق قوته من جماد، ونبات، وحيوان، وطير، وإنسان، وجان، وملك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هوسبحانه الرزاق الذي يرزق جميع مخلوقاته بأنواع الرزق مما يؤكل، ومما لا يؤكل: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/ ٣١- ٣٢].

والصفة المشتقة من اسم الله المقيت هي الإقاتة، وهي من صفات الذات، وصفات الأفعال، فهو سبحانه المقيت الذي أوصل الأقوات إلى جميع المخلوقات في العالم: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦].

هو سبحانه المقيت الذي خلق الأقوات، وتكفل بإيصالها إلى جميع الخلائق في كل الأقطار، وفي كل زمان، ومن كل الأنواع، وقطع لكل مخلوق قوته ورزقه، كميةً ونوعيةً، وزمانًا ومكانًا: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤١١) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٩٣).

رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف/ ٣١- ٣٢].

فسبحان المقيت للأبدان بالطعام والشراب، المقيت للقلوب بالمعرفة والتوحيد والإيمان، المقيت الذي جعل لكل مخلوق قوتًا؛ فالأبدان قوتها المأكول والمشروب، والقلوب قوتها المعرفة والإيمان، والملائكة قوتها التسبيح والتقديس.

هو سبحانه المقيت الرزاق، خالق الأقوات وموصلها إلى جميع مخلوقاته: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

وهو المقيت المحيط بكل شيء علمًا وقدرة، وسمعًا وبصرًا، وقدرًا وتقديرًا: ﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [فصلت/ ٩- ١٠].

هو سبحانه المقيت الذي خلق لكل مخلوق قوتاً يناسبه: ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١١].

وهو المقيت المقتدر المتكفل بإيصال الأقوات إلى كل مخلوق في مكانه وزمانه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء/ ٨٥].

وهو المقيت الحفيظ الذي يحفظ الأحياء بالأقوات التي يسوقها لهم: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣].

فهذه أربعة معان يدل عليهم اسم المقيت سبحانه.

فسبحان المقيت الرحيم الذي إذا اقتربت منه رفعك واجتباك، وإذا عصيته سترك وأطعمك وسقاك؛ لعلك تتأثر بغزارة نعمه؛ فتتوب إليه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر/ ٦١].

هو سبحانه المقيت المقتدر، الحفيظ الحافظ، الحسيب الشهيد، الرزاق الكفيل، الذي يقيت خلقه في كل حال بأنواع الأقوات في كل زمان ومكان، وسوف يسألهم عنها،

ويحاسبهم عليها: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

هو سبحانه المقيت الذي يقيت عباده بالقوت المادي من طعام وشراب ولباس، وسائر ما يحتاجون في هذه الدنيا، المقيت الذي يقيت القلوب بالتوحيد والإيمان، وبالرحمة واللطف، والحلم والشفقة، والعفو والصبر، والإحسان والحنان: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو سبحانه المقيت الذي قسم الأقوات على الخلائق؛ فمنهم من جعل قوته الطعام والشراب، وهم البهائم وسائر الحيوان، ومنهم من جعل قوته مع ذلك في العلم والمعرفة، وهم البشر، ومنهم من جعل قوته في التسبيح والتقديس، وهم الملائكة.

وأنواع الأقوات لا يحصيها إلا الله، فمن الناس من قوته في الطاعات، ومن الناس من قوته في الشهوات، ومنهم من قوته في طلب العلم، ومنهم من قوته في قيام الليل، ومنهم من قوته في قضاء الحاجات، ومنهم من قوته في الصيام، ومنهم من قوته في الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، ومنهم من قوته في الإحسان، ومنهم من قوته في الدعوة والتعليم.

فسبحان المقيت الذي يقيت عباده بكل شيء: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢- ٦٣].

هو المقيت الذي أوصل إلى كل موجود قوته على مدى الدهور والأزمان، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل/ ٩٦].

فسبحان الغني الذي له ما في السماوات وما في الأرض؛ وله خزائن السماوات والأرض، وله غيب السماوات والأرض، وله جنود السماوات والأرض، وله ميراث

السماوات والأرض: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

هو سبحانه المقيت الذي خلق الأقوات كلها بأنواعها، وأجناسها، وقبائلها، وساق لكل مخلوق قوته الذي يصلحه، خلق الإنسان، وخلق له قوته من الطعام والشراب، وخلق له توافقًا بين الطعام وجسمه، وخلق له أجهزةً تأخذ الطعام وتستفيد منه، وتحوله إلى طاقة، فما أعظم نعم الله على خلقه، خاصةً هذا الإنسان الذي كرمه الله على سائر المخلوقات! ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

هو سبحانه المقيت الذي خلق أقوات الجماد، والنبات، والحيوان، والإنس، والجن، والملائكة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه المقيت الذي خلق الخلق، وقسم الأقوات بينهم، وخلق قوتًا يناسب الجسد، وجسدًا يناسب القوت: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧- ١٨].

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠ – ١١].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق كل شيء، وقدره تقديرًا، وخلق الأقوات لجميع الخلائق، أقوات في السماء، وأقوات في الأرض، وأقوات للنبات، وأقوات للحيوان، وأقوات للإنس، وأقوات للجن، وأقوات للملائكة، وأقوات في البر، وأقوات في البحر، وأقوات في الجو، وأقوات في الدنيا، وأقوات في الآخرة، وأقوات للأجساد، وأقوات للعقول، وأقوات للقلوب: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

فسبحان خالق الخلائق، وخالق أقواتها! يرزقها جميعًا من هذه الأقوات في كل لحظة، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾ [ص/ ٥٤].

هو سبحانه المقيت الذي تكفل بقوت الأجساد من الطعام والشراب، وتكفل بقوت الأرواح من العلم والإيمان، وتكفل بقوت الأجساد من الأعمال الصالحة.

فهذا قوت يملأ القلوب بالطمأنينة والسكينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨- ٢٩].

وهذا قوت الأجساد، تصح به الأبدان، وتقوى على العمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فسبحان واهب أقوات الأبدان، وهي الأطعمة والأشربة، وواهب أقوات القلوب، وهي الإيمان والمعرفة! ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فالقلوب قوتها الاتصال بالله، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة آياته وأحكامه، والعمل بشرعه، والأنس بمناجاته: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال/ ٢- ٤].

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ ٨٣﴾ [المائدة/ ٨٣].

واعلم رحمك الله؛ أن إشباع الجسد لا يغني الروح شيئًا، وفقر الروح إلى قوت القلوب من الإيمان والتوحيد والعمل الصالح أعظم من فقر الأجساد إلى الطعام والشراب

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[العصر/١-٣].

فإشباع الجسد لا يغني الروح شيئًا إذا لم تتغذَّ الروح بالتوحيد والإيمان والأعمال الصالحة: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾[التوبة/ ٥٥].

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾[سبأ/ ٣٧].

واعلم رحمك الله؛ أن أعظم الأقوات هو معرفة علام الغيوب، والإيمان به، والعمل بشرعه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد/ ١٩].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله، ووحدتموه، وعبدتموه.

فسبحان المقيت الكريم الذي ساق إلى خلقه جميع الأرزاق، وسمع النجوى من عباده فأجاب، وأرسل البلاء ليحمي عبده من العذاب، وكشف السوء بعد البلاء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾[النمل/ ٦٢].

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

فالصبر جوهرة عظيمة لا يمكن أن ينالها العبد إلا بابتلاء أو مصيبة، فإذا صبر على ما قدره الله ﷻ؛ظهرت فيه هذه الصفة التي يحبها الله، فالله يحب الصابرين، والله ﷻ مع الصابرين: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم/ ٦٠].

هو سبحانه مالك الأقوات، وواهب الأرزاق، وحافظ الأعمال: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء/ ٨٥].

فكل نصيحة تؤدي إلى طاعة الله فهي شفاعة حسنة، وكل نصيحة تؤدي إلى معصية الله فهي شفاعة سيئة: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء/ ١١٤].

فسبحان من هذا ملكه، وهذا خلقه، وهذه نعمه، المقيت لجميع مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

واعلم رحمك الله؛ أن ربك الكريم هو المقيت الحق، الذي يرزق عباده، ويواليهم بنعمه، ويتفضل عليهم بإحسانه، الحكيم الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، فاشكر المقيت الذي أكرمك بنعمه، وأعانك على طاعته، وحبب إليك الإيمان، وأعطاك الأجر الكثير على العمل القليل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

وأحسن إلى نفسك بحسن الطاعة لمولاك المقيت، وخالق الناس بخلق حسن، وادعهم إلى الله، وأكرمهم بالقول والفعل؛ يحبك الله، ويحبك الناس: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت/ ٣٤- ٣٦].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**» متفق عليه(1).

واحفظ سمعك وبصرك وقلبك من كل سوء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء/ ٣٦].

وكما أعطاك المقيت سبحانه من كل طيب؛ فطيب نفسك له بالإكثار من ذكره وحمده وشكره، وأنواع عبادته، وأمر بالمعروف، وانهَ عن المنكر؛ تكن من المفلحين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج/ ٧٧].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران/ ١٠٤].

واعلم رحمك الله؛ أن من آداب الانتفاع بقوت الأبدان ألا تأكل إلا الحلال الطيب؛ ليستجاب دعاؤك، ويعظم أجرك، وتسمي الله عند الأكل والشرب، وإذا جلست على المائدة؛ اذكر المنعم من خلال تلك النعمة، واذكر من خلق الطعام وساقه إليك، وجعل في نفسك الشهية له؛ لتستعين به على طاعة ربك، وتحمده بعد الفراغ منه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[البقرة/ ١٧٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾[فاطر/ ٣].

فالمؤمن حقًّا دأبه التفكر والتدبر فيما خلقه الله عز وجل، فالمؤمن حقًّا يتجاوز ببصره وبصيرته من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الجهد على الأموال والأشياء إلى الجهد على الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له.

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

إن المؤمن إذا جلس على مائدة الطعام؛ انتقل بفكره من النعمة إلى المنعم، ومن القوت إلى المقيت، ومن أنواع الطعام والشراب إلى أنواع الحمد والثناء على ربه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم/ ٧].

فسبحان الملك الغني الكريم المقيت لجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس/ ٣].

- **هو المقيت الحق الكريم الذي جعل أقوات عباده مختلفة:**

فمنهم من جعل قوته الأطعمة والأشربة على اختلاف أنواعها، وهؤلاء هم بنو آدم، وجميع الحيوانات ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[عبس/ ٢٤ – ٣٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة/ ٢١ – ٢٢].

ومنهم من جعل قوته الطاعة والتسبيح والتحميد، وهؤلاء هم الملائكة: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٩ – ٢٠].

ومنهم من جعل قوته من هذا وذاك؛ وهؤلاء هم المؤمنون أولو الألباب والعقول، وفي مقدمتهم الأنبياء والمرسلون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة: ٤].

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة/ ٢٦٩].

فإذا وهبك المقيت سبحانه طعامًا فأكرم الناس منه، وإذا وهبك علمًا فعلم الناس منه، وإذا أعطاك مالًا فأظهر نعمة الله عليك فيه، وتصدق منه على الفقراء، وأنفق منه في وجوه البر والإحسان؛ يزِدْ مالك، ويعظم أجرك، ويحبك مولاك: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة/ ٢٦١].

﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه؛ أن من أنفق أوقاته في طاعة الله؛ سخر له من يقضي حوائجه، ومن اشتغل بشهواته؛ وكله الله إلى ذاته: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢- ٣].

ومن شغله الحصول على قوت الأبدان عن تحصيل قوت القلوب، والعمل بمقتضاه؛ خسر دنياه وآخرته: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ٢١- ٢٢].

فاجتهد غفر الله لنا ولك في تحصيل أقواتك المادية التي تستغني بها عمن سواك، فاليد العليا خير من اليد السفلى، واهتم بالنفقة على نفسك وأهلك، وقرابتك المحتاجين؛ حتى لا تضطر إلى سؤال غيرك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة/ ٩- ١٠].

وإياك أن تضيع من تقوت من أولادك؛ فلا تطعمهم، ولا تسقيهم، ولا تعرفهم بربهم، فكفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ**» متفق عليه[1].

وإذا كان الله عز وجل هو الحي القيوم المقيت وحده لا شريك له؛ فاعبده وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى/ ١٢].

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

فأخلص العبادة لمولاك الذي خلقك وأطعمك وسقاك وهداك: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٢٩).

إن معرفة العبد باسم الله المقيت تورث له محبة الله تعالى، والطمأنينة بذكره، والثقة بوعده، لا سيما إذا اشتد به الكرب، وضاقت عليه سبل الكسب؛ لعلمه بأن الله هو المقيت، وهو الغني الحميد الذي خلق الأقوات، وتكفل بإيصالها إلى خلقه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن/ ١٣].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يقيت نفسه وأهله مما أباحه الله وأمر به من الحلال الطيب، وأن يكون وسطًا؛ لا إسراف ولا تقتير ولا تبذير: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾[الفرقان/ ٦٧].

﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[الأعراف/ ٣١].

وأن يتضرع إلى المقيت سبحانه أن يقيته الهدى، والإيمان والإحسان، والأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، وغيرها من أقوات القلوب التي هي أشرف من أقوات الأبدان: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[الفاتحة: ٢ – ٧].

وهكذا يقيت كل محتاج يقدر على إقاتته ونفعه من قريب أو بعيد، مقدمًا الأقرب فالأقرب: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

وقال النبي ﷺ: «**كَفي بِالمرْءِ إِثْماً أَنْ يُضيِّعَ مَنْ يقُوتُ**» أخرجه أحمد وأبو داود(١).

وقال ﷺ: «**كَفَى بِالْـمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ**» أخرجه مسلم(٢).

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٦٩٢) وهذا لفظه، وأحمد برقم (٦٨٤٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٩٦).

ومن عرف ربه باسمه المقيت تعلق به وحده، وتوكل عليه وحده، ولم يلتفت لأحد سواه، مع فعل الأسباب المأمور بها شرعًا في طلب الرزق؛ لعلمه أن الأقوات والأرزاق كلها بيد الرزاق المقيت وحده لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر/ ٣].

ولكننا مأمورون بفعل الأسباب، فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا؛ لأن مقاليد الأمور كلها بيده: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢- ٦٣].

وهكذا ترك الأسباب المحرمة، على العبد أن يبتعد عن الأسباب المحرمة في طلب الرزق؛ من ربا، وغش، وسرقة، واختلاس، ونحو ذلك، وعدم الخوف من المخلوق في قطع الرزق مهما كانت قوته: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون/ ٧].

والمؤمن حقًّا من جعل أكبر همه السعي لنيل الرزق الأعظم، والفوز الأكبر، وهو دخول الجنة، ورضوان الله ﷻ، وذلك بالمسارعة إلى فعل الخيرات: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق/ ١١].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

واعلم وفقك الله لما يرضيه؛ أنه إذا كان قوتك الذي يشغلك هو الطعام والشراب؛ فقد شابهت البهائم والكفار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢].

فما أسفه هؤلاء وما أخسرهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

وإذا كان قوتك الذي يشغلك هو ذكر الله، وعبادته بأنواع الطاعات، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه؛ فقد شابهت الملائكة: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

وعليك بالإكثار من ذكر ربك الذي تكفل بقوتك، وحفظك، والعناية بك، فإذا جلست على مائدة الطعام؛ فاذكر المقيت الذي أوصله إليك: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥٢].

واملأ أوقاتك بذكره وحمده وتسبيحه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١ - ٤٣].

وإذا أكرمك الله بالهداية، وتمكنت من أداء الأعمال الصالحة، فاذكر المقيت الذي هداك ورزقك وأعانك، القادر الذي أقدرك على أداء الطاعات التي تقربك إلى ربك: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨ – ٩].

واعلم أن المقيت سبحانه قد تكفل لك بكل ما تحتاجه من الأقوات؛ فلا تسأل غيره، فخزائن كل شيء عنده: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

وقال النبي ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ؛ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**» أخرجه الترمذي(١).

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩ - ٥٠].

وتفقد رحمك الله أهلك وأولادك، تفقد طعامهم وشرابهم، وتفقد إيمانهم وأخلاقهم، وتفقد أصحابهم وأوقاتهم، ولا تهمل ذلك، فكفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦].

واقنع وفقك الله لما يرضيه من القوت باليسير الذي يعينك على طاعة الله وعبادته، ولا يشغلك عن فعل ما يحبه ويرضاه.

قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**» أخرجه مسلم[1].

واعلم أن قوتك سوف يصلك من المقيت قطعًا، في مكانه وزمانه، وفي كميته ونوعيته، فلا تَوْجل، ولا تضطرب؛ فالأرزاق مقسومة، والأنفاس معدودة، والآجال مكتوبة، والخطوات معدودة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩- ٥٠].

فاتقِ الله واطلب قوتك من وجوه الحلال، ولا تأخذه بالحرام.

واختر لنفسك حرفةً فيها نفع لك وللناس، كالتجارة الحلال، ولا تختر لنفسك حرفةً تكسب منها فيها ترويع للناس وظلم لهم، كالسرقة، والغش، والاختلاس، والربا، والرشوة ونحو ذلك: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر/ ٩٢- ٩٣].

واعلم أن الله اختار لرسوله ﷺ قوتًا يعينه على طاعته، ولا يشغله عن ربه، ودعوته العظيمة، وجهوده الواسعة، وجهاده العظيم، مع أن دنياه كانت خشنة قليلة، ولو كان غنيًّا لقالوا: هذا هدفه مما يقوم به: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨].

فليكن قدوتك في حياتك من اختار الله له أعدل الأقوات وأحسنها، واختار له أحسن الأقوات وأجملها: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٥٥).

فاطلب الرزق الذي تنتفع به في حياتك، ودع عنك الكسب المستمر الذي يأكل وقتك، ويشغلك عن ربك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ [المنافقون/ ٩].

وقال جبريل للنبي ﷺ: «**يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**» أخرجه الحاكم (١).

فاللهم أعزنا بالذل لك، ولا تذلنا بالحاجة إلى غيرك، وأغننا بفضلك عمن سواك.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة/ ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: ٨].

«**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**» أخرجه مسلم (٢).

اللهم يا مقيت الخلائق كلها، يا واسع الرحمة، يا باسط اليدين بالعطايا، أسألك علمًا نافعًا، وعملًا متقبلًا، ورزقًا حلالًا طيبًا.

يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا حسن التجاوز، اغفر لنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، يا أرحم الرحمين: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠- ١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم (٧٩٢١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

الباب الخامس عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٨١-٨٢- اسم الله الحفيظ.. الحافظ.

التعبد لله عز وجل باسمه الحفيظ.. الحافظ.

٨٣- اسم الله الكافي.

التعبد لله عز وجل باسمه الكافي.

٨٤- اسم الله الكفيل.

التعبد لله عز وجل باسمه الكفيل.

٨٥- اسم الله الوكيل.

التعبد لله عز وجل باسمه الوكيل.

٨٦-٨٧- اسم الله الفتاح.. الفاتح.

التعبد لله عز وجل باسمه الفتاح.. الفاتح.

٨٨- اسم الله الوهاب.

التعبد لله عز وجل باسمه الوهاب.

٨٩- اسم الله الهادي.

التعبد لله عز وجل باسمه الهادي.

٩٠- اسم الله الصادق.

التعبد لله عز وجل باسمه الصادق.

٩١- اسم الله الوارث.

التعبد لله عز وجل باسمه الوارث.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـم الله

الحفيظ.. الحافظ

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله الحفيظ.. الحافظ

الله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢- ٢٤].

هو سبحانه الحفيظ الحافظ الذي حفظ جميع ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ على العباد أعمالهم وجزاءها، وحفظ أولياءه من الوقوع في المهالك: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ/ ٢١].

وهو سبحانه الحي القيوم الحافظ لجميع المخلوقات من سماء وأرض وما فيهما، وما عليهما، وما بينهما، لتبقى إلى ما شاء الله، فلا تزول ولا تميد، ولا يسقط منها شيء على شيء: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان القوي العزيز القادر الذي وسعت رحمته كل شيء، وأحاطت قوته بكل شيء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

وسبحان القوي القادر الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

وهو سبحانه الحفيظ الذي حفظ كتابه العزيز من التحريف، والتبديل، ومن الزيادة

والنقصان، مع كثرة المحرفين والمبدلين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر/ ٩].

فسبحان الحفيظ الحافظ العظيم الذي حفظ كل شيء في ملكه العظيم، الحفيظ الذي يحفظ على الخلق أقوالهم وأعمالهم، ويعلم نياتهم، وما تكن صدورهم: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ٥٧﴾ [هود/ ٥٧].

هو سبحانه الحفيظ العليم الذي أحصى كل شيء، ولا ينسى أي شيء؛ فكل أقوال الإنسان وأفعاله، وعطاؤه ومنعه، وخيره وشره، وطاعاته ومعاصيه؛ كل ذلك محفوظ عند الحفيظ سبحانه في كتاب مرقوم، يستحيل أن ينقص منه شيء: ﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه/ ٥٢].

وهو سبحانه الحافظ الذي يحفظ أعمال المؤمن ويكافئه عليها في الدنيا والآخرة، ويحفظ أعمال الكافر، ويجازيه عليها في الدنيا والآخرة: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ١١﴾ [القارعة/ ٦- ١١].

فسبحان الحفيظ الذي تكفل بحفظ كل شيء، حفظ السماوات والأرض أن تزولا، وحفظ السماء أن تقع على الأرض، وحفظ كل إنسان من البلايا، وحفظ كل مخلوق من شر ما خلق، وحفظ القرآن من الزيادة والنقصان، والتحريف والتبديل، وحفظ الدين من البدع والضياع: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

هو سبحانه العليم بكل شيء، الحفيظ لكل شيء، المحيط بكل شيء، الذي أحصى كل شيء من الأقوال والأعمال، والحركات والسكنات، وأحصى الطاعات والمعاصي، وأحصى الذرات والأنفاس، وأحصى الكلمات والأحرف، وأحصى الأشكال والأرقام: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان ربنا الحفيظ العليم بدقائق الأمور، الخبير بأسرار المقادير، البصير بالظواهر، الخبير بالبواطن: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق/ ١٢].

واعلم أن العبد إذا علم أن ربه عليم بكل شيء، سميع لكل شيء، بصير بكل شيء، محيط بكل شيء، وأيقن أن الله يحصي جميع أقواله وأعماله، ويحفظ جميع حركاته وأنفاسه؛ عبد ربه كأنه يراه، وبادر إلى طاعته، واجتنب معصيته، وسارع إلى مرضاته، وابتعد عما يسخطه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد/ ١٩].

ونعم الله ﷻ على العباد لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾[إبراهيم/ ٣٤].

والبشر عاجزون عن إحصاء منافع وبركات نعمة واحدة من نعم الله عليهم، كنعمة السمع أوالبصر وغيرهما، وعاجزون عن شكرها من باب أولى، فكيف بإحصاء نعم الله على العباد؟ وكيف لهم القيام بشكرها؟ ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾[النحل/ ١٧- ١٨].

فسبحان ربنا الكريم بكل نعمة، العليم المحيط بكل ذرة في ملكه العظيم، المحيط الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩﴾ [النبأ/ ٢٩].

هو الحافظ الحق الذي حفظ جميع أقوال العباد وأعمالهم، ظاهرها وباطنها، سرها وجهرها، وعلم بمقاديرها ومقادير أجزائها، وأوقاتها، وحفظ ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣﴾ [القمر/ ٥٢- ٥٣].

وللحفيظ جل جلاله حفظة من الملائكة يحفظون العباد، ويكتبون أعمالهم: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾[الانفطار/ ١٠- ١٢].

وللرب جل جلاله حفظة من الملائكة يحفظون المخلوق مما لا يريد الحفيظ الحق كونه وهو من أمره: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾[الرعد: ١٠- ١١].

فسبحان الحافظ لجميع ما في ملكه، الذي يحفظ خلقه، ويكلؤهم ويحرسهم مما يضرهم، ويحفظهم مما لا يرضاه منهم: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء/ ٤٢].

- **واعلم أن حفظ الله لعباده نوعان:**

الأول: حفظ عام لجميع الخلق، يشترك فيه المؤمن والكافر، وسائر الجماد والنبات والحيوان، وهو حفظ الذوات والنفوس التي خلقها الله، بتيسير الطعام والشراب والهواء والقوت لهم، وهدايتهم إلى ما يصلحهم من ضرورات الحياة، ودفع المكاره والمضار عنهم، كما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ/ ٢١].

الثاني: حفظ خاص لأوليائه المؤمنين به، وذلك بحفظ إيمانهم وتوحيدهم من الشبه المضِلّة، والفتن المهلكة، والشهوات المفسدة.

وحفظ جوارحهم وألسنتهم من الكبائر والفواحش والمحرمات، وحفظهم من أعدائهم من شياطين الإنس والجن، والنفس الأمارة بالسوء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠- ٣٢].

وقال ﷻ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة/ ٣٨- ٣٩].

واعلم أنه من حفظ الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ حفظه الله في الدنيا والآخرة، فاحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء؛ يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله،وتوكل على ربك وحده لا شريك له: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف/ ٦٤].

ومن حفظ حدود الله، وأدى حقوقه؛ فهو المؤمن الذي خشي ربه بالغيب فأطاعه، فرضي عنه وأدخله الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق/ ٣١- ٣٥].

واعلم أن أعظم حفظ مَنَّ الله به عليك حفظ قلبك، وحراسة الإيمان والدين عن الكفر

والشرك، والفتن والنفاق، والأهواء والبدع: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

فسبحان الملك العظيم الحفيظ الحافظ، الذي خلق هذا الملك العظيم، وتكفل بحفظه، وأنزل القرآن العظيم، وتكفل بحفظه، وهدى من يحب للإيمان، وتكفل بحفظه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣].

وقد ورد اسم الله الحفيظ في القرآن ثلاث مرات منها قوله سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾ [هود/ ٥٧].

وورد اسم الله الحافظ في القرآن مرتين، منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر/ ٩].

وقوله سبحانه: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف/ ٦٤].

والله سبحانه هو الحفيظ الحافظ لكل شيء، الذي يحفظ السماوات والأرض وما فيهما أن تزولا، الذي يحفظ عبده من كل شيء يضره، ويقيه مصارع السوء، ويحفظ على جميع الناس جميع أعمالهم: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾ [سبأ/ ٢١].

هو سبحانه الحفيظ الذي حفظ جميع أعمال العباد من خير وشر، وطاعات ومعاصٍ، الحافظ لعباده من كل ما يكرهون في أمور دينهم ودنياهم: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾ [هود/ ٥٧].

هو سبحانه الحفيظ الحافظ للموجودات الظاهرة والباطنة التي يطول أمد بقائها؛ كالعرش والكرسي، والسماوات والأرض، والملائكة، وهو الحفيظ للموجودات التي لا يطول أمد بقائها؛ كالبشر والحيوانات، والجمادات والنباتات، وغيرها: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وقال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان الحفيظ الذي شمل حفظه وشملت قدرته كل ذرة ومجرة في ملكوت السماوات والأرض، وفي عالم الغيب والشهادة، وفي الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود/ ٥٧].

والصفة المشتقة من اسم الله الحفيظ والحافظ هي الحفظ، وهي صفة ذات، وصفة فعل، لله ﷻ.

فتكون صفة ذات؛ لأن الله يحفظ بعلمه جميع المعلومات، وفي مقابلها النسيان.

وتكون صفة فعل؛ لأنه جل جلاله يحفظ جميع الموجودات، وضد هذا الحفظ الإهمال.

هو سبحانه الحفيظ العليم بكل شيء، الحافظ لكل شيء، الحفيظ الذي تكفل بحفظ كتابه العظيم من الزيادة والنقصان، ومن التحريف والتغيير والتبديل على مر العصور والأزمان، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر/ ٩].

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت/ ٤١ - ٤٢].

فسبحان الحفيظ العليم الذي لا يعزب عنه شيء، ولا يخفى عليه شيء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران/ ٥ - ٦].

وسبحان ربنا الحفيظ الحافظ لكل الأجرام العلوية والسفلية، الكبيرة والصغيرة، الحافظ لأعمال العباد كلها، الظاهرة والباطنة، الحسنة والسيئة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار/ ١٠ - ١٢

وقال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ/ ٢١].

هو سبحانه الحفيظ الذي يصون أولياءه في حال المحنة عن الشكوى، وفي حال النعمة عن البطر والبغي: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

- **ومن أعظم المحفوظات التي حفظها الحفيظ:**

حفظ كتابه العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر/ ٩].

وحفظ بيته العتيق: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة/ ١٢٥].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ

طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل/ ١- ٥].

وحفظ دينه من الضياع والإهمال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة/ ٣٣].

وحفظ الأجرام العلوية والسفلية بقدرته: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

وحفظ جميع أقوال العباد وأفعالهم: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٥٢- ٥٣].

هو سبحانه الحفيظ الحافظ للحافظين والمحفوظين، الحافظ لأعمالهم من خير وشر: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس/ ١٢].

هو سبحانه الحفيظ الحافظ الذي حفظ أنبياءه ورسله وأولياءه، حفظ نوحًا ﷺ ومن آمن معه من الغرق، وحفظ موسى ﷺ من فرعون وجنوده، وحفظ إبراهيم ﷺ من النار، وحفظ يونس ﷺ في بطن الحوت، وحفظ محمدًا ﷺ من كفار قريش في بيته عند الهجرة، وفي الغار، وفي طريق الهجرة، وحفظه ومن آمن معه في جهاده وغزواته: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة/ ٦٧].

هو سبحانه الحفيظ لكل شيء، الحافظ للمتضادات والمتقابلات، حفظ للماء السيلان، وحفظ للنار الإحراق، وحفظ للشمس الإنارة، وحفظ للأحجار التماسك، وحفظ للأذن السمع، وحفظ للعين الإبصار، وحفظ للسان الكلام، وحفظ لليد البطش، وحفظ للرجل المشي: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود/ ٥٧].

هو سبحانه الحفيظ الذي حفظك مما يضرك، وحفظ لك الطعام الذي تأكله، وحفظ لك الهواء الذي تتنفسه، وحفظ لك الماء الذي تشربه، وحفظ لك المال الذي تعيش منه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود/ ٥٧].

هو سبحانه الحفيظ الحافظ الذي يحفظ النباتات في الأرض، ويحفظ الطير في جو السماء، ويحفظ الأسماك في البحار، ويحفظ ويعلم كل ما في الكون من المخلوقات

والمعلومات: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج/ ٧٠].

هو سبحانه الحفيظ الذي يمسك الطير في جو السماء: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك/ ١٩].

فسبحان ربنا العظيم الذي حفظ السماوات والأرض، وحفظ جميع الجمادات والنباتات والحيوانات، وحفظ جميع الملائكة والجن والإنس، وحفظ جميع الذرات والمجرات، وحفظ جميع الحركات والسكنات والسرعات، وحفظ النجوم والأجرام، وحفظ الألوان والطعوم، والأشكال والأرقام، والأنفاس: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

واعلم رحمنا الله وإياك أن الحفيظ جل جلاله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهداه إلى الصراط المستقيم، وفطره على التوحيد، ومن فضله ورحمته أن خلق ملائكةً حفظة تحفظ الإنسان من البلايا والآفات والمضار في كل أحواله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام/ ٦١].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وأنت غفر الله لك عبد الله، وعبد الكريم، وعبد الحفيظ، الذي يتقلب في نعمه الظاهرة والباطنة، وفي كريمِ كلاءته ومنيع حفظه، وفي حراسته لك في دينك واستقامتك، وفي نفسك وروحك، وفي سمعك وبصرك، وفي فكرك وعقلك، وفي قلبك وجسدك، وفي جميع حواسك وجوارحك الظاهرة والباطنة، وفي جميع ما تحب من الأموال والأولاد.

فاشكره، وأحسن عبادته؛ فإن نعمه عليك لا تعد ولا تحصى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ

نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾﴾[لقمان/ ٢٠- ٢٤].

فما أعظم نعم الله على العباد! وما أقل شكرهم لله عليها! ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم/ ٣٢- ٣٤].

ولا تحسبن الحفظ كل الحفظ من البلايا والأمراض الظاهرة، فذلك فضل عظيم من ربك، ولكن الحفظ الأكبر: حفظ القلب والإيمان من الكفر والشرك، والنفاق والرياء، والبدع والشك والشبه، والأهواء والفتن:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾[النور/ ٢١].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل/ ٥٣].

فاحمد ربك العظيم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأحسن عبادته بما جاء به رسوله ﷺ، وأخلص العمل كله لله؛ فهو أهل أن يعبد، وأهل أن يحمد:﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾[مريم/ ٦٥].

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴿٣﴾﴾[الزمر/ ٢ – ٣].

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾﴾[الزمر/ ١١- ١٣].

هو سبحانه الملك الحق الذي شرح صدرك للإسلام، وحفظ في قلبك الإيمان، وأعانك على طاعته، وحبب إليك ما يحبه ويرضاه، وحباك بما منعه سواك من أهل الكفر والنفاق، وأسبغ عليك نعمه الظاهرة والباطنة:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١- ٢٢].

واعلم أن الحفيظ الذي يحفظك حافظ لأقوالك وأفعالك، وسوف يجازيك بها يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨]؛

فلهذا وفقك الله لما يحبه ويرضاه استقم كما أمرت، واعبد ربك، واصطبر لعبادته، وداوم على ذكره وشكره وحسن عبادته، واصبر على بلائه، واحفظ حقوقه وحدوده، واجتنب محارمه وما يسخطه؛ فبذلك تستدر نعمه، وتستصحب حفظه، وتنال ثوابه، وتسلم من عقابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

ومن أعظم ما يجب على المسلم حفظه هو الدين، ومن أعظم ما يجب عليه حفظه من حقوق الله ﷻ هو توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد/ ٣٦].

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه من الواجبات: الصلاة، فمن حافظ عليها؛ حفظه الله من عقابه، وأدخله جنته: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٨].

ومما أمر الله بحفظه: السمع والبصر والفؤاد، فتعبد لله بذلك، واستعمل ذلك كله في طاعته: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦].

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

اعلم رحمك الله أن العبد كلما كان لدين الله أحفظ؛ كان حفظ الله له في الدنيا والآخرة أكمل وأتم وأدوم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠- ٣٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» أخرجه أحمد والترمذي(١).

فاحفظ رحمك الله سمعك، فلا تسمع به إلا ما يرضي الله سبحانه، واحفظ بصرك، فلا تنظر به إلا إلى ما يرضيه، واحفظ قلبك أن يتعلق بغير الله، واحفظ عقلك أن تستعمله فيما يغضب الله، وفيما يلهيك عن دينه، واحفظ جميع جوارحك، فلا تتحرك إلا بما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، واحفظ أوقاتك باستعمالها فيما أمرك الله به: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١- ١٦٣].

وبهذا يرضى الله عنك، ويذكرك فيمن عنده، ويتقرب إليك أكثر كلما تقربت منه: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ**

(١)صحيح/ أخرجه أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩) وهذا لفظه، و الترمذي برقم (٢٥١٦).

مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي؛ أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» متفق عليه[1].

وإذا علمت أن الله جل جلاله هو الحفيظ الحافظ لجميع ما في ملكه؛ فاحفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده تجاهك، وافعل الأسباب المشروعة لحفظ النفس والصحة، والأهل والمال، وتوكل على الحفيظ وحده في حفظها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

- **واعلم أن ما عند الله لن يناله العبد إلا إذا اتبع منهج ربه في الحفظ:**

فحفظ القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى، ولزوم بيئة الإيمان.

وحفظ الجوارح بطاعة الله، واجتناب معصيته.

وحفظ اللسان بالذكر، والحمد، والدعاء، والدعوة، والاستغفار، وتعليم شرع الله، والكف عن سيئ الأقوال.

وحفظ العين بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية، والبكاء من خشية الله، والغض عن محارم الله.

وحفظ الأذن بسماع القرآن، والمواعظ، والعلم النافع، واجتناب سماع اللغو، والغيبة، والنميمة، وسيئ الأخلاق، وسيئ الكلام.

وحفظ المال بتأدية الزكاة، واجتناب الكسب الحرام.

وحفظ الوقت باستعماله فيما يرضي الله، لا فيما يسخطه.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾

[هود: ١١٢ - ١١٣].

ومن حفظ ذلك نال أجر ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ٦٦ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٥).

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء/ ٦٦ - ٧٠].

وسل الحفيظ الحافظ لكل شيء أن يحفظ لك دينك، وتوحيدك، وإيمانك، وأعمالك، وأخلاقك، وأن يحفظ قلبك من الشرك والرياء والشبهات، وأن يحفظ جوارحك من المعاصي والآثام، وأن يحفظ أموالك من الشبهات، وأن يحفظ دنياك، ويجعلها عونًا لك على طاعته: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف/ ٦٤].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن من عرف ربه باسمه الحفيظ والحافظ أحبه وكبره، وحمده وشكره، وتوكل عليه، وفوض جميع الأمور إليه، وتقرب إليه بأنواع الطاعات والقربات؛ تعبدًا له، وشكرًا له عل إنعامه وإحسانه، وحفظه وعنايته، وراقب الله ﷻ في كل حال، واستحيا من معصيته، وبادر إلى طاعته، وابتعد عن كل ما يسخطه؛ لعلمه بأن ربه عليم بكل شيء، حفيظ لكل شيء: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

ومعرفة العبد لربه باسمه الحفيظ تثمر له تعظيم ربه وإجلاله وعبادته وحده لا شريك له: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة: ٩٨].

ويثمر له كذلك الأخذ بالأسباب التي تحفظ العبد، وأعظمها توحيده سبحانه، وعبادته وحده لا شريك له، وفعل ما يحبه ويرضاه، واجتناب ما يسخطه ويكرهه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١].

وقال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾ [يونس/ ٦٢ - ٦٤].

ومن عرف ربه باسمه الحفيظ والحافظ؛ أثمر له ذلك حفظ حدود الله، وحفظ ما وجب عليه من حقوق، فمن حفظ أوامر الله بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، وعدم قربها؛ حفظه الله ﷻ في نفسه ودينه، وفي ماله وأهله وولده، وحفظه من

أنواع الفتن، وفنون الأهواء والبدع، وسائر المحرمات، وحفظه من فتن الشهوات والشبهات، وحفظ قلبه من الشك، والنفاق، والعجب، والرياء: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإذا علمنا أن الله هو الحفيظ؛ فنسأل الله ﷻ أن يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وسبيل نجاتنا، وفوزنا في الدنيا والآخرة.

ومن أعظم أسباب الحفظ للعبد: الإيمان بالله، والعمل بشرعه، وإبلاغ دينه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة/ ٦٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

ومن أسباب الحفظ للعبد قراءة آية الكرسي كل ليلة؛ فهي تحفظ العبد من السوء والشيطان.

وإذا علمت أن الله هو الحفيظ الذي حفظ خلقه، وحفظ أعمالهم، وحفظ كل ما يكون في ملكه العظيم، وحفظ أولياءه من الوقوع في الذنوب والهلكات، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا؛ توكلت عليه، وأنبت إليه، وأفردته بالعبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وحظك من هذا الاسم الكريم أن تحفظ حدود الله وحقوقه، وأوامره ونواهيه، بفعل ما أمرك الله به، واجتناب ما نهاك الله عنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

وقد مدح الله ﷻ المؤمنين الذين اشتراهم فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

ومن أعظم ما يجب حفظه: توحيد الله، والمحافظة على الصلوات المفروضة، والمحافظة

على الفروج من الوقوع في الحرام.

وقد أثنى الله ﷻ على من حافظ على ذلك فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون/ ٥ - ٧].

وقال ﷻ: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ۝٣١﴾ [النور/ ٣٠ - ٣١].

واعلم رحمك الله أن الحفاظة تكون على قدر الاستقامة، فاستقم كما أمرك الله، والاستقامة تحصل للعبد بفعل الأوامر، واجتناب النواهي، والصبر على كل شيء أمر الله به؛ ابتغاء مرضاة الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

واعلم رحمك الله أن من كان الحفيظ معه فلن يضره أحد، ومن تخلى الله عنه؛ استلمه عدوه، وخذله من جهته: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء/ ٢٢].

﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فتوكل على الحفيظ القادر على كل شيء في جميع أمورك: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧ - ٢٢٠].

وأظهر الطاعة لمولاك العزيز يعزك، وينصرك، ويرضيك، ويسعدك: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢٣﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وإياك أن تعتدَّ بقوتك، ومالك، وعلمك، وذكائك؛ فيتخلى الله عنك، ويخذلك من جهته رحمةً بك؛ لتتوب وترجع إليه، فإن فعلت ذلك فتب إلى ربك التواب الرحيم: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم

مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة/ ٢٥- ٢٦].

فكن رحمك الله لربك كما يريد؛ يكن لك كما تريد، وسلم لربك فيما يريد يكفك ما تريد، فإن عصيته فيما يريد تعبت فيما تريد، ثم لا يكون لك إلا ما يريد؛ رحمةً بك لتعود إليه: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٢ – ٢٤].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة/ ٢١٦].

لهذا يجب على المسلم أن يراقب قلبه كما يراقب بدنه، فكما يسارع لعلاج أي عضو مريض فيه إذا أصيب؛ فعليه كذلك أن يتعاهد قلبه، ليتعافى من أمراض الشهوات والشبهات والمعاصي، ولئلا يرى فيه ربه شيئًا يكرهه ولا يرضيه: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد/ ١٩- ٢٠].

والقلب محل نظر الرب جل جلاله، والبدن محل نظر الخلق، فلا يليق بالعاقل أن يطهر محل نظر الخلق من الأوساخ، ولا يطهر محل نظر الرب من الشك والشرك والمعاصي: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد/ ١٦- ١٧].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» أخرجه مسلم(١).

اللهم اكشف عن قلوبنا الحجاب؛ حتى نشهد في أنفسنا أنه لا إله إلا أنت، ولا رب سواك، ونراك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، تخلق وترزق، وتغفر وترحم، وتعطي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

وتمنع، وتعز وتذل، وتحيي وتميت: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

اللهم ارزقنا نور المراقبة، حتى نعبدك كأنا نراك، وييسر لنا حسن معرفتك حتى نحمدك ونخشاك، وبصرنا بأعمالنا حتى لا نفعل إلا ما فيه رضاك: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

فسارع إلى كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

واعلم رحمك الله أن من حفظه الله في أمور دينه ودنياه؛ فإنه لا يضيع أبدًا ولو اجتمعت المخلوقات كلها على إضاعته: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف/ ٦٤].

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

فاستودع الحفيظ جل جلاله نفسك وأمانتك، وأقوالك وأعمالك، وجميع ما تملك، وخواتيم أعمالك، فما استودع الحفيظ شيئًا قط إلا حفظه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة/ ١١١].

وأكمل لربك ما يحب يكمل لك يوم القيامة ما تحب، واجتنب ما يكره؛ يحفظك مما تكره، وهذا ما يحب ربي وربك: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة/ ٤٠ - ٤٣].

أعاننا الله وإياك وجميع المسلمين والمسلمات على ذكره وشكره وحسن عبادته، وحفظ أمانته، وأداء ودائعه، وما استودعنا من شرائعه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء/ ٥٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].
«**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» أخرجه مسلم[1].

اللهم يا حفيظ احفظ قلوبنا من الشرك والنفاق، واحفظ ألسنتنا من الكذب، واحفظ أعيننا من الخيانة، واحفظ أعمالنا من الرياء، واحفظ أوقاتنا من الإضاعة، واحفظ جوارحنا من المعاصي، برحمتك يا أرحم الرحمين.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠- ١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الكافي

اسم الله الكافي

- **اعلم رحمك الله أن أسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:**

الأول: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته: مثل: الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وأمثالها من الأسماء الحسنى، وجميع أسماء الله ﷻ دالة على الذات، ولكل اسم معنًى خاص، كالخالق، والرازق: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

الثاني: الأسماء الدالة على الملك والقدرة: مثل: الملك، المليك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، المقدم، والمؤخر، وأمثالها من أسماء الله الحسنى.

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد: مثل: الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، الكافي، الكفيل، وأمثالها.

الرابع: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة: مثل: السميع، البصير، العليم، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وأمثالها.

الخامس: الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة: مثل: الرب، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحليم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، القريب، المجيب، العفو، الغفور، الغفار، التواب، وأمثالها.

السادس: الأسماء الدالة على الهداية والبيان: مثل: الهادي، المبين، الوكيل، وأمثالها.

والله سبحانه له جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو سبحانه الكافي الحق، القائم بالخلق كله، القائم بالأمر كله، القائم بالرزق كله، القائم بالحفظ كله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

[الزمر: ٣٦ – ٣٧].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه الكافي عباده كل ما يحتاجون إليه، فهو وحده خالقهم، وحافظهم، ورازقهم، الذي يدبر أمورهم، وييسر مصالحهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢].

هو الكافي جل جلاله الذي يكفي عباده المهم، ويدفع عنهم الملم، الذي له خزائن السماوات والأرض: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء/ ١٣٢-١٣٣].

وهو سبحانه الكافي الحافظ عباده المؤمنين من كل مكروه، الذي يدافع عنهم، ويهلك أعداءهم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

وقال ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج/ ٣٨].

وهو سبحانه الكافي الذي يقي عباده المؤمنين من كل ما يضرهم في الدنيا والآخرة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

فوقاهم الله في الدنيا بإيمانهم وأعمالهم الصالحة كل شر، ووقاهم في الآخرة بإيمانهم وتقواهم النار، وأدخلهم الجنة، ووقاهم سخطه وعذابه بالإيمان والعمل الصالح،

ووقاهم برحمته في الأمر بكونهم في قبضة اليمين أن يكونوا في القبضة الأخرى، ووقاهم بإيمانهم شر يوم القيامة: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢﴾ [الإنسان: ٧ – ١٢].

أما الكفار فليس لهم من الله وعذابه من واقٍ؛ لأنهم لم يتقوا الله ليقيهم العذاب: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٢﴾ [غافر/ ٢١-٢٢].

- وكفاية الله ﷻ لعباده نوعان:

الأولى: كفاية عامة لجميع المخلوقات: من الجن والإنس، وسائر الحيوان.

فهو سبحانه الكافي لهم في كل ما يحتاجونه، فهو الذي قام بخلقهم، وإمدادهم، وحفظهم، وهدايتهم لما خلقوا من أجله، وهيأ لهم ما يغنيهم ويكفيهم: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود/ ٦].

الثانية: كفاية خاصة لعباده المؤمنين: فهو سبحانه كافي عباده المؤمنين به، المتوكلين عليه، العاملين بطاعته، فمن توكل على ربه حق التوكل؛ كفاه ربه أمور دينه ودنياه، وسدده في أقواله وأعماله، وكفاه همه، وكشف غمه، وجمع له رزقه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

فسبحان كافي الخلائق كلها، الكافي كفايةً خاصةً لمن آمن به، وتوكل عليه، القوي الذي ينصر من والاه، ويخذل كل من عاداه وعادى أولياءه بأي قوة في كل مكان وزمان: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة/ ١٣٧].

وهو سبحانه القوي الذي ينصر أولياءه، ويكفيهم شر أعدائه: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ [الأحزاب/ ٢٥].

اللهم اكفنا شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار.

وقد ورد اسم الله الكافي في القرآن مرةً واحدةً، كما قال سبحانه في سورة الزمر: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر/ ٣٦].

والكفاية هي جلب النافع والمحبوب، ودفع المكروه والمخُوف.

والله سبحانه هو الكافي الحفيظ الوكيل الذي تكفل بجميع ما يحتاجه الخلق.

والله سبحانه كما أنه ليس له في ربوبيته شريك؛ فكذلك ليس له في ألوهيته شريك، فهو الذي تكفل لعباده بأنواع الكفايات: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

لهذا فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

ومقصود الرب من خلقه عبادته وحده لا شريك له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

والصفة المشتقة من اسم الله الكافي هي الكفاية، والكفاية صفة ذاتية لله ﷻ، فالله كافٍ، وحفيظ، وعالم بكل شيء: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء: ٨١].

والكفاية كذلك صفة فعلية لله ﷻ، فالله يكفي عباده ما يحتاجون إليه، ويدفع عنهم ما يضرهم، كما قال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر/ ٣٦].

هو سبحانه الكافي عباده حفظًا ورزقًا، وعلمًا وتوفيقًا، وعزًّا ونصرًا، وتمكينًا وثباتًا وتأييدًا، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر/ ٣٦].

وقال ﷻ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة/ ١٣٧].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥﴾ [الحجر/ ٩٥].

هو سبحانه الكافي الذي تطمئن القلوب بكفايته، فمن توكل عليه، واعتمد عليه؛ كفاه الله كل شيء، فأحسن أحواله، وسدد أقواله وأفعاله، وكفاه همه وغمه، ويسر أمره، وفرَّج كربه، وساق إليه ما ينفعه، ودفع عنه ما يضره، ونصره على عدوه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

هو سبحانه الكافي القوي القادر الذي كفى رسله وأولياءه الشرور والمهلكات، وكفاهم شر أعدائهم.

كفى رسوله إبراهيم ﷺ شر النار: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

وكفى الكافي موسى ﷺ شر فرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٨].

وكفى أيوب ﷺ شر المرض: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

وكفى يونس ﷺ شر الغرق: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

وكفى عيسى ﷺ شر القتل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

وكفى محمدًا ﷺ شر كفار قريش في مكة، وفي الغار، وفي المدينة، وكفاه شر المنافقين

واليهود والنصارى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة/ ٦٧].

وكفى محمداً ﷺ وأصحابه شر الأعداء والكافرين: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

هو سبحانه الكافي الذي يكفي العبد ما أهمه في الدنيا والآخرة، ويكفيه شر من كاده من شياطين الإنس والجن، ويكفيه شر الأمراض والنكبات، ويكفيه ما يضره، ويمده بكل ما يحتاجه من الطعام والشراب والمال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

فسبحان الكافي الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

وقال النبي ﷺ: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلا مُؤْوِيَ**» أخرجه مسلم(١).

هو سبحانه الكافي الذي يكفي أولياءه من شرور أعدائه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

هو سبحانه الكافي الذي أمدنا بالنعم، وساق إلينا طيبات الرزق، وألبسنا ثياب الصحة والعافية، وغمرنا بأنواع الفضل والإحسان، وسخر لنا ما في السماوات وما في الأرض: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

وقال ﷻ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٥).

هو جل جلاله الكفيل القائم بأمور الخلائق كلها في العالم العلوي والعالم السفلي، الكفيل الذي تكفل بأقوات الخلائق كلهم، وأوصلها إليهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾ [يونس/ ٣٢].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته، وهذه أفعاله وإحسانه، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة/ ٢٢].

هو سبحانه الحافظ الوكيل الكفيل الذي تكفل لخلقه بما يسعدهم في الدنيا والآخرة، تكفل بقوت أبدانهم، ورزقهم من أنواع الطيبات، وتكفل بقوت قلوبهم من الإيمان، والعلم بأسماء الله وصفاته، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بثوابه وعقابه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فما أسفه عقول من أعرض عن ربه بعد معرفته: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)﴾ [البقرة/ ٢٨-٢٩].

فسبحان ربنا الكفيل الكافي الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾ [هود/ ١٢٣].

وهو سبحانه الكافي الذي يكفي أولياءه الشرور، ومن سنته أن يبطل فعل الأسباب ليذكِّر أولياءه بقدرته، كما أبطل مفعول النار على إبراهيم خليل الرحمن، وجعلها بردًا وسلامًا عليه، كما قال سبحانه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

التعبد لله ﷻ باسمه الكافي

اعلم رحمك الله أن من توكل على الله فهو حسبه، فكن حسن الظن بالله، عظيم الرجاء فيما عنده، صادق التوكل عليه؛ يكفِك كل ما أهمك: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل/ ٧٩].

وافعل الأسباب التي أمرك الله بها، ولا تستبطئ كفاية الله إذا تأخرت؛ فإن الله بالغ أمره قطعًا في الوقت الذي قدره له: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٣].

واعلم أن من اشتغل بالله وأوامره عن نفسه وشهواته؛ كفاه الله مؤونة نفسه، ومن اشتغل بالله وأوامره عن الناس كفاه الله مؤونة الناس ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

ومن اشتغل بنفسه عن الله وأوامره وكله الله إلى نفسه، فخسر دنياه وآخرته، ولم يأخذ منها إلا ما قدره الله له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون/ ٩].

ومن اشتغل بالناس عن الله وأوامره وكله الله إليهم فأذلوه وأهانوه واحتقروه.

وأخسر الناس صفقة من باع دينه بدنيا غيره: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥].

وأسفه الناس من أقبل على الدنيا، ونسي الآخرة: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ١٨-٢٢].

فتوكل على ربك الكافي الحق حده؛ فبيده مقاليد الأمور كلها، فالله بيده كل شيء، وليس بيد غيره شيء: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر/ ٣٦].

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾[الزمر: ٦٢ – ٦٣].

فاسأله أن يكفيك كل هم وغم، وكل شر وفتنة، وكل ضلالة وبدعة:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة: ١٨٦].

واسأله أن يغنيك بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عمن سواه:﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾[آل عمران/ ٧٣-٧٤].

واعلم أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، فانصح الخلق بما علمك الله من علم، وانفعهم بما أعطاك الله من مال، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾[المائدة/ ٢].

فأنفق مما أعطاك الله يكرمك الله بخير منه في الدنيا والآخرة:﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واشكر ربك على عطائه لك، وكفايته لك، وهدايته لك:﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾[الضحى/ ٦-١١].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الْحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلا مُؤْوِي**» أخرجه مسلم[1].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن من عرف الله باسمه الكافي أحبه، واطمأن إلى كفايته:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾[الرعد/ ٢٨-٢٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٥).

والمؤمن حقًّا إذا عرف ربه باسمه الكافي؛ اكتفى به عما سواه، وتوكل عليه وحده دون غيره، وسارع إلى كل ما يحبه ويرضاه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال/ ٢-٤].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكفي نفسه غيره، ولا يكون كلًّا عليه، ويكفي الناس شره، ويدفع عن نفسه وغيره ما يضر ويؤلم، ويسعى في تحصيل المنافع لنفسه ولغيره: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة/ ٢].

وقد بين الله ﷻ صفات المؤمنين التي يحبها، ويرحم بها أهلها، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة/ ٧١].

ومن عرف ربه باسمه الكافي؛ أحبه، ووحده، وتوكل عليه، وتعلق به دون سواه، وسارع لامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ لعلمه بجلاله وجماله، وعظيم كفايته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الكافي الذي يغنيك عما سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر/ ٦٥].

واعلم رحمك الله أنك كلما امتثلت أوامر الله كفاك ما أهمك، وكفاك عدوك.

وإذا تسلط الكفار على المسلمين فلا تظن أن العدو غلب، ولكن الكافي أعرض: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[الشورى/ ٣٠].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن/ ١١].

واعلم رحمك الله أن الله سبحانه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله هو المستحق وحده

للعبادة، وهو المستحق للمحامد كلها، فكل ما يُحمد به الخلق فهو من الخالق، فهو أحق بالحمد من كل محمود من الخلق: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأنعام/ ١].

وذلك يثمر للعبد الاستسلام لربه، والامتثال لأوامره، والرضا بما يقدره من كل محبوب ومكروه، وحسن الظن به؛ لأنه جميل لا يفعل إلا الجميل، وحميد لا يفعل إلا ما يحمد عليه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية/ ٣٦-٣٧].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف: ٢٣].

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾[الممتحنة/ ٤].

﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[التوبة/ ١٢٩]

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم(١).

اللهم يا قوي يا عزيز، يا رحمن يا رحيم، ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

اللهم يا خالق الخلائق كلها، ويا كافي المخلوقات كلها، نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا يا أرحم الراحمين.

اللهم يا من يكفي عن كل أحد، ولا يكفي منه أحد، يا أحد من لا أحد له إلا أنت، أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، يا رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

الكفيل

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله الكفيل

الله جل جلاله هو الكفيل القائم بأمر الخلائق كلهم، المتكفل بأرزاقهم وأقواتهم، وقضاء حوائجهم، ورعاية مصالحهم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ [النساء/ ١٣٢].

وهو سبحانه الكفيل الحق، الذي كفل جميع الخلق من جميع الوجوه:

حفظًا، ورزقًا، وقوتًا، ووقايةً، وتعليمًا، وهدايةً، وغير ذلك من ألطافه وإحسانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان: ٤٧ – ٥٠].

فسبحان من تكفل بذلك كله للخليقة كلهم، وضمنه لهم، وأظهر لهم في الدنيا ما شاء منه، وأخفى لهم في الجنة ما هو أعظم منه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف/ ٣٢].

وقال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

والله سبحانه هو الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وخلق الحاجات والمحتاجين، وهو رازق كل حي وحده لا شريك له.

هو الكريم القادر الذي تكفل بالأرزاق كلها، وبالأمور كلها، الذي أوصل رزقه إلى كل واحد من الإنس والجن، والحيوان والطير، وغيرهم مما لا يعلمه ولا يُحصيه إلا الله

ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود/ ٦].

واعلم رحمك الله بأن الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له مُلك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله ما بين السماوات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك: ١ - ٢].

هو سبحانه الملك الحق الذي له الخلق كله، وله الأمر كله، وله المُلك كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمر كله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

واعلم بأن الله ﷻ قد تكفل برزق وقوت وتربية جميع الخلائق، وليس في وسع واحد منهم أن يرزق نفسه أبدًا؛ وإنما الرزاق هو الله وحده الذي عم برزقه ونعمه المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان، والجان والملائكة: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

فاتق الله في نفسك، وتوجه إلى ربك في جميع حاجاتك؛ فإنه الكفيل وحده لا شريك له: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١﴾ [النحل/ ٩١].

واعلم بأن من مات من الخلق جوعًا أو عطشًا فقد تم أجله، والله جل جلاله لا يقبض أحدًا حتى يستوفي رزقه الذي قسمه الله له، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها

وأجلها، وخطاها وأنفاسها: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون/ ١١].

وهو سبحانه الصادق في قيله، الوفي بعهده، الأمين في ضمانه، الحفيظ في كفالته، العظيم في إحسانه، الدائم بره: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

هو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وقد ورد اسم الله الكفيل في القرآن الكريم مرةً واحدة، كما قال سبحانه في سورة النحل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل/ ٩١].

هو جل جلاله الكفيل القائم بجميع أمور الخلائق؛ من خلق ورزق، وتدبير وتصريف، وحفظ ورعاية، وهداية وعناية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

هو جل جلاله الكفيل الذي تكفل برزق الأجنة في بطون الأمهات من الحيوان والطير والإنسان، وتكفل برزق الأسماك في قاع البحار، وتكفل برزق الطير في جو السماء، وتكفل برزق البهائم والسباع في الفلوات، وتكفل بشفاء المرضى، وتكفل بتفريج الكرب، وتيسير أسباب الأمن والهداية والتقوى والعبادة: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

فسبحان الكفيل المتكفل بكل شيء، القادر على كل شيء، المحسن بكل شيء، وحده لا شريك له: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل/ ٥٩-٦٥].

ومن هذه أفعاله، وهذا إحسانه، هو الذي يستحق العبادة والشكر وحده لا شريك له: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل/ ١١٤].

هو جل جلاله الملك الكريم الغني الكفيل الذي تكفل بجميع الأرزاق والأقوات لكل مخلوق في كل زمان ومكان، تكفل بها، وقدرها، وأوصلها إلى كل مخلوق كميةً ونوعيةً، ومكانًا وزمانًا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦].

هو سبحانه الكفيل الذي تكفل بحفظ الأنفس، والأموال، والأولاد، والأعمال، وتكفل بحفظ القلوب والجوارح وحده لا شريك له: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام/ ٤٦-٤٩].

هو جل جلاله الكفيل الذي تكفل بحفظ أنبيائه ورسله وأوليائه، حفظ إبراهيمﷺ من النار: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٩-٧١].

وحفظ نوحًاﷺ من الغرق: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٧٦-٧٧].

وهو جل جلاله الكفيل الذي يُجيب دعاء من دعاه، ويكشف الضر عمن والاه: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

وهو الكفيل الذي أنجى يونس ﷺ من الغرق، ورزق زكريا الولد، ورزق مريم طعاماً بلا سبب، وابنا بلا ذكر: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٩١].

وهو سبحانه الكفيل الذي تكفل بنصر أوليائه، وتمكينهم في الأرض، ودفع الشر عنهم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

هو الكفيل الذي تكفل بنصر رسله وأوليائه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١ – ٥٢].

هو جل جلاله الكفيل الذي تكفل بحفظ أعمال الخلائق، ويجازيهم عليها إن كانت خيرًا بأحسن جزاء، وإن كانت شرًّا فيعاملهم بالعدل، أو يعفو عنهم؛ لأنه جل جلاله الرحمة أحب إليه من الانتقام، والإحسان أحب إليه من العدل، وسوف يحاسب الجميع بحسب أعمالهم: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

وكل سوف يُجازى بعمله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٦ – ٢٧].

ويوم القيامة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه/ ٧٤-٧٦].

فسبحان ربنا العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والنعوت الجميلة، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

التعبد لله ﷻ باسمه الكفيل

العبد إذا عرف الله بأسمائه وصفاته، وعرف عظمة مُلكه وسلطانه، وعرف عظمة دينه وشرعه، وعرف عظمة وعده ووعيده؛ عظَّم الله وكبَّره، وأحبه وحمده وشكره، وتقرب إليه بأنواع الطاعات والعبادات التي شرعها الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فانظر رحمك الله ووفقك لما يحبه ويرضاه إلى مجال الكرم والرحمة والإحسان والخلق في الملك والملكوت؛ تجد الكفيل الحق تكفل بجميع ما يُصلح عباده من أنواع النعم التي لا تعد ولا تحصى، وتيسير الأمور في كل زمان ومكان، ترى ذلك خلقًا مشهودًا، وبساطًا ممدودًا: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].

فسبحان العظيم الذي تكفل بجميع أنواع الأرزاق والأقوات لعباده في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

فسبحان الغني الكريم، المقيت الكفيل الذي جميع خلقه يأكلون من مائدة نعمه، وينعمون بإحسانه وخيره، فإذا عرفت ذلك؛ فاشكر الله، واحمده على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فكن رحمك الله كفيلًا على نفسك، ومع نفسك، أعطها حظها من الطيبات، وخذ منها الحق الواجب عليها من صدق الإيمان، وصدق الاستقامة على أوامر الله، وشكر المنعم عليها بما لا يحصى من النعم التي تتنعم بها، والتي وضعها الله ﷻ بين يديك: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[القصص/ ٧٧].

واسأل الله أن يعينك على نفسك، ويقيك شرها: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس: ٧ – ١٠].

والنفس مجبولة على حب الشهوات، وما يشغل عن الطاعات: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[يوسف/ ٥٣].

وقم بما لله عليك من حقوق وواجبات، وما للناس عليك من حقوق وواجبات، واستغفر الله من كل تقصير؛ فإن ربك غفور رحيم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء/ ١١٠].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج: ٧٧].

واعلم أن الله جل جلاله تكفل بأرزاق الخلق كلهم في الدنيا والآخرة، ووكل الشمس بالإنارة في العالم كله، ووكل الأرض بالإنبات في العالم كله، ووكلك بنشر الهداية ونور الإيمان في العالم كله.

فأد الأمانة لتربح وتنجو من الخسارة، وذلك بإبلاغ دين الله في مشارق الأرض ومغاربها؛ لتدخل لا إله إلا الله في قلوب البشرية، وتتزين أجسادهم بالسنن النبوية: ﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم/ ٥٢].

ولتحقيق هذا في حياتك، وحياة الناس، عليك أن تقتدي بالنبي ﷺ في خمسة أمور:

في نيته وفكره .. وفي توحيده وإيمانه .. وفي أقواله الحسنة .. وفي أعماله الصالحة .. وفي أخلاقه الكريمة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

واعلم أن الله ﷻ منَّ عليك بالهداية، فسارع إلى الخيرات، ونافس في الفضائل والمكارم بجميع أنواع العبادات والمعاملات، فرضها ونفلها: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وكن حفظك الله في ليلك مع الكفيل جل جلاله، اذكره، واشكره على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، واسأله من فضله واستغفره من ذنوبك، واحمده على نعمه، وكبره تكبيرًا، فهو أهلٌ أن يُذْكر، وأهلٌ أن يحمد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ١-٤].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

وكن في النهار مع الخلق بالرعاية والإحسان، والدعوة والتعليم، اهدِ ضالهم، وعلم جاهلهم، وأطعم فقيرهم، واقضِ حاجاتهم بقدر ما تستطيع؛ تنل بذلك أجرًا عظيمًا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣-٦٤].

واعلم أن من صدق مع الله ورضي به كفيلًا؛ ساقه الله إلى ما يحبه ويرضاه، وأعانه على أداء الأمانة، وييسر له الأمر من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

واعلم أن العبد إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة؛ أحبه وحمده، ووحده واستغفره، وأطاعه وامتثل أمره، واجتنب نهيه؛ لما يراه من عظيم نعمه وإحسانه، وسوابغ نعمه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكفل نفسه بحملها على طاعة الله، وفعل ما يحبه الله ويرضاه، واجتناب ما يكرهه ويسخطه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢ - ١١٣].

وكذلك أن يتعاهد أهله بكل خير يُصلحهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

ومن عرف ربه باسمه الكفيل؛ سعى في قضاء حاجات إخوانه المسلمين، وأحسن إليهم بما يستطيع، وأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» أخرجه البخاري[1].

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الوكيل

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله الوكيل

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميد، والنعوت الجميلة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الله ﷻ هو الوكيل الحق الذي توكل وتكفل بجميع أمور الخلق، ومعايشهم ومصالحهم في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ١٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢﴾ [النساء/ ١٣١-١٣٢]

وهو سبحانه الوكيل القادر على كل شيء، الذي جميع المخلوقات تحت كفالته ووكالته وتدبيره وتصريفه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرعد/ ٢]

وهو سبحانه الوكيل الذي توكل وتكفل ببيان دينه، وحفظ كتابه من التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحجر/ ٩]

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت/ ٤١-٤٢]

فسبحان الملك الحق الذي كل الأمور موكلة إليه، القادر على كل شيء، الوفي بإتمامه، الوكيل الذي تفرد بحفظ الخلق وكفايتهم، وأمرهم جميعًا بيده، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧]

وقد ورد اسم الله الوكيل في القرآن الكريم أربع عشرة مرة، منها قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٧٣]

والله سبحانه هو الوكيل الذي تولى وحده تدبير خلقه في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي الدنيا، وفي الآخرة: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

هو الوكيل الذي تكفل بجميع مصالح العباد، وأوصل إليهم أرزاقهم بأنواعها، ومقاديرها، وأعدادها، ومكانها، وزمانها، ودفع عنهم المصائب وحماهم مما يضرهم: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢]

هو سبحانه الوكيل الذي تكفل وحده بقضاء الحوائج كلها، الذي يُقصد في جميع الأمور، ويفوض الأمر إليه في كل حال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤]

هو سبحانه الوكيل الرحيم الذي يسوق لعباده كل خير، ويدفع عنهم كل شر: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة/ ٥١]

والصفة المشتقة من اسم الله الوكيل هي صفة التوكل، فالله سبحانه هو الوكيل الذي لا يخفى عليه شيء من ملكه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، الذي جميع مخلوقاته بيده وتحت تدبيره وتصرفه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣]

والله وحده هو الوكيل الذي له الوكالة التّامة العامة على جميع ما في ملكه.

والوكالة التامة المطلقة هي التي تجمع علم الوكيل بما هو وكيل عليه، وإحاطته بتفاصيله، وقدرته التامة على كل شيء، ليتمكن من التصرف فيه، وحفظ ما هو وكيل

عليه، مع كمال الحكمة المقرونة بالخير المطلق، المقرونة بالقدرة المطلقة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢]

هو سبحانه الوكيل الذي توكل بالعالمين جميعًا، خلقًا وإيجادًا، وتقديرًا وتدبيرًا، وإمدادًا ورزقًا، ورعايةً وعونًا، وهداية وتوفيقًا، فنعم المولى ونعم النصير، ونعم الوكيل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣]

فهذه هي الوكالة العامة التامة المطلقة لكل الخلائق.

أما الوكالة الخاصة فهي للمؤمنين، فهو سبحانه وكيل المؤمنين ييسرهم لليسرى، ويجنبهم العسرى ويوفقهم للتقوى، ويكفيهم ما يهمهم في الدنيا والآخرة؛ لأنهم أفردوه بالتوحيد والعبادة، وآمنوا به، وأفردوه بالتوكل عليه، والإنابة إليه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤]

فكما أفرده أولياؤه بالتوكل عليه أكرمهم بمغفرته وجنته والقرب منه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥]

هو سبحانه الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور كلها، فتوكل عليه، ولا تلتفت لأحد سواه: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل/ ٩]

وحقيقة التوكل أن نفعل الأسباب المأمور بها شرعًا بجوارحنا ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود/ ١٢٣]

واعلم أن الله حي قيوم، سميع بصير، عليم خبير، فاعبده كما أمرك وتوكل عليه كما أمرك: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]

فسبحان الوكيل الكفيل الذي عم بإحسانه جميع خلقه، فكل مخلوقاته تحت سمعه

وبصره، ورقابته وتصرفه، فلم يضيع أحدًا، ولم يهمل أحدًا، ولم ينس أحدًا، ولم يكل أحدًا إلى غيره: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة/ ١٢٩]

واعلم رحمك الله أن جميع الأسباب والمخلوقات عاجزة عن فعل شيء إلا أن يأذن لها الوكيل الذي جعلها أسبابًا، فهو الذي يزيل عجزها، ويتم سببيتها، وما من سبب من الأسباب إلا وهو محتاج إلى أسباب أخرى تعينه، و له أسباب أخرى تمنعه وتعوقه، فلا يستقل سبب بفعل شيء وحده، والله سبحانه قرن الأسباب بمسبباتها، لكن لابد لها من إذن الوكيل الذي جعلها أسبابًا: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢].

فلا يوجد سبب تام في الكون مستقل بالفعل وحده؛ بل كل الأسباب ناقصة عاجزة إلا أن يأذن لها الوكيل الذي بيده الخلق والأمر كله، فإذا أذن لها فعلت ما شاء الله بأمره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فالنبات بأنواعه يحتاج في ظهوره إلى وجود التربة، والماء، والهواء، والنور، وهذه الأسباب عاجزة إلا أن يأذن الوكيل بخروج الزرع والثمر: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧﴾ [الواقعة/ ٦٣-٦٧].

والدواء خلقه الله سببًا للشفاء؛ والطعام سبب للشبع، والماء سبب للري؛ وكلها عاجزة عن إحداث الأثر؛ إلا أن يأذن لها الوكيل سبحانه الذي جعلها أسبابًا؛ ليزيل عجزها، ويتم سببيتها هو وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس: ٣].

فجميع المخلوقات عندها فقر ذاتي إلى خالقها؛ الذي بيده كل شيء: ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾

[الشعراء: ٧٧ – ٨٢] .

● **فلابد للعباد من أمرين:**

فعل الأسباب بالجوارح.. والتوكل على الله بالقلب.

واعلم رحمك الله أن الأسباب إذا تعطلت فالوكيل قادر على تشغيلها، وإتمام سببيتها، فزكريا صلى الله عليه وسلم طلب من ربه الولد وهو كبير، وامرأته عاقر، فوهب الوكيل له الولد: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

ولما طلب زكريا آية الحمل وعلامته أذن الله للسانه أن يذكره ويسبحه، وحبس لسانه عن كلام الناس ثلاثة أيام؛ لأن اللسان لا يتكلم ولا يسكت إلا بإذن الوكيل جل جلاله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران/ ٤١].

فاللهم إنا نسألك حسن الظن بك وحسن التوكل عليك، وكمال اليقين على ذاتك، وأسمائك، وصفاتك: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

[التغابن: ١٣] .

واعلم وفقك الله وهداك أن الله ﷻ ما أمر الأنبياء والرسل بأمر إلا فعلوه، وطلبوا العون عليه من الوكيل: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٠].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل/ ١٩].

والسبب أن الله ﷻ خلق العبد وخلق أفعاله؛ فلابد أن أسأله، وأستعين به، وأتوكل عليه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فسبحان من بيده الخلق والأمر، والتدبير والتصريف، لكل من في ملكه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

وأعظم الخلق توكلاً على الله هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأعظم الأنبياء والرسل توكلاً هو سيدهم محمد ﷺ الذي حقق مقام التوكل بكماله، وسماه سبحانه المتوكل لعظمة توكله على ربه، ولكمال توكله صار صاحب المقام المحمود يوم القيامة، لصدق توكله الذي أمره به ربه؛ حين قال له: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل/ ٨-١٠].

والمؤمن حقًا من صرف كل أوقاته في طاعة ربه، وتوكل على ربه في كل أمر؛ لأن كل ذرة في الكون تحت قهره وأمره جل جلاله، ولا تنفع ولا تضر إلا بإذن الوكيل سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهود ﷺ كذبه قومه، واستهزؤوا به، فتحداهم جميعًا، ولم يلتفت لهم وما يملكون لصدق توكله على ربه: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٣-٥٦].

فسبحان ربنا الوكيل الذي بيده وحده الأسباب المعطية، والأسباب المانعة: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

العزيز الذي لا يُغلب والذي يمضي أمره كيف شاء، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، الوكيل الذي له الخلق والأمر كله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فكل الأسباب عاجزة عن تحصيل مسبباتها، وحصول أثرها، إلا أن يأذن لها الوكيل بالفعل، فهو سبحانه الوكيل الذي أذن للشمس بالإنارة، وأذن للأرض بالإنبات، وأذن للرياح أن تهب، وأذن للسان أن يتكلم، وأذن للأذن أن تسمع، وأذن للعين أن

تبصر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه وحده الذي خلق المخلوقات وهو وحده الذي يأمرها فتفعل ويأمرها فتقف: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان القادر الذي بيده الأسباب ومسبباتها، هو وحده الذي يزيل عجزها، ويتم سببيتها؛ لأنه الخالق الذي بيده الملك كله؛ ولأنه سبحانه لم يخلق شيئًا مستغنيًا عنه من خلقه؛ بل الخلق كلهم مفتقرون إليه في إيجادهم، وأفعالهم، وأرزاقهم.

وجميع الأسباب؛ سواء كانت مع المؤمنين أو الكافرين؛ كلها مخلوقة عاجزة مملوكة للوكيل الذي خلقها، إن شاء أذن لها بأن تفعل، وإن شاء منعها: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

هو سبحانه الذي جميع مخلوقاته في قبضته وحده: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

فسبحان الخالق الذي خلق النار، وجعل من طبيعتها الإحراق، وإن شاء أبطل مفعولها، فصارت بردًا وسلامًا: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

على إبراهيم خاصة لكمال توحيده وإيمانه ويقينه.

وخلق الماء، وجعل من طبيعته الإغراق، وهو الوكيل الذي يأمره أن يفعل ما شاء، فيغرق من شاء، وينجي من شاء، فأمره حين وقف موسى ﷺ أمامه أن ينفتح، فلما ضرب موسى البحر بعصاه انفلق؛ فكان كل فرق كالطود العظيم، فدخل موسى وقومه، ثم خرجوا ثم دخل فرعون وجنوده؛ ثم أغرقهم وانطبق عليهم، وذلك بأمر واحد في وقتٍ واحد، في بحر واحد: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧﴾ [الشعراء: ٦١- ٦٧].

هو القوي العزيز الذي له جنود السموات والأرض، فالنار من جنوده، والبحر من جنوده والرياح من جنوده: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ [الفتح: ٧].

هو الفعال لما يريد الوكيل على كل شيء؛ يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

واعلم أن اسم الله الوكيل له معنيان:

الأول: عام، فالله جل جلاله هو الوكيل الحق الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق وأقواتهم، وتدبير أمورهم، ورعاية مصالحهم، الوكيل على كل المخلوقات في السماء والأرض: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

الثاني: خاص، فهو سبحانه الوكيل الكافي لكل مؤمن إلتجأ إليه، الحافظ لمن اعتصم به: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٣].

فتوكل على الله وحده، واتخذه وكيلاً يكون لك نصيرًا ولا تلتفت إلى ما سواه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨].

فسبحان الوكيل الحق القائم على خلقه بالتدبير والتصريف، وإيصال الأرزاق والأقوات، والوقاية من الشرور والآفات، والنصر والحفظ لأوليائه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

والخلق كلهم ليس بأيديهم شيء من الأمر، بل عليهم امتثال الأمر الإلهي؛ لأنهم جميعًا عبيد لله والأمر كله لله وحده: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

واعلم رحمك الله أن جميع أنواع التدبير والتصريف في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة، كل ذلك من آثار اسمه والوكيل وهي مبثوثة في العالم كله؛ كغيرها من

صفات الحق سبحانه التي أوجدها في العالم، ليرى الخلق ويعلموا عظمة أسمائه الحسنى وصفاته العلا وأفعاله الكبرى، فيعبدوه وحده بمقتضاها: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وعبدتموه وحده لا شريك له، وكبرتموه وعظمتموه وحمدتموه وشكرتموه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

فانظر وفقك الله لما يرضيه في الملك والملكوت ترى جميع الخليقة في قبضة الملك الخالق الحق، تراها جميعاً مستجيبة لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته، وخاضعة لأمره، ومسبحةٌ بحمده، وشاهدة بوحدانيته، وجارية على حكم تسخيره، مصرفة بتدبيره على سنن قبضه وبسطه.

إن أذن بشيء كان، وإن لم يأذن به لم يكن: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

والعبد المتوكل على الله حقًا، لصحة توحيده، وثبات يقينه، لا يرى إلا الله، رب كل شيء، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو سواه، حسبه الله وحده في جميع أموره؛ لأنه يرى أن الله وحده كبير وما سواه صغير، وأن الله قدير وما سواه عاجز، وأن الله قوي وكل ما سواه ضعيف، وأن الله غني وكل ما سواه فقير: ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

والمؤمنون كلهم قد أخذوا من التوكل بقدر ما حصل لهم من حقيقة الإيمان والمشاهدة، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن ذاق عرف، ومن عرف غرف، ومن أبصر استبصر: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٣-٤].

وقد يشهد اللسان والقلب غير مكذب، لكنه غير مشاهد ولا حاضر، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ

وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

وما يتذكر إلا من ينيب: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾﴾ [ق/ ٣٧].

والشهادة الحق هي ثمرة معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة، يعمر الله بها قلوب أهل الإيمان والتقوى، وبها يتم مراد الله منهم ومرادهم من الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة/ ٢٢].

واعلم يقينًا جازمًا أن من انقطع إلى الله بالعبودية المحضة بالتفويض إليه، وصدق التوكل عليه، والعمل بشرعه؛ حرم الجبار على جميع أعدائه من شياطين الإنس والجن، والسباع والظالمين، وجميع المؤذيات، أذاه تحريمًا كونيًا، كما حرم على المؤمنين أذى المسلمين وغيرهم بأمره الشرعي: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

واعلم رحمك الله أنه لا ينفع بالصفات إلا بارئ الصفات، فهو الوكيل الحق على الخلق، وصفاتهم، ومعايشهم، فتوكل عليه، يعطيك ويكفيك: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

وحقيقة التوكل الاعتماد على الوكيل وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، مع القيام بالأسباب المشروعة: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

فسبحان الوكيل الحق ؛ الذي كل العالم العلوي والعالم السفلي ملكه، وفي قبضة، وكل ما فيهما مقهور بأمره، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته، ومسبح بحمده، وشاهد بوحدانيته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم أن الوكيل الحق من أجل أن تتوكل عليه، وتفر إليه، وتعتمد عليه؛ ملأ هذه الدنيا

بالمصائب والهموم والمخاوف، وشحنها بالقلق على الرزق والأهل والأموال والأولاد؛ لتكون عبدًا له، واقفًا بباب عبوديته، فارًا من غيره إليه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

هو سبحانه وحده الوكيل الذي بيده كل شيء الخلق والأمر، والحلو والمر: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

واعلم أن الله ﷻ خلق المصائب والأمراض والمكروهات لحكم عظيمة.

منها صرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذب النفوس إلى الملك القدوس، وجر الناس من دار الغرور إلى دار السرور، ومن دار الفنا إلى دار البقاء: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن: ١١].

واعلم أن هذه الدنيا الحياة فيها مشوبة بالنعم والمصائب والسراء والضراء، والمحبوب والمكروه؛ لأنها محل الابتلاء، ومعرفة الموحد من المشرك، والصادق من الكاذب: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

أما الآخرة فهي للمؤمنين خير محض، حياة بلا موت، ونعيم بلا شقاء، وشباب بلا هرم، وعافية بلا مرض، وأمن بلا خوف: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وكلما زاد إيمان العبد قوي توكله على ربه، وشكا همومه إلى ربه الوكيل لا إلى غيره: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن: ١٣].

وأصدق الخلق توكلاً، وأكملهم يقيناً، هم الأنبياء والرسل: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكلما نقص إيمان العبد ضعف توكله على ربه، فلا تجده إلا يشكو أحواله إلى غيره من

الخلق ممن يلقاه، لجهله بالوكيل الذي له الأسماء والحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [الزمر: ٦٧].

ولا يتوكل على الله حقًا إلا من آمن به حقًا، وعرف أنه القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء، المحيط بكل شيء: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾ [محمد/ ١٩].

ولن يستطع أحد أن يتوكل على الله حقًا إلا إذا عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرف عظمة ملكه وسلطانه، وعرف عظمة خزائنه، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة دينه وشرعه، وعظمة وعده ووعيده.

فإذا عرف العبد ذلك توكل على ربه وفوض أمره إليه، ورفع شكواه إليه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣)﴾ [التغابن/ ١٣].

فمن توكل على الله كفاه وأغناه، وأثابه وأرضاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

ومن توكل على غير الله ضل، وقل، وذل، وحرم، وخسر: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

ولا يتوكل على غير الله إلا جاهل بالله القوي العزيز: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦].

واعلم أن الله جل جلاله وحده هو الوكيل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، وهو الملك الذي يدبر الملك والملكوت بحكمته ورحمته وقدرته، يقبض ليبسط، ويذل ليعز، ويمنع ليعطي، ويخفض ليرفع، ويبتلي ليعافي: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ

وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل: ٩].

ونعم الله بالشدائد والكاره أعظم من نعمه بالرغائب، ولهذا كان الأنبياء أشد الناس بلاء، وبعد الصبر على البلاء يأتي النصر من رب الأرض والسماء: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف/ ١١٠].

والامتحان لا يكون في الرخاء؛ إنما يكون الامتحان غالباً في الشدة؛ لأن توحيد العبد وإيمانه لا يظهر إلا في الشدائد، ولا يرقى عند الله إلا في الشدة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة/ ٢١٤].

فكل شدة وراءها شدة إلى الله، وكل محنة وراءها منحة، ومن صبر على الأحكام، ورضي بالأقدار، فقد بلغ ذروة الإيمان، ومن استوى عنده العطاء والمنع، والبسط والقبض، والغنى والفقر، فقد رضي عن الله الوكيل الرحيم؛ الذي يضع الشيء في موضعه، ورضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، فتوكل على الوكيل الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

واعلم أن كل شيء وقع أراده الله بالحكمة المطلقة، المقرونة بالخير المطلق، المقرونة بالقدرة المطلقة، فإذا أصاب الله عبده بالضر فلأن في الضر دواؤه وشفاؤه؛ كالطبيب يجرح المريض، لينزع منه الداء، ليتمتع بالعافية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وكذلك الله رؤوف رحيم بعباده، حكيم يضع الشيء في موضعه، لن يسلم عبده، ولن يتخلى عنه، ولن يضره، إنما لما مرض قلبه ابتلاه بالمكروه ليوصله إلى المحبوب، ويذكره بمولاه، ليتوب إليه، ويتوجه إليه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ

شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦].

فصفة الضر، والقبض، والخفض، والمنع، لله تفهم هكذا، وأي فهم آخر لمثل هذه الصفات يعد كفرًا وإلحادًا في أسمائه الحسنى، فابتعد عن ذلك الفهم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فالنعمة طعمها حلو؛ لكنها قد تطغي الإنسان، والبلاء كالدواء الكريه، لكنه يشفي بإذن الله ﷻ، والبلاء كالضيف لكنه مؤلم، يدخل ويخرج وقد حمل الإنسان على التوبة والرجوع إلى الله، ترفع به درجات العبد، و تكفر به عنه سيئاته: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٦-١٥٧].

هو سبحانه الوكيل وحده لا شريك له، هو سبحانه الوكيل الذي تكفل بكل شيء، والتوكل هو إظهار العجز للقادر، وتفويض الأمر للوكيل الذي بيده مقاليد الأمور، فالله على كل شيء قدير، يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، والأسباب مملوكة له، وهي خاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه الوكيل المحيط بكل شيء خلقًا وأمرًا، وتدبيرًا وتصريفًا، فالشمس والقمر، والليل والنهار، والأرض والجبال، والبحار والأنهار، والإنسان والحيوان، والجماد والنبات، وغيرها من مخلوقات الله هذه كلها لا تؤدي وظائفها وما أمرت به؛ إلا بإذن الوكيل سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق كل شيء، وخلق الإنسان، وخلق صفاته، وخلق أفعاله، وخلق مشيئته، وخلق فكره، وخلق كلامه، وخلق أنفاسه: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات/ ٩٦].

- **وكل فعل للإنسان له وجهان:**

الأول: فعل الله الذي هو خلق الفعل، وهو القدر.

الثاني: وجه من العبد وهو الشرع من صلاة وصيام، وذكر ودعاء.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير/ ٢٧-٢٩].

واعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فلا تحول من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، ومن صفة إلى صفة، إلا بإذن الوكيل القادر على كل شيء: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف/ ٨٩].

وإذا كانت أفعال العبد من خلق الله فلابد أن أسأل الله أحسنها وأفضلها: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل/ ١٩].

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾ [إبراهيم/ ٤٠].

وقال ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل/ ١٢٧-١٢٨].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**» أخرجه البخاري(١).

ومن صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب التوكل على الله وحده؛ كما قال النبي ﷺ: «**يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**» أخرجه البخاري(٢).

والموحد حقًا هو الذي علم أنه لا يستطيع أن يعمل عملاً صالحًا؛ حتى يخلقه الله، ويعنيه عليه، فإذا فعله علم أنه من عند الله فشكره عليه، ثم يزيده ربه ويرقيه: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٢).

فافتقر إلى ربك الغني، وتضرع إلى ربك القادر، وأظهر عجزك للقوي القادر، وتيقن أنه لا حول ولا قوة إلا بالله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

واعلم أنه لا ينفع الصبر إلا مع التوكل؛ كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

وقال ﷻ: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشورى/ ٣٦].

واعلم زادك الله علمًا وإيمانًا أن كل من ظن أو توهم أن الله يسوق البلايا، والشدائد، والمكاره، تشفيًا من العباد، فقد تنكب سبيل الرشاد، وساء ظنه بالله الرحمن الرحيم: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/ ١٤٧].

فرؤية النعم توجب الشكر لله، ورؤية عظمة الرب وقدرته توجب الإيمان به .

هو سبحانه الوكيل العليم الخبير؛ الذي يبتلي الإنسان بالمصائب ليقوى توحيده، ويرسخ يقينه، ويزيد إيمانه، وتزيد تقواه؛ حتى لا يطلب دفع الضر والبلاء إلا من جنابه، ولا يقف عند الشدائد إلا عند أعتابه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم أن من اعتقد أن أحدًا سوى الله يستطيع أن يضر أو ينفع، أو يعطي أو يمنع فقد أشرك: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ غافر: ٦٥.

واعلم أن من استقام على منهج الله هداه الله سبل السلام، ومنحه الأمان، ولا يرضيه ولا يليق به سبحانه أن يعذبه، أو يذله، أو يحزنه، أو يمرضه، أو يفقره، لكن الله لحكمته البالغة لابد أن يسوق لعبده العاصي بعض الشدائد التي تحمله على الرجوع إلى ربه، والتوبة إليه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد/ ٣١].

وكلما كان الإيمان أقوى كان الابتلاء أشد، وكلما كان الانحراف أشد كانت الضربة قاسية ومؤلمة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف: ١١٠].

والناس مختلفون في التوبة، فمنهم من يتوب بالكلام اللين، والآخر يتوب بالوعظ القاسي، والآخر لا يرجع إلا بضرب العصا، والآخر لا يرجع إلا بالعذاب الشديد: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾ [المؤمنون/ ٧٦].

وقال ﷻ لموسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أنه لا يقع نفع، ولا ضر، ولا عطاء، ولا منع، ولا إيمان ولا كفر، ولا خير ولا شر، ولا حياة ولا موت، إلا بإرادة الله ومشيئته وإذنه: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير/ ٢٨-٢٩].

وقال ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ١١١﴾ [الأنعام: ١١١].

فالنفع من الله، والضر من الله، والعاصي هو السبب، والعطاء كله من الله، والمنع من الله، والعاصي هو السبب: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى/ ٣٠].

والعافية من الله، والمرض من الله، والعاصي هو السبب: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٥٢-٦٣].

والحسنة من الإنسان فعلاً، ومن الله تفضلاً، والسيئة من الله قدرًا، ومن العبد سببًا: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ [النساء/ ٧٨-٧٩].

واعلم أن جميع المخلوقات تفعل فعلها بمشيئة الله لا بقوة فيها، فالله وحده الذي يملك النفع والضر، وهو القوي الذي أعطاها القوة، وهي مملوكة له، ومسخرة بأمره: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء، الهادي الذي يهدي من شاء الهداية، ويضل من أصر على الضلالة: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام/ ٣٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨].

فمن طلب الهدى هداه الله، ومن أصر على الضلال أضله الله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

هو الوكيل الحق الذي بيده ملكوت كل شيء، وغيره ليس بيده شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨].

فالتوكل عَلَى الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، والاعتماد عليه في جلب النعماء ودفع الضراء؛ من أعظم مقامات الدين الَّتِي يَجِبُ إخلاصها لله وحده: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

والتوكل عَلَى الله ﷻ من أعظم أنواع العبادة؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، والنصرة الظاهرة، والثواب العظيم: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل/ ٧٩].

فالتوكل عَلَى الله هو الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته من الدين كمنزلة الرأس من الجسد، ومنزلة القلب من البدن، فكما لا يقوم الرأس إِلَّا عَلَى جسد كذلك لا يقوم الإيمان وأعماله إِلَّا عَلَى ساق التوكل عَلَى الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ

﴿ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩﴾ [المزمل/ ٨-٩].

- **والتوكل الذي ينفع يحصل للعبد بخمسة أمورٍ هي:**

التوحيد.. والزهد.. والتسليم لله.. وطاعة الله في السر والعلانية.. وحُسن الظن بالله.

ومن توكل عَلَى الله كفاه ووقاه، وكان له فيما يُصلحه وينفعه من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وعلامة المتوكل الصبر، وكتمان الحاجة، وإظهار الغنى للناس، وإخفاء المسكنة وإن مسه الضُر، ودوام ذكر الله بكل جميل، وحمد الله وشكره في كل وقتٍ وحال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾ [النحل/ ٤١-٤٢].

والتوكل عَلَى الله ﷻ درجات:

وأعلاه وأكمله وأحسنه توكل الأنبياء والرسل، لكمال معرفتهم بالله ﷻ، ثم توكل الأولياء الصادقين، وهو التوكل عَلَى الله مع الأخذ بالأسباب الَّتِي هي سنة الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٣﴾ [الأحزاب/ ١-٣].

فالداخل في الأسباب بالسنة، الخارج عنها بالنية أفضل؛ لما في ذلك من الجمع بين السنة، وحقيقة التوكل، فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل عَلَى الله وحده بقلوبنا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

وقال ﷻ: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣].

فخذ رحمك الله بالأسباب المشروعة، وتوكل بقلبك على ربك الوكيل وحده؛ تنال أجرهما معًا: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٦١﴾ [الأنفال/ ٦١].

والتوكل الحق على الوكيل الحق؛ أن يعلم العبد أن فعل الله لا يفعله غير الله، وأن كل شيءٍ بيده، وكل شيءٍ تحت تدبيره، لم يُشرك في حُكمه أحدًا: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾ [يوسف/ ٦٧].

ويكمل التوكل برؤية الوكيل على الدوام، فالإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فالتوكل يكمل برؤية الوكيل على الدوام، وترك الأماني، والتسليم والرضا بفعل الوكيل، وعدم الاعتراض على شيءٍ كان أو شيءٍ لم يكن: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن: ١٣].

وبالإيمان تكون الهداية، وبالتوكل تكون الكفاية، وبصدق التوحيد يكون التوكل، ومن سلم لله أمره كله كفاه الله أمره كله: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم أن كل شيءٍ له وقت وتقدير، والعمل للدنيا والآخرة مشروعٌ مطلوب، فاعمل وتوكل، ولا تستعجل ما تريد، فالوكيل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العُلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى؛ يرى ما لا ترى، فتوكل على الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور، وإصلاح الأحوال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وكل امرئٍ ميسر لما خُلق له، فاجتهد في طاعة مولاك معتمدًا عليه وحده، ومن عمل اليوم عملًا سيلقى غدًا ثوابه أو عقابه: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ [الليل/ ٤-١٠].

ويوم القيامة: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

ثم يكون الجزاء: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة/ ١١].

- **واعلم رحمك الله أن توكل العبد على ربه العظيم نوعان:**

الأول: توكل العبد على ربه في جلب المنافع الدنيوية، ودفع المضار الدنيوية: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ٧٩﴾ [النمل/ ٧٩].

فالله هو الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور الدنيوية والأخروية: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣]

الثاني: التوكل على الله في تحصيل كل ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان، والتقوى، والأعمال الصالحة، والدعوة إلى الله، وتعليم شرعه، والجهاد في سبيله؛ وغير ذلك، والتوكل عليه في دفع كل ما يكرهه الله من الأقوال، والأعمال، والأخلاق التي يُبغضها.

وبين النوعين من الفضل والثواب ما لا يُحصيه إلا الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

واعلم أن من توكل على ربه في النوع الثاني حق توكله؛ كفاه النوع الأول تمام الكفاية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

ومن توكل على الله في الأول في أمور دنياه دون الثاني؛ كفاه الله أيضًا، لكن لا تكون له عاقبة التوكل على الله فيما يحبه الله ويرضاه: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾ [إبراهيم/ ١٢].

وقال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة/ ٢٣].

فجعل شرط الإيمان صدق التوكل على الله، فاعمل بطاعة الله، واستقم كما أُمرت، وسارع إلى كل عملٍ صالح تقدر عليه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٣﴾ [الأحزاب/ ٣].

واعلم أن الله يحب من توكل عليه، ويؤيده بتوفيقه وعونه، فامض لما أمرك الله، واحفظ أوقاتك في طاعته، وقدم الأحسن على الحسن: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واعلم أن من عرف الله بأسمائه الحُسنى، وصفاته العُلى، وأفعاله الجميلة؛ وكل إليه جميع أموره، وفوض إليه جميع شئونه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى/ ١٠].

وقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

وتوكل العباد على الله على قدر معرفتهم به، وتوفيقهم للتوكل عليه على قدر طاعتهم له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وأصدق المتوكلين من جمع بين العلم والعمل والتوكل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وعلى قدر معرفة العباد بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وعظمة مُلكه وسلطانه، ومعرفة خزائنه ونعمه وإحسانه، ومعرفة وعده ووعيده؛ تكون ثقتهم بضمانه وحفاظته، ورضاهم بكفالته ووكالته، فيسلمون أنفسهم إلى ربهم في جميع أمورهم، وعلى قدر هذا التسليم يجدون لذة الأنس، ويرون الكفاية والرعاية، وتستريح أنفسهم من أذى التعب والنصب؛ فيتفرغون لعبادة ربهم، ويسارعون في شكر الوكيل سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

وقال ﷻ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩].

واعلم رحمك الله؛ أن طاعة الله ورسوله فضلٌ من الوكيل الحق عليك؛ فاشكره على ما حباك به من الهداية، واحمده على ما أعانك عليه من العبادة الطاعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة/ ٢-٤].

هو الهادي الذي من عليك بالهداية، الوكيل القائم على أمورك بحسن الرعاية: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات/ ١٧].

فسبحان الوكيل الحق، وما أعظم إحسانه، يعطي الجزيل للمتوكل عليه، ويُثني بالجميل على المفوض إليه، ولا يسأله على ما أعطاه وكفاه عِوضًا ولا قرضًا: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢﴾ [النساء/ ١٣٢].

وقال ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس: ٢٦].

بل يرزقه الوكيل، ويعطيه من خزائنه بما لم يخطر على باله؛ لأنه الغني الكريم، الوكيل الكافي، الحق الذي يعطي عبده من نعمه كثيرًا، ويضاعف أجره كثيرًا، وخزائنه عظيمة كافية، وجنته وافية بكل ما يحب أولياؤه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة/ ٢٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ [فاطر: ٢٩].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه، وما أعظم إحسانه إلى خلقه وعباده.

هو الخالق الحق، الوكيل الحق، الكافي الحق، الملك الحق، الكريم الحق، الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو الوكيل الحق الذي يخلق ما يشاء، ويأمر بما يشاء، ويفعل ما يشاء، وهو الغفور الرحيم الذي يُطعم المخاليق، ويكشف الغم، ويُزيل الهم، ويفرج الكرب، ويُغني

الفقير، ويجبر الكسير، ويُحيي الميت، ويُميت الحي، ويُصلح الفاسد، ويقبل التائب، ويغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويعدل المائل، ويشفي السقيم، ويقضي الحاجات، ويسد الفاقات، ويهدي الضال، ويؤمن الخائف، وينصر المظلوم، ويُهلك الظالم، ويقصم الجبار، فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هو سبحانه الوكيل على السموات والأرض وما فيهن، وما عليهن، وما فوقهن، وما بينهن: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وأعلم يا عبد الوكيل أن ربك الوكيل الذي يدبر أمر المخلوقات في ملكه العظيم قد وكل كثيراً من المخلوقات بوظائف تعبد الله بها، وتنفذ أوامر خالقها في العلم العلوي، والعالم السفلي، كما وكل الملائكة بتدبير أمور الخلق، ووكل الشمس بالإضاءة، ووكل القمر بالإنارة، ووكل السحب بإنزال الغيث، ووكل الرياح بإثارة السحاب، وحمله وسوقه إلى كل مكان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكل الأرض بالإنبات، وإخراج الزروع والثمار، فأنبتت من كل زوج بهيج: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ - ٧].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكل البحار بحفظ الأسماك، وحمل السفن الثقال، وأنواع الحلي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكل الأحجار والأشجار بالإحراق: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى

تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة: ٧١ – ٧٣].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكل الإنسان بالخلافة في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكلك أيها المسلم بالعمل بالدين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكل مسلم ومسلمة بإبلاغ الحق للبشرية كافة بقوله: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وكل سبحانه الأمة بتعليم شرع الله لعباده بقوله: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

ووكل سبحانه الأمة كلها بالإحسان إلى الخلق فقال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

فهل قمت يا عبد الوكيل بأداء هذه الأمانات العظيمة، وتنفيذ تلك الأوامر الكريمة، على نفسك، وعلى غيرك من الناس، كما تحملتها من قبل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

ألا ترى جميع المخلوقات قانتة لربها، ساجدة لعظمته، مستجيبة لأمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ

مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨].

يا عبد الوكيل قد شرفك ربك بالآدمية، وأكرمك بالخلافة الأرضية، ونشر الهداية السماوية بين البشرية، فأد الأمانة، واحذر الخيانة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٩].

واتق الله يا عبد الوكيل فيما أمرك الله به: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].

وقم بين يدي ربك عابداً وذاكراً، وشاكراً ومستغفراً: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقم بين يدي خلقه داعياً ومعلماً، ومحسناً ومصلحاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر: ١-٧].

يا عبد الوكيل هذا الدين أمانة في رقبتك، فهل بلغته للعرب والعجم، والقريب والبعيد؟.

يا عبد الوكيل اعلم أن الذي وكلك بإبلاغه للناس كافة سيكرمك إن بلغت، وسوف يحاسبك ويعاقبك إن قصرت، وسوف يسألك عن كل ما فعلت: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٦-٩].

واعلم أن العبد إذا عرف ربه بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلى، وأفعاله الحميدة؛ وحده وآمن به، وتوكل عليه وحده لا شريك له: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

وإذا عرفت أيها العبد أن ربك قويٌ عزيز، غنيٌ كريم، فتوكل عليه وحده، وأقبل على عبادة مولاك، ولا تلتفت لأحد سواه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

ومن كان الله حسبه لم يلتفت إلى كسبه، ومن كان الله حسبه سهل أموره، وسدد أقواله وأفعاله، وقضى حوائجه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾ [الشورى: ١٠].

ومن أعظم مقامات العبودية؛ التوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، وصدق الاعتماد عليه، في جلب المنافع، ودفع المضار: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٣ – ١٧٤] .

التعبد لله ﷻ باسمه الوكيل

حظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يعلم أنه عاجزٌ عن تدبير أموره وتحصيل مصالحه، وأن ربه الوكيل القادر على كل شيء هو الذي تكفل لعبده بكل ما يحتاجه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وأكمل الناس إيمانًا وأصدقهم توكلًا؛ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، كما توكل إبراهيم ﷺ على ربه فأنجاه الله من النار: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

وتوكل موسى ﷺ على ربه فأنجاه من فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾ [الشعراء: ٦١-٦٨].

وتوكل محمدٌ ﷺ على ربه فحفظه من كيد قريش في الغار، وفي الهجرة، وحفظه من جميع أعدائه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فتوكل على الله الذي بيده مقاليد الأمور وحده: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل/ ٧٩].

وقال يعقوب ﷺ لأولاده حين ذهبوا إلى يوسف ﷺ: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ۝٦٧﴾ [يوسف/ ٦٧].

فأمرهم يعقوب ﷺ بفعل السبب الذي يمنع الحسد بأبدانهم، وأن يتوكلوا على الله وحده بقلوبهم.

فأظهر عجزك لله بقوة التوكل عليه مهما كانت أسبابك: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٣].

والتوكل الحق هو قطع الاستشراف إلى الخلق، والتعلق بالخالق وحده لا شريك له: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨-٩].

ولا يحمي العبد من شرور شياطين الإنس والجن إلا الوكيل وحده لا شريك له؛ الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى، الأفعال الكبرى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل/ ٩٨-١٠٠].

وتوكل على الله في أمورك الدنيوية والدينية؛ لأن الأمور كلها بيد الوكيل وحده، فلن تُطيعه إلا بإذنه، ولن تعصيه إلا بعلمه، ولن يكون لك شيءٌ من الخير والرزق إلا بإذنه وأمره: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف/ ٣٢].

فلا إله إلا الله، له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فتوكل في جميع أمورك وأحوالك على الوكيل الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آلعمران: ٢٦-٢٧].

وأعظم أسباب التوكل على الله ﷻ حُسن الظن بالله جل جلاله، وصدق التوكل عليه، والاستعانة به، وسؤاله وحده، والاعتصام به، وبكتابه، والاستعاذة بالله من الشيطان وجنوده: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة/ ٤].

واعلم أن الله خلق جميع الطاعات والمعاصي، ولو لم يخلقها لم يستطع فعلها أحد، فخلق الطاعات، وأمر بها، وخلق المعاصي، ونهى عن فعلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل/ ٩٠].

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

وما أمر الله بأمرٍ إلا خلقه، وأعان عليه، وما نهى عن شيء إلا خلقه، وأذن بفعله، لكنه لم يأمر به، ولم يرغب فيه، ولا يرضاه لعباده: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ۝٧﴾ [الزمر: ٧].

هو الوكيل الحق لا يُعين على الطاعات إلا هو، ولا يصرف عن المعاصي إلا هو: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يوسف/ ٢٤].

وقال ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۝١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٤٧﴾ [الأعراف/ ١٤٦-١٤٧].

فسبحان ربنا العظيم، الوكيل، القادر؛ الذي قدر كل شيء، قدر الأرزاق، والأعمار، والأحوال، وقدر أفعال العباد كما قدر خلقهم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات/ ٩٦].

فتوكل على الله في كل حال؛ في حال السراء والضراء، وفي حال الأمن والخوف، وفي حال الصحة والمرض؛ لأنه الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور كلها ومفاتيحها: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

واعلم يا عبد الوكيل؛ أن الله سبحانه قد يُغلق عن العبد أبواب وأسباب الدنيا التي يعتمد عليها، لينظر إلى أين تتوجه القلوب؛ إلى الأسباب والأشخاص، أم إلى الملك الوكيل العزيز الوهاب؟!: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

وذلك كما توفي أبو طالب عم الرسول ﷺ، وخديجة زوجة الرسول ﷺ، في بداية الدعوة في عام واحد قبل الهجرة، واللذان كانا في حماية الرسول ﷺ، أبو طالب يحميه في الخارج، وخديجة كانت تواسيه وتؤنسه في الداخل ليقول الله له: أنا الوكيل الذي أحميك وأدافع عنك فلا تخاف: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ٦-١١].

واحذر رحمك الله أكل الحرام، فمن أكل فلسًا من الحرام فليس بمتوكل على الوكيل الذي عنده خزائن كل شيء، الكفيل الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

فلا تستعجل ولا تستبطئ رزقك فإنه آتيك، وهو يعرف عنوانك، وأنت لا تعرف عنوانه، والله هو الرزاق ذو القوة المتين سيوصله إليك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

فالجنين في بطن أمه يُطعمه الوكيل سبحانه، ويغذيه بالدم وهو خلاصة طعام أمه، فإذا خرج إلى الدنيا بكى لفقده الغذاء، وإذ الوكيل قد أبدله بمصدرين للرزق هما ثديا الأم، فإذا فطمته أمه بكى لفقده الحليب، وإذ الوكيل الرقيب جل جلاله قد أعد له أربعة مصادر للرزق؛ طعامان: هما النبات والحيوان، وشرابان: هما المياه والألبان.

فسبحان الكريم الذي هذا عطاؤه، الوكيل الذي هذا تدبيره: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فإذا مات المؤمن بكى لفقده الرزق، وإذ الوكيل قد فتح له في الجنة ثمانية أبواب يدخل من أيها شاء، ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ٤٩ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ٥١ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾ [ص: ٤٩ – ٥٤].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وتوكل على الوكيل في كل حال، وفي كل وقت، وفي كل مكان، فكما رزقك الوكيل وأنت في بطن أمك البشرية فسيرزقك وأنت على ظهر أمك الأرضية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٦﴾ [هود/ ٦].

وافعل الأسباب المأمور بها شرعًا بجوارحك، وتوكل على الوكيل الرقيب بقلبك، فالنبي ﷺ فعل جميع الأسباب عند الهجرة إلى المدينة، ليحمي نفسه من شر كفار قريش، ولكنهم وصلوا إليه في الغار، فلم يلتفت إليهم لثقته بالوكيل سبحانه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التوبة/ ٤٠].

فتوكل يا عبد الوكيل على ربك يحفظك ويرزقك وينصرك، ويحميك من عدوك: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٣﴾ [الطلاق/ ٣].

وتوكل على الوكيل وحده، ولا تلتفت لأحد سواه، فيخذلك من جهته: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٧].

فتوكل رحمك الله على الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور، واستقم على دينه، واستسلم لأمره، وتوكل عليه وحده، وارضَ بقضائه، وفوض أمرك إليه، وسارع إلى طاعته، وسابق إلى مغفرته، واحتسب ما تكره عنده، وقل: ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة/ ١٢٩].

واعلم أن الوكيل الرقيب الشهيد يراك ويسمعك، فسارع إلى مرضاته بكل قول أو فعل يرضيه: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤**﴾ [آل عمران/ ١٣٣].

واعلم أن الوكيل سبحانه قد وكلك على جوارحك، فاستعملها في كل ما يحبه الله ويرضاه، فالوكيل سوف يسألك عن أداء هذه الأمانة: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

واحذر أن تعصي ربك بنعمه، فالوكيل سيسألك عن عملك، ويجازيك بفعلك: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء/ ٣٦].

واعلم أن الوكيل الحق قد وكلك بإقامة الدين، وتعليم سننه، وآدابه، وأحكامه، فاعمل بها، وادعُ الناس إليها، واصبر على ما أصابك في سبيله؛ تنال من الأجر جزيله: ﴿ٱدۡعُ

إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل/ ١٢٥].

وعلم الناس مما علمك الله: ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وأحسن إلى الناس بالقول والفعل: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

وأد الأمانة كما أمرك الله بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

هذه هي الأمانات الكبرى، ويجب علينا أداؤها؛ إصلاحًا للنفس، وإصلاحًا للغير، ومن خان الأمانة خسر في الدنيا والآخرة: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ – ٣]

جهد على النفس بالعبادة (آمنوا وعملوا الصالحات)، وجهد على الغير بالدعوة (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

وفي هذا وهذا الفلاح والنجاة من الخُسران في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة/ ٤].

﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس/ ٨٥-٨٦].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» متفقٌ عليه(١).

اللهم اجعلنا ممن توكل عليك فكفيته، واستهداك فهديته، واسترحمك فرحمته، واستنصرك فنصرته، أنت حسبنا ونعم الوكيل: ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة/ ١٢٩].

اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

اللهم كن لي مؤيدًا ونصيرًا، وكن بي رءوفًا رحيمًا يا خير المسئولين، يا أرحم الراحمين.

اللهم صلِ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٧).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

الفتاح.. الفاتح

اسم الله الفتاح.. الفاتح

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨ ﴾ [طه: ٨].

الله ﷻ هو الفتاح الحق الذي يحكم بين عباده بالحق، ويقضي بينهم بالعدل.

هو الفتاح القادر على كل شيء، الذي يحكم ويقضي في عباده بما يريد، ويمن على من شاء منهم بما يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢ ﴾ [فاطر/ ٢].

هو سبحانه الفتاح عالم الغيب والشهادة، الذي يفتح لعباده أبواب الخير، والرزق، والعلم، والرحمة، والعبادة، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم، وييسر المتعسر عليهم، ويفتح قلوبهم وبصائرهم ليبصروا الحق والهدى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

وهو سبحانه الفتاح الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة، ويفتح بينهم بالحق والعدل: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ٢٦ ﴾ [سبأ/ ٢٦].

فسبحان الفتاح العليم الذي يملك مفاتيح أبواب الخير والرزق والبركة والعلم والرحمة والملك في العالم كله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٦ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

والله سبحانه هو الفتاح القادر على كل شيء، القوي الذي لا يعجزه شيء: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ٦٥ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

هو الفتاح الذي فتق السماوات السبع، والأرضين السبع، وفتق السحاب بالماء، وفتق الأرض بالنبات، وفتق الحب عن الشجرة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠ ﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

وهو سبحانه الفتاح الذي فتح القلوب للإيمان، وفتح العقول للعلم، وفتح الجوارح للعمل، وفتح العين بالبصر، وفتح الأذن بالسمع، وفتح اللسان بالكلام: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

هو جل جلاله الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح خزائن السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الخيرات والبركات والأرزاق، ومفاتيح النعم الظاهرة والباطنة: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

وهو سبحانه الفتاح الذي يفتح جميع الأبواب وحده لا شريك له، ويفتح كل ما استعصى من الأبواب في كل زمان ومكان وحال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هو الفتاح الذي يفتح الأبواب في كل مكان وزمان:

أبواب الرزق، وأبواب العافية، وأبواب العلم، وأبواب العمل الصالح، وأبواب التقوى، وأبواب الأخلاق، وأبواب الأمن، وأبواب التوفيق، وأبواب العبادات، وأبواب الدعوة إلى الله، كل ذلك بيده جل جلاله: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [فاطر/ ٢].

هو الفتاح الذي فتح قلوب وأجساد الأنبياء وأتباعهم بمحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨].

هو الفتاح الذي يحكم بين الخلق، فكلما استغلق أمر، أو اشتد كرب، فتحه جل جلاله بقدرته: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١].

هو سبحانه الفتاح الذي يفتح قلوب المؤمنين، ويملؤها بنور الإيمان والتوحيد والمعرفة، فترى الحق حقًّا، وتعمل به، وترى الباطل باطلًا، وتجتنبه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فسبحان الفتاح الكريم الذي فتح أبواب فضله على جميع خلقه، وفتح على العصاة أبواب مغفرته، وفتح قلوب المؤمنين بمعرفته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ [غافر/ ٦١].

ومفاتيح جميع النعم الظاهرة والباطنة بيده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

هو سبحانه الفتاح الكريم الرحيم الذي بيده مفاتيح كل شيء، فتح أبواب الرزق على جميع خلقه، وفتح على أوليائه أبواب الأنس به، وحلاوة مناجاته، وفتح لهم أبواب رضوانه، وفتح لهم أبواب حبه وحمده، وفتح لهم أبواب جنته: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [فاطر: ٢].

هو سبحانه الفتاح الذي يعين عند الشدائد، وينيل النعم الزوائد، ويكشف الكروب الموجعة، ويفرج الهموم المؤلمة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

هو سبحانه الفتاح الذي يملك جميع المفاتيح الذي يصلح بها أحوال عباده، فالله بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو الفتاح الذي فتح أبواب الإيمان، وأبواب الهداية، وأبواب العلم، وأبواب العمل، وأبواب الحكمة، وأبواب الرزق، وأبواب العافية: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

فلا إله إلا الله! كم من ضال هداه الله! وكم من جاهل علمه الله! وكم من فقير أغناه الله! وكم من مريض شفاه الله! وكم من جائع أطعمه الله! وكم من عريان كساه الله! وكم من عسير يسره! وكم من كرب نفسه!: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس/ ٣].

فسبحانه! ما أعظم شأنه! وما أكرمه! وما أرحمه! وما أعظم عنايته بخلقه!: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾

[إبراهيم: ٣٢ – ٣٤].

والله وحده هو الفتاح الذي يملك خزائن كل شيء، وبيده مفاتيح كل شيء.

وفتح الله على عباده نوعان:

الأول: فتحه بحكمه القدري بما يقدره على عباده من التدبير بحكمته ورحمته من خير وشر، وعطاء ومنع، وبسط وقبض، ونفع وضر: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر/ ٢١].

فهو سبحانه الفتاح العليم الذي يفتح لعباده جميع أبواب الخير والفضل والرزق، ويفتح لهم منافع الدنيا والدين: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر/ ٢].

الثاني: فتحه بحكمه الشرعي بما شرعه على ألسنة رسله من الدين الحق الذي يستقيم به الناس على الصراط المستقيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

هو الفتاح الذي بيده وحده فتح البلاد والعقول والجوارح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح/ ١-٤].

وفتحه الجزائي في الدنيا بين أوليائه وأعدائه، وذلك بنصر رسله وأوليائه، وخذلان أعدائه: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف/ ٨٩].

هو الفتاح الذي بيده وحده مفاتيح النصر والخذلان: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

وتلك سنة ربانية ماضية لا تتبدل في كل زمان ومكان: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

أما فتحه يوم القيامة فحين يوفي كل عامل ما عمله، ثم يثيب المؤمنين والمطيعين بفضله، ويعاقب الكافرين والعاصين بعدله: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ/ ٢٥-٢٦].

فسبحان الفتاح العليم الذي يفتح لمن اختصه بلطفه وعنايته أقفال القلوب، يملؤها من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية، ما تذوق به طعم الإيمان وحلاوته، وتستقيم به على الصراط المستقيم: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

هو سبحانه الفتاح الذي يفتح لأوليائه وأهل طاعته علومًا ربانية، وأنوارًا إيمانية، يميزون بها بين الملك والعبيد، وبين الغني والفقير، وبين القادر والعاجز، وبين الكبير والصغير، وبين الحق والباطل، وبين الدنيا والآخرة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣].

اللهم يا ذا الجلال والإكرام، املأ قلوبنا بنور الإيمان، ونور القرآن: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

فسبحان الله العظيم! ما أرحمه بعباده! لو فتح المطر على الناس أبدًا؛ فمن الذي يحبسه عنهم لئلا يغرقوا؟ كما حصل لقوم نوح: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٠ – ١٤].

ولو حبس الله القطر والنبات؛ لما استطاع الخلق أن يفتحوا ما أغلقه الفتاح سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة/ ٦٣-٧٤].

ولو حبس الله نور الشمس عن الخلق؛ فمن ذا الذي يفتحه؟! ولو حبس الله الهواء الذي نتنفس منه؛ فمن ذا الذي يفتحه ويرسله؟!.

فسبحانه! ما أعظم رأفته ورحمته بعباده: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك، وأبواب فضلك، وأبواب نصرك، وأبواب هدايتك: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف/ ٨٩].

واعلم أن الله جل جلاله هو الملك الحق الذي خلق خلقه، وفطرهم على ما أراد: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠].

وفطر سبحانه السماوات والأرض، وما فيهن، وما عليهن، وما فوقهن، من المخلوقات، على التوحيد: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

فكل أحد من مخلوقاته قانت لربه، مستسلم له، مسبح بحمده، شاهد بوحدانيته، متصاغر لكبريائه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢)﴾ [النور/ ٤١-٤٢].

واعلم أن الخالق جل جلاله سمى دين الإسلام فطرة؛ لأنه أول شيء لقيت الذوات بعد برئها، والأجسام بعد جمع خلقها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [الروم/ ٣٠].

فسبحان الفتاح القدير الذي خلق الأرواح، ثم جمعها بأجسامها الحاملة لها، الظاهر فيها أعمالها، وأحيا الأجسام بذواتها العامرة لها، وفطر الأجسام الظاهرة بالأعمال الصادرة من الأرواح الباطنة فيها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)﴾ [الإسراء/ ٨٥].

واعلم رحمك الله بعد أن تبكي على الجهل بالله وأسمائه وصفاته، وتستغفر من ذلك الجهل بالله وبدينه وشرعه ووعده ووعيده، أن الله أخذ العهد والميثاق على الأنفس يوم فطرها في بدء خلقها أن تسلك بأجسامها سبيل نجاتها، وأن تصرفها عن مظان هلكتها إلى سبيل فطرتها، ولا تفارق ما عليه برأها من التوحيد: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٣)﴾ [الأحزاب/ ٧٢-٧٣].

وجعل سبحانه ذلك أمانة منه ائتمنها عليه، إذ الأجساد هي مراكب القلوب ولباسها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣)﴾ [الأعراف/ ١٧٢-١٧٣].

فهذا عهد الفطرة، والله يأمرنا بذكره لنستقيم عليه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية/ ٢١].

ذكرهم بهذا العهد العظيم الذي أخذه الله عليهم: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة/ ٧].

فلا إله إلا الله! كم ظلمنا أنفسنا!، وكم غفلنا!، وكم خسرنا!، وكم أضعنا!، وكم ضيعنا!: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة/ ٧٨-٧٩].

ربنا سمعنا وأطعنا، فاغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم، لك الحمد كله، ولك الملك كله، ولك الخلق كله، ولك الأمر كله، ومنك الخير كله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وقد ورد اسم الله الفتاح في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله سبحانه في سورة سبأ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ/ ٢٦].

والله سبحانه هو الفتاح الذي يفتح أبواب النعم والأرزاق، وأبواب الخير والرحمة لعباده، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم، ويفتح قلوبهم وبصائرهم ليبصروا الحق ويحبوه، ويعملوا به، ويفتح جوارحهم بكل عمل صالح: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

هو سبحانه الفتاح الذي يحكم بين عباده، الذي يفتح كل منغلق، وينصر كل مؤمن، ويميز الحق من الباطل: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف/ ٨٩].

والصفة المشتقة من اسم الله الفتاح هي الفتح، وهي صفة فعلية لله ﷻ.

وقد اقترن اسم الله العليم باسمه الفتاح في قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ/ ٢٦].

وسر ذلك والله أعلم الدلالة على كمال الفتح، واستقامة الحكم، وأنه قائم على العدل والقسط؛ لأن الله عليم خبير، لا تميل به الأهواء ولا ينحرف به الجهل؛ لكمال عدله، وغناه عن جميع مخلوقاته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].

- **وفتح الله لعباده ضربان:**

أحدهما: فتح يدرك بالبصر؛ كفتح الباب والقفل ونحوهما.

الثاني: فتح يدرك بالبصيرة؛ كفتح المستغلق من العلوم والمسائل.

ويأتي الفتح بمعنى القضاء والحكم في الأمور، ويأتي الفتح بمعنى النصر.

والله سبحانه هو الفتاح الذي يفتح لأوليائه منافع الدنيا والدين، فيفتح أقفال القلوب لتعرف ربها، وتكبره، وتحبه، وتوحده، وتحذره: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات/ ١٧].

وهو سبحانه الفتاح الذي يفتح لمن آمن به واتقاه خزائن جوده وكرمه ونعمه في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

وهو سبحانه خير الفاتحين، العدل الذي لا يجور في حكمه أبدًا: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ [الأعراف/ ٨٩].

وهو سبحانه الفتاح القوي الذي يفتح البلاد والأمصار لأنبيائه ورسله، ولعباده المؤمنين، ويفتح قلوبهم وألسنتهم وجوارحهم بكل قول أو عمل صالح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣﴾ [الصف/ ١٠-١٣].

والله حكيم عليم، كما يفتح أبواب رزقه وكرمه على من يشاء من عباده إكرامًا، كذلك يفتحها استدراجًا وابتلاءً لمن أعرض عن دينه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ

أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام/ ٤٤-٤٥].

هو سبحانه الفتاح الذي له وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

هو سبحانه الفتاح الذي يستنصر به أولياؤه على أعدائهم، فينصرهم، ويهلك أعداءهم: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وقال نوح ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الشعراء/ ١١٧-١٢٢].

وقال شعيب ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف/ ٨٩].

وأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ/ ٢٦].

ففتح الله ﷻ على رسله وأنبيائه وأوليائه أبواب الدعاء وأبواب النصر، وأبواب التوفيق حين استنصروا به، ومكن لهم في الأرض، وخذل أعداءهم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤١].

فسبحان الفتاح العليم القادر الذي بيده مفاتح الغيب، ومقاليد الأمور، ومفاتيح أبواب الخزائن من كل شيء، الفتاح الذي فتح أبواب العلم والهداية، وأبواب التوحيد والإيمان، والأرزاق، على من شاء من عباده: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

هو سبحانه الفتاح الذي فتح القلوب والممالك لأنبيائه وأوليائه، وفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه، الفتاح الذي فتح على النفوس أبواب الهداية والتوفيق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

هو سبحانه الفتاح العليم الذي يفتح على كل أحد بفتح خاص.

فهذا يفتح الفتاح عليه بلسانه، وهذا يفتح عليه بعلمه، وهذا يفتح عليه بفكره، وهذا يفتح عليه بالمال، وهذا يفتح عليه بالذكر، وهذا يفتح عليه بالذكاء، وهذا يفتح عليه بالأخلاق، وهذا يفتح عليه بالتقوى، وهذا بقضاء الحاجات، وهذا بالاختراع، وهذا بالإنفاق، وهذا بأحسن الصفات: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢﴾ [فاطر/ ٢].

فسبحان الفتاح الذي اختص وحده بالفتح والإغلاق، والعطاء والحرمان، والنصر والخذلان، هو الذي فتح أبواب الهداية لمن آمن به، وأغلق أبواب الهداية لمن يعلم أنه لا يزكو بذلك.

فتح أبواب الهداية لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فآمنوا، وأغلق أبواب الهداية عن أبي جهل وأبي لهب، فلم يؤمنوا؛ لأنه هو الحكيم العليم، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣].

هو سبحانه الفتاح الذي يقضي بين عباده بالحق والعدل، وهو الفتاح الذي ينصر رسله وأولياءه على أعدائهم، وهو الفتاح الذي يفتح كل شيء منغلق، ماديًّا كان أو معنويًّا، يفتح أبواب الرحمة، ويفتح الأبواب المغلقة، ويفتح أبواب الرزق والخير والحكمة.

فهذه ثلاث معانٍ لاسم الله الفتاح جل جلاله.

واعلم أن الرزق له أبواب كثيرة تفتح للمؤمن والكافر، وللبر والفاجر، وللمطيع والعاصي، لأن مفاتيح كل شيء بيد الله ﷻ، وتفتح فتحًا خاصًّا للمؤمن.

- **ومن هذه الأبواب:**

الأول: باب الإيمان والتقوى، وهذا خاص بالمؤمنين: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

الثاني: باب البيع والشراء، وهذا باب مفتوح للمؤمن والكافر.

الثالث: باب الهدايا والوصايا، والمواريث والعطايا، والزكوات والصدقات، وغيرها.

فسبحان الفتاح العليم الذي يعلم متى يفتح؟ ولمن يفتح؟ وكم يفتح؟ وبأي شيء يفتح؟: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وأعظم الفتوح أن يفتح الفتاح عليك بالعلم والعمل والإيمان والتقوى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

هو سبحانه الفتاح الذي يفتح أبواب الرحمة بفضله وإحسانه، ويفتح أبواب العذاب بعدله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥].

فسبحان الملك القادر الذي بيده وحده مفاتيح كل شيء: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

واعلم أن الأمة كلما استقامت على أوامر الله؛ فإن الله سيفتح لها من بركات السماء والأرض، ويفتح لهم أبواب العمل الصالح، والأجور العظيمة، والنصر المبين.

وكلما انحرفت عن منهج الله؛ فإن الله سيفتح عليهم أبواب الشدة والضنك والعذاب والتعب، حتى يعودوا إلى ربهم بالتوبة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

ويوم القيامة يوم عظيم، وقد سماه الله يوم الفتح؛ لأن الله يحكم بالعدل بين عباده، فيجازي المحسن بإحسانه، ويجازي المسيء بإساءته، فلا ظلم ولا جور؛ لأن الله قد حكم بين العباد: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [السجدة/ ٢٩-٣٠].

وحين توفي النبي ﷺ فُتِن الناس، ففتح الله على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقام فخطب الناس، وقال: "أيها الناس، من كان يعبد محمدًا؛ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله؛ فإن الله حي لا يموت" ثم تلا قوله سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٤-١٤٥].

فاطمأن الناس وسكنوا.

- **وفتح الله نوعان:**

الأول: فتح إنعام وإكرام لعموم الخلق، كما قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

فالذي يفتح بالمال والرزق والعلم والخير هو الله وحده لا شريك له.

الثاني: فتح عقوبة واستدراج لمن كفر به وعصاه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤ – ٤٥].

فسبحان الفتاح العليم الذي فتح فتحًا مبينًا لرسوله ﷺ في الحديبية، حيث آمن به في تلك الفترة أضعاف من آمن به من قبل، ثم فتح له مكة، حيث دخلها فاتحًا بعشرة آلاف مقاتل، ثم فتح له قبل الفتح وبعد الفتح في غزواته وجهاده، ثم فتح له في رسائله إلى ملوك الأرض؛ لأن الله بعثه رحمة للعالمين: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ

مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح/ ١-٣].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨].

هو سبحانه فاطر السماوات والأرض: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾﴾ [فاطر/ ١].

وهو سبحانه فالق الإصباح: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام/ ٩٦].

وهو سبحانه فالق الحب والنوى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام/ ٩٥].

واعلم رحمك الله أن الحكيم العليم سبحانه أرانا في هذه الدار الدنيا من الخير والشر، والمحبوب والمكروه ما يذكرنا بالدار الآخرة يوم القيامة، فأرانا الفتاح العليم في هذه الدار النار الحاضرة، وجعلها آية على النار الغائبة، وعلى قدر تمكن نار الدنيا من الحطب يكون سعيرها وشدة لهيبها حتى يعظم شأنها: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣].

فسبحان من جعلها تذكرةً وآية على نار جهنم التي لا أعظم من سعيرها وإحراقها وظلمتها، ووقودها ما تحرقه من الناس والحجارة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦].

وأرانا الله سبحانه في هذه الدار آية على الجنة، بفلقه الحب والنوى، وبإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي، وجعل جنات ما هاهنا آيةً على جنات ما هنالك في الآخرة: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ

زَوْجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج/ ٧].

وأرانا الله سبحانه في خلقه الحيوان في الأرحام آيات وعبر، من كون ذلك مخزونًا في غيبه، ومكنونًا في سنته، ثم أظهره الله ماشيًا، وطائرًا، وزاحفًا، وسابحًا: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: ٤٥].

وقال ﷻ: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١١].

ألا ترى رحمك الله أن الحياة غيب في الماء، والماء غيب في خزائن الله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

والخزائن كلها غيب في علم الله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

وكذلك كل ما في الدنيا إشارة مؤقتة لما في الآخرة من النعيم والعذاب، والآخرة غيب في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ليحاسبهم: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء/ ٨٨-٩١].

فيأذن الملك الجبار جل جلاله للجنة، فتسعى من موضع حقيقتها من تحت العرش إلى السماوات، فتكون السماوات كلها جنانًا وأنهارًا: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**». أخرجه البخاري[1].

وتسعى نار جهنم في الأراضين السبع والبحار، فيصير كل شيء أتت عليه نارًا، ويؤتى بجهنم إلى المحشر تقاد بعدد عظيم من الملائكة يحرسونها، وتبرز للناس كلهم فيرونها

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

كلهم: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر/ ٥-٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**». أخرجه مسلم(١).

فسبحان ربنا العظيم الفتاح العليم، والحمد لله فالق الإصباح، وفالق الحب والنوى، الذي فطر كل ذرة في ملكه على توحيده، فالكل يسبح بحمده، والكل يشهد بتوحيده: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

الله عز وجل له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبيده مقاليد الأمور، ومفاتيح خزائن السماوات والأرض كلها بيد الفتاح العليم وحده لا شريك له: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

فاسأل ربك الفتاح الذي بيد ه مقاليد الأمور أن يفتح لك أبواب رحمته، وخزائن رزقه، وأبواب كرمه، وموائد بره، وجزيل نعمه، وتقرب إليه بتقواه، وأحسن عبادته، تنال كريم فضله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٨﴾ [الحديد/ ٢٨].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

التعبد لله ﷻ باسمه الفتاح.. الفاتح

إذا علمت أن الله وحده هو الفتاح الذي يفتح بركات السماوات والأرض، وبيده ملكوت كل شيء، فاسأله أن يفتح لك أبواب الهداية، وأبواب العلم، وأبواب التقوى، فإنه كريم لا يرد سائلًا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

واسأل من يملك مفاتيح القلوب أن يشرح صدرك للإسلام، ويملأ قلبك بنور الإيمان؛ لتعرف ربك، وتعبده بما يحبه ويرضاه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر/ ٢٢].

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

واعلم أن هذا الفتح وهذا الشرح كله فضل من الله، وليس له حد، وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ حسب معرفته بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ودينه، ووعده، ووعيده، فالأنبياء في الذروة العليا منه، ثم الأولياء والصادقون، ثم العلماء الربانيون، ثم عوام المؤمنين، ولم يخيب الله منه سوى الكافرين: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

واعلم أن رسل الله وأولياءه يتوجهون إلى ربهم ليفتح بينهم وبين مخالفيهم بالنصر والهداية، فيقولون: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف/ ٨٩].

فتوجه إلى ربك الفتاح في كل صغيرة وكبيرة، وسله أن يفتح لك ما يحبه ويرضاه من حكمه القدري والشرعي: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥)﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

ويوم القيامة يوم الفتح والحكم بين العباد، وفتح صحائف الأعمال، سيتبين من يستحق الثواب، ومن يستحق العقاب: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠)﴾ [السجدة/ ٢٨-٣٠].

والله جل جلاله هو الرب المستحق للعبادة وحده لا شريك له، الذي فطر قلوب العباد على التوحيد والإيمان، ووضع في عقولهم حسن الدين، واستقباح غيره: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [الروم/ ٣٠].

وإذا كنت قد أقررت لربك بالتوحيد والطاعة، وأشهدته على نفسك، فأد الأمانة، وأوف بالعهد؛ فسوف تسأل عن كل ما عملت: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)﴾ [النساء/ ٥٨].

وصدق رحمك الله بالفعل ما أقررت به من قول، وما أعطيته من عهد وميثاق، بالاستقامة على الحق، والدعوة إليه، وتعليمه، والصبر على الأذى فيه، فإنك مسئول ومحاسب: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)﴾ [الإسراء/ ٣٤].

وسبح بحمد ربك العظيم، وكبر ربك الكبير الذي خلق المخلوقات كلها، ثم ردهم في غيبه إلى ما سبق في علمه جل جلاله، فأقرها في خزائن الغيب، ثم يبرأ براياه من مستودع غيبه إلى مستقرها في الهواء، والسحب، والبحار، والجماد، والنبات، والحيوان، والسماء، والأرض، والأرحام: ﴿۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩)﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فهذه مستودعات الخزائن في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ [المنافقون/ ٧].

ومنذ خلق سبحانه الأصلاب والأرحام لم يزل ينقل البرايا من خزائن السماوات والأرض إلى الأصلاب والأرحام على مر القرون والدهور: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨﴾ [الأنعام/ ٩٨].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله جل جلاله براك فيمن برأ، ثم غيبك في غيبه، وخزنك في خزائنه، وقلبك في غيابات ملكه، ثم أخرجك بقدرته، حتى بلغك سن البلوغ، ثم أكرمك بالدين القيم ليختبرك؛ فيرى صدقك من كذبك، وطاعتك من معصيتك، ثم يجزيك يوم القيامة بما قدمت يداك: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

وانظر رحمك الله إلى ما أنت فيه، وقدم من العمل الصالح الذي تسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

ثم بعد ذلك يكون الجزاء: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة/ ٦-١١].

واحرص على فعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة.

وإياك أن تصحب الأيام بشهوات نفسك، وتقطع عمرك في قضاء أوطارك، فتندم وتخسر: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝٦٠ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۝٦١﴾ [مريم/ ٥٩-٦١].

وانتبه لنفسك قبل حلول الأجل، واذكر العظيم الذي خلقك، والكريم الذي أطعمك، والشهيد الذي يراقبك، والسميع الذي يسمعك، والبصير الذي يراك، وأطعه تسعد في

دنياك وأخراك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٨ – ١٩].

وإذا لم تتذكر بعد هذا البيان والبرهان فمتى تتذكر؟! ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧].

وإذا فتح الله لك أبواب فضله، ورحمته، ورزقه، وهدايته، فافتح على الخلق مما أعطاك الكريم من أبواب الخير والعلم والرزق؛ يزدها الله لك، ويرضى عنك، ويرفع بها درجاتك، ويكفر بها من سيئاتك: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

ابسط لسانك بالذكر والحمد والاستغفار، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح للمسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وابسط يدك بالمال، لا تقتر على نفسك وأهلك والفقراء والمساكين والمحتاجين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [البقرة/ ٢٦٧].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة/ ٢٦١].

وافتح أوقاتك للناس؛ بالدعوة تارة، وبالتعليم تارة، وبالعطاء تارة، وبالعون تارة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

واعلم أن من قام بهذه الأعمال أسعده الله في الدنيا، ورافق الأنبياء في الجنة في الآخرة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرٗا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطٗا مُّسْتَقِيمٗا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء/ ٦٦-٧٠].

واعلم أن حياة الأرض بالماء، وحياة القلوب بالإيمان والعلم النافع، ونفع العلم بطاعة الله، ولزوم تقواه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

واعلم هداك الله لما يرضيه أن العبد إذا عرف أن ربه هو الفتاح العليم، الفاتح للمغاليق؛ تعلق قلبه بربه الفتاح، وتوكل عليه، ولجأ إليه؛ لعلمه أن بيده مقاليد الأمور، ومفاتيح خزائن كل شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون مفتاحًا لكل خير، مغلاقًا لكل شر، وطوبى لعبد خلقه الله مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحًا للشر، مغلاقًا للخير.

ومن عرف الله باسمه الفتاح تضرع إليه وحده، وسأله أن يفتح عليه أبواب العلوم النافعة، وأبواب الإيمان، وأبواب الهداية، وأبواب الرزق، وأبواب الرحمة: ﴿قُلْ إِنَّ

ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

وإذا علم العبد أن الله وحده هو الفتاح الذي بيده كل مفتاح، الفتاح الذي لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه؛ عظم ربه وكبره، وحمده وشكره، ودعاه وسأله من خيري الدنيا والآخرة؛ لما يراه من عظيم نعمه وإحسانه إلى خلقه بنعمة الخلق والإيجاد، ونعمة الأرزاق والأقوات، ونعمة الهداية والإسعاد، ونعمة العلم والهدى والرحمة، وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

ومن علم أن ربه هو الفتاح آمن به، وسلم لأمره؛ لعلمه بأن الله هو الحق، وأن أحكامه كلها حق وخير: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء/ ٦٥].

فكن مفتاحًا لكل خير، تفتح بلسانك مغاليق المشكلات الدينية، وتفتح بمالك ويدك ما تعسر على الخلق من الأمور الدنيوية، وتفتح بخلقك وإحسانك ما انغلق من الأمور البشرية: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

واعلم أن الفتاح العليم يريد منك أن تسأله وتدعوه، ولا تمل ولو تأخرت الإجابة عليك؛ لأنك لا تعلم متى سيأتي الفتح من الفتاح، فقد يؤخر الفتاح الفتح ليختبر ثقتك به، وصدق توكلك عليه، وقد يؤخر الفتح لتقف ببابه طويلًا، وتتضرع بين يديه؛ لأنه يحب أن يسمع صوتك عندما تناجيه، فلا تسأم من الوقوف على بابه، فإنه كريم لا يرد

سائلًا، ولا يخيب مؤملًا، فانتظر الفرج: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم أن الفتاح يأتي بالفتح من حيث لا تدري، وقد تظنه إغلاقًا وهو قمة الفتح، فيوسف ﷺ ابتُلي بالسجن بضع سنين، فقام بالدعوة إلى الله في السجن، وهذا السجن قمة الفتح؛ لأنه خرج بعده من السجن إلى القصر، ومن العبودية إلى الملك، وصار على خزائن الأرض.

وذهب النبي ﷺ لمكة لأداء العمرة، فصدوه، وعقد مع كفار قريش صلح الحديبية، ثم رجع إلى المدينة ليعتمر من قابل، فأسلم في تلك المدة أضعاف من أسلم قبل صلح الحديبية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح/ ١-٤].

واعلم رحمك الله أن الفتاح العليم ما أغلق عنك بابًا إلا سيفتح لك أبوابًا من الخير أفضل منه، فإنه العزيز الرحيم الذي ما منع إلا ليعطي، وما ابتلى إلا ليعافي، وما قبض إلا ليبسط، فأحسن الظن بربك العزيز الوهاب، وانتظر اليسر بعد العسر، والفرج بعد الكرب، والغنى بعد الفقر: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾ [الشرح/ ٥-٨].

واعلم أن الفتاح العليم يفتح لك وعليك بأهون الأشياء؛ بكلمة صادقة، وبدمعة صادقة، وبآية مؤثرة، فقد تقرأ آية من كتاب الله أو تسمعها من غيرك، فتتغير مجرى حياتك إلى ما هو خير، ويتغير فكرك، ويتغير عملك، وتتغير أخلاقك: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

واعلم أن ربك الفتاح إذا فتح فتح فتحًا مبينًا، لا فتحًا عاديًّا، فهاجر كانت تسعى بين الصفا والمروة، وتتمنى أن تجد ماءً تشرب منه هي وولدها إسماعيل، فجاء الفتح بماء

زمزم إلى يوم القيامة لكل الناس، وصارت خطواتها بين الصفا والمروة نسكًا يتعبد به المسلمون إلى يوم القيامة.

والنبي ﷺ بعد أن كان يدعو إلى الله في مكة مختفيًا، ودخل الغار مختفيًا، وهاجر مختفيًا، فتح الله له قلوب الناس، وفتح له مكة، فدخلها في عام الفتح بعشرة آلاف مقاتل، وصار أهل الجزيرة العربية بعد فتح مكة إما مؤمن به، أو مسالم له، أو خائف منه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر/ ١-٣].

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح/ ١-٣].

وشهر رمضان شهر الفتوح، فيه تفتح أبواب السماء، وتفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وكل هذه الفتوح من الفتاح الذي بيده مفاتيح أبواب التوحيد والإيمان، ومفاتيح أبواب الهداية، والأرزاق، والإحسان، والطاعات: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن من أعظم أبواب الفتوح أن يفتح الله عليك بكثرة ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يعينك على ذلك، وأن يفتح لك أبواب معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فيفتح لك أبواب التوحيد والإيمان، وأبواب الهداية والتوفيق، ويفتح لك أبواب طاعته، وفعل ما يحبه ويرضاه، ويغلق عنك أبواب المعاصي، وكل ما يسخط الله.

وأن يفتح لك أبواب التوبة، وأبواب الاستغفار، وأبواب الحمد والشكر لله ﷻ، ويفتح لك أبواب العلم بدينه، والعمل به وتعليمه، وأن يفتح لك أبواب الأخلاق، وأبواب الصبر، وأبواب الحلم، وأبواب الحكمة، وأبواب الصدق، وأبواب الإحسان: ﴿قُلْ إِنَّ

﴿ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

فكن رحمك الله مفتاح خير لجميع الناس، افتح أبواب الرجاء للعصاة، وافتح لسانك بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح للمسلمين، وذكر الله وحمده وشكره، وافتح يدك بالإحسان إلى غيرك وإن أساء إليك، فصل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٣ – ٣٥].

واعلم أن الله ﷻ هو الفتاح العليم، فإذا انغلقت الأبواب في وجهك، وسُدَّت الطرق أمامك، وضاقت عليك الدنيا؛ فاعلم أن لك ربًّا اسمه الفتاح، فادعه بيقين، وسيفتح لك الفتاح الذي أغلق عنك ما تحب؛ لأنه يرغب إليك أن تدعوه وتسأله وحده لا شريك له: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

واعلم أنه ما دعاك إلى سؤاله إلا ليستجيب لك: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

واعلم أن الله أجاب جميع الأنبياء حين سألوه، وأعظم ما سألوه الهداية، والعون على الطاعة، فما دعاك إلا ليجيبك، فادع الله وأنت موقن بإجابته: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٧٧﴾ [الأنبياء/ ٧٦-٧٧].

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ

نُـجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾
[الأنبياء/ ٨٧-٩٠].

واعلم أن جميع الأعمال الصالحة مفاتيح لكل خير وأجر وثواب من ربك ﷻ.

واعلم أن إسباغ الوضوء يفتح الله به للعبد أبواب الجنة الثمانية كلها.

عن عمر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**» أخرجه مسلم(١).

وهو سبحانه الفتاح الذي يفتح بالنصر على من شاء من عباده.

قال النبي ﷺ: في خيبر: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، أو يُحِبه اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**» متفق عليه(٢).

فأعطاها لعلي ﵁، ففتح عليه.

واعلم أن من مقتضى توحيد الله بأسمائه وصفاته، وتوحيد الله ﷻ باسمه الفتاح: أن تعلم أن الفتاح بيده مفاتيح كل شيء، وأن تتيقن على هذا قبل أن تدعوه وتسأله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فيا من أعياه الفقر، اسأل الفتاح الذي بيده وحده مفاتيح الغنى.

ويا من آلمه الوجع، اسأل الفتاح الذي بيده وحده مفاتيح الشفاء.

ويا من اشتد كربه، وضاقت عليه الأمور، اسأل الفتاح الذي بيده مفاتيح الفرج والخير والإحسان.

وإن كنت جاهلًا فاسأل الفتاح العليم الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٠٧).

وإن كنت خائفًا فاسأل الفتاح الذي بيده مفاتيح الأمن أن يؤمنك: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

الله وحده هو الفتاح، وهو المستعان إذا تحطمت الآمال، وصاح العيال، واسود الظلام، وكثرت الديون، وقل النصير، وضاقت الأمور، فسأل الحي القيوم الذي بيده مفاتيح الفرج: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، إهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم آت نفوسنا تقوها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم يسر أمورنا، وأشرح صدورنا، واختم بالصالحات أعمالنا.

اللهم يا حي يا قيوم، يا فتاح يا عليم، افتح لقلوبنا أبواب التوحيد والإيمان، وأفتح لألسنتنا أبواب الذكر والدعاء والدعوة، وأفتح لجوارحنا أبواب الأعمال الصالحة، يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الوهاب

اسم الله الوهاب

الله جل جلاله هو الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨].

هو الغني الحق الذي له خزائن السماوات والأرض، وله غيب السماوات والأرض.

هو الوهاب الحق الذي يهب لخلقه من خزائنه ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من العطايا، والأرزاق، والأقوال، والأعمال، والأخلاق، والأموال، والأولاد، والصور، والألوان والثمار: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو الملك الذي وهب كل مُلك، وهو الرزاق الذي وهب كل رزق، وهو الكريم الذي وهب كل كرم، وهو الرحمن الذي وهب كل رحمة، وهو الهادي الذي وهب كل هداية، وهو القوي الذي وهب كل قوة، وهو العليم الذي وهب كل علم، وهو الجميل الذي وهب كل جمال: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

هو الوهاب الذي وهب لعباده ما يسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

هو الوهاب الحق الذي يهب ما يشاء، لمن يشاء، كيف شاء، بأي قدر شاء: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى/ ٤٩-٥٠].

هو سبحانه الوهاب الحق الكثير الهبات، العظيم الهبات والمنن والعطايا، الوهاب الذي يهب لعباده من فضله العظيم، ويوالي عليهم النعم، ويجزل لهم العطايا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣].

فسبحان الملك العزيز الوهاب الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وبيده مقاليد الأمور كلها، يعطي من يشاء ما يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هو سبحانه الكريم الوهاب لعباده كل ما ينفعهم؛ لكمال كرمه ورحمته، وهبة النعم والخيرات أحب إليه من منعها: ﴿سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

ولهذا مدح عباده الذين يسألونه ما ينفعهم، وأجزل لهم الأجر، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان/ ٧٤-٧٦].

وهبات الله وعطاياه لعباده كثيرةٌ عظيمةٌ متنوعة، متوالية في كل زمان ومكان على مر القرون والأزمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

فسبحان الغني العزيز الوهاب، ما أعظم شأنه! وما أوسع خزائنه! وما أجزل عطاياه! وما أكثر هباته!: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

هو الوهاب الذي لا تنقص خزائنه مع جزيل عطاياه ومواهبه، على مدى القرون والدهور والأزمان: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

هو الغني الذي لا تنقص خزائنه أبدًا، ولو نقصت مثقال ذرة لكان محتاجًا إلى تلك الذرة، والله غني لا يحتاج، والناس كلهم فقراء إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

والله سبحانه وتعالى هو الغني بذاته، وغناه لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة.

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ**

أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم(1).

والله جل جلاله هو الملك الكريم الوهاب، مالك الملك والملكوت، مالك عالم الغيب وعالم الشهادة، مالك الدنيا والآخرة، هو الوهاب الذي بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي على جميع العباد، يده بالعطاء ملأى، سحاء الليل والنهار، وخيره على الخلائق في جميع الأوقات مدرار: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة/ ٦٤].

فسبحان العلي الأعلى الذي استوى على عرشه العظيم برحمته، ويرى كل ذرةٍ في ملكه الواسع الكبير، وتصل هباته وعطاياه إلى جميع خلقه، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/٢٩].

في كل آن يفرج كربًا، ويزيل غمًّا، ويفك أسيرًا، ويغني فقيرًا، ويرحم مسكينًا، ويجبر كسيرًا، ويغيث ملهوفًا، ويجيب كل مضطر، ويعطي كل سائل، ويغفر لكل مستغفر، ويستجيب لكل داع، ويتوب على كل تائب، وينعم على من سأله ومن لم يسأله، ويعطي من ألطافه ما شاء، ويعطي من أطاعه ومن عصاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

هو الملك الوهاب الذي كل شيء ملكه، وكل شيء خلقه، وكل شي من هباته :

---

(1) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو الملك الوهاب الذي يهب النبوة والملك والخلافة لمن شاء من خلقه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**يَدُ اللهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**» متفقٌ عليه(١).

وقد ورد اسم الله الوهاب في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ منها قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِي ٱلْأَسْبَٰبِ ١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٞ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ١١﴾ [ص/ ٩-١١].

والله عز وجل هو الوهاب الذي يتكرم بالعطاء بلا عوض، ويعطي الحوائج بغير طلب، كثير الهبات والعطايا على مر الدهور والأزمان: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾ [آل عمران/ ٧٣].

والصفة المشتقة من اسم الله الوهاب هي الوهب، وهي من صفات الأفعال، كما قال سبحانه: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠﴾ [الشورى/ ٤٩-٥٠].

والهبة هي تمليك الشيء بلا قيمة ولا ثمن ولا مثل.

والله سبحانه هو الوهاب، واسع الهبات، كثير الهبات، عظيم الهبات، عمت هباته كل من في السماوات والأرض في كل مكان وزمان: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤١١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٩٣).

خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ -١٠٣].

وهو سبحانه الوهاب كثير الهبات، وهباته تدر منه سبحانه على عباده في دنياهم وأخراهم دون انقطاع ولا نفاد: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

وأعظم هبات الوهاب ما خص الله به رسله وأنبياءه وأولياءه من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والعمل بموجب ذلك، كما قال سبحانه عن خليله إبراهيم ﷺ حينما لم يستجب له قومه: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم/ ٤٩-٥٠].

ومن أعظم أسباب الحصول على هبات الوهاب سبحانه دعاؤه وسؤاله، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء/ ٨٣].

وقال سليمان ﷺ: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص/ ٣٥].

وقال سبحانه عن سؤال الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

وقد اقترن اسم الله العزيز بالوهاب، وسر ذلك والله أعلم أن هبات الوهاب سبحانه عظيمة، كبيرة، صادرة منه لعباده عن كمال العزة والغنى؛ فهو يهب لهم العطايا كلها، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ لأنه عزيز كريم، يعطي عن كمال الغنى والكرم، لا لجلب منفعة، ولا لدفع مضرة، ولا لعوض ولا غرض: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس/ ٦٨].

فسبحان من لا تنقطع هباته وعطاياه عن أحد، حتى عن أشد أعدائه ومن كفر به وأشرك به وسبه؛ لأن الهبات والعطايا لا تأتي إلا من عند واحد؛ هو الله ﷻ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو سبحانه الملك الوهاب الذي هباته وعطاياه لا تنفك عن عباده طرفة عين، وينفق

الوهاب كل حين، ولا ينقص مما عنده شيء من الخيرات والبركات والمكنونات.
فسبحان العزيز الوهاب الذي يهب العطاء في الدنيا على سبيل الابتلاء، ويهب العطاء في الآخرة على سبيل الثواب والجزاء والإكرام: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].
هو سبحانه الوهاب الذي خص أولياءه بأنواع الهبات والكرامات في الدنيا والآخرة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].
هو سبحانه الوهاب الذي كل نعمة منه وحده، يدر على عباده العطاء، ويوالي عليهم النعم: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى/ ١٢].
يبسط الرزق لمن يشاء حتى لا تبقى فاقة، ويقبض الرزق عمن يشاء حتى لا تبقى طاقة، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].
هو سبحانه الوهاب وحده لا شريك له، الوهاب الذي كثرت هباته، واتسعت عطاياه، أما الإنسان فيهب لغيره مما وهبه الله في حال دون حال، فقد يهب المخلوق مالًا أو عطاءً، لكنه لا يستطيع أن يهب ولدًا لعقيم، ولا شفاءً لسقيم، ولا صبرًا لمريض أو مبتلى، ولا يستطيع أن يهب هدًى لضال؛ فالله وهاب وواهب.
والعبد واهب لا وهاب، فسبحان الوهاب الذي يعطي من غير عوض، كثير المنن والعطاء والإفضال، الذي يعطي من غير سؤال، ولا يقطع هباته عن العبد بحال، الذي يعطي بلا وسيلة، وينعم بلا حيلة، وهباته كلها جميلة.
فالحمد لله الذي وهبنا الإيمان والعافية في الأبدان، والأمن في الأوطان، ووهبنا الأموال والأولاد، وأتانا الحكمة والقرآن، وحبب إلينا الإيمان والإحسان: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].
والفرق بين وهب وأعطى أن العطاء يكون بعد سؤال، فيُقال: سأله فأعطاه، أما وهب فتأتي بلا سؤال، فالله يعطي من ملكه لغيره بلا سؤال، فالله وهبك السمع والبصر

والعقل بلا سؤال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

فالله وهاب كريم يعطي المؤمن والكافر، والبر والفاجر، يعطي بلا سؤال، فكيف لو سُئل؟! فإبراهيم ﷺ سأل ربه الولد فأعطاه إسماعيل؛ لأنه سأله، ووهب له إسحاق؛ لأنه لم يطلبه، فزاده سبحانه إسحاق من غير سؤال.

واعلم أن الله الوهاب لا ينظر إلى ماذا أعطاك، ولكن ينظر إلى ماذا ستصنع بما أعطاك: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/ ١٧٢].

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

والفرق بين الوهاب والواهب من وجوه:

الأول: أن الوهاب سبحانه يعطي من يستحق ومن لا يستحق: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦].

بينما الواهب من الخلق لا يعطي إلا من يستحق الهبة.

الثاني: أن الوهاب سبحانه يهب كل شيء، بينما الواهب المخلوق قد يعطي المال، لكنه لا يستطيع أن يهب شفاءً لسقيم، أو ولدًا لعقيم، أو هدايةً لضال.

الثالث: أن الوهاب سبحانه لا تنقطع هباته، حتى عمن أغضبه وكفر به، أما الواهب من الخلق فتنقطع هباته عمن عصاه وجفاه.

الرابع: أن الوهاب سبحانه يهب جميع مخلوقاته ما يحتاجون في وقت واحد، بينما الواهب من الخلق يهب لبعض الخلق بعض ما يحتاجون في أوقات مختلفة، ثم بعد الموت تنقطع هباته.

الخامس: أن الوهاب سبحانه يهبك ولا ينتظر العوض، بينما الواهب من الخلق ينتظر العوض؛ إما مدحًا في الدنيا، أو أجرًا في الآخرة.

فسبحان الملك العزيز الوهاب الذي وهب خلقه ما ينتفعون به، ويهبونه لغيرهم: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء/ ١٨-٢١].

فسبحان الملك العزيز الوهاب، عظيم الهبات، كثير الهبات، دائم الهبات المادية والروحية: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

واعلم رحمك الله أن هبات الوهاب في الدنيا مؤقتة، وهبات الوهاب في الآخرة مؤبدة، وعطاءات الوهاب في الدنيا كلها ابتلاء، وعطاؤه في الآخرة جزاء، وعطاؤه في الدنيا من علم أو عافية أو مال أو غيرها يكون بحسب استعمالها في الخير والشر، فقد تكون نعمة أو نقمة، أما عطاء الله في الآخرة لأوليائه فكله نعمة للمؤمن: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

واعلم فقهك الله في الدين أن كل ما في الدنيا من أشياء؛ من مطعوم ومشروب، وملبوس ومركوب، وغيرها من النعم كلها من عطاءات الوهاب وحده، وما ندفعه من الأثمان لأخذها مقابل الخدمة والنقل، أما هي فقد وصلتك من الوهاب عن طريق الشراء: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

والله سبحانه هو الوهاب الذي وهب المؤمن الجنة برحمته، وما يعمله من الصالحات في الدنيا ثمن المفتاح لا ثمن الجنة.

قال رسول الله ﷺ : «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قَالُوا: **وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ** قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**» متفق عليه(١).

واعلم أن الأرزاق تأتيك من الرزاق بالأسباب والكسب، أما الهبات فتأتيك من الوهاب بدون سبب، كما وهب الله يحيى لزكريا، ووهب إبراهيم إسماعيل وإسحاق مع كبر سنه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

واعلم رحمك الله أن الوهاب يهبك ما يسرك، إما لأنه يحبك، وإما لأنك ابتعدت عنه، فيهبك ليذكرك به وبنعمه؛ لتعود إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

فسبحان الملك العزيز الوهاب الذي يملك جميع الخزائن، وينفق كما شاء بأي قدر شاء، ولا تنقص خزائنه ولا تفنى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

أما الخلق فيملكون أن يهبوا مالًا أو نوالًا في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم أو ولدًا لعقيم، ولا هدًى لضال، ولا أمنًا لخائف، ولكن الله يملك ذلك كله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٦٨﴾﴾ [يونس/ ٦٨].

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

واعلم أن كل ما وصل إلى العباد من الخير والنعم فهو من ربنا العزيز الوهاب، وكل ما وهب الله العباد فهو عطية ومنحة منه سبحانه، وله سلبها وإبقاؤها متى شاء

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦)، واللفظ له.

بحكمته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠].

هو سبحانه الوهاب الذي كل شيء من هباته وعطاياه وإكرامه وإحسانه.

هو سبحانه الوهاب الذي يهب خلقه أصناف النعم على مر القرون، وهب الإنسان نعمة الوجود، ونعمة الإمداد، ونعمة الصحة، ونعمة العقل، ونعمة السمع، ونعمة البصر، ونعمة الهداية: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: ٢٣].

واعلم يا عبد الوهاب أن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ولا أحد أعظم إحسانًا إلى الخلق من الله، بل كل إحسان إلى الخلق فهو منسوب إلى الله، وكل إحسان يثمر المحبة، ولا إيمان لمن لا محبة له لربه، وعلامة المحبة اتباع المحبوب وطاعته: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران/ ٣١].

هو سبحانه الملك العزيز الوهاب، الذي يعطي بلا وسيلة، وينعم بلا سبب ولا حيلة، جزيل العطاء والنوال، كثير المنن والإفضال، دائم المعروف والإحسان: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فسبحان الوهاب الذي وهب كل واهب، وألهم كل واهب أن يهب مما أعطاه، وأذن له بذلك، وأعانه على ذلك، وضاعف له أجر ذلك: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

هو الملك الغني القادر الذي خلق كل شيء، المالك لكل شيء، الوهاب الذي يهب عباده كل شيء: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وأعظم ما وهب الله عباده هو دينه الحق، ورحمته للخلق: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران/ ٨].

- **وهبات الرب جل جلاله لخلقه لها ثلاث حالات:**

فهي إما إكرام .. أو عقوبة .. أو ابتلاء.

فالإكرام: على حسن الطاعة لله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص/ ٣٠].

والعقوبة: على الكفر والمعاصي ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنعام/ ٤٤-٤٥].

والابتلاء: ليتبين من يقدم أوامر الله على شهوات النفس، ومن لا يلهيه المخلوق عن الخالق: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الأنبياء/ ٣٥].

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[العنكبوت/ ٢-٣].

فسبحان الحكيم العليم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، الوهاب الذي خيره وفضله يرتع فيه كل مخلوق؛ الإنسان والحيوان، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، لا نحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾[القصص/ ٧٠].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

التعبد لله ﷻ باسمه الوهاب

اعلم زادك الله علمًا وفقهًا أن الوهاب الحق هو الذي وهب جميع الهبات المتنوعة في كل زمان ومكان، في الدنيا وفي الآخرة، في العالم العلوي والعالم السفلي، وذلك كله من فضله وإحسانه إلى عباده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى/ ١١-١٢].

فاعرف مولاك الكريم، ثم اذكره، ثم اشكره، واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

ثم اعلم أن الوهاب جل جلاله أظهر في هذه الدنيا من هباته وعطاياه ما نراه وما لا نراه، وما نعلمه وما لا نعلمه، ونسبة ما نعلمه وما نراه إلى ما لا نعلمه وما لا نراه كنسبة القطرة إلى البحر والذرة إلى الجبل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون/ ٧].

ويوم القيامة يظهر الملك الوهاب من كرمه وعطاياه ما لم يخطر على العقول، وما لم تره العيون، وما لم تسمعه الآذان: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧]**» متفق عليه(١).

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٤)، واللفظ له.

فاجتهد رحمك الله في طاعة مولاك الملك العزيز الوهاب، وبادر إلى الأعمال الصالحة التي يزيدك بها الوهاب خيرًا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

واعلم أن ما وهب الله لك في الدنيا من العافية والعقل والرزق جعله عونًا لك على طاعته، فلا تستخدمه في غير ما يرضيه، ولا تستعن به على معاصيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء/ ٣٦].

وما ادخر لك الكريم في الآخرة من الخير والنعيم خير لك من جميع ما في الدنيا من ألوان النعيم؛ ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٣٦﴾ [الشورى/ ٣٦].

فلا تبع رحمك الله غائبًا بشاهد، ولا تبع آخرتك بدنياك، ولا تشغلك دنياه عن تحصيل رضاه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

وخذ من الأعمال الصالحة ما تسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ [القصص/ ٧٧].

فهب رحمك الله ما أعطاك من العافية في طاعة مولاك، والقنوت له، والسجود له: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزمر/ ٩].

وهب ما أعطاك الوهاب من الخُلق الحسن في القول الحسن، ودوام الذكر والشكر لله، وتأليف قلوب الناس على دينه، وهب ما أعطاك من المال في مواساة المحتاجين، وإكرام الناس والأشراف، وهب ما أعطاك من نعمة العلم في تعليم الخلق أحكام ربهم: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ

﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وسل ربك الوهاب كل ما تحتاجه مما يعينك على عبادته وطاعته، كما سأله سليمان ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾﴾ [ص/ ٣٥-٤٠].

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الأولاد، وأكرمك بصلاحهم؛ فاحمد الوهاب على إحسانه، كما حمده خليله إبراهيم ﷺ فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٩-٤٠].

واشكر الله على ما وهبه لك من الهداية، وحسن الخلق، وما أسداه إليك من النعم؛ يزدك خيرًا، ويعظم لك أجرًا: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان/ ١٢].

فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا لا ينقطع ولا يبيد، حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، على أسمائه الحسنى، ونعمه التي لا تحصى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ١-٧].

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل/ ١١٤].

ولنعلم أن العبد إذا عرف ربه باسمه الوهاب؛ أحب ربه العظيم، وقام بحمده وشكره على نعمة الإسلام أولًا، وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى ثانيًا: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة/ ٣].

وهذه المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظيم نعمه وإحسانه، تورث العبد قوة الرجاء، والتعلق بالله الذي بيده مفاتيح خزائن السموات

والأرض: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

واعلم أن الوهاب جل جلاله وهبك الحياة والرزق، والرحمة والهداية؛ فاشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٥١].

وشكر الملك الوهاب يستلزم تصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وتعظيم شرعه، والعمل بما يحبه ويرضاه؛ فكل نعمة منه جل جلاله، فالعبد له، والمال له، والعطاء منه، والإحسان منه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

فكيف لا يحَبُّ من هذا شأنه؟! وكيف لا يستحي العبد أن يصرف شيئًا من محبته إلى غيره؟!: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٦].

ومن عرف ربه الوهاب تعلق قلبه بالله وحده دون غيره، ولجأ إليه، وسأله جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، وحرص على سؤال الوهاب أن يهبه لذة النظر إلى وجهه الكريم، وأن يرضى عنه ويدخله الجنة: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨].

وإذا وهبك الوهاب من نعمه فكن الأول في الاستقامة على دينه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يتعبد لله به، بأن يهب لغيره مما وهبه الوهاب من مال وعلم وجاه، وأن يكون سخيًّا بما في يده، يهبه للفقراء والمساكين والمحتاجين؛ لأن المال مال الله، وهو المعطي على الحقيقة، كما قال سبحانه ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ ﴾ [الحديد/ ٧].

وكذا يبتعد عن صفة المنة على الخلق؛ لأن الله سبحانه هو المنان الذي من على عباده بكل نعمة: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ

﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

ومن آذى الفقراء ومن عليهم؛ بطلت صدقاته وهباته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة/ ٢٦٤].

واعلم أنك تعيش في كل حين مع الوهاب، وتتقلب في نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ فاحمد الوهاب الذي وهبك كل خير، ودفع عنك كل شر: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل/ ١٩].

وقال إبراهيم ﷺ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٩-٤٠].

واعلم أن الملك العزيز الوهاب يستحي من عبده إذا مد يديه إليه بالدعاء أن يردهما صفرًا خائبتين؛ فاسأل الله ما شئت من خيري الدنيا والآخرة، فإنه غني كريم، وهاب لكل شيء، والعطاء أحب إليه من المنع: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

ومن دعاء سليمان ﷺ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص/ ٣٥].

طلب ملكًا فريدًا محشوًّا بالمستحيلات، فوهبه الله النبوة، والملك، والعلم، والحكمة، وسخر له الريح، والجن، والطير، والإنس، والخيل، والوحش: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ

﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾﴾ [ص/ ٣٠-٤٠]

واعلم رحمك الله أنه ليس من الزهد التواضع في الدعاء، فارفع سقف دعائك في الدنيا والآخرة؛ فإن الوهاب غني كريم، والعطاء أحب إليه من المنع.

قال النبي ﷺ: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**» أخرجه البخاري(1).

فأحسن الظن بالله، واسأله المزيد من فضله، واسأله العظيم من الأمور؛ فإن العظيم سبحانه لا يعطي إلا العظيم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

وهب مما أعطاك الله، ولا تنتظر الشكر من أحد: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان/ ٨-١٢].

وأعظم شيءٍ تهبه أن تهب نفسك لله في حياتك، فتقوم بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلقه، وتحقق العبودية لله في كل حال: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

وبكمال الإيمان والتقوى تنال أعلى الدرجات عند المولى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واعلم أن جميع الهبات من الله لا تقدم ولا تؤخر، إلا عطاءً واحدًا؛ هو تقوى الله ﷻ،

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

فعليك بتقوى الله ﷻ، ولا تحقر من سواك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات/ ١٣].

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [سبأ/ ٣٧].

واعلم يا عبد الوهاب أن الدنيا دار عمل وتكليف، والآخرة دار جزاء وتشريف للمؤمنين، ودار عقوبة وتعذيب للكافرين، فاستعمل ما أعطاك الله من هبات في طاعة الله ومرضاته، تنال أحسن ثوابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

واحذر أن تعصي الوهاب بما أعطاك من النعم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

واعلم أن الوهاب وهبك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية والإسعاد، وشكر هذه النعم يكون بالأعمال الصالحة التي ترضي الملك الوهاب الذي وهبها لك: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ/ ١٣].

والحياة الطيبة تحصل بالصفات الطيبة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

- **وكل إنسان مبتلى بأمرين:**

مبتلى فيما أعطاه الوهاب .. ومبتلى فيما سلب منه من مال أو صحة.

فأنت ممتحن فيما أعطاك الله، وفيما زوى الله عنك: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فاللهم اجعل ما وهبتنا من خير عونًا لنا على طاعتك، وما زويت عنا من خير فاجعله فراغًا لنا فيما تحب.

واعلم أن الوهاب جل جلاله إذا رضي عنك أخدمك عدوك، وإذا غضب عليك تطاول عليك أصغر أولادك، فاتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة بالحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود/ ١١٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان/ ٧٤].

«اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» أخرجه مسلم(١).

اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنا يا أرحم الراحمين.

اللهم لك الحمد كله، لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك ورزقك إنك أنت الكريم الوهاب.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٧١).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

الهادي

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله الهادي

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، والقلب من البدن: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

الله ﷻ هو الهادي الحق الذي هدى خلقه إلى معرفته، وهداهم إلى جميع المنافع، وأرشدهم إلى دفع المضار، وعلمهم ما لا يعلمون: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦].

هو الهادي وحده إلى كل خير في الدنيا والآخرة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[الفرقان/ ٣١].

هو الهادي الحق الذي هدى جميع خلقه إليه، بما أظهره من أسمائه وصفاته وأفعاله، وآياته ومخلوقاته، ونعمه وإحسانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق/ ١٢].

وهو سبحانه الهادي الذي خلق جميع المخلوقات في السماوات والأرض، وهداها إلى جلب مصالحها، ودفع مضارها، وعبادة ربها: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[الأعلى/ ١-٥].

وجميع مخلوقات الهادي تشهد بتوحيده، وتسبح بحمده، وتسجد لكبريائه، وتذل لعزته: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الخلاق العليم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وهو سبحانه الهادي لكل مهتدٍ من مخلوقاته، هدى كل شيء من مخلوقاته إلى التسبيح بحمده، وهدى كل مخلوق إلى الإقرار بوحدانيته، وهدى الطفل إلى التقام الثدي عند خروجه، وهدى الفرخ إلى التقاط الحب بعد خروجه، وهدى النحل إلى بناء بيوتها بما يناسب حالها: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفرقان/ ٣١].

وهدى النبات أن يشق في الأرض عروقًا، وفوق الأرض أغصانًا وأوراقًا، وأزهارًا وثمارًا، وهدى الملائكة للتسبيح بحمده، وهدى السحب للمطر، وهدى الأرض للإنبات، وهدى اللسان للكلام، وهدى الأذن للسمع، وهدى الرجلين للمشي، وهدى الشمس والقمر والنجوم للسير والإنارة، وهدى كل طير وحيوان في البر والبحر والجو، إلى ما يصلحه وينفعه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣﴾ [الليل/ ١٢-١٣].

وهدى الهادي سبحانه الإنسان إلى ما يسعده في دنياه وأخراه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات: ١٧].

وهو سبحانه الهادي المبين لعباده طريق الحق والإيمان بما أرسل إليهم من الرسل، وما أنزل عليهم من الكتب، وما نصب لهم من الآيات والدلائل في السماوات والأرض، وما أكرمهم به من الأسماع والأبصار والعقول: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر/ ٢٣].

وهو سبحانه الهادي الحق الذي يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ [سبأ/ ٥٠].

وهو الحكيم العليم بمن يصلح للهدى ويزكو عليه فيهديه، ومن لا يصلح للهدى فيضله بعد إقامة الحجة عليه، فجميع العباد يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو

على كل شيء قدير: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النحل/ ٩٣].

هو الحكيم العليم الذي كل أفعاله في منتهى الحكمة والعدل والرحمة والإحسان: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام/ ١٤٩].

وهو سبحانه الهادي الذي أعطى للإنسان حرية الاختيار، فمن شاء الهدى هداه إلى الصراط المستقيم، ومن شاء الضلال تركه وما اختار: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

وهو سبحانه الهادي الذي بهدايته اهتدى أهل الإيمان بما بين لهم سبحانه من أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، وآياته ومخلوقاته، فاهتدوا بهدايته لهم: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج/ ٥٤].

وهو سبحانه الهادي الذي أنزل كتبه هدايةً للناس ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء/ ٩-١٠].

وهو سبحانه الهادي الذي أرسل رسله لهداية الناس إلى الحق، وتكفل بإظهار دينه على الدين كله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف/ ٩].

وهو سبحانه الهادي الذي جعل بيته العتيق مباركًا وهدًى للعالمين إلى يوم القيامة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران/ ٩٦].

وهو سبحانه الهادي الذي يهدي من يشاء من عباده، الهادي الكريم الذي فتح جميع أبواب الهداية إليه، عن طريق آياته ومخلوقاته، وعن طريق معرفة أسمائه وصفاته، وعن طريق نعمه وآلائه، وعن طريق كتبه المنزلة، وعن طريق رسله المرسلة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

والهدى عن طريق الخلق أقرب طرق الهدى، وباب الكون المفتوح أوسع أبواب الهدى، فبالخلق نهتدي إلى الخلق، وبالصور نهتدي إلى المصور، وبالرزق نهتدي إلى الرازق: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

فإذا نظرت إلى الكون رأيت الخالق يخلق، والرزاق يرزق، والرحمن يرحم، والكريم يحسن، والهادي يهدي، والجبار يقهر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وهو سبحانه الهادي الذي إذا هداك بخلقه؛ فالهادي اسم من أسماء أفعاله، وإذا هداك بكلامه؛ فالهادي اسم من أسماء ذاته: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

واعلم أن الكون العظيم أعظم أبواب معرفة العظيم، والقرآن هادٍ إلى معرفة العظيم، لكن الكون العظيم لغة عالمية، يراه ويقرؤه ويفهمه كل إنسان حيثما كان، ومن كان: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

ومن آياته التي نهتدي بها إليه الشمس والقمر، والليل والنهار، والجبال والبحار، والماء والجماد، والنبات والحيوان: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ

﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد/ ٢-٣].

وقد ورد اسم الله الهادي في القرآن مرتين هما: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان/ ٣١].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج/ ٥٤].

والله ﷻ هو الهادي الذي مَنَّ بهدايته على من شاء من عباده، الذي يهدي ويرشد ويدل عباده إلى جميع ما ينفعهم، وإلى دفع ما يضرهم، الهادي الذي بهدايته اهتدى أهل هدايته، وبهدايته اهتدى الحيوان إلى ما يصلحه، كما قال فرعون لموسى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه/ ٥٠].

والصفة المشتقة من اسم الله الهادي هي صفة الهداية، وهي صفة فعلية لله ﷻ وصفة ذاتية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص/ ٥٦].

فالأرزاق بيد الرزاق، والهداية بيد الهادي: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان/ ٣١]. وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**» أخرجه مسلم(١).

وقد اقترن اسم الله النصير مع اسم الله الهادي مرةً واحدة في القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان/ ٣١].

وسر ذلك والله أعلم أن من سنة الله أن يقيض لكل نبي عدوًّا من المجرمين؛ ليظهر عجز هؤلاء المجرمين وخذلانهم أمام أنبياء الله ورسله، فيثبت رسله وأنبياءه على الحق، وينصرهم على من عاداهم، ويهدي رسله إلى الطريق الذي بمقتضاه ينتصرون على أعدائهم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

هو سبحانه الهادي الذي أظهر لعباده دلائل التوحيد والإيمان التي تشهد أنه الرب الحق، والملك الحق، والإله الحق، الهادي إلى الصراط المستقيم: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس/ ٢٥].

فسبحان من أظهر أسماءه وصفاته في آياته ومخلوقاته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

هو سبحانه الهادي إلى الإيمان به بما أظهره لعباده من أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، ونعوته الجميلة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

هو سبحانه الهادي الذي هدى خواص عباده إلى معرفته والإيمان به، وهدى جميع المخلوقات إلى التسبيح بحمده، وهداها إلى جلب المنافع، ودفع المضار: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى/ ١-٣].

وهو سبحانه الهادي الذي هدى العارفين إلى القربة، وهدى المذنبين إلى التوبة، وهدى الجاهلين إلى المعرفة: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان/ ٣١].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن القرآن العظيم من أعظم أبواب الهدى لمن قرأه وتدبره، ولا بد للإنسان من الاهتداء بما خلقه الله في هذا، الكون العظيم، وبما أنزله من هذا الكتاب العظيم؛ فلا بد للإنسان من الاهتداء بهذا وهذا ليكتمل نور الهداية في القلب، فالكون كتاب الآيات والمخلوقات، والقرآن كتاب العلوم والأخبار، والأوامر والنواهي: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

فبآيات الكون نعرف ربنا، وبآيات القرآن نعبده، فالكون دلنا عليه سبحانه، فكل مخلوق يشير إلى ربه، ويعرِّف بصفات جلاله وجماله، والقرآن علمنا أسماء الله وصفاته وأفعاله، وبين لنا منهجه، وأمره ونهيه، ونعمه وإحسانه ووعده ووعيده:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾[النحل/ ٨٩].

فسبحان الهادي الذي يهدي إليه تارةً بخلقه، وتارةً بكلامه، وتارةً بأفعاله، وتارةً بالفطرة، وتارةً بالإلهام، وتارةً بالرؤيا، وتارةً بالأشخاص، وتارةً بالانشراح، وتارةً بالتفكر والتدبر:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾[الزمر/ ٢٣].

واعلم أن الهادي جل جلاله هو الله وحده لا شريك له، هو الهادي الغني الذي يملك جميع خزائن الهداية، وهو الهادي لكل مهتدٍ وهادٍ، ومن يضلل فلا هادي له سواه:﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)﴾ [الأعراف/ ١٧٨].

فسبحان من أظهر قدرته وحكمته، وأسماءه وصفاته، في تدبير ملكه ومماليكه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فالحمد لله رب العالمين الذي أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أحسن كتبه، وشرع لنا أحسن شرائع دينه، وهدانا للإسلام:﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾[الزمر/ ٢٣].

والحمد لله الذي هدانا إلى التوحيد والإيمان، وحفظنا من الكفر والشرك ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾[الزمر/ ١٧-١٨].

واعلم -رحمك الله- أن كل أحد محتاج إلى الهداية، والأنبياء والرسل أكمل الخلق هداية، يسألون ربهم الهداية في كل وقت: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام/ ٩٠].

والهداية أكبر نعمة ينعم بها الهادي على عباده، وكل نعمة دونها فناقصة وزائلة، وبقدر هداية العبد تكون سعادته في الدنيا والآخرة: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات/ ١٧].

وأعظم سؤال في القرآن هو طلب الهداية من الهادي، ولهذا أمرنا الهادي جل جلاله أن نسأله الهداية في كل ركعة من الصلاة؛ ليهدينا إليه وللطريق الموصل إليه، ويهدينا إلى معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويهدينا إلى معرفة عظمة ملكه وسلطانه، ويهدينا إلى معرفة دينه وشرعه، ويهدينا إلى معرفة ثوابه وعقابه، ووعده ووعيده: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة/ ١-٧].

فلا إله إلا الله! ما أعظم شأنه! وما أرحمه بعباده! وما أعظم نعمه على خلقه! وما أعظم حلمه على من عصاه وكفر به! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، يسكنون في أرضه، ويأكلون من رزقه، ويكفرون به: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾ [المائدة: ٧٤].

هو الهادي الذي يهتدي خلقه إليه بالمحبوب والمكروه: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف/ ١٥٥].

- **واعلم زادك الله علمًا وإيمانًا أن هداية الله لعباده أنواع:**

الأولى: الهداية العامة، وهي هداية جميع المخلوقات في السماوات والأرض إلى مصالحها لتكون مهيأة لما خُلقت له، كما قال سبحانه: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٥٠].

الثانية: هداية التوفيق والإلهام، وشرح الصدر لقبول الحق، وهي بيد الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص/ ٥٦].

الثالثة: هداية الدلالة والإرشاد والبيان، فالله هدى خلقه إليه، ودلهم عليه، وبين لهم سبل الهداية، وموجبات التوحيد والإيمان، بما أظهر لهم في الكون العظيم من المخلوقات، وما أظهر في القرآن الكريم من الآيات، وبما أرسل من الرسل، وما أنزل من الكتب والبينات.

وقد أكرم الله الرسل والأنبياء وأتباعهم بهذه الهداية، وأثنى عليهم لما قاموا بها كما قال سبحانه عن نبيه ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى/ ٥٢- ٥٣].

وهي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحدًا منهم إلا بعد إقامتها عليه، كما قال سبحانه: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء/ ١٥].

فمن هداه الله للإيمان فبفضله، وله الحمد، كما قال أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف/ ٤٣].

ومن أضله الله فبعدله، فقد أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، ومكنه من أسباب الهداية بما أكرمه به من السمع والبصر والعقل، ولكنه لا يصلح للهداية، فلم يقبل

الهدى، فكذب وتولى، وزاغ وانصرف، واختار الضلال، فله العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت/ ١٧].

وقال ﷻ: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

والله سبحانه هو الهادي البصير بعباده، العليم بما في نفوسهم، الذي يهدي إلى الحق، ويوفق إليه من يعلم أنه يزكو به، ويصلح لمجاورته في الجنة: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣].

ويضل الله من عباده من يعلم أنه لا يقبل الحق، ولا يرضى به، ولا يصلح لمجاورته في الجنة، وهو العليم الخبير بمن يستحق هذا أو هذا: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر/ ٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة/ ٦-٧].

فسبحان الهادي الحق الرحيم بعباده الذي بين لهم سبل الهداية ليسلكوها، وبين لهم سبل الضلالة ليتركوها: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ٢-٣].

هو سبحانه الهادي الكريم الرحيم، الذي بين للإنسان طريق الخير والشر، وذكره بنفسه ونعمه عليه؛ ليوحده ويطيعه ويعبده ويشكره ويستحي منه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

وقال ﷻ عن الإنسان: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ [البلد/ ٨-١٠].

فهذا أول الهداية، وأما منتهاها فلا نهاية له، وهي التي نطلبها كل يوم من الهادي بقولنا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة/ ٦-٧].

فسبحان الهادي الحق الذي بهدايته اهتدى جميع خلقه من جماد ونبات، وحيوان وطير، وإنسان وجان وملك: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان/ ٣١].

هو الهادي الحق الذي بهدايته اهتدى أهل ولايته إلى ما يحبه ويرضاه، والذي بهدايته اهتدى الحيوان لما ينفعه، واتقى ما يضره: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ [الكهف: ١٧].

هو الهادي الذي جعلك بفطرتك موحدًا، تميل إلى حب الخير، والحق، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق، وتكره الشر والباطل، ومساوئ الأخلاق: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم/ ٣٠].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**» أخرجه مسلم[1].

واعلم أن الله هداك؛ لأنه علم أنك تحبه فهداك، وعلم صدقك فاصطفاك، ونظر إلى قلبك فوجده قابلًا فأعطاك: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

ولم يهدِ غيرك؛ لأنه علم أنه لا يحبه فلم يهده، وعلم أنه ليس صادقًا فأعرض عنه، ونظر إلى قلبه فمنعه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت/ ١٧].

واعلم يا عبد الهادي أنك إن شكرته على نعمة الهداية والأعمال الصالحة زادك هداية: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد/ ١٧].

وشكر كل نعمة من الله العمل بموجبها، والدعوة إليها: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ/ ١٣].

الرابعة: هداية أهل الجنة للجنة، وهداية أهل النار للنار؛ فالله يهدي أهل الجنة لأعمال أهل الجنة، ويهدي أهل النار لأعمال أهل النار، هذا في الدنيا.

وأما في الآخرة فيهدي المؤمنين إلى بيوتهم وقصورهم في الجنة، ويهدي الكفار إلى بيوتهم وسجونهم في النار.

قال سبحانه عن أهل الجنة: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج/ ٥٤].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس/ ٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

وقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال ﷻ عن أهل النار: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات/ ٢٢-٢٣].

هو سبحانه الهادي الذي دل خلقه عليه بآياته الكونية، وآياته القرآنية.

فهو سبحانه القوي، وفي كونه مظاهر القوة، من رفع السموات بغير عمد، ومن خلق هذه الأرض العظيمة، وما عليها من المخلوقات.

وهو الرحمن وفي كونه مظاهر الرحمة، وهو الهادي وفي كونه مظاهر الهداية، فالكون مظهرٌ لأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله العظيمة، وكذا كتابه، أظهر فيه أسماءه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

وقال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

والكون العظيم أعظم مظهر لأسماء الله وصفاته وأفعاله، وكل ما في الكون يدل على الله، وكل ما في الوجود يضع الإنسان وجهًا لوجه أمام عظمة الله، أمام قدرة الله، أمام رحمة الله، أما كرم الله، أمام جبروت الله، أمام حكمة الله، أمام علم الله، أمام ملك الله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٦-١١].

فاللهم اهدنا فيمن هديت، وارزقنا حسن الإنابة إليك.

فالكون وما في الكون أوسع أبواب الهدى، وأيسر طرق الهدى، فالكون هداك إلى ربك بخلقه، والقرآن يهديك إلى ربك بكلامه، فانظر في الكون والقرآن ترى الخالق العظيم

يخلق، والرزاق يرزق، والكريم يعطي، والرحيم يرحم، والهادي يهدي، والرءوف يرأف؛ فلكي تعرف ربك العظيم الهادي، انظر في الكون وتدبر القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء/ ٨٢].

ولكي تعرف منهج حياتك انظر في كتاب ربك، فعن طريق الكون تعرف ربك، وتؤمن بمن خلقك، ولكي تعبده اقرأ كتابه واطلع على سنة نبيه؛ فلا بد للمؤمن أن ينظر في هذا وهذا لكي يعرف ربه، ويعبده، ويكبره، ويعظمه، ويحبه، ويحمده، ويسأله.

فسبحان الهادي الذي يهدي خلقه إليه بكونه، وكتابه، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وفطرته ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام/ ٨٨].

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام/ ٧١].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

والله سبحانه هو الهادي الذي أنزل كتبه لهداية الناس، وأرسل رسله لهداية الناس: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف/ ٩].

وقال ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد/ ٧].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى/ ٥٢-٥٣].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء/ ٩].

واعلم رحمك الله أن الهادي جل جلاله يهدي عباده إليه، وإلى الطريق الموصل إليه، وإلى ما لهم بعد القدوم عليه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فالله ﷻ هو الحق المبين، الظاهر الباطن لا خفاء به، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى: ١٣].

وأما سبيله الموصل إليه فهو الإسلام، وقد أفرغه في قالب العالم، وصوره في صور الخليقة، وفطر عليه كل شيء: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

فكل مخلوق في العالم العلوي والسفلي مستسلم لربه، خاضع لعظمته، شاهد بوحدانيته، مسبح بحمده، مستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ٥٠﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

وكل مخلوقاته تهدي إليه، وتشير إليه، وكلها ساجدة لعظمته، متصاغرة لكبريائه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١﴾ [النور: ٤١].

ثم كتابه العزيز أظهر فيه ما أبطن في الخليقة، وأبدى في سوره وآياته ما أخفاه في العالم، ونص فيه على ما أجمله في المخلوقات، وجمع فيه ما فرقه في الموجودات، وأشار بجملته إلى ما حواه اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت/ ٤١-٤٢].

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل/ ٨٩].

فمن آمن به فقد اهتدى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة/ ٢-٥].

واعلم أن الله مالك لكل شيء، وغني عن كل شيء، وكل ما سواه محتاج إلى كل شيء: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

وإرادة الإنسان نزوع نفسه إلى شيءٍ يكمل به نقصه، وضعفه، وحاجته، بأكل أو شرب أو ملبس أو مركب ونحو ذلك، أما إرادة الله فهي حكمه على الشيء، وإذا حكم سبحانه فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه؛ فكل شيء مستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

واعلم زادك الله علمًا وإيمانًا ويقينًا أن جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي مسخرة في عبادة الله، وجميع الإنس والجن مخيرون، وإرادة الله مع المسخرات أمر، وإرادته مع المخيرات سماح بالفعل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

سبحان الهادي الذي هدى جميع مخلوقاته لعبادته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

وقال ﷻ عن مخلوقاته المخيرة من الإنس والجن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير/ ٢٧-٢٩].

وقال الله ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف/ ٢٩-٣٠].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان: ٢٩ – ٣١].

فسبحان ربنا العظيم الذي يسوق بإرادته ظالمًا لظالم، ويسوق من لا يعرفه إلى من يعرفه، ليؤدبه فيتوب إلى ربه: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾ [الأعراف/ ١٦٨].

وإرادة الله مع الإنس والجن إرادة إذن وسماح، فيأذن سبحانه للعبد أن يفعل المحرم حينما تعلو الشهوة، ويشتد الإصرار، ولكنه لا يرضى بذلك، ويصرفه عن الشهوة المحرمة رحمةً به إذا لم يكن هناك إصرار، كما قال الله ﷻ عن يوسف ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف/ ٢٤].

وإذا أذن الله لهذا الإنسان بفعل شيءٍ محرم فإنما يطلقه على من يستحق التسليط؛ ليؤدبه ليتوب إلى ربه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام/ ١٢٩].

وإذا أراد الله هداية أحد أو إضلاله فتلك هي الإرادة الإلهية الجزائية المبنية على إرادة الإنسان الاختيارية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فمن أراد الهداية واختارها أعانه الله فشرح صدره للإسلام، ومن أراد الضلالة ضيَّق الله عليه نفسه، وعثر أموره، ليتوب إليه، وهذا وهَذا كله من رحمة الله بالعبد: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، هو الذي يقلب القلب لصالح العبد، فإن شاء العبد الهدى شرح الله صدره للهدى، وإذا شاء الضلالة ضيق الله

صدره، ليكف عن الشر، ويتوب إلى ربه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

ولهذا جعل الله القلوب كلها بيده، لسعة وعظمة رحمته بعباده:﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ٢٨﴾ [النساء/ ٢٦-٢٨].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ٧﴾ [غافر/ ٧].

واعلم رحمك الله أن نور الهداية إذا دخل في القلب انشرح له الصدر، وانشراح الصدر اتساعه للصفات المحمودة التي يحبها الله من الإيمان واليقين، والصدق والتقوى، وانبساط تلك الصفات على أضدادها المذمومة التي يضيق بها الصدر: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر/ ٢٢].

فإذا أراد الله جل جلاله أن يبلغ بعبده إلى معاني الإيمان واليقين، أنزل السكينة في قلبه فزاد إيمانه، وزادت تقواه، ثم حسنت أفعاله وأخلاقه، وسكنت مساوئ طباعه، وأبعدت سفال أخلاقه، وانقادت الجوارح للقلوب، وكانت عونًا لها على ما يرضي الرب جل جلاله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٤﴾ [الفتح/ ٤].

ومن يرد الله أن يضله يطفئ نور قلبه، فيضيق متسع أخلاقه ويزهد بمعاليها، ويمتلئ بأضدادها؛ فيثقل عليه كل عملٍ صالح، ويحرج لذلك صدره، لشدة ظلمته، وضيق باطنه، كأنما يروم الصعود إلى السماء من الضيق والشدة والظلمة:﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فمن أراد الوصول إلى محبوبه ومعبوده فعليه بمعرفة ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وإحسانه، ومعرفة جلاله وجماله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم أن من آمن بالله وأطاعه، وصبر على بلائه، فهو من المهتدين حقًا: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

والله سبحانه هو الهادي الحق الذي يرشد عباده إلى كل خير ينفعهم في الدنيا والآخرة.

وهو الهادي الذي أرشدهم إليه بآياته الكونية وآياته الشرعية، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان/ ٣١].

هو سبحانه الهادي الحق الذي أرشد عباده إلى ما يحبه ويرضاه، وبصرهم بسبل الفلاح والنجاح والنجاة، الهادي الذي أنزل على خلقه من آياته ما يرشدهم إليه، وما يرشدون به: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

فلا إله إلا الله الملك الحق الهادي، الذي أرشد جميع مخلوقاته إلى توحيده، وفطرهم على الإيمان به، وأشهدهم على ربوبيته، واستعملهم في عبوديته من جماد ونبات وحيوان، ومن ملك وإنس وجان: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ٥٠﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠].

كل عالم من المخلوقات التي خلقها الهادي جل جلاله يسقيه الله بكأسه، وكل عالم يسبح بحمده، وكل عالم يشهد بتوحيده، وكل عالم خاضع لأمره، وكل عالم يخطب بعجزه وفقره إلى ربه، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)﴾ [الحج/ ١٨].

فاطلب العلم رحمك الله تسلم من الجهل، وارغب إلى مولاك الهادي أن يوفقك ويهديك إلى أحسن ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

واعلم هداك الله لما يسعدك في دنياك وأخراك أن العلم الإلهي هو سلاح المجاهدة، ونور البصيرة، ومركب النجاة، وأصل الهداية والاستقامة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾ [محمد/ ١٩].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾ [الزمر/ ٩].

فبالعلم الإلهي يشرف العبد، وبالعلم الإلهي يطلع الإنسان على معالم الدنيا والآخرة، فيرى ما لا يدرك بالحواس، ويبصر ما لا يدرك بالأبصار، ويعلم ما يعجز عنه الفكر، ولا يتوهمه الذهن، فيقف بين يدي ربه العلي العظيم، قائمًا وساجدًا، وحامدًا وشاكراً، وسائلًا ومستغفرًا، مع ذل الانكسار له، وشدة الحياء منه، وعظمة الحب له، وعظمة الخوف منه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واعلم أن من وفقه الهادي للوصول إليه فقد اهتدى، ووصل عقله بروح الإيمان إلى رؤية ربه الخالق الرحمن، وأشرق قلبه بنور الإيمان الواصل إليه، وامتلأ صدره من ذلك النور: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

هذا العبد الذي وفقه الله ﷻ لمعرفته، والوصول إليه، والاهتداء بهداه، هو المفلح حقًا، هو الفائز حقًا، هو الناجي حقًا؛ لأنه يشاهد الملك الحق يدبر، والخالق يخلق، والمصور يصور، والرزق يرزق، والكريم يعطي، والرحيم يرحم، والحكيم يحكم، والعزيز يعز والجبار ينتقم، والقوي يقهر، والسلام يسلم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

فاعْلُ رحمك الله بهمتك لمعرفة الملك جل جلاله، ومعرفة الملك والملكوت، ومعرفة مالك الملك؛ لترى العظمة والعظيم، والقدرة والقدير، والعزة والعزيز، والرزق والرزاق، والحكمة والحكيم، والعلم والعليم، والقوة والقوي، واللطف واللطيف: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥)﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم رحمك الله أن من أجال فكره في ذلك ابتغاء مرضاة الله صفى له قلبه من كدر الشرك والشبه وسوء الأخلاق، وامتلأ قلبه بشعب الإيمان: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ [فاطر/ ٢٨].

والعلم يورث الخشية، وعظيم الأجر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)﴾ [الملك/ ١٢].

ومن رضي بأول العلم، وظاهر الأمر؛ حُجب عن الإصابة في كثير من أموره وبقي على كدره بغير تهذيب، فخلط عملًا صالحًا، وآخر سيئًا: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٣].

واعلم أن الأفكار لا تدرك غوامض الأسرار ما دامت في حجب الكبر والغرور، ولا تبصر عيون الغيب ما دامت محجوبةً بالجهل والغفلة؛ فتحرر من الهوى، وتبرأ من حولك وقوتك، والبس لربك لباس الخشوع، وأكثر إهمال الدموع، لعله يعطيك ويهديك ويرضيك: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم هداك الله لما يحبه ويرضاه أن النفوس إذا عكفت على محبوباتها، وسُجنت الأذهان في أهوائها، عاقها عدم الصفو، وقلة اعتياد السفر والهجرة إلى مولاها، فقعدت على موائد الدنيا، وحبستها موائد شهواتها، وأصمتها المشاهدات، وشغلها هوى المحبوب عن هدى الرب المعبود، فخسرت مولاها ودنياها وأخراها: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

فاللهم اهدنا فيمن هديت، وأرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

واعلم أن المؤمنين من الإنس والجن، هم المهتدون الذين قبلوا الهدى والرشد، وسلكوا سبيل الرشاد، واجتنبوا ما سواه، كما قالت الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن/ ١-٢].

والراشدون من البشر هم المؤمنون وهم درجات، وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء، ثم الصديقون والشهداء والعلماء والصالحون: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

فهؤلاء هم الراشدون الذين هداهم الهادي إلى الرشد، وتولاهم بالحفظ والنصر والعون؛ لأنهم يوالونه بالتوحيد والإيمان والطاعات: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

ولكل مؤمن من الهدى والرشاد، والولاية والمقام، والأجر والثواب وإجابة الدعاء؛ بقدر إيمانه ويقينه، وطاعته وعبادته، وتعليمه ودعوته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصف/ ١٠-١٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

التعبد لله ﷻ باسمه الهادي

اعلم رحمك الله أن من آتاه الله هدايةً خرج بها من الضلالة، وآتاه علمًا خرج به من الجهل، وآتاه استقامةً خرج بها من الانحراف، وجب عليه ما لم يجب على غيره من

حسن العبادة لله، والدعوة إلى الله، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه، والنصح لعباده، كما قال إبراهيم ﷺ لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾[مريم/ ٤٣].

وإذا خصك الكريم الهادي بنعمة الهداية؛ فكن هاديًا إليه بلسانك، وحالك، وأخلاقك ومالك: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[النحل: ١٢٥].

وكن عبدًا سامعًا مطيعًا لمولاك الهادي، ولا تقعد إلا متفكرًا، ولا تنظر إلا معتبرًا، ولا تنطق إلا ذاكرًا أو حامدًا أو مستغفرًا أو معلمًا أو داعيًا؛ لتكون ربانيًّا من أولي الألباب ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آل عمران/ ١٩١].

وعود عينيك بعد أن هداك الهادي إليه على السهر آخر الليل في مناجاة مولاك في السحر، ففي الظلم الداجية توجد الأنوار الغائبة، لعلك تفوز مع الفائزين الذين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة/ ١٦-١٧].

فما أحسن أعمالهم، وما أعظم ثوابهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾[الذاريات/ ١٥-١٩].

وتطهر للوقوف بين يدي مولاك، وتضرع منكسرًا بين يدي ذي العزة والجبروت، وذي الملكوت والكبرياء والعظمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾[المزمل/ ١-٤].

وتجرد حين وقوفك بين يدي من لا يخفى عليه شيء من كل دعوى في كل علم كنت تعمله، وكل عمل قمت به، واستغفر من كل ذنب تعلمه أو لا تعلمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا

﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور/ ٢١].

واعلم يا عبد الهادي أن أبواب الهداية مفتوحة، وسبلها ميسرة بعدد الذرات والمخلوقات؛ فتتبع آثار الخالق في مخلوقاته، وآثار المصور في مصوراته، واستشهد شواهده في مصنوعاته، وانظر إلى حسن تصويره لمصوراته، وتفكر في عظمة كبريائه، وجلاله وجماله، وقدرته وقوته، وحسن تدبيره وتصريفه لملكوته؛ ليمتلئ قلبك بتوحيده: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وبذلك تزداد إيمانًا ويقينًا ومعرفةً بمن هداك إليه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

وتعلَّم أسماء الله الحسنى؛ فهي أعظم مفاتيح العلم والمعرفة والهداية؛ وبها تفتح مغاليق المنظور والمستور والمشتبه، ويظهر لك الظاهر ما أبطنه عن غيرك من لطيف تدبيره وعجيب صنعه في مخلوقاته: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

فما خلق الله ما خلق في السماوات والأرض إلا ليظهر لنا أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة في مخلوقاته؛ فاعلم ذلك، ولا تكن من الغافلين؛ فربك ليس بغافل عنك: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق/ ١٢].

واطلب رحمك الله جميع حوائجك من ربك الصمد، وارفع إليه كل شكوى، متوسلًا إليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وقل يا هادي اهدني، ويا رحمن ارحمني، ويا عفو اعف عني، ويا رزاق ارزقني، ويا عليم علمني:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف/ ١٨٠].

وكما هدك ربك إليه؛ فاجتهد في القيام بين يديه، وهداية الناس إليه، وعرفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ ليكبروه ويعظموه، ويحبوه ويحمدوه، ويطيعوه ويعبدوه:﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾[النحل/ ١٢٥].

واعلم يقينًا أن ربك الهادي أرشدك إليه، وأرشدك إلى ما يحبه ويرضاه، فاعمل بما أرشدك إليه، واحذر مخالفته؛ فإنك راجع إليه:﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[الحديد: ٢١].

وأرشد العباد إلى ما أرشدك ربك إليه؛ من كافر تدعوه، أو جاهل تعلمه، أو ضال ترشده؛ تكن من الراشدين المفلحين:﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾[آل عمران/ ١٠٤].

واحذر من معصية الله ورسوله؛ لئلا تشقى في دنياك وأخراك:﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء/ ١١٥].

﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾

[النور: ٦٣].

واعلم أن من عرف ربه ﷻ باسمه الهادي أحبه وحمده وشكره، وعظمه وكبره؛ لما أبان لعباده من الحق، والآيات البينات الدالة على وجوده، ولكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، ولما أنزل من الكتب، وأرسل من الرسل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٩].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يفتقر إلى ربه الهادي في طلب الهداية له وللمؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ١-٧].

وأن يسعى كذلك إلى أن يكون هاديًا إلى الله وإلى صراطه المستقيم، وذلك بالدعوة إلى الله، ونشر العلم الشرعي بين خلق الله، وبيان الحق للناس، وترغيبهم فيه، وبيان الباطل وتحذيرهم منه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥- ١٦].

وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بهذا الدعاء: «**اللهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» أخرجه مسلم(١).

واعلم يا عبد الهادي رحمك الله أن من أعظم أسباب الهداية كثرة ذكر الله ﷻ في كل حال، وكان النبي ﷺ يذكر الله في كل أحيانه؛ وذلك لأن من ذكر الله أطاعه ولم

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

ومن أسباب الهداية المحافظة على الصلاة فرضها ونفلها كما جاءت في أوقاتها: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود/ ١١٤].

﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

ومن أسباب غض البصر عما حرم الله، فمن غض بصره أنار الله بصيرته، ومن أطلق بصره أظلمت بصيرته: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

[الأنعام: ١٢٢].

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النور/ ٣٠-٣١].

فاعمل ما تشاء فإنك ملاقيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾

[الانشقاق: ٦].

واكتب بقلمك وجوارحك ما تشاء فإنك ستقرؤه غدًا، واسمع ما تشاء فإنك ستراه غدًا: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

واعلم أن الهداية أنواع كثيرةٌ لا تحصى، وأبواب الهداية كثيرةٌ لا تحصى، وأعظم شيء سؤال ربك الهداية في كل مكان وزمان وحال.

ومن أنواع الهداية التي يطلبها العبد من ربه الهادي:

الهداية إلى الصراط المستقيم، والهداية إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والهداية إلى معرفة دينه وشرعه ووعده ووعيده، والهداية إلى العمل الصالح، والهداية إلى الدعوة إلى الله، والهداية إلى الإحسان، والهداية إلى حسن الخلق، والهداية إلى التقوى، والهداية إلى البر، والهداية إلى معرفة ما في اليوم الآخر من الثواب والعقاب، ومعرفة ما في الجنة والنار من النعيم والعذاب.

ومن سأل ربه الهادي صادقًا وجاهد للوصول إلى الهداية هداه الله سبل رضاه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

- **ومن أسباب الهداية:**

١-تلاوة القرآن وتدبره: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

٢-طاعة الرسول ﷺ في كل ما أمر الله به؛ ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور/ ٥٤].

٣-امتثال أوامر الله؛ بفعل الأوامر، واجتناب المناهي، وذلك من أعظم أسباب الهداية: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ [النساء: ٦٦ – ٦٨].

وعلى من هداه الله إلى ما يحبه الله ويرضاه أن يدعو لنفسه ولغيره بالهداية، ويستقيم على أوامر الله في جميع أوقاته: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورى/ ٥٢-٥٣].

وقال النبي ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**» أخرجه مسلم(1).

وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**» متفق عَلَيْهِ(2).

وإذا أردت أن تسأل ربك الهداية؛ فمجد ربك، واحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ ثم سله الهداية لك ولغيرك: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة/ ١-٧].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨٥﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

«**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**» أخرجه أبو داود والترمذي(3).

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم اهدنا، واهد بنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدى يا رب العالمين.

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢١).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٩٣٧)، ومسلم برقم (٢٥٢٤)، واللفظ له.

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥)، وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤) وهذا لفظه.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـم الله

الصادق

اسم الله الصادق

الله جل جلاله هو الصادق الحق في كل ما يخبر به، فهو الصادق في قوله الحق، وهو الصادق في دينه الحق، وهو الصادق في وعده ووعيده، وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢].

وهو سبحانه الصادق بتوفية العاملين بطاعته أجورهم، ومضاعفة الحسنات لهم، وتكفير سيئاتهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾[الأحقاف/ ١٦].

وهو سبحانه الصادق الكريم الذي يضاعف الحسنات، ويجازي السيئة بمثلها، ويحطها عن المسيء بالتوبة، أو الاستغفار، أو الحسنات الماحية، أو المصائب المكفرة: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[النساء/ ١١٠].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾[هود/ ١١٤].

هو جل جلاله الصادق الذي لا يخلف الميعاد: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾[الأنعام/ ١٤٦].

والصديق من الناس الكثير الصدق، الذي استوى ظاهره وباطنه في حكم الحق، فمن صدَّق بآيات الله، وأجال فكره في ملكوت السماوات والأرض، لا يكاد يمر بآيةٍ من آيات الله، أو يرى عجائب مخلوقات الله؛ إلا ازداد بها إيمانًا ويقينًا وتصديقًا بأن ربه هو الملك الحق، الرب الحق، الإله الحق، وأن دينه الحق، ورسله حق، وكتبه حق، ووعده

حق: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد/ ١٩-٢٠].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥].

واعلم أن الصِّديق أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل، وثواب الصدق الرضوان والجنة يوم القيامة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة/ ١١٩].

والصِّديق الذي صدق الله في آياته وشواهده، وصدق بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، وصدق برسله، وملائكته، وكتبه، وقضائه وقدره، وأحكامه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر/ ٣٣].

وقد ورد اسم الله الصادق في القرآن الكريم مرةً واحدة؛ في قوله سبحانه في سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام/ ١٤٦].

هو سبحانه الصادق في أخباره وأحكامه، وفي دينه وشرعه، وفي وعده ووعيده: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح/ ٢٧].

فدخلوا أعزةً مكرمين.

وقال أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر/ ٧٤].

فسبحان من أخباره صدق، وأحكامه صدق: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام/ ١١٥].

هو سبحانه الصادق الذي وعد الصادقين بحسن الجزاء: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة: ١١٩].

هو سبحانه المؤمن الصادق الذي وحد نفسه، وشهد على نفسه أنه المتفرد بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، والعبودية له وحده لا شريك له: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

هو سبحانه الصادق الذي وقع كل ما أخبر به، وكل ما قدره وكتبه، وشاءه، صادق الوعد، فلا بد من حصول ما وعد به وما توعد به: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢].

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٨].

فالمؤمن الذي آمن بالله فصدق أخباره، وطبق أحكامه، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه يثق بصدق وعد ربه العظيم، فيعلم أن الصادق سبحانه لا يخلف الميعاد.

فمن آمن وعمل صالحًا سيدخله الجنة، ومن كفر بالله وعصاه سيدخله النار: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢٢].

والصدق صفة ذاتية لله ﷻ؛ لأن الله هو الحق، والحق لا يقول إلا الحق، وقوله أصدق القول، وحديثه أصدق الحديث: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١١٥].

ومن لوازم الصدق ومظاهره اتفاق الكتاب المشهود مع الكتاب المقروء في الدلالة على وحدانية الله، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، وكل واحد منهما يصدق الآخر: ﴿ قُلِ

﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة/ ١-٢].

هو سبحانه الصادق في كل ما أخبر به، هو الصادق الذي أمر الداعين فدعوه فأجابهم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

وهو الصادق الذي وعد السائلين فأعطاهم، وأجاب دعاءهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وهو الصادق الذي وعد التائبين من الذنوب بالتوبة فتاب عليهم: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة/ ٣٩].

وهو سبحانه الصادق الذي وعد الخائفين فسألوه الأمن فأمنهم: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش/ ١-٤].

وهو سبحانه الصادق الذي وعد الضالين بالهداية فسألوه الهداية فهداهم.

قال ﷻ في الحيث القدسي: « **يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ** » أخرجه مسلم[1].

وهو سبحانه الصادق الذي وعد المؤمنين بالأمن فأمنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام/ ٨٢].

وهو سبحانه الصادق الذي وعد المطيعين بالثواب العظيم فأثابهم بما وعدهم به: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة/ ١٧].

فهو سبحانه الصادق الذي لا يخلف الميعاد: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[النساء/ ١٢٢].

هو سبحانه الصادق الذي أرسل رسوله بالصدق، وهيأ له من يؤمن به ويصدقه: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الزمر/ ٣٣].

هو سبحانه الصادق الذي وعد رسله بالنصر فنصرهم، وأظهر دينه بواسطتهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[الصف/ ٩].

هو سبحانه الصادق في عدله وإحسانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[النساء/ ٤٠].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل/ ٩٠].

هو سبحانه الصادق الحق، الذي الصدق كله في معاقد كلماته الصادقة، في دينه وشرعه، وفي عهده وميثاقه، وفي خلقه وأمره، وفي بسطه وقبضه، وفي عطائه ومنعه، وفي نصره وخذلانه، في وعده ووعيده: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾[الأنعام: ١١٥].

خلق الله جل جلاله كل شيء، وجعل خلقه وأمره شواهد على قدرته، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، وجعلها نواطق على صدقه وعدله وإحسانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢].

فسبحان الصادق الحق الذي لا أصدق منه، الصادق الذي يملك خزائن الصدق كلها، والذي خلق الصدق في كل صادق، وأظهر صدقه في جميع ملكوته.

خلق الصادق الحق سبحانه آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وصدقت كلمته في ذريته في طباعهم، وأخلاقهم، وأجسامهم، وصفاتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وأرزاقهم، وآجالهم، فآمن آدم ﷺ وآمنت ذريته، وأطاع فأطاعت ذريته، وصدق فصدقت ذريته، وجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين/ ٤-٨].

وخلق الله ﷻ آدم ﷺ من قبضة من الأرض، فيها السهل والحزن، والأبيض والأسود، واللين والشديد، والطيب والخبيث، فخرجت ذريته على مثل ذلك صدقًا وعدلًا: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦-٨].

فانظر رحمك الله إلى صدق الكلمة التامة في آدم ﷺ وذريته: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الذاريات/ ٢٠-٢٢].

والأرض عالم كبير، وخلق عظيم، لها نسل وذرية عظيمة من النباتات المختلفة التي لا يحصيها إلا الله العليم بكل شيء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد/ ٣-٤].

ولما كان من الأرض ما يخرج نباته بإذن ربه طيبًا كالزرع، والزيتون، والنخيل، والرمان، والعنب، والفواكه، وغير ذلك من الثمار الطيبة؛ فكان من ذرية آدم الأنبياء والرسل، والمسلم، والمؤمن، والصادق، واللطيف، والمحسن، والكريم، والرحيم، والشاكر، والطيب، والحليم، ونحوهم.

ولما كان من الأرض ما لا ينبت؛ كالسباخ والبقاع الجدبة، ورؤوس الجبال الحجرية؛ كان من ذريته ﷺ الكافر القاسي الذي لا ينتفع بالهدى، كما لا ينتفع الحجر بالماء، وكان منهم المجرم والخبيث، والظالم والفاسق، والغليظ والكريه، ونحوهم، ولما كان من الأشجار الشائكة ما منظره حسن، وريحه طيب، وقد يطلع القبيح المنظر منها زهرًا، وينضج ثمرًا؛ كان من ذريته المنافق والمرائي بعمله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج/ ٥-٧].

وفي السماء آيات، وفي الأرض آيات، وفي الأنفس آيات، وفي الآفاق آيات وكلها تشهد بوحدانية الله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فصلت/ ٥٣].

فانظر رحمك الله في ملك الله الواسع العظيم؛ لتزداد إيمانًا ويقينًا ومعرفةً بربك العظيم، ثم تحبه وتحمده وتشكره وتعبده: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق/ ٦-١١].

فما أعظم سريان صدق الكلمة بين آدم ﷺ وذريته! وبين الأرض ونباتاتها!: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام/ ١١٥].

فلا إله إلا الله!كم في الأرض من آيات وعبر وشواهد تشهد بوحدانية الله، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، ولكن لا يراها إلا أهل الأبصار والبصائر،مع أنها أبين وأظهر من نور الشمس!: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾[الحج/ ٤٦].

واعلم أن طرق معرفة صدق كلمات ربنا في أطباق خليقته، وتدابير أمره في السماوات والأرض مما لا تحيط به العقول، ومما تقصر دونه الأعمار والقرون: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة: ١٦٤].

فسبحان ربنا الصادق الحق الذي لا يكذب صادقًا، ولا يصدق كاذبًا، الذي من صدق الله في طلبه صدق في وعده.

وسبحان الصادق الذي لا أصدق منه، العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾ [غافر: ٦٥].

واعلم رحمك الله، وجعلك من الصادقين، أن الله ﷻ هو الصادق الحق، وأن الصدق صفة من صفاته العلي التي لا تنفك عنه أبدًا، فهو الصادق حقًّا في خبره وأمره، وفي وعده ووعيده، وكلماته تامات من كل وجه، صادقات من كل وجه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)﴾ [النساء: ١٢٢].

ورسله صادقون، وملائكته صادقون، وكتابه صادق كما أنزله، ورسوله صادق بما بينه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)﴾[التغابن/ ٨].

فعليك بالصدق والتصديق بكل ما جاء عن الله ورسوله في إيمانك وأعمالك؛ تُكتب من الصادقين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ [التوبة: ١١٩].

واعلم رحمك الله أن الصِّدْق من الصفات العليا الرفيعة، والحلي الثمينة الغالية، والألبسة الجميلة الفاخرة، فالبسها في جميع أوقاتك وأحوالك تُعرف بذلك، وتنَلْ أجرذلك: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب/ ٣٥].

واعلم وفقك الله لهداه أن باب الصِّدْقُ التقوى؛ فادخل منه تجد الصِّدْق، وتكن من الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة/ ١١٩].

والصدق من أحسن الصفات، ومن صدق الله في طلبه زينه الله به: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠].

واعلم أن الصدق مفتاح أبواب البر كلها، فافتح به ما تشاء من أبواب الخير، يرضى الله عنك، ويكتبك مع الصادقين: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الزمر/ ٣٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا**» متفق عليه[1].

واعلم أن ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات إما أن تكون ظاهرةً على الجوارح، أو باطنةً في القلب، فحكم الجوارح المسارعة إلى ما يرضي خالقها بصدق النية في إنفاذه ومتابعة الرسول ﷺ في أدائه، وحكم ما بطن في القلب التصديق بالله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، وصدق النية في التقوى، والحب لله، والذل له، والتعظيم له:

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧)، واللفظ له.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾[الكهف/ ١١٠].

وإياك والكذب، فما هلك هالك إلا بالكذب على الله ورسوله ودينه وخلقه:﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾[الزمر/ ٣٢].

وعليك بالصدق الذي به نجاتك في الدنيا والآخرة، فالبسه في جميع أحوالك، وجاهد نفسك عليه، فالصدق يحتاجه الإنسان من بدء إيمانه إلى أن يلقى ربه، ليصل إلى أعلى درجات الصديقين بكمال الإيمان والتقوى والطاعة لله ورسوله:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

والإيمان بأن الله ﷻ هو الصادق يقتضي من المؤمن التصديق بكل ما أخبر الله ورسوله به، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ويقتضي السعي والعمل؛ لنيل الأجر والثواب، والاتصاف بالصفات التي يحبها الله ﷻ:﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾[التوبة/ ١١٢].

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة/ ٧١-٧٢].

واعلم أن من سأل الله صادقًا أجاب دعاءه، والأنبياء والأولياء صدقوا في يقينهم وفي دعائهم؛ فاستجاب الله لهم.

فإبراهيم ﷺ حين دعا قومه إلى الإسلام: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٨-٧٣].

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٧٦-٧٧].

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٩٠].

حظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون صادقًا مع ربه بتوحيده وإيمانه، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة/ ١١٩].

فكن صادقًا في جميع أمورك، والزم الصادقين؛ تزددْ إيمانًا وصدقًا، وهداية وعلمًا: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨].

واعلم يا عبد الصادق أن برهان الصدق البذل والعطاء لإعلاء كلمة الله، فاحفظ أوقاتك فيما ينفعك وينفع الناس، وابذل ما تملك من قوة وعلم ومال فيما يحبه الله ويرضاه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات/ ١٥].

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

واعلم وفقك الله لهداه أن الصديقية أفضل مراتب البشر بَعْدَ الأنبياء والرسل، وأهلها في مقعد الصِّدْق عِنْد ربهم يوم القيامة؛ فالصديق يصحب النبي في نبوته، والرسول في رسالته، والصديق في صديقيته، والتقي في تقواه، والرحيم في رحمته، والمؤمن في إيمانه، والكريم في إكرامه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

فاسأل الصادق أن يرزقك صفة الصدق: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾

[البقرة: ١٨٦].

واعلم أن العبد إذا عبد ربه بالصدق؛ أوصله ذلك إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا العلم يوصله إلى اليقين، واليقين يوصله إلى مقام التوكل على الله، وصدق

التوكل يورثه الغنى عما سوى الله، والرضا عن ربه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم أنه كلما ارتقى المؤمن في درجات الصدق زاد بره، وإخلاصه، وإيمانه، ويقينه، وحياؤه، وطمأنينته، ونزل عليه من العزيمة بقدر صدقه؛ لأنه لا يرى في الكون إلا ربًّا واحدًا يفعل ما يشاء وحده لا شريك له: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وإذا دخلت العزيمة في القلب؛ ارتحل منه حب الدنيا، والتعلق بشهواتها، وحل مكانه حب الله والدار الآخرة، وبذل كل شيء من أجل رضاه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات/ ١٥].

والصادقون هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ فأعطوا جهدهم فيما بينهم وبينه بالصدق، فهداهم إليه، وإلى ما يحب، وجعلهم من الصادقين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

واعلم رحمك الله أن الفتاح سبحانه إذا فتح للمؤمن باب الصدق، صار صديقًا؛ فرأى ببصره وبصيرته نور الهداية، وقام على قلبه ولسانه وجوارحه شاهد الصدق، وبدت له فتوحات الحق، ورأى الخالق الرزاق يخلق ويرزق، ورأى الملك الحق يتصرف في ملكه وعبيده، وذاق طعم الأذكار، وحلاوة الإيمان، وصدق اليقين، ورأى حلول الأنوار في الصدور والقلوب: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور: ٣٥].

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام/ ١٢٢].

واعلم أن أول الصديقية: الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتصديق رسل الله وكتبه، والعمل بما جاء عن الله ورسوله، وترك ما سوى ذلك:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴿١٩﴾﴾[الحديد/ ١٩].

ونقيض الصديقية: الزندقة، وهي كالشرك مع التوحيد، فهما متقابلان لا يجتمعان أبدًا، كالنور والظلام:﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[الزمر/ ٣٢].

وأول الزندقة: الكفر بالله، وجحد ما لله من الأسماء والصفات، والطعن في النبوة، ورد ما جاءت به الرسل، وهذا هو النفاق الذي جمع أخطر أنواع الكفر، وعقوبته أشد أنواع العذاب:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾[النساء/ ١٤٥-١٤٦].

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء/ ١١٥].

واعلم أن كل من ادعى علم معرفة الله ﷻ، ومعرفة دينه، ثم خالف ما جاء به الرسول ﷺ؛ فهو زنديق عدو لله ورسوله، قد مكر الشيطان به، وأضله عن سواء السبيل، بالإصرار على تعطيل أحكام الله ورسوله، وعلمه حجة عليه:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الصِّدْقُ يكون بنبذ الشواغل الَّتِي تشغل العبد عَنْ مناجاة ربه، وامتثال أوامره،واجتناب نواهيه، ويكون الصدق ببذل المجهود في طلب المقصود على سبيل الحق المشروع؛ من عبادة الله ﷻ، والدعوة إليه، وتعلم وتعليم

شرعه، والإحسان إلى خلقه، ومن أسرع سبق ونجا، ومن تأخر خسر وأسره عدوه، ومن أخلص لله ما يحبه خلصه الله مما يضره، وأكرمه بما يسره: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

فسارع إلى مرضاة ربك مع الصادقين بأقوالك الحسنة، وأعمالك الصالحة، وأخلاقك الكريمة: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فسارع وسابق إلى مرضاة ربك مع الصادقين تكن من المفلحين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج/ ٧٧-٧٨].

واعلم رحمك الله أن خشوع الجوارح من خشوع القلب، وسيُرى على الوجوه ما تضمره القلوب: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

واللسان يغرف من القلب حلواً أو مراً، حقاً أو باطلاً، وفضول اللسان من فضول القلب، وميزان ذلك الصدق: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].

ومن عرف الله اتقاه، وشغل قلبه ولسانه وجوارحه بعبادته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦١].

ومع العزم يكون العون من المستعان، ومع العجز والكسل يكون الخذلان والحرمان: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

[هود: ١١٢ – ١١٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة/ ١٥٣].

والصدق أعلى الدرجات، والكذب أسفل الدركات، وكلاهما مسؤول عن حقيقته، وجزاء العبد بحسبه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب: ٧ – ٨].

وإذا أكرمك الله بالصدق؛ فكن صادقًا مع الله في جميع أمورك، البس لباس الصدق، وكن صادقًا مع الله وخلقه، واعمل بالصدق، وانشر الصدق، وعلم الناس الصدق: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

[فصلت: ٣٣].

وعليك بالصدق في المواطن كلها، واصبر على ما أصابك؛ تسلم وتغنم وتؤجر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر/ ٨].

أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأكملها صدقًا، وأعظمها برًا، وأجودها بذلًا وتضحية، أولئك أصحاب محمد ﷺ من المهاجرين والأنصار: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٢٢-٢٤].

ولما صدق هؤلاء في توحيدهم وإيمانهم، وفي أقوالهم وأعمالهم، وصدقوا مع ربهم وصدقوا مع خلقه، رضي الله عنهم ورضوا عنه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ

وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

فاسأل الله العزيز الصادق أن يرزقك الصدق لتكون مع الصادقين من الأنبياء والرسل وأتباعهم، وجاهد نفسك على ذلك في جميع أحوالك؛ تفز بمرضاة ربك مع الصادقين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف/ ١٦].

ثم تكون يوم القيامة بجوار الرحمن في مقعد الصدق: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء/ ٨٠].

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري(١).

اللهم إنا نسألك نفوسًا مطمئنة تؤمن بلقائك، وتقنع بعطائك، وترضى بقضائك، وتصبر على بلائك.

اللهم إنا نسألك إيمانًا يباشر قلوبنا، ويقينًا صادقًا تملأ به صدورنا، حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت لنا، إنك على كل شيء قدير.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، يا أرحم الرحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسـم الله

الوارث

اسم الله الوارث

العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله من أعظم العلوم وأنفعها للعبد.

فهذا العلم العظيم هو الجالب لتعظيم الرب ومحبته، وحمده وشكره، الفاتح لباب الطاعات والقرب، الواقي من المعاصي والذنوب، الدافع للشك والريب، المعين على الصبر، السلوان في المصائب، الحرز الحامي من الشيطان، المحرك للبذل والعطاء والإحسان: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

فلا إله إلا الله! لا يحصي ثمار هذا العلم، وهذه المعارف إلا هو، ولا يذوق حلاوتها إلا من علمها، واتصف بها، وعبد الله بمقتضاها، ودعا الخلق إلى معرفتها، والتعبد لله بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وكل اسم من أسماء الله الحسنى يقتضي آثاره من الخلق والأمر، فاسمه الملك يقتضي ملكًا وتصرفًا، واسمه الخالق يقتضي خلقًا ومخلوقًا، واسمه الرزاق يقتضي رزقًا ومرزوقًا، واسمه التواب يقتضي توبةً تقبل، واسمه الغفار يقتضي جنايةً تغفر، واسمه الحكيم يمنع ترك الإنسان سدًى مهملًا لا يؤمر، ولا ينهى، ولا يحاسب، واسمه السميع يقتضي مسموعًا من مخلوقاته، واسمه البصير يقتضي مبصرات يبصرها، وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى، واسمه الوارث يقتضي موروثًا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

وكل اسم من أسماء الله الحسنى له تعبد خاص به، لا يتحقق إلا بمثل هذا النظر والتدبر في الآيات الكونية والشرعية، والتفكر في كل اسم وما يقتضيه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

وأكمل الناس عبوديةً لله من تعبد بجميع أسماء الله وصفاته؛ فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، ولا عبودية صفة عن عبودية صفة أخرى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فسبحان ربنا العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو جل جلاله الوارث الحق، الباقي بعد فناء الخلق، الوارث الذي يستردهم، ويسترد أملاكهم وأموالهم بعد موتهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر/ ٢٣].

وهو سبحانه خالق الخلق ومالك الملك الذي يتصرف في البقاع والأموال، والأشخاص والأشياء، كيف شاء، يورثها من يشاء، ويستخلف فيها من يشاء من أوليائه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٢٨].

هو سبحانه الوارث الذي ترجع إليه جميع الأملاك بعد موت المُلاك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم/ ٤٠].

هو سبحانه الوارث الذي كل شيء ملكه، وهب لك منه ما شاء ليمتحنك، فهو ملكه في يدك، وسيرثه من وهبه لك، والأرض لله يورثها من استقام على أمره؛ ليستعين بها على طاعته: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٥-١٠٦].

وهو سبحانه الوارث الحي الذي لا يموت، وارث الخلق أجمعين، ووارث كل وارث من خلقه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم/ ٤٠].

فسبحان ربنا الوارث الباقي بعد فناء الخلائق، الحي الذي لا يموت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو الوارث الذي له ميراث السماوات والأرض، الوارث لكل مالك وما ملك: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨٠].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الملك الحق جل جلاله صادق الوعد، وعد عباده المتقين بالخلافة في الأرض في هَذِهِ الدنيا على أحسن حال، وصدق: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور/ ٥٥].

ووعد عباده المتقين أن يورثهم الجنة يوم القيامة، والتي فيها من الرحمة والحسن والنعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم/ ٦١-٦٣].

فسبحان الملك الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الوارث الباقي بعد فناء الخلق، وكل ما سواه فان زائل: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧].

هو الملك الذي إليه المرجع والمنتهى، وإليه المآل والمصير، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم/ ٤٢].

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر/ ٢].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

هو الملك الحق، الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن، وهو على كل شيء قدير: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

هو الوارث الذي يرث الملك والملكوت، والملوك والعبيد، والخلق أجمعين: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر/ ٢٣].

واعلم أن الملك الحق بيده الملك كله، يؤتي الملك من يشاء من عباده المؤمنين، وينزع الملك ممن عصاه من أعدائه، وأعداء رسله وعباده المؤمنين، ويورثه من آمن به وأطاعه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٣٧].

فسبحان ربنا العظيم! وسبحان من يؤتي الملك هذا، وينزعه من هذا، بأمر واحد، ووقت واحد!: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

وسنة الله جارية لا تتبدل أبدًا، يورث المؤمنين ديار الكافرين؛ لأنه القادر على كل شيء، الوارث لكل شيء: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

هو القوي العزيز الذي يمكن لأوليائه في الأرض، ويكفيهم شر أعدائهم، ويدافع عنهم، ويورثهم ملكهم بعد أن يملأ قلوب الكفار بالرعب: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ

وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب/ ٢٥-٢٧].

واعلم أن الله كريم رحيم، ودينه وكتابه كريم، فيه كل الهدى والرحمة والفلاح، يورثه من اصطفاهم لعبادته، واجتباهم لدار كرامته: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٣].

وقد ورد اسم الله الوارث في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ منها قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر/ ٢٣].

والله سبحانه هو الوارث الحي القيوم الذي لا يموت، الباقي بعد فناء الخلق، الذي يرث الخلائق بعد فنائهم، ويرث الأرض ومن عليها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم/ ٤٠].

والصفة المشتقة من اسم الله الوارث هي الوراثة، وهي صفة ذات وفعل لله ﷻ.

فهي صفة ذات إن كانت بمعنى الباقي بعد فناء الخلق: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢].

وإن كانت بمعنى الوراثة فهي صفة فعل؛ لأن الله يرث جميع الأشياء بعد فناء الخلق، وتعود الأشياء إلى مالكها الحقيقي، ويورث جل جلاله منها ما شاء لمن شاء في ملكه: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٢٨].

هو سبحانه الوارث لجميع الخلائق والأشياء بعد فناء الخلائق، الوارث الباقي الذي ليس لملكه أمد: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر/ ٢٣].

هو سبحانه الملك الذي يورث أولياءه ما يسعدهم في الدنيا والآخرة.

فيورثهم في الدنيا ديار الكفار: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب/ ٢٧].

﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ [الأنبياء/ ١٠٥].

ويورثهم الوارث جل جلاله في الآخرة الجنة ومساكن الكفار في الجنة: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم/ ٦٣].

فهو سبحانه الكريم الذي يورث أولياءه أجل ميراث وأعظمه، وهو دينه وكتابه، ويورثهم الجنة في الآخرة.

واعلم أن كل شيء تملكه هو لله في يدك، وأنت مستخلف فيه، ويدك عليه يد أمانة، ثم يعود إلى الوارث الذي أعطاك إياه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد/ ٧].

هو الوارث لكل وارث: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٤٠﴾ [مريم/ ٤٠].

فسبحان ربنا العظيم الذي له الملك والملكوت، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك السماوات والأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله جنود السماوات والأرض، وله خزائن السماوات والأرض، وله غيب السماوات والأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١].

فسبحان من خلق هذا الملك العظيم، ثم يرث ذلك كله: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٢٣﴾ [الحجر/ ٢٣].

هو الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

اعلم رحمك الله أن ربك هو الملك الحق الذي بيده مقاليد الأمور، وله خزائن السماوات والأرض، يورث من يشاء من عباده ما يحبه ويرضاه، فاسأله أن يورثك علم النبوة والكتاب، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والعمل بطاعته، والكف عن معصيته، والإحسان إلى خلقه، وأن يجعل ذلك في ذريتك، كما سأله زكريا ﷺ الولد ليرثه في الدعوة إلى الله وعبادة الله، فأجابه سبحانه بقوله: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

واجتهد وفقك الله لما يرضيه أن تكون بعد الموت وارثًا مع الوارثين الذين يرثون الفردوس في الجنة بإيمانهم وتوحيدهم، وحسن صفاتهم، وعبادة ربهم، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والإحسان إلى خلقه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون/ ١-١١].

وإذا أورثك الله علم ما لم تعلم من العلم بأسماء الله، وصفاته، وأفعاله، ودينه؛ فعلمه عباده تكن ربانيًّا من ورثة الأنبياء والرسل، فالأنبياء والرسل لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر يستفيد منه، ويفيد غيره، وكن وارثًا للنبي ﷺ، ونائبًا عنه في أمته: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واعلم رحمك الله أن جميع الأقوال والأفعال موروثة ومحاسب عليها، فأحسن أقوالك وأفعالك وأعمالك وأخلاقك، وأخلصها لربك؛ يسُرَّك ما فعلته يوم تلقاه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة/ ٥].

واعلم أنك ستلقى ربك بما عملت، وسترى كل ما قدمت وما أخرت: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

واعلم أن الإنسان إذا مات قال الناس: ماذا خلف؟ وقالت الملائكة: ماذا قدم؟ فاجتهد أن تكون قبل الموت جامعًا للخيرات، مسارعًا إلى كل عمل صالح، وتكون بعد الموت وارثًا يرث ثواب الإيمان والتوحيد والأعمال الصالحة في الجنة: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٣﴾ [الزخرف/ ٧٢-٧٣].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه- أن الإيمان والعمل الصالح هو خير ميراث يرثه العبد بعد موته، وهذا هو الميراث الحقيقي الذي يبقى ولا يفنى، ويورث الجنان ورضوان الرحمن: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣﴾ [مريم/ ٦٣].

فاجتهد أن تكون بعد الموت وارثًا، وسل ربك أن يورثك من فضله، ويبقي لك السمع والبصر والعافية؛ لتنتفع بذلك في دينك ودنياك، وتنفع غيرك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٠-٣٣].

ومن دعاء رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي**» أخرجه الترمذي(١).

ومن عرف ربه باسمه الوارث تعلق به وحده، وتوكل عليه وحده؛ لعلمه أن ربه الوارث الحفيظ الذي يحفظ ما يبقى للعبد بعد موته من مال وولد، وعلم وعمل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٩٧٢)

وهو خير الوارثين، فلا تغرنك الدنيا وزينتها، واحذر من الركون إليها؛ لأن مآلها إلى الفناء، ولا يبقى لك إلا ما قدمته لنفسك من الأعمال الصالحة التي تجد ثوابها، وترثه يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر/ ٥-٦].

وقال النبي ﷺ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**» أخرجه مسلم(١).

فاجتهد أن تكون وارثًا للجنة في الآخرة بما تقدمه لنفسك من أنواع الأعمال الصالحة؛ عبادةً، ودعوةً، وتعليمًا، وجهادًا في سبيل الله، وإحسانًا إلى الخلق، وإنفاقًا مما أعطاك الله: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**» أخرجه البخاري(٢).

واعلم أن حظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يعلم أنه وما يملك على شرف الزوال، ولا يبقى له في الآخرة إلا ثواب الأعمال الصالحة، كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ٧٦﴾ [مريم/ ٧٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤٤٢).

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾[البقرة/ ١٢٧-١٢٨].

«اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم(1).

اللهم يا عالم الخفيات، يا رفيع الدرجات، يا ذا العرش المجيد، يا وارث كل وارث، يا غافر الذنب، يا قابل التوب، لا إله إلا أنت، أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا أرحم الرحمين:﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾[الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

وهذا الاسم الكريم، اسم الله الوارث، آخر الأسماء الحسنى التي أحصيناها من القرآن الكريم بفضل الله وحده.

وهذه الأسماء الحسنى الواردة في القرآن الكريم، والتي أحصيناها بفضل الله ﷻ وهي: الله، الإله، الرب، الرحمن، الرحيم، الملك، المليك، الواحد، الأحد، الصمد، الأول، والآخر، الظاهر والباطن، الحق، المبين، الحي، القيوم، السميع، البصير، العلي، الأعلى، المتعال، الكبير، المتكبر، العظيم، القوي، المتين، القاهر، القهار، العليم، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، الخالق، الخلاق، البارئ، المصور، الغني، الرزاق، الرازق، الكريم، الأكرم، الحميد، المجيد، الولي، المولى، الناصر، النصير، القادر، القدير، المقتدر، اللطيف، الخبير، الحكيم، الحكم، الشكور، الشاكر، الحليم، العفو، الغفور، الغفار، الودود، البر، الرؤوف، القريب، المجيب، المستعان، التواب، الرقيب، الشهيد، الواسع، المحيط، الحسيب، المقيت، الحفيظ، الحافظ، الكافي، الكفيل، الوكيل، الفتاح، الوهاب، الهادي، الصادق، الوارث.

وقد بلغ مجموع هذه الأسماء الحسنى التي أحصيناها بفضل الله من كتاب الله ﷻ، اثنين وتسعين اسمًا من أسماء الله الحسنى.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

ويلي ذلك أسماء الله الحسنى الواردة في السنة النبوية الصحيحة، ومجموعها اثنا عشر اسمًا من أسماء الله الحسنى، وأولها: اسم الله الوتر، وآخرها اسم الله المحسن.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم فهم أسماء الله الحسنى، وحفظها، والعمل بموجبها، والتعبد لله بمقتضاها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وقد بلغ مجموع الأسماء الحسنى التي أحصيناها من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة مائة وأربعة اسم من أسماء الله الحسنى، فلله الحمد والمنة على تمام النعمة والمنة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

البـاب السادس عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٩٢- اسم الله الوتر.

التعبد لله عز وجل باسمه الوتر.

٩٣- اسم الله السبوح.

التعبد لله عز وجل باسمه السبوح.

٩٤- اسم الله الطيب.

التعبد لله عز وجل باسمه الطيب.

٩٥- اسم الله الجميل.

التعبد لله عز وجل باسمه الجميل.

٩٦- اسم الله النور.

التعبد لله عز وجل باسمه النور.

٩٧- اسم الله الرفيق.

التعبد لله عز وجل باسمه الرفيق.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الوتر

اسم الله الوتر

هذا هو الاسم الأول من أسماء الله الحسنى الواردة في السنة النبوية الصحيحة.

فلله الحمد على إتمام إحصاء وشرح أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم.

وله الحمد على ما وفقنا إليه من شرح أسماء الله الحسنى الواردة في السنة النبوية، وعددها اثنا عشر اسمًا نبدأها باسم الله الوتر.

الله جل جلاله هو الوتر الحق الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا أحد مثله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ**» متفق عليه(١).

الله جل جلاله هو الوتر الواحد الأحد، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣].

وهو سبحانه الوتر الواحد الأحد الصمد الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، الذي ليس كمثله أحد، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه الوتر الذي تفرد بالملك والخلق والأمر والتصريف والتدبير وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٧٧)، واللفظ له.

ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو الملك الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

هو سبحانه الوتر الواحد الأحد، الذي تفرد بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وهو سبحانه الوتر القادر على كل شيء وحده لا شريك له، تفرد وحده بخلق المجتمعات والمتفرقات، والعلويات والسفليات، والذرات والمجرات، القادر الذي يسيل الجامدات، ويجمد السائلات، ويحرك الساكنات، ويسكن المتحركات، ويجمع بين المتضادات، ويؤلف بين المختلفات: ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤].

بيده الخلق والأمر وحده: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

هو سبحانه الوتر الذي تفرد بالخلق والأمر، وله مقاليد السماء والأرض وحده لا شريك له: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الشورى/ ١١-١٢].

هو سبحانه الوتر الذي تفرد بالعلم بكل شيء وحده لا شريك له: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ

وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة/ ٧].

هو وحده عالم الغيب والشهادة: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٨].

﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان/ ٣٤].

هو سبحانه الوتر الذي بيده مفاتيح كل شيء: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

هو جل جلاله الوتر الواحد الأحد الذي تفرد بخلق كل شيء في ملكه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

واسم الله الوتر لم يرد في القرآن الكريم، وإنما ورد في السنة الصحيحة.

قال النبي ﷺ: «**للهِ تِسعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ**» متفق عليه(١).

هو سبحانه الوتر الذي يجب أن تُصرف له العبادة وحده لا شريك له، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٧٧)، واللفظ له.

هو جل جلاله الوتر الواحد الأحد، وجميع خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي خلقهم أزواجًا، كما قال سبحانه: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٤٩ – ٥١].

والوتر من أسماء الله الذاتية التي لا تنفك عنه أبدًا، فهو وتر واحد أحد، لا شريك له، ولا شبيه، ولا مثيل، واحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو سبحانه الوتر الذي تفرد بالربوبية، فلا شريك له في الخلق والتدبير، والملك والسلطان، والإحسان والإنعام: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

وهو سبحانه الوتر الذي تفرد بالألوهية، فلا يستحق العبادة إلا هو، وكل معبود سواه باطل؛ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج/ ٦٢].

هو سبحانه الوتر الذي تفرد بالخلق وحده فيجب أن تصرف له العبادة وحده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

وهو سبحانه الوتر الذي انفرد بالوحدانية والربوبية والألوهية، وخلق كل ما سواه شفعًا، فلا تستقر هذه المخلوقات ولا تهنأ ولا تعتدل إلا بالزوجية، ولا تستقيم ولا

تسعد ولا تهنأ على الفردية: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩].

فخلق الوتر كل ما سواه على الزوجية، وجعل كل واحد منهما محتاجًا إلى الآخر، فلا يتم نفع أحدهما إلا بالآخر، من الجماد، والنبات، والحيوان، والإنس والجن، وفي ذلك إشارة إلى أنه لا بد أن ينتهي الأمر إلى واحد لا شريك له، هو الله الواحد الأحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة/ ١٦٣].

فسبحان الوتر الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، الذي خلقه كله شفع، الليل والنهار، والبر والبحر، والذكر والأنثى، والنور والظلام، والرطب واليابس، والله وحده هو الوتر الذي خلق كل شفع: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٢].

وهو سبحانه الوتر الذي جعل الصفات والمعاني كلها شفعًا، التوحيد والشرك، والإيمان والكفر، والصدق والكذب، والحق والباطل، والخير والشر، والربح والخسارة، والطاعات والمعاصي، والحسنات والسيئات، والثواب والعقاب: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

والله وحده هو الوتر الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، القادر على كل أحد، المحيط بكل أحد: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

وهو الوتر الذي جعل أحوال الناس كلها شفعًا؛ المؤمن والكافر، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والقادر والعاجز، والصادق والكاذب، واللين والقاسي،

والصحيح والمريض: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الوتر الذي كل ما سواه شفع، الوتر الذي خلق كل شفع: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ [يس/ ٣٦].

واعلم أن الوتر سبحانه غني عن كل ما سواه، والشفع كل ما سوى الله، والشفع يحتاج إلى الوتر، والوتر لا يحتاج إلى الشفع، وكل شفع من المخلوقات يحتاج إلى غيره ليبقى ويعيش وينفع، فالرجل يحتاج إلى المرأة، والمرأة تحتاج إلى الرجل، والذكر من النبات والحيوان محتاج إلى الأنثى، والأنثى محتاجة إلى الذكر، والكل محتاج إلى الوتر في خلقه وبقائه ورزقه وتدبيره: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد: ٣].

والفرد محتاج إلى المجتمع، والمجتمع محتاج إلى الفرد، والناس محتاجون إلى الحاكم، والحاكم محتاج إلى الناس، والجميع محتاج إلى الوتر الواحد الأحد: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥١].

فكن وترًا متميزًا علمًا وتعبدًا وأخلاقًا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وكن متفوقًا إمامًا في هذا المجتمع الذي تعيش فيه؛ لتنفع نفسك، وينتفع الناس بما عندك: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن الله واحد لا مثيل له، أحد لا شبيه له، وتر لا شفع له: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

فسبحان ربنا العظيم الذي انفرد بالأحدية، والوحدانية، والوترية، والربوبية، والألوهية، وأقام خلقه على الشفعية والزوجية؛ إظهارًا لفقرهم، وحاجة بعضهم إلى بعض، وحاجة الكل إلى ربهم الوتر الغني عن كل شفع وزوج، وانفرد سبحانه بالوحدانية وحده لا شريك له: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر/ ٤].

والله سبحانه له الأحدية، والوحدانية، والوترية المطلقة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

أما الإنسان فحياته قائمة على الزوجية؛ فهو إما أن يكون عبدًا لله أو عبدًا لغير الله، وإما أن يكون عبدًا للرحمن أو عبدًا للشيطان: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان/ ٢-٣].

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢﴾ [التغابن/ ٢].

فالله هداك للنجدين، وأنت تختار ما تشاء، فإن اخترت الله كنت عبدًا لله، وإن اخترت غيره كنت عبدًا لغيره، وهذه الحرية الإنسانية خاضعة للمشيئة الإلهية: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ

﴿لِلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾
[التكوير/ ٢٧-٢٩].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾
[الإنسان: ٢٩ – ٣١].

فسبحان ربنا الوتر الواحد الأحد، الذي بنى خلقه على الزوجية؛ لينفرد وحده بالوترية، والألوهية، والعبودية، والربوبية: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الوتر الملك الحق، الذي وسم جميع المخلوقات بسمة الحدث والصنع، والعجز والفقر، وانفرد عنها جل جلاله بصفات السلام، والكمال، والجلال، والجمال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

فانفرد سبحانه عن كل ما سواه بالملك دون المملوك، وبالربوبية دون المربوب، وبالعبادة دون المخاليق، وبالألوهية دون الواله العبد الفقير المحتاج إلى الإله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

هو سبحانه الوتر الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود/ ١٢٣].

أفرد سبحانه المؤمنين بإكرامه، وأفرد الكافرين بإهانته، وأفرد كل ذي شكل بشكله، وكل ذي صورة بصورته، وكل ذي لون بلونه، وكل ذي حجم بحجمه، وكل ذي سمع بسمعه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وهو سبحانه الوتر الذي خلق كل وتر، وخلق كل شفع، ومخلوقاته كلها شفع ووتر: السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والذكر والأنثى، واليابس

والرطب، والخير والشر، والنور والظلام: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس/ ٣٦].

وهو سبحانه الوتر الذي يحب الوتر، ويأمر به فيما شرعه من الأقوال والأعمال والطاعات التي شرعها؛ في الأذكار، والصلوات الخمس، ووتر الليل، والطهارة، وغير ذلك.

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا؛ فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**» أخرجه أبو داود والترمذي(١).

فسبحان الوتر الحق الذي لا مثيل له، ولا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله، الذي تفرد بخلق المخلوقات، وإبداع البريات، وتدبير جميع الكائنات: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، وهذا ملكه، هو وحده الذي يستحق العبادة دون سواه: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج/ ٣٤-٣٥].

هو سبحانه الوتر الذي يجب إخلاص العبادة له وحده لا شريك له: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» أخرجه مسلم(٢).

هو سبحانه الوتر الواحد الأحد الذي من جاء إليه مؤمنًا يوم القيامة ضاعف حسناته وغفر ذنوبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤١٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٨٧٧) وهذا لفظه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠-١٣].

ومن جاءه مشركًا عاصيًا أدخله النار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء/ ١١٦].

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة/ ٧٢].

فاستقم لمولاك الذي خلقك ورزقك وهداك: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠].

واستقم لربك كما أمرت لا كما اشتهيت: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢-١١٣].

التعبد لله ﷻ باسمه الوتر

اعلم وفقك الله لطاعته، وحسن معرفته، أن الله وحده هو الملك الحق الوتر الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، الملك الحق الذي تفرد بالخلق والأمر، وتفرد بالعطاء والمنع، والبسط والقبض: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فربنا جل جلاله هو الملك الحق الذي تفرد بالأمر من ثلاثة أوجه:

فهو الذي تفرد بالأمر الكوني القدري، فهو الذي يدبر الأمر في العالم العلوي والعالم السفلي.

وله الأمر الشرعي، بما شرعه على ألسنة رسله من الدين الحق الذي يتعبد الناس به لربهم.

وله الأمر الجزائي يوم القيامة، فوعد من آمن بالجنة والرضوان، ووعد من كفر وعصا بالنار وسخط الرحمن.

فيا عبد الله خلقك الله ورزقك، وأكرمك بالسمع والبصر والفؤاد، وأفردك بذلك كله، ولم يشرك معك أحدًا؛ فأفرده أنت بالتوحيد والإيمان والعبادة، وأطعه بأداء ما أوجبه عليك من أعمال صالحة، وأخلاق كريمة، واشكره على نعمه التي أنعم بها عليك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وكما تفرد جل جلاله بالعظمة، والخلق، والعزة، والكبرياء، والجلال، والجمال، والجبروت؛ فأفرده وحده بالذلة والخضوع له، والحب والتعظيم له، والخوف والرجاء، والتوكل والاستعانة، وسائر أنواع العبادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

واعلم أن الكريم سبحانه إذا أفردته وحده بعملك أفرد لك عنده نعيمًا كاملًا خالدًا، سليمًا من أي عيب أو نقص، خالصًا من كل كدر ونكد، فصل لك بعضه، وأجمل لك جله؛ لأن أحدًا من الخلق لا يمكنه أن يحيط بعلمه، ولا تبلغ آمالهم إلى بعضه؛ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١ - ٧٢].

فيا بشرى أهل التوحيد والإيمان، والطاعات والقربات، بالنعيم المقيم الذي جمع الله فيه كل نعيم!: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

هؤلاء الذين اختارهم الله ﷻ واصطفاهم واجتباهم لتوحيده والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ

يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

والله ﷻ وتر، أفرد لمن كفر به وعصاه عذابًا أليمًا خالدًا، عاريًا من أقل راحة، مسلوبًا من أي نعمة، لا يحيط به علم أحد، ولا يقوم لأدناه صبر أحد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء/ ٥٦].

وقال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة/ ٦٨].

واعلم أن ربك القادر على كل شيء، أفرد لك زوجين: نعيم وعذاب، لزوجين من فعلك: طاعة، ومعصية، وأفرد لك أسماءها وصفاتها، وثوابها وعقابها، فأفرد له العبودية؛ يفرد لك النعيم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح/ ١٧].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر/ ١١-١٣].

وأفرد لك ربك الوتر سبحانه الحق من الباطل، والخير من الشر، فأفرده بفعل الحق والخير، واحذر ما يسخطه من الباطل والشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال/ ٢٤-٢٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

واعلم أن الله غني عن العالمين كلهم، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة/ ٥].

وقال النبي ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»أخرجه مسلم[1].

﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

فلا توجه عملك لسواه؛ فتخسر نفسك وعملك، ودنياك وأخراك: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة/ ٧٢].

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾ [الزمر: ١٥ – ١٦].

واختم رحمك الله أعمالك بالوتر حسب الشرع؛ لما علمته من بركة الوتر، وحب الله له: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧].

واعلم أن الله إذا أحب عملًا أعطى عليه ما لا يعطي على ما سواه، وأحب العامل به، فاطلبه واعمل به: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾ [هود/ ١١٤ -١١٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤١ -٤٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

واعلم أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [الروم: ٣٠].

وإياك أن تتقرب إلى ربك بعمل ليس خالصًا له، أو لم يشرعه الله ورسوله؛ فيرده الله عليك: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف/ ١١٠].

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» متفق عليه(١).

واعلم هدانا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن العبد إذا عرف ربه باسمه الوتر؛ أثمر له ذلك توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بجميع أنواع العبادة، وتوحيده بالمحبة والتعظيم، والحمد والشكر، والخوف والرجاء، والاستعانة والتوكل؛ لعلمه أن ربه الوتر الواحد الأحد، الذي تفرد بالربوبية والألوهية، هو الله وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومن عرف ربه باسمه الوتر؛ آمن به وحده، ولم يلتفت لأحد سواه، وتعلق قلبه بالله وحده، وأسلم له وجهه وقلبه وجوارحه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾ [غافر: ٦٥].

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣)﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢)﴾ [الإسراء/ ٢٢].

مذمومًا: لا حامد لك، مخذولًا: لا ناصر لك: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨)، واللفظ له.

ومن عرف ربه باسمه الوتر الواحد الأحد؛ أفرده بالطاعة والعبادة، والتشريع والتسليم، والتلقي والقبول، وأفراد رسوله بالاتباع: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء/ ٦٥].

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة/ ١١٢].

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان/ ٢٢-٢٤].

وحظ العبد من اسم الله الوتر، أن يفرد حياته كلها في عبادة الله، ودعوة الخلق إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه بأنواع الإحسان: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

[غافر: ٦٥].

وكذا يفرد ربه الوتر بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويفرده بعبادته وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فكن وترًا متميزًا إمامًا بأحسن الأقوال والأفعال، والأخلاق والآداب: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل/ ١٢٠-١٢٢].

وكن سباقًا إلى كل عمل صالح، وليكن قدوتك سيد الأنبياء والرسل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

فكن إمامًا للمتقين، إمامًا للمحسنين، إمامًا للصالحين، إمامًا في الحكمة، إمامًا في العلم، إمامًا في الدعوة، إمامًا في الكرم، إمامًا في الحلم، إمامًا في الإحسان: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان/ ٧٤].

واعلم أن الانتماء للجماعة دين وعزة وقوة؛ لأن الجماعة رحمة، ويد الله مع الجماعة، ونصرته للجماعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد/ ٧].

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

والانتماء الفردي شذوذ وضعف، وغرور وعذاب؛ لأن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣].

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

والتعبد لله باسمه الوتر: أن تتوضأ وتغتسل وتستجمر وترًا، وتختم صلاتك بالليل بالوتر، وأن تعبد ربك الوتر كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

ومن التعبد لله ﷻ باسمه الوتر أن تصدق رحمك الله في إخلاص العمل لله وحده، وتخص رسوله ﷺ بالاتباع وحده: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» أخرجه مسلم(١).

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

«**اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**» متفق عليه(٢).

اللهم أنت الملك، لا إله غيرك، ولا رب سواك، أنت الواحد لا شريك لك، أنت الأحد لا شبيه لك، أنت الوتر لا مثيل لك، لن تطاع إلا بإذنك، ولن تعصى إلا بعلمك، تطاع فتشكر، وتعصى فتغفر، فلا إله إلا أنت.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يا أرحم الرحمين.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك ونتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٣١٧)، ومسلم برقم (٢٧١٧)، واللفظ له.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

السبوح

اسم الله السبوح

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

اعلم رحمك الله أن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله مثمرة لجميع الخيرات والبركات، العاجلة والآجلة، ومن أعظم ثمارها وآثارها في حياة المسلم:

أولًا: عبادة الله وحده لا شريك له، والعبادة بأنواعها أجل ثمرات العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فمن عرف ربه بالملك والجبروت، والعظمة والكبرياء، وعرفه بالغنى والإحسان، والرحمة واللطف، وعرفه بالعلم والإحاطة، والقوة والقدرة، وعرف أنه السميع البصير، العليم الحكيم، القوي القادر، تضرع إليه بالذكر والدعاء، وتوجه إليه بالحمد والثناء: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

ثانيًا: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: محبة الله ﷻ، ومحبة الله ﷻ قوت القلوب، وشفاء الصدور، وقرة العيون، ومن أحب الله؛ أحبه الله، ورضي عنه وأرضاه، فتقبل منه وهداه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

[الرعد: ٢٨ – ٢٩].

فإذا اجتمع للعبد معرفة داعي الإحسان والإنعام، إلى جانب معرفة داعي جلال ربه وجماله، كان على بينة من ربه: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

ولا يتخلف عن محبة الله ﷻ إلا أردأ القلوب وأخبثها: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

ثالثًا: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته: التعظيم والذل لله ﷻ، فإذا شهد العبد عظمة ربه؛ أفاض ذلك على قلبه الذل والانكسار بين يدي العزيز الجبار.

وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلًّا لربه، وتعظيمًا له، وحبًا له، وأكثرهم سجودًا لربه أكملهم معرفةً بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن سجد هذه السجدة القلبية سجدت معه جميع الجوارح، واكتملت عبوديته: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

رابعًا: ومن ثمرات العلم بالله وأسمائه وصفاته: الخوف والخشية من الله ﷻ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، وكان له أشد خشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

خامسًا: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته: اليقين والطمأنينة بالله جل جلاله.

فإذا عرف العبد ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ امتلأ قلبه إيمانًا ويقينًا، ونورًا وإشراقًا، ومحبةً لله وتعظيمًا له، وانتفى عنه كل ريب وشك وشرك: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

سادسًا: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: الرضا عن الله ﷻ.

فمن عرف ربه بعدله وإحسانه، وحلمه ورأفته، ورحمته وحكمته، وعرف أسماءه الحسنى، وصفاته العلى؛ أثمر له ذلك الرضا بحكم الله وأقداره، والتسليم لأمره ونهيه؛ لعلمه بأن تدبير الله أحسن من تدبيره، وأحكام الله خير من هوى نفسه، وثواب الله أعظم من عمله، ورحمة الله أرجى من أعماله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

سابعًا: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته: التوكل على الله وحده.

فمن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ سكن إليه، وتوكل عليه وحده في جميع أموره؛ لعلمه بكمال كفايته، وقيامه بشأن خلقه كلهم إيجادًا وإمدادًا وتدبيرًا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وكلما كان العبد بالله أعرف؛ كان إيمانه بالله أعظم، وكان توكله على ربه أقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

ثامنًا: ومن ثمرات معرفة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى: إخلاص العمل لله ﷻ.

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله أخلص له العمل؛ لعلمه بكمال غناه عن كل ما سواه، وشدة حاجة الخلق إليه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر/ ٦٥].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[فاطر/ ١٣-١٤].

تاسعًا: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: التوبة والإنابة إلى الله.

فمن عرف ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، سارع إلى طاعته وتاب إليه من

معصيته؛ لعلمه بكمال حبه لعبده، ورحمته به، وفرحه بتوبته: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء/ ٢٧-٢٨].

﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

عاشرًا: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته: حلاوة العبادة.

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ كانت قرة عينه في مناجاة ربه، والأنس به، وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الجنة إلا هذه المعرفة، ولا حلاوة تشبه حلاوة الجنة إلا عبادة الله بهذه المعرفة، وكلما ازداد العبد معرفةً بربه؛ ازداد إيمانًا وحبًّا وتعظيمًا وحمدًا لربه العظيم، ووجد حلاوةً ولذةً في كل ما يحبه ويرضاه، واستأنس بربه، واستوحش من كل ما يشغله عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

الحادي عشر: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: السعادة في الدنيا، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

فمن عرف ربه العظيم جل جلاله عبده بما يحبه ويرضاه، ثم الله يثيب عبده على دينه في الدنيا، ويسعده بالأمن والهداية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

أما في الآخرة فيكرمه الله بدخول الجنة، ورؤية الله سبحانه، والقرب منه، وسماع كلامه، والفوز برضوانه، والتلذذ بنعيم الجنة، والخلود في دار المتقين، والنجاة من نار الجحيم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

واسم الله السبوح لم يرد في القرآن؛ وإنما ورد في السنة في قوله ﷺ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**» أخرجه مسلم(١).

هو سبحانه السبوح الذي تنزه عن جميع النقائص والآفات والعيوب، وتنزه عن كل شيء ينافي صفات كماله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

فذاته سبحانه منزهة عن النقائص والعيوب، وعن الفناء والزوال، وعن الشبيه والمثيل؛ لكمال ذاته وصفاته، وجلاله، وجماله ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

وأسماؤه جل جلاله منزهة عن السوء والشر، وعن المثيل والشبيه؛ فأسماؤه أحسن الأسماء، وليس في الأسماء أحسن منها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وصفاته أحسن الصفات وأكملها، ليس فيها صفة نقص أو عيب أو ذم؛ بل كلها صفات جلال وجمال وكمال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وأفعاله جل جلاله أحسن الأفعال؛ لتضمنها الحكمة والرحمة والعدل والإحسان، ليس فيها عبث ولا سفه، ولا تناقض ولا خلل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧).

زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾ [لقمان: ١٠ – ١١].

وهو سبحانه السبوح المنزه عن كل ما لا يليق بربوبيته وألوهيته.

هو السبوح المنزه في أمره الكوني، وأمره الشرعي، وأمره الجزائي، عن كل عيب ونقص، وعن كل ما ينافي الحكمة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وهو سبحانه السبوح العظيم الذي له العظمة والجلال والجمال والكبرياء، المنزه عن كل ما يقوله الكفار في حقه: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

فسبحان من سبح نفسه، وحمد نفسه، قبل أن يخلق المسبحين بحمده: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

هو سبحانه السبوح المنزه عن كل عيب ونقص وسوء، البريء من النقائص والآفات والعيوب، المنزه عن الشريك والمثيل والشبيه، وكل ما لا يليق بجلاله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه السبوح رفيع الذكر والصفات، الذي سبحه الوجود كله؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة والمثل الأعلى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة: ١].

فسبحان الملك القدوس الذي يقدسه، ويسبح بحمده، كل من في العالم العلوي، وكل من في العالم السفلي، في جميع الأوقات بمختلف اللغات، وأنواع الأصوات: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ

﴿ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١﴾ [النور/ ٤١].

وسبحان من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، السبوح القدوس الذي ليس له مثيل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الموصوف بجميع المحامد، المنزه عن جميع العيوب والنقائص، وحده لا شريك له: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

هو السبوح الذي تسبح بحمده جميع مخلوقاته، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، فهو القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة، وهو العليم الذي ليس كمثله شيء في العلم، وهو الحي الذي ليس كمثله شيء في الحياة، وهو الرحمن الذي ليس كمثله شيء في الرحمة؛ وهكذا في سائر الأسماء والصفات.

هو السبوح الذي يسبح بحمده جميع خلقه ، وبحمده أسبحه وأنزهه عن جميع ما لا يجوز عليه من نقائص البشر، وآفات المحدث، وكل ما يستحيل عليه، ولا يليق بجلاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وأسبحه بمحامده مع المسبحين بحمده في السماء والأرض: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة/ ١].

فما أعظم تسبيح الرب جل جلاله! وما أيسر أداءه! وما أعظم ثوابه!: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾ [الحاقة/ ٥٢].

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلى/ ٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي**

الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه(١).

والفرق بين اسم الله السبوح، واسم الله القدوس:

أن السبوح هو المنزه عن كل سوء، المبرأ من كل نقص وعيب، وكل ما لا يليق بجلاله.

والقدوس هو الطاهر الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، المنزه عن كل نقص وعيب وشر، فالسبوح تصريح بالتنزيه، يتضمن التعظيم، والقدوس تصريح بالتعظيم، يتضمن التنزيه؛ وقد جمع الله بينهما في سورة الإخلاص، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾؛ فهذا تقديس، ثم التسبيح: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الإخلاص/ ١-٤].

والتقديس إثبات ما يليق بجلال الله من الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

والتسبيح تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورى/ ١١]؛ فهذا تقديس.

وقد اقترن اسم الله القدوس بالسبوح مرةً واحدة في قوله ﷺ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**» أخرجه مسلم(٢).

وسر ذلك: أن الاسمين يرجعان إلى معنًى واحد، وهو تنزيه الله عما لا يليق به على وجه التعظيم له.

هو سبحانه السبوح القدوس العظيم في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، وملكه وسلطانه، المنزه عن كل عيب ونقص، وسوء وشر، فأسماؤه كلها حسنى لا عيب فيها، وصفاته كلها عليا لا نقص فيها، وأفعاله كلها حكمة ورحمة، وعدل وإحسان، لا خلل فيها ولا نقص ولا شر: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[طه/ ٨].

واعلم أن تسبيح اللسان، والقلب غافل سابح في بحار الشهوات، ليس كتسبيح صدر عن قلب سابح في بحار عالم الملكوت: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٦٩٤)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧).

﴿سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه، ورزقنا جميعاً العلم النافع، والعمل الصالح، أن التسبيح تنزيه الله عما لا يليق به من صفات النقص، والتقديس إثبات الكمالات لله ﷻ، فنفي الشرك تسبيح، والتوحيد تقديس: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة/ ١١٦]؛ تسبيح: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ تقديس: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة/ ١١٧]؛ تقديس.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠]؛ تقديس ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ تقديس ﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴿١١١﴾﴾؛ تسبيح وتنزيه ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١]؛ تقديس.

والتسبيح والتقديس من أعظم العبادات التي يحبها الله، ولهذا قالت الملائكة لربها لما أخبرهم بخلق آدم ﷺ، وجعله خليفةً في الأرض، قالوا عن عبادتهم أنهم يسبحونه ويقدسونه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة/ ٣٠].

ثم سجدوا لله لطاعته في أمره لهم بالسجود: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة/ ٣٤].

فسبحان ربنا العظيم الذي سبح نفسه فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

وقال ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء/ ١].

وسبح بحمده جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحديد/ ١].

ويسبح بحمده إلى أن تقوم الساعة جميع مخلوقاته ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وأنت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى/ ١-٥].

وسبح باسم ربك العظيم: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة/ ٧٤].

وتسبيح الله أحب شيء إليه، كما قال النبي ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**» متفق عليه(١).

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٦٩٤)، واللفظ له.

التعبد لله ﷻ باسمه السبوح

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق، أن الله وحده لا شريك له هو الذي يستحق التكبير كله، والتحميد كله، والتسبيح كله، والتعظيم كله؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

فانظر رحمك الله إلى جميع أسماء الله وصفاته؛ فسبحه بها، وادعه بها، ونزهه عن أضدادها: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

سبح بحمد ربك العظيم الذي له العزة والعظمة، والكبرياء والجلال والجبروت، وله الخلق والأمر في الملك والملكوت: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

وسبح بحمد ربك الأعلى بالقول والفعل، واملأ الكون بتسبيحه وحمده كما ملأه لك وحده بنعمه وأرزاقه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الأعلى/ ١-٥].

واعلم رحمك الله أنه لا يصح لمسبح حقيقة التسبيح حتى يتنزه عن الأوصاف الذميمة؛ فيتنزه عن الشهوات المحرمة، وينزه مطعمه من الحرام، وأعماله من الرياء، ولسانه عن القبيح، وقلبه عن النفاق والرياء، وسيئ الأخلاق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

وإذا صفت نفسك وأعمالك من كل شيء سيئ ومذموم فقد وصلت: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].

فارفع الشكر والتحميد، والتمجيد والتكبير، والتسبيح والتقديس، لربك العظيم في كل

حال؛ فإنه لا يستحق ذلك إلا الواحد الأحد العظيم الذي شهدت الكائنات بعظمته، الكريم الذي ملأ الكون بنعمه، وسبحت جميع المخلوقات بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ارفع لربك التحميد مرةً مفردًا، ومرةً مقرونًا بالتسبيح؛ فهو أهل أن يُحمد، وأهل أن يسبح بحمده؛ فالمفرد مثل قوله ﷻ في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

ومثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ [فاطر/ ١].

ومثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (١)﴾ [الكهف/ ١].

ومثل: «**اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**» متفق عليه(١).

والتحميد المقرون بالتسبيح مثل: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**» أخرجه مسلم(٢).

ومثل: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَتَعَالَى جَدُّكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ**» أخرجه أبو داود والترمذي(٣).

فما أعظم شأن التسبيح والتحميد لربنا العظيم! وما أجزل ثواب ذلك! وما أنفعه للعبد!: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾ [النصر/ ٣].

وعن أبي مالك الأشعري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للهِ**

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٩٦)، ومسلم برقم (٤٧١)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٧٧٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٤٣) وهذا لفظه.

تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أخرجه مسلم(١).

واعلم أن من عرف ربه باسمه السبوح سبحه مع المسبحين، وطهر ظاهره وباطنه من أمراض الشهوات والشبهات، ونزه ربه عن كل ما لا يليق بجلاله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

والتسبيح من أعظم العبادات، وأجل القربات، ومن أعظم أسباب تفريج الكربات، وإجابة الدعوات.

قال النبي ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**» أخرجه مسلم(٢).

وأما كون التسبيح سببًا لتفريج الكربات وإعطاء السؤالات، فدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

والله سبحانه سبوح قدوس، ومن كان هذا وصفه فإن النفوس مجبولة على حبه وتعظيمه، وتقديسه وتسبيحه، وتنزيهه في أسمائه وصفاته، وفي أقواله وأفعاله، وتنزيهه عن الشريك والمثيل، وعن الصاحبة والولد، وتنزيه حكمه وشرعه عن الظلم والجور والنقص والعيب، والإكثار من ذكره وتسبيحه وتحميده وتقديسه آناء الليل والنهار، والثقة بوعده الصادق، وحسن الظن به، واجتناب سوء الظن به؛ لأن سوء الظن بالله

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

يقدح في تنزيهه، كما قال سبحانه: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفتح: ٦].

واعلم أن شأن التسبيح عظيم، وأحب الكلام إلى الله تسبيحه، وتحميده، وتكبيره، والثناء عليه، وذكر محامده، كما قال النبي ﷺ: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**» أخرجه مسلم[1].

ومن دعاء النبي ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**» أخرجه مسلم[2].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**» أخرجه مسلم[3].

وكان ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» متفق عليه[4].

وكان ﷺ لا يقوم من مجلس إلا قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**» أخرجه أحمد وأبو داود[5].

وكان ﷺ يقول في ركوعه: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**» أخرجه مسلم[6].

وفي سجوده: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**» أخرجه مسلم[7].

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة/ ٧٤].

وسبح مع المسبحين: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣١).

(٤) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٨٤).

(٥) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٩٧٦٩)، وأبو داود برقم (٤٨٥٩).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٧٧٢).

(٧) أخرجه مسلم برقم (٧٧٢).

واعلم رحمك الله أن تسبيح اللسان إِذَا صدر عَنْ سكينة الإيمان فَهُوَ حسن، لكنه ليس كتسبيح صادر عَنْ قلب سابح في بحار عالم الملك والملكوت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ [آل عمران/ ١٩١].

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي يسبح بحمده العرش وحملته ومن حوله، ويسبح بحمده كرسيه الواسع، وتسبح بحمده السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهن وما عليهن وما بينهن، وتسبح بحمده كل ذرة في ملكه العظيم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧)﴾ [غافر/ ٧]:

واعلم أن الناس في معرفة تسبيح المخلوقات من الذرات، والمجرات، الجمادات، والنباتات، والحيوانات، على درجتين:

الأولى: الإيمان بأن كل مخلوق يسبح بحمد ربه، وهذه يعلمها كل مؤمن، كما قال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾ [الإسراء/ ٤٤].

الثانية: شهادتها على نفسها بالنقص، ولخالقها بالكمال، مع التعظيم والتحميد والتمجيد لبارئها، وهذه يعلمها أولو الألباب: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾ [الزمر/ ٩].

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩].

فسبحان ربنا العظيم، وسبحان ربنا الأعلى، وسبحان ربنا الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

واعلم أن للكائنات كلها في العالم العلوي والعالم السفلي تسبيحًا باطنًا، يعلمه ويسمعه منها خالقها الَّذِي: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وقد يُسمع الجبار جل جلاله من شاء من عباده تسبيح بعض مخلوقاته، كما أسمع داود ﷺ تسبيح الجبال والطير: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٧٩].

وكما أسمع سليمان ﷺ منطق الطير والنمل، وكما أسمع محمدًا ﷺ حنين الجذع في المسجد لما ترك الخطبة عليه، وكما أسمعه ﷺ شكوى الجمل الذي كان أهله يستعملونه ويجيعونه، وكما أسمعه تكليم ذراع الشاة المسمومة، وسلام الحجر عليه بمكة، وغير ذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢٢].

فسبحان الرب المعبود بكل مكان يليق بجلاله، الذي يسبح بحمده كل لسان، سبحانه وبحمده، لا نحصي ثناءً عليه، إليه نسعى ونحفد، وله نصلي ونسجد: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ٣].

سبحان الله وبحمده، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى.

هو العليم القدير، المنزه عن النسيان والغفلة، وعن العجز والتعب واللغوب.

هو الحي القيوم المنزه عن السنة والنوم، والموت، القائم على كل نفس: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ

إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة/ ٢٥٥].

هو الحكيم المنزه عن العبث والسفه، هو الغني المنزه عن الحاجة إلى غيره، هو الكريم الحق المنزه عن البخل والظلم:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

هو الرحمن الرحيم المنزه عن الظلم والقسوة، وهكذا الحال في جميع أسمائه وصفاته:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى/ ١١].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

[آل عمران: ٥٣].

«اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه(١).

اللهم لك الملك كله، ولك الخلق كله، ولك الحكم كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، وأنت القوي ونحن الضعفاء، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١١٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٩).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الطيب

اسم الله الطيب

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

الله ﷻ هو الطيب الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المنزه عن جميع النقائص والآفات والعيوب، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والنعوت الحميدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١]**» أخرجه مسلم[١].

وهو سبحانه الطيب الذي هدى عباده المؤمنين إلى كل طيب من الاعتقاد، والقول، والعمل، والخلق، فأطيبه كلمة التوحيد والإخلاص، ثم سائر الأقوال والأعمال والأخلاق الطيبة، التي يطيب بها العبد ويزكو: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ [الحج/ ٢٤].

وهو سبحانه الطيب الذي أسماؤه أطيب الأسماء، وصفاته أطيب الصفات، وأفعاله أطيب الأفعال، وكلامه أطيب الكلام، ودينه أطيب الأديان، وثوابه أحسن الثواب.

وهو سبحانه الطيب الذي لا يقبل من الأقوال والأعمال إلا ما كان طيبًا، وطيبه أن يكون خالصًا لله وحده، على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

وهو سبحانه الطيب الذي لا يصعد إليه إلا الطيب، ولا يقرب منه إلا الطيب: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

شَدِيدٌۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ [فاطر/ ١٠].

ودينه الحق كله طيب، كامل في عقائده، وأحكامه، وآدابه،وسننه، وشرائعه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة/ ٣].

﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾ [الأنبياء/ ١٠].

فعقائد هذا الدين هي الإيمان وأركانه؛ وهي: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ فعقائده تطيب بها النفوس وتزكو، وتطمئن بها القلوب وتسكن: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾ [الحجر/ ٨٧].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

وأحكامه أطيب الأحكام وأحسنها وأعدلها، وآدابه أطيب الآداب التي تصلح بها أحوال الدنيا والآخرة: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

والمؤمن كله طيب؛ قلبه، ولسانه، وجوارحه، وذلك بما سكن في قلبه من التوحيد والإيمان والتقوى، وبما ظهر على لسانه من الذكر، والحمد، والتسبيح، والاستغفار، والقول الحسن، وبما ظهر على جوارحه من الطهارة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

واعلم أنه لما طاب المؤمن في هذه الدار بالإيمان والتقوى؛ أكرمه الله يوم القيامة بدخول دار الطيبين، وهي الجنة دار السلام: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل/ ٣٢].

ومن طاب قلبه في الدنيا بمعرفة الله ومحبته وخشيته وتقواه، وطاب لسانه بذكره وحمد

وشكره، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، وطابت جوارحه بالعمل الصالح؛ أسعده الله في الدنيا، وأدخله الجنة في الآخرة؛ لأنها الدار الطيبة التي لا يستحقها ولا يليق بها إلا الطيبون: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر/ ٧٣].

فسبحان الكريم الذي وعد عباده المؤمنين والمؤمنات بالحياة الطيبة في الدنيا، والجنة في الآخرة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

- **واعلم أن الدور يوم القيامة اثنتان:**

الأولى: دار الطيب المحض، وهي الجنة، وهي لكل من جاء بطيب لا يشينه خبث.

وهؤلاء هم المؤمنون الكمل، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

الثانية: دار الخبث المحض، وهي النار، وهي لكل من جاء بخبث لا طيب فيه، وهم الكفار والمشركون والمنافقون، وفي مقدمتهم إبليس وجنوده من شياطين الإنس والجن.

ومن معه طيب وخبيث من الأقوال والأعمال، وهم عصاة المسلمين؛ فهؤلاء من دخل النار منهم عُذِّب بقدر ذنوبه، ثم أُخرج إلى الجنة دار الطيبين، التي لا يدخلها إلا من طابت أقواله وأعماله، وخلص من الخبث: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم/ ٧١-٧٢].

وهاتان الداران موجودتان باقيتان لا تفنيان أبدًا، وأهلهما مخلدون فيهما أبدًا، الجنة دار الطيب المحض، والنار دار الخبث المحض: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

واسم الله الطيب ورد في السنة النبوية الصحيحة، ولم يرد في القرآن.

قال النبي ﷺ: « **أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا** »أخرجه مسلم(1).

هو سبحانه الطيب المنزه عن الآفات والنقائص والعيوب ، القدوس الطاهر الذي طيب كل طيب، الطيب الطاهر الجميل الذي له من كل حسن أفضله وأكمله:﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨** ﴾[طه/ ٨].

هو سبحانه الطيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الطيب الذي لا أطيب منه، ولا أحسن منه، فهو الجميل الذي لا أجمل منه، الكريم الذي لا أكرم منه.

فذاته أكمل الذوات، وأسماؤه أجمل الأسماء، وصفاته أحسن الصفات، وأفعاله أحسن الأفعال؛ لأنها في غاية الحكمة والحق والصواب:﴿ **قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤** ﴾[الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه الطيب في أحكامه وأوامره، فهو الطيب في أحكامه الكونية؛ لأن كل ما يقضيه حسن منزه عن الشر والسوء، وكل ما يخلقه طيب حسن:﴿ **ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧** ﴾ [السجدة/ ٦-٧].

وهو الطيب في أحكامه الشرعية؛ لأنها قائمة على الحق والرحمة، والعدل والإحسان، ومصالح العباد في الدنيا والآخرة:﴿ **۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠** ﴾ [النحل/ ٩٠].

وهو الطيب في أحكامه الجزائية؛ لأنه يحكم بعدله وفضله في الدنيا والآخرة.

فيحكم للمؤمنين بالفضل، ويحكم للكفار بالعدل:﴿ **مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠** ﴾[الأنعام: ١٦٠].

﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠** ﴾ [النساء/ ٤٠].

والصفة المشتقة من اسم الله الطيب هي الطيب، وهي صفة ذاتية وفعلية.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

فالذاتية أن الله هو الطيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

والفعلية أن الله سبحانه طيب الجنة فجعلها أطيب ما يكون، فهو الطيب الذي طيب كل طيب.

وهو سبحانه الطيب الذي نزه نفسه عن كل النقائص والعيوب، وكل ما لا يليق بجلاله، ونزه نفسه عن الشريك، والشبيه، والمثيل، والعديل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه الطيب الموصوف بكل طيب؛ فكلامه أطيب الكلام، وأفعاله أطيب الأفعال، وأوامره أطيب الأوامر، وثوابه أطيب الثواب، وإحسانه أطيب الإحسان، وحلمه أحسن الحلم، وهكذا في سائر الأسماء والصفات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر/ ٢٤].

هو سبحانه الطيب القدوس الذي تقدس بكل طيب، وتنزه عن كل ما ليس بطيب، العلي عن كل ما ليس بطيب، الطيب الذي يرزق ويكرم، ويحلم ويصفح، ويعفو ويغفر، ويرحم ويلطف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

هو الطيب الذي يؤذيه الخلق ويسبونه، ويدَّعون له الصاحبة والولد، وهو يرزقهم ويعافيهم، ويدعوهم إلى التوبة: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾ [المائدة: ٧٣ – ٧٤].

وقال النبي ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**» أخرجه البخاري(١).

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾ [المائدة/ ٧٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٨).

وهو سبحانه الطيب الذي له الصلوات والتحيات، والطيبات من الأسماء والصفات، والأقوال والأفعال كلها وحده لا شريك له.

قال النبي ﷺ: «**التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ**» متفق عَلَيْهِ[1].

هو سبحانه الطيب الذي أرسل رسله بالحق، وأنزل كتبه بالحق، وبكل طيب: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣].

﴿ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٦-١٥٧].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن كل ما أمر الله ورسوله به فهو طيب ونافع، وكل ما نهى الله ورسوله عنه فهو خبيث وضار، وما أمر الله بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه.

وأكمل الخلق في فعل الطيبات، واجتناب الخبائث، هم الأنبياء والرسل، وفي مقدمتهم سيد الخلق ﷺ؛ ولهذا أمرنا الله بطاعته واتباعه في كل ما جاء به: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧].

واعلم أن الله طيب؛ لا يقبل من الأعمال والأموال إلا ما كان طيبًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٨١)، ومسلم برقم (٤٠٢)، واللفظ له.

﴿تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾[البقرة/ ٢٦٧].

والطيب من الأقوال والأعمال ما كان خالصاً لله ﷻ، موافقاً لسنة النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

واعلم رحمك الله أن الطيب من كُلِّ شَيْءٍ جوهره ونفيسه، وَهُوَ ما سلم من الخبث كله، وجمع الطيب كله.

والطيب قريبٌ من معنى الطهارة، وفي الطيب معنًى زائدٌ عَلَى الطهارة؛ فالطهارة عبارة عَنْ ذهاب النجاسة، والطيب فِيهِ شيءٌ زائدٌ عَلَى الطهارة، وَهُوَ في الشم طيبًا، وفي الأفعال جودةً وحسنًا.

فالأعمال الصالحة متى ألفت بفاعلها رجزًا طهرته، وإن لم تجد ما منه تطهره طيبته؛ ليلقى ربه طاهرًا طيبًا: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[النحل/ ٣٢].

وقال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هود/ ١١٤].

وضد الطيب الخبيث، وفي بني آدم خبثٌ كخبث الحديد والذهب والفضة، وهو حظ الشيطان من أحدنا، ويطهر ذلك بالإيمان والتقوى، ويطيب ويزكو بكمال التوحيد والإيمان والتقوى، كما يطهر خبث الحديد بالنار، فطهر نفسك من كل نجاسة ومعصية بالتوبة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[البقرة/ ٢٢٢].

وقال ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس/ ٧-١٠].

واعلم أن مكائد الشيطان للإنسان كثيرة، وأن مكان الشيطان في الإنسان على موضع الخبث يزينه ويزيده؛ ليزداد الإنسان خبثًا بعد خبث، ورجزًا بعد رجز، بالشرك والكفر، والنفاق والظلم، والكذب والكبر، والحسد والحقد، والبخل والطمع، وغيرها من مساوئ الأخلاق: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[فاطر/ ٦].

والشيطان عدو مبين للمؤمن، ينقله من المباحات إلى الصغائر، ومن الصغائر إلى الكبائر، ومن الكبائر إلى الردة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور/ ٢١].

وعن صفية زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج معها، فلقيه رجلان من الأنصار فقال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا**» **أَوْ قَالَ** «**شَيْئًا**» متفق عليه(١).

واعلم أن من أراده الله برحمته يسر له أسباب الهداية، وفتح له أبواب المعرفة، ونقله من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشر إلى الخير، ومن المعاصي إلى الطيبات، والطاعات: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

وقال ﷻ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

ثم يجعل ما كان له من خلق مذموم محمودًا على مراد ربه، فيجعل كبره على أعداء الدين، وحرصه على طاعة ربه، وإباءه عن معاصيه، وبطشه بمن أصر على الكفر، وحسده على الخير والحكمة، وبذل النفس والمال في ذات الله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح/ ٢٩].

فسبحان الحكيم العليم الذي يبدل عبده بسيئاته حسنات؛ ليحييه بذلك حياةً طيبة، ويزيل عنه خبث باطنه، ورجز أعماله الظاهرة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

والله سبحانه هو الطيب الذي يزكي بالمحامد والمحاسن والفضائل من يشاء من عباده، ويزكي قلوبهم بالتوحيد والإيمان والتقوى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٠٣٨)، ومسلم برقم (٢١٧٥)، واللفظ له.

أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور/ ٢١].

هو جل جلاله الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته، الطيب القدوس في جميع أسمائه وصفاته، الذي له المثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

فسبحان ربنا الملك القدوس الطيب الذي لا تلحقه الآفات، ولا يليق به نقص، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

أفمن هو جبار لا نقص فيه كمن هو مجبور لا غنى به؟! أومن هو كبير لم يزل كمن هو حقير لم يكن؟! أيستوي الملك والمملوك؟! أيستوي الخالق والمخلوق؟! أيستوي الرزاق والمرزوق؟! ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٥].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

كل المخاليق أبان بجبروته، وأخبر بدوام ملكوته، وشهد بوحدانيته: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران:١٨].

وجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، الكبير منها والصغير، والعالي والسافل، والسائل والجامد، والمتحرك والساكن، الكل يسبح بحمده، وبطهارة قدسه، وطيب أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

التعبد لله ﷻ باسمه الطيب

اعلم غفر الله لنا ولك أنه يجب على كل من ذكر الله باسم من أسمائه الحسنى، أو أثنى عليه بصفة من صفاته العلى، أن يطالب نفسه بمقتضى ذلك الاسم، وموجب تلك الصفة، بما يرضي ربه عنه.

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته فلا يقف بنفسه على العلم به دون العمل له، والتعبد لجلاله بما يحبه من أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فاجتهد رحمك الله في العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، واستعمل نفسك بمقتضاها، فإذا ذكرت الرحمن فتذكر ما عندك من الرحمة، وكم رحمت من الخلق، وتعبد لله بصفة الرحمة لأهل الأرض يرحمك من في السماء: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وإذا ذكرت العليم سبحانه فتذكر ماذا عندك من العلم، وكم علَّمت من الخلق من شريعة الله، وتعبد لله بصفة العلم؛ يورثك التقوى والخشوع له، والخشية له: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون/ ١-٢].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

وإذا ذكرت ربك الكريم فتذكر كم أكرمت من الخلق مما أعطاك الله، وتعبد لله بصفة الكرم، ونفع نفسك، ونفع العباد، والإحسان إلى الخلق: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وهكذا في بقية الأسماء والصفات، تخلق بها، وتعبد لله بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ونزه نفسك عن الصفات السيئة، والأفعال المذمومة، وطيب نفسك وزكها بكل عمل صالح، وخلق حسن؛ تسعد وترضى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

ومن أعظم التزكي: العمل بطاعة مولاك الحق؛ لتتزكى بذلك عنده، وتقرب منه ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر: ١٨].

واعلم أن الزكاة استواء ظاهر الشيء وباطنه جودةً وحسنًا، والنهوض إلى الخيرات صعودًا بكل عمل طيب زكي صالح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى/ ١٤-١٧].

واعلم أنه لا يكون عن الطيب سبحانه إلا كل شيء طيب، ولا يكون عن الخير إلا الخير، وأفعال الله كلها خيرٌ ورحمةٌ وإحسان، وهو المحمود على أسمائه وصفاته وأفعاله، وإنعامه وإحسانه، وعلى دينه وشرعه، وعلى عدله وإحسانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

فاجتهد رحمك الله على أن يخرج منك كل عمل طيب يرضى به ربك الطيب؛ من ذكر وشكر، وحمد وثناء، وحسن عبادةٍ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وإحسان إلى الخلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

واعلم أنك لن تنال البر والمقام الأسمى إلا ببذل كل طيب من الأوقات، والأموال، والأقوال، والأفعال، والأعمال، في مرضاة الله وفي سبيله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران/ ٩٢].

واعلم يا عبد الله أن ما عملته من طيب أو خبيث مثبت في صحائفك، وأنت مرتهن بقولك وفعلك، وأنت عما قليل راجع إلى ربك الذي لا يقبل إلا الطيب من كل شيء، فاختر رحمك الله من العمل ما طابت ثمرته، وسرتك رؤيته: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

والجزاء من جنس العمل: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة/ ٦-١١].

واعلم أن التزكي المشروع يكون بالتطهر من الأدناس والآثام، والتطيب بطاعة الله وصالح الأعمال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل/ ٣٦].

ومن أراد تمام التزكي فكل خُلق في القرآن محمود يفعله، وكل خُلق في القرآن مذموم يحذره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

يا عبد الله تزين لربك الطيب بكل طيب، واعلم أن زينة القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى، وزينة الجوارح بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة؛ فبادر إلى الاتصاف بالصفات التي يحبها الرب، تطِبْ ويطب جزاؤك، ويرضى عنك ربك، ويؤتك أجرًا عظيمًا: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ

وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

واعلم هداك الله لما يسعدك في دينك ودنياك وأخراك أن التطهر من الخبث الخُلقي ليس من قبيل الاكتساب؛ لِأَنَّهُ تركيب في الخلقة، فاسأل الله أن يطهر قلبك منه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

وقال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

لكن الكريم سبحانه ما خلق داءً إلا جعل له دواءً، ولا أغلق غلقًا إلا وجعل له مفتاحًا: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ [فاطر/ ٢].

وعن جابر ﵁ عَنْ رسول الله ﷺ قال: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» أخرجه مسلم(1).

ومَفتاح هذا الغلق، ودواء هذا الداء، الدعاء والتضرع إلى من بيده مفاتيح كل شيء أن يزيله ويبدله بخير منه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

والتبري من الحول والقوة، وانتظار الفرج من عند الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ۞ [الطلاق: ٢ – ٣].

والاستقامة على أوامر الله: ۞﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ ۞ [النساء/ ٦٦–٦٨].

وقطب ذلك كله معرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة ما يجب له، ومعرفة النفس، وما يجب عليها، ومخالفة الهوى، ولزوم الطاعات، والفرار من المعاصي، والبعد عن مواضع الآثام والفواحش، ولزوم باب العبودية حتى الممات: ۞﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ ۞ [الأنعام/ ١٦١–١٦٣].

وقال ﷻ: ۞﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ ۞ [الكهف/ ٢٨].

وتوسل إلى ربك بأحسن الوسائل وأحبها إليه، وتحين وقت رقة قلبك، وناجِ ربك بلسان الافتقار، وتضرع إليه بصدق الانكسار، وقف بين يديه بجلال الاضطرار: ۞﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ ۞ [الأنبياء/ ٨٩–٩٠].

ومن عرف الله حقاً عبده حقاً: ۞﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ ۞ [الأنفال/ ٢–٤].

وابكِ على تقصيرك وجهلك بربك إذا أتاح لك البكاء عند مناجاته: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ [مريم/ ٥٨].

واعتذر إليه من عجزك؛ فإنك لا تدري متى تكون الاستجابة، وأفضل العبادة انتظار الفرج مع لزوم الدعاء: ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٨].

رزقنا الله وإياك والمسلمين حسن هدايته، ولا حرمنا كريم إجابته: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم علمنا الله وإياك علم ما لم نعلم أن من عرف ربه باسمه الطيب كبره وعظمه ومجده، وأحبه وحمده وشكره، وطهر باطنه من أدران الذنوب والمعاصي، وطهر ظاهره وطيبه بأحسن الأقوال والأفعال والأخلاق والآداب: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وتحرى الحلال الطيب في مأكله ومشربه وملبسه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يطيب قلبه بالتوحيد والإيمان، والصدق والإخلاص، فيوحد ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويوحده بعبادته وحده لا شريك له، ويوحده في دينه وشرعه، فلا يتلقى الأحكام إلا منه: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف/ ٤٠].

ويجتهد أن لا يصعد منه إلى خالقه إلا أطيب الأقوال والأفعال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر/ ١٠].

والمؤمن طيب يطيب نفسه بكل خير، ويبعدها عن كل شر، وكذا يطيب غيره بكل خير؛ بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله؛ فهو صالح مصلح، وطيب مطيب، يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

ومن عرف ربه باسمه الطيب أحبه ووحده؛ لأنه الطيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الطيب الذي كل جمال وحسن وطيب فمن آثار طيبه وجماله، وهذه المحبة تثمر أعظم أنواع العبوديات من تعظيم الله وتكبيره، وحمده وشكره، وإخلاص العمل له، والإكثار من ذكره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتقرب إليه بأنواع القربات: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾
[السجدة: ١٥ – ١٧].

ومن عرف ربه باسمه الطيب تيقن أن كل طيب منه، فلا فلاح ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا من جهته؛ وذلك يثمر للعبد القبول التام لشريعته، والتسليم الكامل لأمره، ولأحكامه الكونية، والشرعية، والجزائية؛ لأنها كلها خير وحكمة، ورحمة وإحسان: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

والله سبحانه جميل طيب لا يفعل ولا يأمر إلا بكل طيب جميل، ولا ينهى إلا عن كل خبيث ضار، وقبيح وسيئ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل/ ٩٠].

ومن عرف ربه باسمه الطيب اطمأن إليه، واطمأن إلى أقداره الكونية، واطمأن إلى أوامره الشرعية، وأحسن الظن بربه الطيب؛ لأن الطيب لا يصدر منه إلا كل فعل طيب، وأمر طيب: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

ومن عرف ربه باسمه الطيب الجميل؛ اشتاق إلى رؤيته التي هي أعظم نعيم الجنة، وبادر وسارع إلى كل عمل صالح يقربه إلى رضوان الله وجنته: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧١ – ٧٢].

ومن علم أن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا حرص على المال والكسب الطيب أخذًا وعطاءً وتقربًا إلى الله ﷻ؛ فكل خير وبركة في العمل الطيب، والكسب الطيب، وكل شر ومحق في الخبيث من الأقوال والأفعال والمكاسب.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**» متفق عليه[1].

ومن آثار اسم الله الطيب: أن تحب الطيبين، وتصاحب الطيبين، وتحب الطيب من كل مجلس أو صفة، أو قول، أو فعل، أو إنسان، أو مال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠١٤).

ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١٢].

وإذا أردت أن تعرف مقدار طيبك ومنزلتك عند الله، فانظر إلى قربك وبعدك من الطيب جل جلاله، وأطيب الطيب كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومن الناس رسله وأنبياؤه وأولياءه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

واعلم رحمك الله أن قلبك ولسانك وجوارحك كلها طيبة، فلا تنجس قلبك بالكفر، والشرك، والنفاق، والكبر، والحسد، ولا تنجس لسانك ولا عينك ولا أذنك ولا يدك ولا رجلك ولا بطنك ولا فرجك بما يغضب الله ويسخطه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل/ ١١٦-١١٧].

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

[الإسراء: ٣٦].

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين/ ٤-٦].

﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج/ ٢٤].

واعلم رحمك الله أن الطيب قليل، والطيبون قليلون، والطيبة قليلة، والخبيث كثير، والخبيثون كثيرون، فلايغرنك ذلك، وكن مَعَ الطيبين: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٣].

﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ/ ١٣].

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٠٢].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل/ ١٩].

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح/ ٢٨].

«**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.**

اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» أخرجه مسلم(١).

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

اللهم أنت العظيم الذي لا أعظم منك، وأنت الكبير الذي لا أكبر منك، وأنت الطيب الذي لا أطيب منك، اللهم يا طيب طيب نياتنا وأقوالنا، وأفعالنا وأعمالنا، وطيب سرائرنا وبواطننا وظواهرنا، وطيب أحوالنا وأموالنا، وطيب أهلنا وأولادنا، وطيب أخلاقنا وبيوتنا وأسواقنا، وطيب أرزاقنا ومكاسبنا، وطيب قلوبنا وجوارحنا، وطيب حياتنا وأوقاتنا، إنك على كل شيء قدير.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسـم الله

الجميل

اسم الله الجميل

الله ﷻ هو الجميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة، وعدل وإحسان ورحمة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

وجمال ذاته ﷻ أمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وهو محجوب بستر العظمة والعزة والكبرياء والنور.

عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**» أخرجه مسلم(١).

فسبحان الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي خلق كل جميل، وأمر بكل جميل من الأقوال والأعمال والأخلاق.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً.**
قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» أخرجه مسلم(٢).

هو سبحانه الجميل الحق الذي لا منتهى لجماله؛ فجماله لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية، كسائر أسمائه الحسنى، وصفاته العلى.

هو الجميل الذي لا أجمل منه، الجميل الذي يملك خزائن الجمال، الجميل الذي خلق الجمال في كل جميل، الجميل الذي وهب الجمال الظاهر والباطن لمن شاء من خلقه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

هو سبحانه الجميل الذي كل جمال في العالم فمن آثار صنعه، الجميل المحسن إلى عباده بكل جميل، واهب الجمال والحسن والزينة لكل مخلوق: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٨].

هو الجميل الذي جمل الأرض بكل جميل من المياه والنبات، والأزهار والثمار، والسهول والجبال، والبحار والأنهار، والشجر والدواب: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾﴾ [الكهف/ ٧].

هو الجميل الذي جمَّل السماء الدنيا بالنجوم والمصابيح، والشمس والقمر: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك/ ٥].

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات/ ٦].

هو الجميل الذي جمل القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى، وجمل الأجساد بالطاعات والأخلاق: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

فسبحان من خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم جمله بالدين: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين: ٤ – ٨].

وهو سبحانه الجميل الذي يستحق أن يُعبد لذاته، ويُحب لذاته، ويُحمد لذاته: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

فكيف إذا انضاف إلى ذلك حسن أسمائه، وعلو صفاته، وجمال أفعاله، وإحسانه

وإنعامه، وعفوه وبره، ورحمته وحلمه؟! ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فسبحان الجميل الذي خلق كل جميل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

وهو سبحانه الجميل المحمود على حسن أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص/ ٧٠].

هو الجميل الذي كل جمال ظاهر أو باطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعه وجماله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨].

واعلم رحمك الله أن معرفة الله بالجلال والجمال من أعز أنواع المعرفة، وأعظمها شأناً: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

وقال سبحانه: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠].

فسبحان الملك الحق الذي له الكبرياء كله، وله العز كله، وله الجمال كله، وله الإحسان كله، وله الحمد كله، وله الفضل كله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن اسم الله الجميل لم يرد في القرآن الكريم، وإنما ورد في السنة في قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**» أخرجه مسلم(١).

فالله ﷻ هو الجميل الذي له نعوت الحسن والإحسان والجمال، الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فله الجمال المطلق من جميع الوجوه، وكل ما في المخلوقات العلوية والسفلية من جمال فهو من آثار جماله، فهو الجميل الذي وهب كل جميل جماله.

فسبحان الجميل الذي جمل كل جميل من جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، وملك.

الجميل الذي لو جُمع كل جمال المخلوقات في واحد، ثم جعلت جميعها على جمال ذلك

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

الواحد، ثم نسب هذا الجمال كله إلى جمال الرب؛ لكان أقل من نسبة سراج ضعيف إلى عين الشمس: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

والصفة المشتقة من اسم الله الجميل هي صفة الجمال، وهي صفة ذاتية لله ﷻ، لا تنفك عنه أبدًا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وهي كذلك صفة فعلية، فالله جمل من شاء بما شاء، وكل وقت يجمل من شاء بما شاء: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٧].

وهو سبحانه الجميل الذي الجمال كله له، والجمال كله منه، فكل جمال في الدنيا والآخرة فمن آثار جماله، فكم يكون جمال من صدر عنه هذا الجمال؟! ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

- **وجمال الجميل سبحانه على أربع مراتب:**

جمال الذات .. وجمال الأسماء .. وجمال الصفات .. وجمال الأفعال.

أما جمال الذات: فذاته سبحانه أكمل الذوات، وأجمل من كل شيء من جميع الوجوه؛ وذلك أمر لا يدركه سواه، وأهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم إذا رأوا ربهم الجميل نسوا ما هم فيه من النعيم؛ لما رأوه من عظيم جماله، وحسنه وبهائه وكماله.

فإذا رأوه زادت محبتهم له، وزاد شوقهم إليه؛ لما يرونه من جلاله وجماله، وكلما قويت المعرفة بالجميل، زادت المحبة له، والشوق إليه، فكيف إذا حصلت الرؤية له؟ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

أما جمال الأسماء: فأسماء الله ﷻ كلها حسنى، بل هي أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها، فأسماؤه في غاية الحسن والجمال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

أما جمال الصفات: فصفاته سبحانه أجمل الصفات، وأحسنها وأعظمها.

فجميع صفاته صفات مدح وحمد، وثناء وجمال، وكل صفات جمال في الخلق فمن آثار جمال صفاته جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

أما جمال أفعاله: فأفعاله كلها في غاية الجمال، أفعاله في ملكه العظيم، وأفعاله مع أوليائه، وأفعاله مع أعدائه، فأفعاله جل جلاله في غاية الحسن والجمال؛ لأنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يُحمد عليها، ويُثنى عليه بها، ويُشكر عليها، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها، ويشكر لموافقتها للحكمة.

فأفعاله كلها في منتهى الحسن والجمال، والحكمة والعدل والإحسان، وليس في أفعاله عبث ولا سفه، ولا ظلم ولا جور: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

فسبحان الجميل الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

وليس في أفعاله قبيح؛ بل أفعاله ومخلوقاته ما بين حسن وأحسن، وجميل وأجمل.

هو سبحانه الجميل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، ولجلاله وجماله حجب عنه خلقه بالنور؛ فلا يرونه إلا إذا أذن لهم برؤيته يوم القيامة، لمن آمن به، وعمل بشرعه: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وقال النبي ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» أخرجه مسلم[1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

وعن صهيب الرومي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**» أخرجه مسلم[1].

فسبحان الجميل الذي جمل عباده بزينة اللباس لأبدانهم، وزينة التقوى لقلوبهم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف/ ٢٦].

هو سبحانه الجميل الذي يحب الجميل من الأقوال، والجميل من الأفعال، والجميل من الأخلاق، والجميل من الدعاء، والجميل من الإحسان، هو الجميل الذي جمل أولياءه بحسن عبادته: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح/ ٢٩].

هو الجميل الذي أمر عباده وأولياءه بالتجمل حال التعبد له في بيوته: ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف/ ٣١-٣٢].

هو سبحانه الجميل الذي جمل أنبياءه بأحسن الأخلاق، وأعطى يوسف ﷺ شطر الحسن، وأعطى محمدًا ﷺ الحسن كله؛ فهو أحسن وأجمل الناس خلقًا وخلقًا، ظاهرًا وباطنًا، وقد أثنى عليه ربه بجميل صفاته فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم/ ٤].

فنعم الراكب، ونعم المركوب، ووجهه ﷺ كأنه قطعة قمر، وكان خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويعمل بأحكامه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

هو سبحانه الجميل الذي كل أوامره جميل، وكل خلقه جميل، وكل ثوابه جميل، وكل

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨١).

عقابه جميل، وكل ملكه جميل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

واعلم رحمك الله أن معرفة الله بالجلال والجمال من أعز أنواع المعرفة وأعظمها شأنًا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ (١٩)﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم أن الجميل الحق سبحانه بجماله السني البهي يراه المؤمنون في الجنة، فيرون حُسنًا لا يتوهم وصفه، وجمالًا لا يقدر قدره، ينسون معه كل جميل ونعيم، جعلنا الله وإياكم منهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ويرى المؤمنون بالله جلاله وجماله في هذه الدنيا ببصائرهم، بواسطة آياته ومخلوقاته الدالة عليه، وعلى أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، ونعوته الجميلة، فيكاشف الجميل قلوبهم مرةً بوصف جلاله، ومرةً بوصف جماله، ولحقائق جلاله وجماله سلطان يغلب القلوب، فتخضع وتخشع، وتخر وتبكي، وتسبح بحمد ربها العلي العظيم، كلما نظر المؤمنون في آياته الكونية، وآياته الشرعية: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾ [الإسراء/ ١٠٧-١٠٩].

فسبحان الجميل الذي خلق كل جميل، وأمر بكل جميل، وزين أولياءه بكل جميل من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

اتصف جل جلاله بأحسن الأسماء والصفات والأفعال، وخلق الأشياء بحسن وجمال وزينة، أوجد الخير كله، وتنزه عن الشر كله، وتجمل بالحسن كله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ

ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده الخير كله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

أوجد سبحانه الشر كله، لا لنفسه؛ بل لعلة الابتلاء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فكل خير وحق وحسن وجمال في العالم كله أوجده الله من نفسه لنفسه؛ وهو يحبه ويرضاه، سواء كان في الذوات أو الأفعال؛ لأنه الجميل الذي يحب كل جميل، ويأمر بكل جميل، ويثيب على كل جميل أجمل منه في المقدار والمقام: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

ومن جمل قلبه بالتوحيد والإيمان تجملت جوارحه بأحسن الأعمال، ونال أحسن الثواب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وكل جميل خلقه الله وأحدثه أوجد له ضدًّا، ليميز به الحسن من القبيح، والمحمود من المذموم، ولينذر بالقبيح عن الشكل والفعل القبيح؛ وليدل به على كمال قدرته في خلق المتضادات كالخير والشر، والحسن والسيء، والجنة والنار، والأبرار والفجار: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور/ ٤٥].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

فسبحان من خلق كل جميل، ورغب فيه وأمر به، وخلق ما سواه، وحذر منه، ونهى عنه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

- **واعلم أن ما خلقه الله من الجمال وما وهب لعباده منه قسمان:**

جمال ظاهر .. وجمال باطن.

فالجمال الباطن: أعظمه التوحيد والإيمان، والصدق والإخلاص، والعدل والإحسان، والعلم بالله، والمحبة له، والتعظيم له، والتوكل عليه، والخوف منه، والرجاء له، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وحسن الخلق، ومعرفة الحق، وما يدل عليه، ويشهد له: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[الأحزاب/ ٣٥].

والجمال الظاهر: الطاعة لله ورسوله، والأعمال الصالحة كلها؛ من صلاة وزكاة وصيام وحج، ونحو ذلك من الطاعات والقربات:﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[التوبة/ ٧١].

فالباطن جمال القلوب، والظاهر جمال الجوارح، وهذا مراد الله من خلقه:﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾[البقرة/ ١٣٨].

فسبحان من جمل أوليائه بالجمال الظاهر والباطن: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة/ ١١٢].

فما تزين به العبد من هذه الصفات والأخلاق، والأقوال والأعمال، على وجه الشرع، فهو جمال وحسن وزينة عند الله ﷻ، يقبله ويثيب عليه بأحسن منه:﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ

﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس/ ٢٦].

واعلم زادنا الله وإياك علمًا وإيمانًا وتقوى أن من ظاهر الزينة حلي الذهب والفضة، والبساتين والأشجار، والأزهار والثمار، وحسن الصور، وحسن الأصوات، وهذا ليس بجمال إذا انفرد عن الجمال الباطن، وإنما هو زينة وزخارف ومتاع الحياة الدنيا؛ خلقه الله إكرامًا لبني آدم، وجعله الله دليلًا على ما في الجنة من أنواع النعيم؛ ليشكروه ويعبدوه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران/ ١٤].

وأجمل من ذلك كله الإيمان والتقوى الذي ثمرته رضوان الله، وجنة المأوى: ﴿۞قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران/ ١٥].

فسبحان جميل الأفعال بعباده؛ يطعمهم ويسقيهم، ويرزقهم ويعافيهم، ويكلفهم باليسير من العمل، ويعين عليه، ويثيب عليه بأفضل منه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

وقد خلق الله الجميل البشر متفاوتين في الحسن والجمال، والأعمال والأخلاق، فأعطى الجميل سبحانه سيد الأولين والآخرين محمدًا ﷺ حظًا وافرًا من الجمال والحسن الظاهر والباطن؛ فهو أحسن الناس خلقًا وخلقا، وأفضلهم سيرةً وسريرة، وكان خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويعمل بأحكامه، ويدعو إلى فضائله؛ ولهذا مدحه ربه وأثنى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم/ ٤].

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وجعله ربه أسوةٌ لكل مسلم في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ

ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٢١].

وهو سبحانه الجميل الذي يحب الجمال والتجمل في غير إسراف ولا مخيلة، ولا بطر ولا كبر، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف/ ٣٢].

فسبحان الجميل الذي كل جمال في المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي فمن آثار جماله، جمل السماء بالنجوم، وجمل الأرض بالنبات، وجمل الجو بالهواء والنور، وجمل الشمس بالضياء، وجمل القمر بالنور، وجمل الملائكة بالطاعات، وجمل الإنسان بالإسلام، وجمل القلوب بالإيمان، وجمل الجوارح بالأعمال الصالحة، وجمل الدنيا بالدين، وجمل الآخرة بالجنة والرضوان، وجمل الجنة بكل جميل ونعيم؛ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[غافر/ ٦٢].

ثم أظهر ذاته وجماله لعباده الذين تجملوا له في الدنيا بطاعته: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

فسبحان الجميل الذي جمل الدنيا بالدين، وجمل الجنة برؤية وجهه الكريم، الذي إليه منتهى الكمال والجلال والجمال: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة/ ٢٢- ٢٣].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: « **خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ** » متفق عليه(١).

اللهم جمل قلوبنا بالتوحيد والإيمان، والصدق والإخلاص، وجمل ألسنتنا بالذكر والدعاء، والتسبيح والتحميد، والتقديس والتمجيد لك يا رب العالمين، وجمل جوارحنا بأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، فإنك جميل تحب كل جميل: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

التعبد لله ﷻ باسمه الجميل

اعلم وفقك الله لكل خير أن الجميل والحسن من الأقوال والأفعال والأخلاق هو ما رضيه الله وحسنه، لا غير: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فاعمل بموجبه، واجتنب ضده: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ⁽٧⁾﴾ [الحشر/ ٧].

واعلم أن الله جميل يحب الجمال والتزين ظاهر وباطنًا، فتزين لربك الجميل بالإيمان والطاعات، وأنواع القربات، وحسن اللباس والطيب، وجميل الصفات والأخلاق.

- **واعلم أن الناس في التجمل الظاهر ثلاثة أقسام:**

الأول: من حسَّن ثوبه، ورجل شعره، وطيب ريحه، ونظف بدنه، وتجمل بذلك باقتصاد لربه الجميل جل جلاله، وهذه طريقة الشاكرين الذين أظهروا نعمة الله عليهم، وعلى هذا درج الكثير من الصحابة والتابعين، ولكل منهم ثوابه بقدر نيته: **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⁽٣٢⁾﴾** [الأعراف/ ٣٢].

الثاني: من لزم البذاذة والشعث، واحتمل التفث في الهيئة، إلا ما أقام به السنة، ولو وجدها حلالًا، زاهدًا في التنعم، ومؤثرًا لشظف العيش؛ حتى لا يشغله التنعم عن ربه؛ وهذه طريقة الخائفين الذين قدموا كل شيء إلى الآخرة، وعلى ذلك درج الخلفاء الراشدون وكثير من الصحابة والتابعين، ولكل منهم ثوابه بقدر نيته: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ⁽٨⁾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ⁽٩⁾﴾ [الحشر: ٨ - ٩].

الثالث: من يتقلب بين هذا وهذا، إذا وجد تنعم، وإذا فقد احتمل.

وهذه كانت سنة إمام المتقين والزاهدين، وطريقة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ.

فقد كان ﷺ يلبس الحلة الحمراء تارة، ويلبس الرداء الغليظ تارة، ويركب الفرس تارة، ويركب الحمار تارة، وكان ﷺ يأكل اللحم تارة، ويأكل العصيد تارة، ويجوع مرة، ويشبع مرة، لا يتكلف في مطعمه ومشربه، وملبسه ومسكنه ومركبه؛ لأنه يعلم أن الله أحق أن يتزين له، وقد آتاه الله من التقى، وحسن الخلق، وحسن الأدب ما لا تبطره به النعمة، ولا يقعده الفقر عن عبادته لربه، فصلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

فسن لنا ﷺ بفعله الطرق الثلاث، وأعلى المقامات والفوز والنجاة والفلاح بالاقتداء به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١].

واعلم أن الجمال كله بالاستقامة على أوامر الله فيما بين العبد وربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [الأحقاف: ١٣ - ١٤].

وفيما بين العبد وبين خلقه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وتلك حقيقة الزينة العليا والحسن الذي يتجمل به العبد في هذه الدنيا: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧﴾ [آل عمران/ ١٤-١٧].

فجمل نفسك وأعمالك وأخلاقك لربك؛ تجد ثوابه يوم القيامة حسن الوجوه، وحسن النعيم، وغاية الجمال، فالمؤمنون يصورهم ربهم في الحسن على حسب درجات إيمانهم وأعمالهم وأخلاقهم: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)﴾[يونس/ ٢٦].

وقال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾[القيامة/ ٢٢-٢٣].

وقال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)﴾[عبس/ ٣٨-٣٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً**» متفق عليه[1].

أما الكفار فيصورهم الله ﷻ على حسب درجات كفرهم ومعاصيهم: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)﴾[يونس/ ٢٧].

وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)﴾[الزمر/ ٦٠].

واعلم أن الله جميل يحب الجمال، فتجمل له بما يحبه ويرضاه في ظاهرك وباطنك، واعرف جمال ربك وأسمائه وصفاته وأفعاله الجميلة، وكن كريمًا يحبك الكريم، جميلًا يحبك الجميل، عفوًّا يحبك العفو، وتعبد لربك بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

واعبد ربك الكريم بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال، والأخلاق والآداب.

جمل لسانك بالصدق والذكر، وجمل قلبك بالإيمان والإخلاص، والمحبة والتوكل، والإنابة والتقوى، وجمل جوارحك بطاعة الله ورسوله، وجمل بدنك بالنظافة، وحسن اللباس والطيب، وتجمل لمن خلقك في أحسن تقويم بإظهار نعمة الله عليك.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» أخرجه مسلم[1].

واعرف ربك بالجمال الذي هو اسمه ووصفه، واعبده بالجمال الذي هو دينه وشرعه، وذلك من شكره على نعمه، ومن الجمال الذي يحبه ويأمر به: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

وعرف الناس بالجميل سبحانه؛ تزدد إيمانًا ونورًا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

وانشر جمال هذا الدين بسننه وآدابه وأحكامه للعالم؛ تكن ربانيًا: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واعلم زادنا الله وإياك علمًا وتقى أن من أعز أنواع المعرفة وأكملها: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة أسماء جلاله وجماله، وهي معرفة خواص الخلق من الأنبياء والأولياء: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۝١٩﴾ [محمد/ ١٩].

والله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والنعوت الجميلة، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض؛ ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته وأفعاله، هو الجميل الذي ليس كمثله أحد في الجلال والجمال.

فإذا تجلى الله سبحانه لعباده بصفات الجمال والجلال؛ استنفذ حبه من قلب العبد قوة الحب كلها، وقوة التعظيم كلها، وقوة الحمد كلها: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

- **وحظ العبد من هذا الاسم الكريم:**

أن يتعبد به لربه، فيجمل ظاهره وباطنه، وقلبه وقالبه، بالجمال الذي يحبه الله ﷻ.

فيجمل باطنه بالتوحيد والإيمان والتقوى، وحب الله ورسوله والمؤمنين، والخوف من الله، والرجاء له، والتوكل عليه، وحسن الظن به، وإخلاص العمل له: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)** ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ويجمل ظاهره وجوارحه بأنواع الطاعات القولية والفعلية، ويجمل بدنه بإظهار نعمة الله عليه في لباسه وطعامه وسكنه؛ لأنه سبحانه جميل يحب أن يرى أثر نعمته على عبده: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)** ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ لأبي الأحوص حين رآه رث الثياب «**أَلَكَ مَالٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، مِنْ كُلِّ الْمَالِ، قَالَ: إِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا فَلْيُرَ أَثَرُهُ عَلَيْكَ**» أخرجه النسائي[1].

ومن عرف الله باسمه الجميل أحبه وحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأحسن الظن به، واشتاق إلى رؤيته، وسارع إلى ما يحبه ويرضاه، وجمل ظاهره وباطنه بكل ما يحبه الله ويرضاه، ونال من ربه فوق ما تمناه: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)** ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فجمل نفسك لربك بأنواع الطاعات والقربات، وجمل نفسك بين خلقه بحسن الأقوال والأفعال والأخلاق، وجمل غيرك من الناس بالدعوة إلى التوحيد والإيمان: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)** ﴾ [فصلت/ ٣٣].

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (٩٤٨٤).

وتجمل بمكارم الأخلاق، وجميل الفعال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واجتنب يا جميل ما يضاد الجمال من الشرك والنفاق، والكبر والحسد، والظلم والعدوان: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج/ ٣٠-٣١].

واعلم يا عبد الجميل أن جمال المسلم في تحقيق كمال العبودية لله ﷻ في كل حال، وجمال القلوب هو الأصل، وجمال الأبدان ابتلاء، فجمال العبد حقًّا في توحيد ربه، في الإيمان به، في الاستقامة على أوامره، في الأخلاق الحسنة، هذا جمال العبد الحقيقي: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل/ ٩٠].

فكن جميلًا في الإيمان، في الرحمة، في التوبة، في العفو، في الدعوة إلى الله، في تعليم شرع الله، في الحكمة، في الإحسان إلى الخلق: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فسبحان الجميل الذي تسبح بحمده جميع مخلوقاته: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

وسبحان الجميل الذي حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حُجب بأوصاف الكمال، وسُتر بنعوت العظمة والجلال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

والمؤمن حقًّا، والعارف حقًّا، من ترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات، ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات؛ فيوحد ربه سبحانه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ ويعبده وحده لا شريك له: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفت الجميل فكبره وعظمه، لما رأيته من جماله وجلاله، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، واحمد الجميل؛ لما تراه من جمال إنعامه وإحسانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

فاللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين، وجملنا بما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

واعلم رحمك الله أن الجميل سبحانه يحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر، بالزينة والطيب واللباس، والجمال الباطن بالإيمان وشكر النعم والتقوى؛ فتجمل بذلك كله: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف/ ٢٦].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر/ ١٠].

«اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم(1).

اللهم يا من يملك الجمال كله، وبيده الأمر كله، زين قلوبنا بالإيمان واليقين، وجمل ألسنتنا بذكرك وشكرك، وجمل جوارحنا بحسن عبادتك وطاعتك، وجمل أوقاتنا بأنواع البر والعمل الصالح، يا أرحم الراحمين.

اللهم يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع الرحمة، يا واسع المغفرة، يا واسع العلم، يا سامع كل نجوى، يا منتهى كل شكوى، يا كريم الصفح، يا واسع الفضل، نسألك العفو والعافية، والفوز بالجنة، والنجاة من النار يا أكرم الاكرمين: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

النور

اسم الله النور

الله جل جلاله له الأسماء الحسنى والصفات العلى والنعوت الجميلة والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

الله جل جلاله هو النور الحق الذي أنار كل شيء ظاهرًا وباطنًا، فهو النور، ومنه النور، يهدي بالنور الظاهر الأبصار الظاهرة إلى المبصرات الظاهرة، ويهدي بالنور الباطن البصائر الباطنة إلى المعارف الباطنة: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وهو سبحانه النور الذي أمدّ الأبصار والبصائر بالنور، وأنار به الآفاق والأقطار، والعالم العلوي والعالم السفلي: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥﴾ [النور/ ٣٥].

وقد ورد اسم الله النور في القرآن مقيدًا في قوله سبحانه: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور/ ٣٥].

وورد في السنة مفردًا مطلقًا صريحًا في قوله ﷺ حين سُئل: هل رأيت ربك؟ فقال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» أخرجه مسلم[١].

فهو سبحانه النور الهادي لجميع خلقه من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

وهو النور الذي أنار بنوره العالم العلوي، والعالم السفلي، وأنار الدنيا والآخرة بالأنوار التي خلقها.

وهو سبحانه النور الظاهر الذي به كل ظهور؛ فهو الظاهر المظهر لكل ما سواه من مخلوقات من ظلمة العدم إلى نور الوجود: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو سبحانه النور الذي هدى بنوره إلى الحق من شاء من عباده؛ فبين له الحق، وغوامض المسائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد/ ٢٨].

وهو سبحانه النور المبين الذي نوره لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه؛ لعظمة نوره الذي لا منتهى له.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: «**هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» أخرجه مسلم(١).

والمخلوقات كلها لا تطيق الثبوت لنور وجهه لو تجلى لها: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

هو سبحانه النور الظاهر بنفسه، المظهر لغيره من جميع مخلوقاته.

فسبحان النور الظاهر بذاته وأسمائه وصفاته، المظهر لكل ما سواه من مخلوقاته وآياته: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت/ ٣٧].

هو سبحانه النور الهادي الذي يرشد بهدايته من يشاء من عباده؛ فيبين له الحق، ويلهمه

اتباعه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

هو سبحانه النور الظاهر الذي ظهر به كل ظاهر وباطن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: ٥ – ٦].

هو سبحانه النور الذي نور الكون كله بنوره الذي وسع كل شيء، ونور المخلوقات الظاهرة بالشمس والقمر والنجوم، ونور القلوب بالتوحيد والإيمان: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

واعلم رحمك الله أن الله نورٌ، إن اتصلت به أعطاك من نوره ما يدلك عليه، ويعينك على عبادته، ويهديك إلى سبل مرضاته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال/ ٢٩].

هو النور الذي ملأ قلوب عباده بكل نور، ومعاني الجمال والبر، والإحسان والإكرام، تملأ قلوب أوليائه بأنوار المحبة والود والشوق إلى مولاهم تبارك وتعالى.

ومعاني اللطف والرأفة والرحمة تملأ قلوب المؤمنين بأنوار الحب، والحمد والشكر، للمولى جل جلاله.

ومعاني العلم والإحاطة، والمشاهدة والمراقبة والقرب، تملأ قلوبهم بأنوار مراقبة ربهم، والخوف منه، وطاعته، وتوصلهم إلى مقام الإحسان: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

وجميع أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، تملأ القلوب بأنوار التعظيم والحب، وحسن التعبد لله، والتعلق التام بالله وحده، وعدم الالتفات إلى أحد سواه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واعلم علمنا الله وإياك ما يسعدنا في الدنيا والآخرة، أنه إذا امتلأ قلب المؤمن بنور

التوحيد والإيمان واليقين، فاض ذلك على الوجه نوراً فاستنار الوجه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس/ ٣٨-٣٩].
واطمأن القلب، وانقادت الجوارح لطاعة الله، وقيدها هذا النور عن معصية الله.
فسبحان النور الحق الذي أسماؤه وصفاته كلها نور، وكتبه كلها نور، ورسله كلهم نور، وأولياؤه كلهم نور، ودينه نور، ودار كرامته نور: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد/ ١٢].
﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن/ ٨].
﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].
واعلم أن المؤمنين كما يتفاضلون في الدنيا في معرفة هذه الأنوار، كذلك يتفاضلون في الآخرة في رؤيتهم ربهم جل جلاله، بحسب ما حصلوه من النور في الدنيا.
عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة: "يعني البدر" فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» متفق عليه[1].

- **واعلم هدانا الله وإياك لحسن معرفته وحسن عبادته أن النور قسمان:**

الأول: نور ظاهر.
الثاني: نور باطن.
فالنور الباطن: إذا دخل في قلب العبد انفسح وانشرح واتسع، فاتسع العلم، وحصل اليقين، وزاد الإشراق، ونشطت النفس والجوارح للعمل بالطاعات والقربات، وكفت عن المعاصي والسيئات.
وكل سبيل يؤدي إلى مقصود ظاهر أو باطن من الخير فهو من هذا النور، فالله جل جلاله نور، والقرآن نور، ورسوله نور، وآيات الله الكونية نور، وآيات الله الشرعية كلها نور: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥- ١٦].

ومتى حل نوره جل جلاله بمكان طرد عنه كل الظلمات، وأبعد عنه الظلمة، فإن كان الجسم ثقيلًا أشرق، وكان سراجًا يضيء به ما حوله كالشمس والقمر: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت/ ٣٧].

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس: ٥].

واعلم أن الحكيم جل جلاله لما أنزل الحق جعل ضده الباطل، ولما أوجد النور أوجد الظلام؛ فإذا جاء النهار أذهب الليل، وإذا جاء النور طرد الظلام: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥١].

وكذلك إذا جاء الحق زهق الباطل: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء/ ٨١].

وقد خلق الله جل جلاله الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم من تراب، فخلق سبحانه الجان من نار السموم، وخلق آدم من تراب: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر/ ٢٦-٢٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**» أخرجه مسلم(١).

وإبليس من الجان، أضله الله من بينهم، ولعنه حين استكبر وكفر بالله، وطرده سبحانه من ملكوت السماء هو وذريته: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر/ ٣٤-٣٥].

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة/ ٣٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف: ٥٠].

فلا إله إلا الله، ما أعظم خلقه، وما أبين حكمته، وما ألطفه في تدبيره، وما أعظم نوره!

من كان مخلوقًا من خالص النور كالملائكة جعله الله خيرًا كله يعمل بالخير، ويدعو إلى الخير، ويعين على الخير: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٨].

ومن كان مخلوقًا من النار وهم الجان، جعل سبحانه على يديه عقاب من كفر، وكذب الله ورسله، وجعل إبليس وذريته وأتباعه يدعون إلى النار: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر/ ٦].

ومن كان مخلوقًا من الممتزج وهو الإنسان المخلوق من ماء وتراب، جعل أعمالهم ممزوجة إلا ما رحم ربك، فمنهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والكريم والبخيل، والمحسن والمسيء، والسعيد والشقي، وأعمالهم ممزوجة بالخير والشر، والحسنات والسيئات، والطاعات والمعاصي، ومآلهم يوم القيامة بحسب أعمالهم: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى/ ٧].

وقال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم/ ١٤-١٦].

ولو شاء لهداهم أجمعين، وجعلهم أمةً واحدة؛ لكنه سبحانه الحكيم العليم الذي شرع السنن والأحكام؛ ليبين للمعتبرين عظمة ملكه، وكمال أسمائه وصفاته، وأصناف مخلوقاته، وأحكم الأحكام، وصانها عن الإضاعة والفوضى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٤٩].

وقال ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦].

فسبحان الملك الحق الذي يجري في ملكه العظيم من التصريف والتدبير ما لا يحصيه إلا هو، من ليل ونهار، ونور وظلام، وحر وبرد، وحياة وموت، وأمن وخوف، وبسط وقبض، وعطاء ومنع، وخير وشر: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)﴾ [الذاريات: ٤٩ - ٥١].

كل مخلوقاته خاضعة لأمره، ومسبحة بحمده، ومسرعة إلى إرادته: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

أما النور الظاهر: فما جعله الله ﷻ في الشمس، والقمر، والنجوم، والنار، والأبصار: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥)﴾ [يونس/ ٥].

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)﴾ [النحل: ٧٨].

واعلم رحمك الله أن ما فوقنا نورٌ ساطع يزداد على التدريج في العلو، وما تحتنا ظلام معتم يزداد على التدريج في السفل، فما فوقنا كله نور يزداد من سماء إلى سماء، ثم يزداد في الكرسي، ثم يزداد في العرش، حتى يصل إلى النور الحق جل جلاله الذي كل نور في العالم من نوره: ﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾ [النور/ ٣٥].

فمن عمل بطاعة الله رفعه الله إلى موضع النور في الجنة في السماء في العلو: ﴿وَفِي الْأَرْضِ

﴿ءَايَٰتٌ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

وقال ﷻ: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ [الحديد: ١٢].

ومن عمل بمعصية الله سبحانه سجنه الله في الظلام، في طبقات النار، في الأرض، في أسفل سافلين، فهذا مكان الكفار والعصاة في نار جهنم: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ [التين/ ٤ – ٨].

واعلم رحمك الله أن أصل النار الظلام واليبس، فمتى حل اليبس مع الحر كانت النار، ومتى حل اليبس مع البرد كان الزمهرير، وكلاهما مفسد بذاته ما لم يجعل الله له ضداً من رحمته يقاومه، فمن عبد هذه النار في الدنيا يريد النور، ساقه الله إلى ظلمات النار يوم القيامة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ [الأنعام/ ٣٩].

فنار جهنم أعاذنا الله وإياكم منها، أصل وجود النار في هذه الدار، ولها أنفاس مؤلمة في هذه الدار، من حر شديد، أو برد شديد، تذكرةً من الرحيم بالنار الكبرى.

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِير**» متفق عليه(١).

ونار الدنيا جزء يسير من نار جهنم، يذكر الله بها عباده ليتقوه ويخافوه: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ٧٢ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ٧٣﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣].

وهذه النار التي خلقها الله في الدنيا هي جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم.

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» متفق عليه(١).

فسبحان الملك الحق الذي ملأت العالم عزته، ووسعت كل شيء رحمته، وملأ العالم نوره، وأحاط بكل شيء علمه، ووسع كرسيه السماوات والأرض، وأحاط جميع مخلوقاته بعرشه العظيم، وهو الحي القيوم الذي يرى ويعلم كل ذرة في ملكه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

سبحانه لا تعد مخلوقاته، ولا تحصى نعمه، ولا يحاط بجنوده: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

والنور الحق سبحانه خالق كل شيء، وبيده كل شيء، والعالم كله دليلٌ على وجوده، قائم كله بأمره، مقهور بإرادته، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى طاعته: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

هو النور الذي خلق كل نور، وبيده الخلق والأمر وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هذا نور من العلم ساطع لأبصار العقول، وضياء واضح لبصائر الفهوم: ﴿۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ١٠﴾ [إبراهيم/ ١٠].

والعالم كله مشرق بنور الله، المشرق فيه ظاهرًا وباطنًا، كالبيت مُلئ سروجًا ومصابيح، فأشرق بالنور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور/ ٣٥].

فاصعد بفكرك لتعرف جلال أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى، وتبصر الهدى بنور الحق المبين: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم برقم (٢٨٤٣) واللفظ له.

مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾
[الأنعام/ ١٢٢].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[الزمر/ ٢٢].

فإذا وصلت بإيمانك إلى النور الحق جل جلاله، سطع نوره في قلبك، وغلب كل نور، فأبصرت ربك الملك العظيم ملكًا عظيمًا ملأ الكون نورًا وجمالًا، وإحسانًا ورحمةً.

كلامه نور، وأسماؤه وصفاته وأفعاله كلها نور، وكتبه نور، ورسله نور، ودينه نور: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾
[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان النور الذي يهدي بنوره من في السماوات ومن في الأرض، الذي بنوره يبصر ذو العماية، وبهدايته يرشد ذو الغواية، الذي نور السماوات والأرض من نور وجهه جل جلاله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

هو سبحانه النور الذي ملأ الدنيا بنوره، وملأ الآخرة بنوره، وملأ الجنة بنور وجهه، وتشرق الأرض بنوره يوم القيامة عند مجيئه لحساب الخلائق: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾
[الزمر/ ٦٩].

ويُمنع النور نوره يوم القيامة عن كل كافر وظالم لم يقبل نوره في الدنيا، ورضي أن يعيش في ظلمات الكفر والجهل، ثم يسوق كل كافر وظالم إلى دار الظلام والعذاب واللعنة، نعوذ بالله من سخط الجبار، وعذاب النار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾[الأحزاب/ ٦٤- ٦٦].

فما أشد عذاب هؤلاء، وما أشد حسرتهم على خسارتهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟

ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾[البقرة/ ١٧٥].

اللهم يا رحمن يا رحيم لا طاقة لنا بنار جهنم، فارحمنا وأنت خير الراحمين، واغفر لنا يا خير الغافرين: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥].

هو سبحانه النور المبين الذي نور قلوب الصادقين بتوحيده، ونور قلوب العارفين بمعرفته، ونور قلوب المتقين برؤيته، ونور قلوب العابدين بحسن عبادته، ونور العالم كله بنوره: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور/ ٣٥].

هو سبحانه النور الذي خلق النور والظلام، والليل والنهار: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام/ ١].

هو النور الذي نور قلوب عباده بالحق الذي أنزله إليهم ليهديهم إليه، ويخرجهم من الظلمات إلى النور: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾[الحديد/ ٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾[النساء/ ١٧٤-١٧٥].

والجزاء من جنس العمل: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾[النساء/ ١٧٣].

احرص هداك الله لنوره على إدراك حقيقة الأنوار، فبذلك تصل بالفهم إلى النور الحق جل جلاله، وتنعم بالنور في الدنيا والآخرة.

واعلم أن من عرف النور الظاهر من الباطن ومواضعه ومسالكه في العالم؛ يجد أن الله هو النور الحق المبين، الذي لا إله إلا هو، ملأ الكون كله بنوره، كما ملأه برحمته، كما ملأه بإحسانه.

هو النور الذي نور السماوات والأرض، ونور الظواهر والبواطن، ونور الآفاق بالشمس والقمر والنجوم، ونور الوجود كله بمعاني أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].

هو سبحانه النور الذي نور قلوب المؤمنين وصدورهم بالتوحيد والإيمان والإخلاص، ونور سبحانه العقول بأصناف العلوم والمعارف، وأنواع الدلائل والبينات، ونور سبحانه الأبدان بأنواع العبادات، وأصناف الطاعات والقربات، ونور سبحانه الأسرار بمحاسن الأخلاق، وجميل الصفات: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن/ ٨].

ونور جل جلاله العالم كله بما نصبه من الدلائل الحسية والعقلية والشرعية الدالة على وحدانيته وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس/ ٣-٤].

ويرى ذلك النور العظيم من صدق في الطلب، ونقى قلبه من جميع ما تراكم عليه من ظلمات الجهل، وذلك بالعلم والمعرفة، ونقاه من الذنوب بالتوبة النصوح والعمل بما يرضي الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ

﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

فاجتهد رحمك الله في إزالة ما يحول بينك وبين نور الإيمان، ونور القرآن، لترى الحق حقًا وتتبعه، وترى الباطل باطلًا وتجتنبه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج/ ٦٢].

واستعن على ذلك بتقوى الله تزداد إيمانًا ويقينًا وعلمًا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

والزم الذكر والفكر والعمل بطاعة مولاك، يشرق النور في قلبك وجوارحك، ويحيط بك نور الإيمان ظاهرًا وباطنًا، ويشع النور منك لنفسك ولغيرك: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

واعلم أن هذا النور المشرق ليس بشيء يكتسب، بل هو من قبيل العطايا والمواهب الربانية، وهو ميراث حسن التقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وذلك لأن الله ﷻ جعل لمثل هذه الأمور الرفيعة عن الاكتساب مفاتيح من أمور مكتسبة لا تنال إلا بها: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

والمفتاح الذي نحتاجه للحصول على هذا النور تقوى الله ﷻ، وتقوى الله ثمرة معرفته بأسمائه وصفاته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد/ ٢٨].

فجعل سبحانه النور والرحمة والمغفرة ثمنًا للإيمان والتقوى، وعلى قدر معرفة الله تكون التقوى، وعلى قدر تقوى الله يكون حسن الطاعات، والتطهر من الأدناس والمعاصي،

والطاعات كلها نور، والمعاصي كلها ظلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥].

وعلى قدر ذلك يقتبس العبد النور فيمتلئ قلبه نورًا، ثم تضيء الجوارح بالنور الذي يطرد كل ظلام، فتصبر بالنور، وتسمع بالنور، وتفكر بالنور، وتتكلم بالنور، وتعمل بالنور، وتدعو إلى الله بالنور، وتتعلم بالنور، وتعلم بالنور، وتعيش بالنور، وتمشي بالنور: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**» أخرجه البخاري(1).

واعلم رحمك الله أنك إن بالغت في الطهارة والعبادة، ولم تتفرغ للنظر والتدبر والتفكر في معاني أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى، والنظر في ملكوت الله، والنظر في الآيات الكونية، والنظر والتدبر للآيات الشرعية لم يتم لك هذا الأمر، ولم ترتفع عن درجة عموم المؤمنين إلى درجة العلماء الربانيين الناظرين في ملكوت ملك الملوك: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وانظر وتفكر وتدبر في ملكوت ملك الملوك: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

فإذا عرفتم ذلك؛ عظمتم الله وكبرتموه، لما ترونه من عظمته وجلاله وكبريائه، وحمدتموه وشكرتموه، لما ترون من عظمة نعمه وإحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وأقبلتم على طاعته لما وعدكم به على ذلك من الجنة والرضوان، وابتعدتم عن معصيته لما توعدكم به من ناره وغضبه وسخطه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

واعلم هدانا الله وإياك إلى معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، أن الله إذا أراد بك خيرًا فتح لك أبواب التعرف عليه، والقرب منه، ووصلت التقوى بالنظر والفكر والتدبر، ولم يشغلك ظاهر العلم عن باطنه، ولم يقعدك علم الحق عن العمل به، وجمعت بين علم الجوارح، وعلم القلوب، وأخلصت العمل كله لله الذي ينظر إليك، وتجنبت ما يُسخط الله عليك، وآثرت ما يرضيه في جميع أحوالك.

فانظر وتدبر في ملكوت السماوات والأرض، ليمتلئ قلبك بالإيمان والخوف والخشية: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر/ ٢٧-٢٨].

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ق/ ٦-٨].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٠].

وإذا علمت هذا فحينئذ اتصل بك الحبل، واستبان لك السبيل: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف/ ٤٣- ٤٤].

فداوم على ذكر ربك، وحسن عبادته بالقلب والجوارح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

فإذا امتلأ قلبك بالإيمان أحببت ربك، وعظمت ربك، وحمدت ربك، وذلك أن صفاء النور يشرق في القلوب بقدر طهارة العبد وتقواه، وحدة بصره وعقله بقدر تفرغه لمعرفة ربه، وتدبر آياته، والعمل بشرعه، وظهور الثمار والفوائد والخشوع لله ﷻ بقدر التفكر والتدبر: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

واعلم رحمك الله، وفقهنا الله وإياك في دينه، أن إصابة الصواب بقدر اللجوء إلى الله، وطلب المعونة منه في كل صغيرة وكبيرة، والتبري من الحول والقوة، وعلى قدر الإخلاص والتقوى تكون المعونة والمؤونة، وكشف المصائب والبلوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإذا وصلت نوره الحق الذي خلق به السماوات والأرض بنوره الحق الذي أنزله على رسله، أشرق النور في قلبك، فأبصرت به النور الحق المبين جل جلاله، يدبر ملكه وملكوته، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ

﴿تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠١- ١٠٣].

هو سبحانه بديع السماوات والأرض: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: ١١٧].

وإذا فتح الله لك أبواب معرفته فاسجد له واعبده وحده لا شريك له: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

وتوكل عليه وحده: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

وكبره واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومن أعظمها نعمة معرفته بأسمائه وصفاته: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

وإذا علمت أن ربك أنزل النور، وهداك لهذا النور الذي أبصرت به الحق من الباطل، وعرفت به الخير من الشر، فانشر هذا الدين بين الخلق؛ لتمتلئ قلوب البشرية بنور الإيمان، وتنقاد الجوارح لطاعة الرحمن: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

واستغفر ربك في كل وقت، وسبح بحمده ما بقيت، واحمده على إنزاله الهداية عليك وعلى الخلق: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر/ ١ - ٣].

واعلم رحمك الله أن أشد الناس حبًا لله، وأكثرهم ذكرًا له، وأصدقهم مناجاةً له، وأحسنهم عبادةً له، هم أعرف الناس بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإحسانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال/ ٢- ٤].

وتب إلى ربك توبةً نصوحا مما عملته من المعاصي، أو قصرت فيه من الطاعات، لتنال مغفرته وإكرامه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم/ ٨].

فمن عاش في الدنيا مع النور، وعمل بالنور، صار يوم القيامة إلى النور، وتنعم برؤية ربه النور: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

واعلم أسعدك الله في الدنيا والآخرة، أن من عرف ربه باسمه النور، استنار بنور وحيه، وعبد ربه كأنه يراه، وعبادة الله وحده تكسب البدن والوجه نورا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

- **واعلم أن النور نوعان:**

الأول: نور إشراقي؛ تُرى به الأشياء، كما نرى الجبال والبيوت بنور الشمس والقمر.

الثاني: نور بياني؛ تُعلم به الحقائق.

فالأول: نور البصر: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٢٣﴾ [الملك: ٢٣].

والثاني: نور البصائر: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۝١٠٤﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فخذ نصيبك من هذا وهذا بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾ [التغابن/ ٨].

واعلم أن جميع الطاعات والأخلاق الحسنة كلها نور تصل صاحبها بالنور المبين جل جلاله، الذي خلق كل نور، والمعاصي والأخلاق السيئة كلها ظلمة تؤدي بصاحبها إلى ظلمات الجحيم، فاحمد الله ﷻ الذي أنزل عليك النور، وهداك إلى النور، وحبب إليك النور: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٢٥٧﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

هو سبحانه النور الذي أكرم خلقه بنور الأبصار، وأكرم أولياءه بنور البرهان الإشراقي، ثم أكرمهم بنور العرفان البياني: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥﴾ [النور/ ٣٥].

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

واعلم أن جميع الفضائل كلها نور، نور الإيمان، نور التوحيد، نور العلم، نور الحكمة، نور الصدق، نور الطاعات، نور القربات، نور الحق، نور الهداية، نور الفطرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم/ ٣٠].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور/ ٤٠].

واعلم أن الكفار يسعون إلى إطفاء نور الله وهو الحق في الأرض، ولكن لم يستطيعوا ولن يستطيعوا؛ لأن الله حافظ كتابه ودينه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف/ ٨-٩].

وقد وكلك النور سبحانه بالعمل بهذا النور، وإبلاغه للناس، ليعم أقطار الأرض كلها: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

وقال ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥].

فنور قلبك بالإيمان، ونور عقلك بالعلم، ونور لسانك بدوام ذكر الله ﷻ، وحمده وشكره، والدعوة إلى دينه، وتعليم شرعه، ونور جوارحك بالطاعات، ونور مجالسك بالدعوة إلى الله وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢].

﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وقال ﷻ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة/ ١٩٥].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون منورًا بأنواع الطاعات في جميع أحواله وأوقاته، مستعملًا جوارحه فيما يرضي ربه النور جل جلاله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وينقل نور الوحي إلى من هم في الظلمات: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

واعلم رحمك الله أن من أراد الله ﷻ عصمته عاد عليه برحمته؛ فأعانه على طاعته، وحماه من معصيته، وردع قلبه عن الفكر فيما سواه، وأشغل أوقاته فيما يقربه إليه مما يحبه ويرضاه، فتراه ذاكرًا لربه، مسبحًا بحمده، مكبرًا له، مستحيًا منه، مجلًا له، مطيعًا له.

قد بهرته طوارق العظمة والكبرياء، والجلال والجمال، وأذهلته هيبة الجلال والجبروت، وملكته مظاهر الرحمة والإحسان: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وتلك سنة الله في عباده الذين وصلوا إليه بصحيح المعرفة، وناجوه حبًا له، وتعظيمًا له، وكلفًا بقربه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧- ١٨].

وأسعد الناس من رجع من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله بالتعظيم والإجلال لربه، وحمده وشكره على نعمه وإحسانه، وخشيته والافتقار إليه، وكثرة التسبيح والتحميد له، ولزوم الاستغفار، واتباع السنة، وحسن الأدب مع الله بحسن عبادته، والسجود له بالقلب والقالب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وفي مقدمة هؤلاء الصفوة الأنبياء والرسل، ثم أتباعهم من المؤمنين الذين اتبعوهم بإحسان: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

فهنيئاً للأنبياء والرسل وأتباعهم بالجنة والرضوان: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وصلوات الله وسلامه على أنبياء الله ورسله، وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد الذي بلغ البلاغ المبين، فأزال الله به الشرك والجهل، ورضي عنه وصلى عليه، فصل أنت عليه كما أمرك ربك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

واعلم هداك الله لما يرضيه أن من قعد على كرسي الجهل، والكفر، والشرك، والهوى، والكبر، فلن يبصر الحق أبدًا، ولن يقوم من كرسيه إلا إلى نار جهنم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه/ ٧٤-٧٥].

ومن ارتقى إلى درجات التوحيد والإيمان والتقوى، وصل إلى الدرجات العلى في الجنة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد/ ١٢-١٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم/ ٨].

«اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا» أخرجه مسلم(١).

اللهم يا نور السماوات والأرض، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم إنا نسألك مسألة المساكين، ونبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وندعوك دعاء الخائف الضرير، فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الرحمين، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الرفيق

اسم الله الرفيق

الله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

الله ﷻ هو الرفيق العظيم الرفق، الذي يسهل الأمور، وييسر أسباب الخير كلها لعباده كلهم: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل/ ٥٢-٥٣].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**» متفق عليه[1].

هو سبحانه الرفيق الحق في قدره وقضائه وأفعاله، الرفيق في أوامره وأحكامه، الرفيق في دينه وشرعه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٧٣﴾[النمل/ ٧٣].

وهو سبحانه الرفيق الحليم الذي لا يعجل بعقوبة العصاة؛ ليتوب من سبقت له العناية، ويظهر كمال حلمه فيمن سبقت له الشقاوة: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾[فاطر/ ٤١].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الرفيق بعباده الذي ليس بعجول على من عصاه، وإنما يعجل من يخاف الموت، أو الفوات، أما الملك القادر القهار الذي في قبضته كل شيء؛ فليس من شأنه العجلة؛ لأنه القاهر لكل قاهر ومقهور: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾[الزمر/ ٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣)واللفظ له.

هو سبحانه الرفيق في أفعاله حيث خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئًا فشيئًا، مع أنه قادر على خلق جميع المخلوقات دفعةً واحدة، بأمر واحد، في لحظة واحدة:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر/ ٤٩-٥٠].

لكنه الرفيق الحكيم في خلقه، اللطيف في تدبيره، الحليم في فعله.

هو الرفيق الذي أفعاله كلها على سنن الحكمة والتدريج، يأتي بالليل بعد النهار، ويأتي بالشتاء بعد الصيف، ويأتي بالحر بعد البرد، ويأتي بالعافية بعد المرض، ويجري الشمس والقمر والنجوم في الفلك:﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس/ ٣٧-٤٠].

ويصرف سبحانه الرياح في الجو، ويصرف المياه بين السماء والأرض، ويحيي به الأرض بعد موتها:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الأعراف/ ٥٧].

وهو سبحانه الرفيق الذي يخرج المواليد من الأرحام، ويخرج الثمار من الأشجار، ويخرج الحبة من النبات:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[الأنعام/ ٩٩].

كل ذلك يجري بسنن الحكمة والقدرة والعلم، ليعلم الخلق أن لهذا الكون العظيم ربًا يصرفه، ويدبره، ويحكمه بأمره؛ وليعلموا أن من قدر على هذا قادر أن يذهب بالدنيا ويأتي بالآخرة، ويعيد الخلق كما بدأه:﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[الروم/ ٥٠].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾[الروم/ ٢٧].

فسبحان من أظهر قدرته في خلق الكبير والصغير، والكثير والقليل: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢﴾[عبس/ ٢٤-٣٢].

وقد ورد اسم الله الرفيق في السنة النبوية، ولم يرد في القرآن الكريم.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**» متفق عليه(١).

فسبحان ربنا العظيم الرفيق في أفعاله، الرفيق في أحكامه، الرفيق بعباده، الرفيق بأهل طاعته بتيسير الشعائر والشرائع لهم، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، الرفيق بأهل معصيته بحلمه عليهم، حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة؛ ليتوبوا إليه: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾[البقرة/ ١٦٣].

والصفة المشتقة من اسم الله الرفيق هي صفة الرفق، وهي من صفات الله الذاتية، ومن صفات الله الفعلية الثابتة في السنة.

قال النبي ﷺ: «**اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**» أخرجه مسلم(٢).

هو سبحانه الرفيق اللطيف بعباده، الرفيق الذي أحسن إلى عباده بأنواع الإحسان، الرفيق الحليم الذي أمهل العاصي فلم يعاجله بالعقوبة؛ لعله يتوب إليه من سبقت له العناية: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾[الشورى/ ١٩].

وهو سبحانه الرفيق القريب من عباده، إن فعلوا فهو بصير، وإن تكلموا فهو سميع، وإن أضمروا فهو خبير: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾[الملك/ ١٣-١٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨).

هو سبحانه الرفيق الذي يسر على خلقه ما يسعدهم ويصلح حياتهم في الدنيا والآخرة، الرفيق الذي لا نهاية لرفقه، خلق الخلق ويسر أمور معاشهم، وسهل لهم أسباب الخير، وأكمل لهم الدين الحق، وضاعف لهم الأجور على أعمالهم الصالحة، وأمرهم بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم، وأعانهم على ذلك، وشرع لهم من الرخص الشرعية ما يدفع عنهم الحرج: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾[الإسراء/ ٧٠].

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ٢٨٦﴾[البقرة/ ٢٨٦].

وكان النبي ﷺ أرفق الناس بالناس، وأحلم الناس على الناس، وحياته ﷺ كلها رفق وحلم، ورحمة، وإحسان.

عن أنس رضي الله عنه قال: «**بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ**» متفق عليه(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «**إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ:**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٥)، ومسلم برقم (٢٨٥) واللفظ له.

فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ.

قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ.

قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ» أخرجه أحمد(١).

هو سبحانه الرفيق اللطيف الكريم، الذي سخر لعباده جميع ما في السماوات وما في الأرض: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)﴾ [لقمان/ ٢٠].

هو سبحانه الرفيق اللطيف بك، الرفيق الذي يرافقك، الرفيق الذي يتصرف برفق، الرفيق الذي أحسن لعباده بأنواع الإحسان: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)﴾ [الشورى: ٢٨].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)﴾ [النحل/ ٥٣].

هو سبحانه الرفيق اللطيف الذي يرفق بك من دون عوض، فيجيبك إذا دعوته، ويعطيك إذا سألته، ويشفيك إذا مرضت، ويغفر لك إذا استغفرت: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥)﴾ [الحج/ ٦٥].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وقال النبي ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٢٢١١).

عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ» أخرجه مسلم[1].

هو سبحانه الرفيق الذي سهل تلاوة القرآن، وحفظه وفهمه، والعمل بموجبه: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴿١٧﴾﴾ [القمر/ ١٧].

هو الرفيق الذي بين لخلقه في كتابه كل شيء: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴿٨٩﴾﴾ [النحل/ ٨٩].

واعلم أن الرفيق سبحانه يبتلي عباده بأنواع الابتلاء؛ لأنه يحب من عباده أن يدعوه، أن يكشف عنهم الكروب والمصائب، وأن يتوجهوا إليه في حال السراء والضراء: ﴿**فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام/ ٤٣].

﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون/ ٧٦].

وأحب العباد إلى الله من اتصف بصفاته على شاكلة العبودية.

فالله مؤمن يحب المؤمنين، شكور يحب الشاكرين، صادق يحب الصادقين، جميل يحب الجمال، عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، رفيق يحب الرفق وأهله، تواب يحب التائبين: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وأبغض الخلق إلى الله ﷻ من اتصف بضد صفاته، فالله لا يحب الكافرين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب الظالمين، ولا يحب المجرمين، ولا يحب الفاسقين، ولا يحب الخائنين.

واعلم أن العبد كلما اتصف بصفة من صفات الله كلما تنزلت عليه بركات تلك الصفة.

فمن رحم الناس رحمه الله، ومن كان عفوا عفا الله عنه، ومن كان محسنًا أحسن الله إليه، ومن كان رفيقًا رفق الله به.

وما مُنع الخير عن الإنسان إلا بسبب الشدة، والقسوة، والاستعجال والغلظة، وعدم الرفق بالناس ورحمتهم، وكل عداوة وبغضاء، وكل فرقة وخلاف سببها عدم الرفق

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

واللطف، وعدم الرحمة والحلم، ومن حُرم الرفق حُرم الخير: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

هو سبحانه الرفيق بعباده الذي رفق بهم في أحكامه، وأمره ونهيه؛ فلم يكلفهم بما لا يطيقون فعله، ولم يحملهم ما لا يستطيعون.

هو الرحمن الرحيم الذي جعل فعل الأوامر على قدر الاستطاعة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن: ١٦].

هو الرفيق الذي أسقط عن عباده كثيرًا من الأعمال بمجرد المشقة، وخفف عنهم كثيرًا من الأحكام في حال المشقة والحاجة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة/ ١٨٥].

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ٢٨﴾ [النساء/ ٢٧-٢٨].

كل ذلك رخصةً من الرحمن الرحيم الرفيق بعباده، ورحمةً بهم، ورفقًا بهم؛ لأنه الرحيم الرفيق بعباده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

هو الكريم الذي اجتبى هذه الأمة، لتقوم مقام الأنبياء في الأمم إلى يوم القيامة بالعبادة والدعوة إلى الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج/ ٧٧-٧٨].

فسبحان الحكيم العليم الذي لم يأخذ العباد بالتكاليف والأوامر دفعةً واحدة؛ بل تدرج بهم من حال إلى حال، حتى تألف النفوس، وتلين الطباع، ويتم الانقياد، فقد أمر الله نبيه

ﷺ أن يعلم التوحيد والإيمان لأصحابه في مكة، ثم بعد ذلك لما امتلأت قلوبهم بالإيمان نزلت الأحكام في المدينة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

ومن رفقه سبحانه إمهال مرتكب الخطيئة، ومقترف الذنب، وعدم معاجلته بالعقوبة؛ لعله ينيب إلى ربه، ويتوب من ذنبه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف/ ٥٨].

فسبحان الرفيق الرحيم الحق الذي لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب والكفر والمعاصي؛ لعجل لهم العذاب، لشناعة ما يرتكبونه، ولكنه الحليم الرفيق، الذي لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل ولا يهمل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر/ ٤٥].

ومن رفقه سبحانه أن دينه كله رفق ويسر، وهدى وشفاء، ورحمة وسماحة، وتذكير وموعظة: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء/ ٨٢].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل/ ٨٩].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**» متفق عليه[1].

فسبحان الرفيق الذي وهب الرفق لكل رفيق، وخص أولياءه بأحسن الرفق وأجمله، ما أمر بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٩٣).

﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾
[النساء/ ٢٦].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥].

هو سبحانه الرفيق الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه الغني الذي لا أغنى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الرفيق الذي لا أرفق منه، الرحيم الذي لا أرحم منه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾ [الحديد/ ٩].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ومظاهر رفقه ظاهرة في العالم كله، في العالم العلوي وفي العالم السفلي، في عالم الجماد، وفي عالم النبات، وفي عالم الحيوان، وفي عالم الإنسان، وفي عالم الملائكة، وفي الخلق والإيجاد، وفي التدبير والتصريف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وقال ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾ [لقمان: ١٠ – ١١].

ورسوله ﷺ أرفق الناس بالخلق، وشواهد رفقه ﷺ في سنته ظاهرة، ودلائل حلمه وأناته ورحمته في سيرته واضحة، حتى أثنى عليه ربه في حسن خلقه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم/ ٤].

فهو أحسن الناس خلقا وخُلقا، وأحسنهم عبادة ودعوة، وأكملهم علما وعملاً، وأرفقهم معاملة، وأشدهم رحمة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «**دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**» أخرجه البخاري[1].

فربنا سبحانه رفيق يحب الرفق، ورسولنا إمام أهل الرفق، وديننا كله رفق ويسر ورحمة.

فعليك بالرفق في جميع أمورك، في عبادتك، ومعاملتك، ومعاشرتك، وجميع أعمالك، يحبك الله ورسوله وخلقه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠).

التعبد لله ﷻ باسمه الرفيق

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن الرفق زينة الإنسان، والرفق من الرحمن، والعجلة من الشيطان.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**» أخرجه مسلم(١).

واعلم أن من أعطي حظه من الرفق؛ فقد أُعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة، والله ﷻ يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، ومن حُرم الرفق حُرم الخير كله.

فاحرص رحمك الله أن تكون رفيقًا في أمورك كلها، بعيدًا عن العجلة والسرعة، وعن التهور والاندفاع، وعن الغضب والتكلف، فالعجلة في الأمور من الشيطان، والرفق صفة الرحمن، وحلية أهل الإيمان: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة/ ٧١].

وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ**» أخرجه مسلم(٢).

ارفق بنفسك ولا تحملها ما لا تطيق، ولا تكلفها ما لم يأذن به الله، ولا تزد في عمل زيادةً تقعدك عن غيره، ولا تخرج عن السنة إلى البدعة والشدة والتكلف: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ [النساء/ ٢٨].

وارفق رحمك الله بالخلق كلهم يرفق بك رب الخلق، وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وخالق الناس بخلق حسن تلقى أحسن منه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

وأحسن إلى الخلق بما تملك يعطيك الله أحسن منه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦﴾ [يونس/ ٢٦].

واعلم أن أعلم الناس، وأسعد الناس، وأتقى الناس، من عرف ربه بأسمائه وصفاته

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٢).

وأفعاله، وخزائنه ووعده ووعيده، وعرف عظمة ملكه وسلطانه، وعرف دينه وشرعه، وعرف وعده ووعيده، وتعبد لله بموجب ذلك: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فهؤلاء أعمالهم عظيمة، وأجورهم عظيمة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

ومن عرف ربه باسمه الرفيق أحبه وحمده وشكره، لما يراه من عظيم نعمه وإحسانه، ولطفه ورحمته بعباده: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

ومن هذا خلقه، وهذه نعمه، وهذا كرمه، هو الرب الذي تجب عبادته وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

وحظ العبد من اسم الله الرفيق أن يرفق بنفسه فيحملها على طاعة الله، واجتناب معاصيه، ولا يكلف نفسه ما لا يطيق: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

وأن يجعل الرفق قائده ودليله مع جميع الخلق في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومعاملة الناس، ليصل إلى قلوب الناس بجميل رفقه ولطفه، ورحمته وحلمه، وتؤثر فيهم حسن أخلاقه؛ فيكون لأمره ونهيه وقعًا في قلوبهم، ويكون ذلك عونًا لهم على فعل ما يريد منهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

فعليك بالرفق والتأني في كل الأمور، مع النفس، ومع الخلق، ومع الإنسان والحيوان، خاصةً مع الأهل والأولاد والأقارب والجيران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن/ ١٤].

وقال ﷻ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن من عرف ربه باسمه الرفيق اطمأن إلى قضائه وقدره، وشرعه وأمره، وزرع ذلك في قلبه شجرة الإيمان، التي تورث ثمرة الإحسان، الذي يورث حسن التعبد للرحمن، الذي يورث له الجنة والرضوان: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

ومن عرف ربه باسمه الرفيق راقب نفسه، وحاسبها على كل صغيرة وكبيرة من الأقوال والأفعال، لعلمه أن ربه قريب رقيب عليه، رفيق لطيف لا يخفى عليه شيء: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

وقال النبي ﷺ: «**اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ**» أخرجه مسلم[1].

واعلم يا عبد الرفيق أنك إذا رفقت بمن سبك وأذاك وشتمك من الخلق، فإن الله

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٤٢).

سيدفع عنك شرهم، ويتولى الدفاع عنك في كل وقت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج/ ٣٨].

وسوف يندفع عنك من شرهم ما لم يندفع عنك بمقابلتهم بمثل أقوالهم: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٦].

وقال ﷻ لموسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه/ ٤٣-٤٦].

الرفيق حقًا هو الذي يرفق بنفسه، ويرفق بغيره، فيصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

ومن عرف ربه باسمه الرفيق علم أن الله معه يراه ويسمعه، ويرفق به، ويعلم بجميع أحواله، وذلك يثمر له الحياء من الله، والحب له، ورجاءه، والخوف منه، ولزوم الاستقامة على أوامره في كل حال: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وكن رفيقًا في جميع معاملاتك ومعاشراتك، رفيقًا بوالديك الذين هما سبب وجودك: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء/ ٢٣-٢٤].

وحظ الحاكم من هذا الاسم أن يرفق برعيته؛ فيحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن

مسيئهم، ويأخذ بأيديهم إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، بالحكم بالحق، والعمل بالحق، وإشغالهم بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص/ ٢٦].

وحظ المعلم من هذا الاسم الكريم أن يرفق بطلابه، ويشجعهم ويرغبهم في العلم والعمل به، بحسن أدبه وخلقه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

وقال ﷻ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وحظ الداعي إلى الله من هذا الاسم الكريم أن يكون رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، رفيقًا في أموره كلها: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل/ ١٢٥].

وحظ المدير والمسئول من هذا الاسم الكريم أن يكون قدوةً حسنة لموظفيه، يأمرهم بما يأتمر به، وينهاهم عما ينتهي عنه، ولا يكلفهم ما لا يطيقون، ويشكر محسنهم، ويرفق بمن أساء منهم، ويرشدهم إلى معالي الأمور كلها، ولا يخالف أقواله بأفعاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف/ ٢- ٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» متفق عليه[1].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٢٩).

وإذا أكرمك الرفيق جل جلاله بالرفق؛ فارفق بنفسك: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

وارفق بالبشر، وارفق بكل مسلم وكافر، وبكل بهيمة وحيوان؛ فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

ومن كمال رحمة النبي ﷺ ورفقه أن حن إليه الجذع الذي كان يخطب عليه، ثم تركه حين صنعوا له المنبر.

وإذا أراد الله بأهل بيت خيرا، أدخل عليهم الرفق، وإذا صلح البيت صلح السوق، والمجتمع، والأمة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

وهذه وظيفة الأمة عبادة الرب، والإحسان إلى الخلق، ومن قام بذلك فهو نائب النبي ﷺ في أمته: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

فنعم العمل والعامل، ونعم الأجر والثواب: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وإذا رأيت أخاك زل في معصية فخذ بيده للخير، فقد جره الشيطان إلى معصية الله، وأغرقه في بحر الشهوات والمعاصي، فكن رفيقًا به، ولا تسب أخاك، واحمد الله الذي عافاك: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

وإذا اشتدت عليك الأمور، وأُغلقت عليك الأبواب، فقف بباب الرفيق الرحيم الذي يسهل الأمور، ويفتح ما أُغلق من الأبواب: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات/ ٥٠-٥١].

فاللهم يا رفيق ارفق بأحوال أمة محمد ﷺ، وارزقنا الرفق في الأمور، والحلم والتأني، وباعد بيننا وبين العجلة والشدة، وسهل أمورنا كلها إنك أنت العزيز الرحيم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾[آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة/ ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾[البقرة/ ٢٨٦].

«**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي.**

اللهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي.

اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه[1].

اللهم يا عظيم الصفح، يا حسن التجاوز، يا حليمًا على من عصاه، يا سميعًا لمن دعاه، يا رفيقًا بمن ناداه، نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت غير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم ارحمنا وارفق بنا فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض يا أرحم الراحمين: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾[الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٩)، ومسلم برقم (٢٧١٩)واللفظ له.

البـاب السابع عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٩٨- اسم الله الشافي.

التعبد لله عز وجل باسمه الشافي.

٩٩- اسم الله الحيي.

التعبد لله عز وجل باسمه الحيي.

١٠٠- اسم الله الستير.

التعبد لله عز وجل باسمه الستير.

١٠١- اسم الله المعطي.

التعبد لله عز وجل باسمه المعطي.

١٠٢-١٠٣- اسم الله المقدم.. المؤخر.

التعبد لله عز وجل باسمه المقدم.. المؤخر.

١٠٤- اسم الله المحسن.

التعبد لله عز وجل باسمه المحسن.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الشافي

اسم الله الشافي

الله سبحانه هو الرب الكريم الشافي الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

هو سبحانه الشافي الحق لجميع الأسقام والأمراض الظاهرة والباطنة، لا يشفي أحد من ذلك غيره: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود: ١٢٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ، مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**» متفقٌ عليه[1].

فهو سبحانه الشافي الكافي، الذي يملك خزائن الشفاء، الذي يشفي أبدان خلقه من الأسقام والآفات والأمراض وحده لا شريك له: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء/ ٨٠].

وهو جل جلاله الشافي الذي يشفي الأبدان من الأسقام، ويهديها لما يصلحها، ويغذيها بما ينفعها من الطعام والشراب: ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء/ ٧٧-٨٠].

وهو سبحانه الشافي الحق الذي يشفي الصدور والقلوب من أمراض الكفر والشرك، والنفاق، والشبه، والشكوك، وأمراض الحقد والحسد والرياء، وغيرها من أمراض القلوب، ويعافيها بالهداية إلى الدين القيم، والصراط المستقيم الذي يوصل إليه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢﴾ [الجمعة/ ٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩١) واللفظ له.

فسبحان ربنا الشافي من كل داءٍ ظاهر أو باطن، الشافي الذي لا يدعى بهذا الاسم سواه، الشافي الذي يشفي بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٩﴾ [آل عمران/ ١٨٩].

هو الشافي الذي خلق الداء والدواء والشفاء، وما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً، علمه من علمه وجهله من جهله، وجميع الأدوية لا تنفع بذاتها؛ بل بما قدره الله تعالى فيها من الشفاء: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم شفاءً من كل داء يستشفي به المؤمنون من الجهل والضلالة، ويبصرون به من العمى، ويعرفون به الحق من الباطل، والحلال من الحرام، والخير من الشر، ويعملون بأحكامه، فيسعدهم ربهم في الدنيا، ويدخلهم الجنة في الآخرة، وينجيهم من عذاب النار: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل/ ٨٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس/ ٥٧- ٥٨].

أما الكفار فلا يزيدهم القرآن إلا خسارة؛ لأنهم لا يؤمنون به، ولا بمن أنزله، ولا يعملون به؛ فخسروا دنياهم وأخراهم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾ [الإسراء/ ٨٢].

فأخسر الناس من كفر برب الناس، وأعرض عن شرعه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ۝١٠٦﴾ [الكهف/ ١٠٣- ١٠٦].

واعلم أن المؤمن يعتقد أن الله هو الشافي وحده لا شريك له، وأن الشفاء من جميع الأسقام بيد الله وحده لا شريك له، ولكنه مأمور بفعل الأسباب النافعة، وتناول الأدوية المفيدة المشروعة؛ لأن لله على العبد أوامر حال الصحة، وأوامر حال المرض،

والله يحب أن نمتثل أوامره في كل حال، ولكن الشفاء بيده وحده لا شريك له: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧- ١٨].

واعلم رحمك الله أن التداوي وطلب العلاج لا ينافي التوكل على الله؛ فنأخذ بالأسباب المشروعة بجوارحنا، ولا نتوكل إلا على الله، فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

فلا نتوكل إلا على الله الذي جعل في تلك الأدوية الشفاء، وهو الشافي الذي يشفي بها، وبدونها، وبضدها: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**» أخرجه البخاري(١).

والتداوي لا ينافي التوكل على الله الذي يملك خزائن كل شيء: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

فكما أن دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب لا ينافي الإيمان بقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء/ ٧٩].

فكذلك دفع المرض بالدواء النافع، والعلاج المفيد، لا ينافي الإيمان بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء/ ٨٠].

فهو الشافي وحده لا شريك له؛ ولكن الله عز وجل جعل الطبيب سبباً، وجعل الدواء سبباً، أما الله عز وجل فهو الشافي وحده لا شريك له، وهذه أسباب؛ فالطبيب أكرمه الله بأن جعل الشفاء على يديه؛ إكرامًا له لصدقه في عمله، وبر قبله منه.

وهذا الحديث أصل عظيم في الشفاء من الأمراض قاطبة: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**» أخرجه البخاري(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

فهذا الحديث يدفع الأطباء إلى البحث عن الدواء، ويدفع العلماء إلى معرفة الأحكام، ويملأ قلوب المرضى بالأمل بالله في حصول الشفاء؛ فما من داء خلقه الله إلا خلق له دواءً يشفي بإذن الله، وما من أمر إلا وله حكم عند الله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

والله ﷻ هو الشافي وحده لا شريك له، والدواء والطبيب أسباب مشروعة، قد تشفي وقد لا تشفي، أما الشافي وحده فهو الله وحده: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [الأنعام/ ١٧].

وخزائن كل شيء عنده، وبيده وحده لا شريك له: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر/ ٢].

ومن أراد الشفاء من كل داء، فليتصل بالشافي من كل داء: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فسبحان الشافي الذي يشفي الأجساد والقلوب من جميع الأمراض والأدواء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

واسم الله الشافي لم يرد في القرآن؛ وإنما ورد في السنة الصحيحة، في قوله ﷺ: «**اللهم رب الناس، أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**» متفقٌ عليه(١).

هو سبحانه الشافي الذي يشفي الأبدان من الأمراض والآفات، ويشفي الصدور من الشبه والشكوك، الشافي الذي يشفي من جميع العلل والأسقام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء/ ٨٠].

هو سبحانه الشافي الذي يطعم عباده من الجوع، ويؤمنهم من الخوف، ويشفيهم من الأمراض، ومن أكرمه الله بذلك؛ فليعبد ربه كما أمره، وهو يرزقه ويعافيه كما وعده: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩١) واللفظ له.

ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش/ ١-٤].

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

ومن أكرمه الله ﷻ بهذه النعم الثلاث؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.

قال ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**» أخرجه الترمذي(١).

والصفة المشتقة من اسم الله الشافي هي الشفاء، وهي صفة فعلية لله ﷻ كما قال سبحانه عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء/ ٨٠].

هو سبحانه الشافي الذي يشفي الأبدان من أمراضها، ويشفي القلوب من أسقامها، ويشفي الصدور من ضيقها، ويشفي النفوس من عللها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الشافي وحده لا شريك له، يشفي من يشاء، ويطوي علم الشفاء عن الأطباء إذا لم يقدر الشفاء: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٧].

وقال النبي ﷺ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» أخرجه مسلم(٢).

هو سبحانه الشافي الذي يشفي وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو سبحانه الشافي الذي ما أنزل داءً إلا أنزل له دواءً، علمه من علمه، وجهله من جهله.

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

قال النبي ﷺ: «**تَدَاوَوْا، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يَضَعْ دَاءً إلا وضع له دَوَاءً غيرَ داءٍ واحدٍ الهَرَمُ**» أخرجه أبو داود(١).

هو سبحانه الشافي الذي أنزل أعظم شفاء وأكمله وأحسنه؛ وهو: القرآن الكريم، فهو شفاء من كل شيء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء/ ٨٢].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى وحده لا شريك له، وكل اسم من أسماء الله الحسنى له صفة مشتقة منه؛ فالخالق سبحانه يخلق، والرزاق يرزق، والحي يحيي، والشافي يشفي، والعليم يعلم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وكل صفة فعلية لله صادرة عن صفات ثلاث:

القدرة المطلقة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة، المقرونة بالخير المطلق: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

وفي سورة الفاتحة شفاء من جميع الأمراض؛ خاصةً أمراض القلوب فـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة/ ٥]؛ شفاء من مرض الرياء.

و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة/ ٥]؛ شفاء من مرض الكبر.

وكذلك قراءة المعوذات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ**

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٨٥٥).

عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ» متفق عليه[1].

والمعوذات: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس.

والله عَزَّ وَجَلَّ هو الشافي، الذي يملك الشفاء وحده لا شريك له، ويملك أسباب الشفاء، ويعلم وقت الشفاء، وأنواع الشفاء، وكيفية الشفاء، كما قال إبراهيم: **﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾** [الشعراء/ ٨٠].

والله سبحانه قدير حكيم، فبالقدرة خلق الأشياء، وبالحكمة رتب الأسباب، افعل كذا تجد كذا، تفعل كذا يصيبك كذا: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾** [الأعراف/ ٩٦].

﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].

واعلم أن الرحمن الرحيم خلق الإنسان للعبادة والجنة، ولئلا يسكن إلى الدنيا والشهوات، ويغفل عن الآخرة والعبادات، ابتلاه الله بالمرض؛ ليذكره بربه، ويرفع درجاته ويكفر سيئاته، وشرع له الدعاء لرفع البلاء رحمةً به: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾** [البقرة/ ١٨٦].

فالمصائب والأمراض للكفار تأديب وتعذيب، وللمؤمنين تربية وتهذيب، ومصائب الأنبياء لكشف ما عندهم من الأخلاق، كما قال النبي ﷺ: **«أشد الناس بلاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ»** أخرجه أحمد[2].

فالمصائب والأمراض للكفار تأديب وتعذيب، وللمؤمنين تربية وتهذيب، ورفع وتطهير: **﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾** [التوبة/ ٥١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠١٦)واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٤٨١).

والمصائب والأمراض للكفار تأديب وتعذيب: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٢ – ٤٤].

وقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود/ ١٠٢].

واعلم أن الأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له، فافزع إليه وحده في قضاء حوائجك الدينية والدنيوية: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

واعلم أن الكفار ألهوا الأسباب، واعتمدوا عليها، فوقعوا في الشرك، والمؤمنون أُمروا بفعل الأسباب، وأن يتوكلوا على ربهم بقلوبهم، وإذا قصروا في الأسباب وقعوا في المعصية فنالوا عقوبتها، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٦].

واعلم رحمك الله أن فعل الأسباب أحد ركني التوكل، فكما لا ينافي دفع الجوع بالأكل والشرب، في قول إبراهيم: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء/ ٧٩].

كذلك دفع المرض بالعلاج النافع، لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء/ ٨٠].

فسبحان ربنا الشافي الذي خلق الداء، وخلق الدواء، وبيده مفاتيح الشفاء: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ

﴿ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٧- ١٨].

وقال ﷻ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

وقال ﷻ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٩٠].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن لكل داء دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله؛ فليطمئن المريض إلى الشفاء، وليجتهد الطبيب في معرفة الدواء، وبعد أخذ الدواء اعلم أن الشفاء بيد ربك الشافي وحده من جميع الأمراض البدنية والقلبية: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر: ٢١].

وقال النبي ﷺ: «**الشِّفَاءُ فِي ثَلاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ**» متفق عليه(١).

واعلم أن الشافي نزع الشفاء من كل شيء حرمه، من خمر، أو لحم خنزير، أو ميتة، أو دم، أو ما ذُبح لغير الله، وما أمر الله بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧].

وقال ﷺ: «**إن الله لم يجعل في حرام شفاء**»؛ أخرجه أحمد(٢).

فاطلبوا الشفاء من الشافي وحده لا شريك له، وخذوا بالأسباب المشروعة؛ فما أنزل الله

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٨١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠٥).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٥٩٩٤).

داء إلا أنزل له دواءً؛ فيجب علينا فقه أحكام الله، وفعل الأسباب التي نصبها الله مقتضيةً لمسبباتها قدرًا وشرعًا، فللصحة أسباب، ولدفع المرض أسباب، ولكسب الحسنات أسباب، ولدفع السيئات أسباب، ولدخول الجنة أسباب، ولدخول النار أسباب، وللنجاة من النار أسباب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٤-٧٥].

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ لكل شيء سببًا، ونحن في دار الأسباب؛ فعلينا فعل الأسباب المشروعة، والتوكل على الله وحده: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

والأسباب مهما عظمت فهي مخلوقة خاضعة للجبار جل جلال، لا خروج لها عن أمره، والله يتصرف فيها بما يشاء، إن شاء أبقى سببيتها، وإن شاء أبطلها كما أبطل مفعول إحراق النار عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي تشتعل: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٨-٧٠].

يفعل ذلك جل جلاله؛ ليعلم العباد كمال قدرته في التصرف في مخلوقاته؛ ولئلا يعتمد العباد على تلك الأسباب من دون الله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

واعلم أن الله في هذه الدنيا أظهر سننه، وأخفى قدرته، ابتلاءً لعباده، وجعل الأسباب تعمل مرة، وتقف مرة؛ ليظهر لعباده أنه الملك الحق الذي يتصرف في جميع ملكه ومخلوقاته وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان مالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء، والذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأطعم وأسقى، وأمات وأحيى، وابتلى وشفى، وتجاوز وعفا: ﴿رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى

خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء/ ٧٧-٨٢].

واعلم رحمك الله أن أصل المرض الخروج عن منهج الله، ومرض الأبدان والقلوب أصله الخروج عن منهج الله؛ لأن الله ﷻ كامل الذات والأسماء والصفات والأفعال؛ فإذا خلق شيئًا خلقه كاملًا سليمًا لا عيب فيه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك/ ١- ٤].

وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين/ ٤- ٨].

فسبحان ربنا الخلاق العليم، الذي إذا خلق شيئًا أحسنه وأتقن صنعه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦- ٧].

أما الإنسان فهو الذي يخطئ ويصيب، ويستقيم وينحرف، ويصلح ويفسد، ويحسن ويسيء، ويعدل ويظلم؛ لأنه مخير في أفعاله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ٢-٣].

وقد أودع الله في الإنس والجن حب الشهوات، وحرية الاختيار، فإذا كان هذا الإنسان متصلاً بالله، على منهج الله؛ أسعده الله في الدنيا والآخرة، وإذا لم يكن متصلًا بالله ولا سائرًا على منهج الله، شقي في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة/ ٣٨-٣٩].

وإذا مشى الإنسان في الدنيا دون مقود ولا ضابط، وهو الإيمان والعمل الصالح فالدمار والعذاب صافع له لا محالة: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩﴾ [الطلاق/ ٨-٩].

والذي يحرك الإنسان شهواته؛ فإذا تحرك دون اتصال بالهادي، ولا توجيه منه؛ هلك وفسد وخسر: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد/ ١٢].

فكل إنسان فيه شهوات، وفيه حرية الاختيار، أن يؤمن أو يكفر، أن يطيع أو يعصي، ومع هذه الحرية أعطاه الله عقلًا بمنزلة الميزان الدقيق، وأعطاه فوق هذا الميزان الدقيق ميزانًا مهيمنًا هو الشرع: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

فما أعظم نعم الله على الإنسان، فطره على التوحيد، وأعطاه العقل الذي يميز به، وأكرمه بإرسال الرسل، وإنزال الكتب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ومع هذا التكريم للإنسان بالعقل، والفطرة، والشرع، وضع الإنسان كل شيءٍ وراء ظهره، وانطلق مع شهواته بلا هدًى ولا كتاب منير فخسر دنياه وأخراه: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

- **ومن رحمة الله بهذا الإنسان أن هيأ له شفاءين:**

الأول: شفاءً لروحه وهو القرآن الكريم.

الثاني: شفاءً لجسده وهي الأدوية المشروعة.

واعلم أن الشفاء لا يكون إلا من مرض، والمرض في الأصل خروج عن منهج الله، فإذا أعرض القلب عن منهج الله ظهرت عليه أعراض هذا المرض، من الكفر والشرك، والشك والنفاق، والكبر والظلم، والحسد والغش، وغيرها مما يفسد حياته وحياة غيره: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١ -٣].

وسبب ذلك أنه تعلق بالشهوات وأعرض عن منهج الله ففسد وخسر: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾ [مريم/ ٥٩].

ولا شفاء لهذا القلب أبدًا إلا بالإيمان والقرآن: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)﴾ [الإسراء/ ٨٢].

وكذلك الجسم يصاب بالعلل إذا خالف منهج الله في الأكل والشرب، والنوم والعمل، وما خلق الله داءً إلا خلق له دواءً، علمه من علمه، وجهله من جهله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [الروم: ٣٠].

واعلم أن أمراض القلب أخطر من أمراض الجسم؛ لأن أمراض الجسم تنتهي بالموت، الذي ينهي كل ما له علاقة بالجسم، أما أمراض القلب فيشقى الإنسان بها قبل الموت، وتزيد خطورتها بعض الموت: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء/ ٨٨-٨٩].

والقلب السليم هو الذي سلم من أمراض الشبهات والشهوات؛ فآمن بالله، وعمل بشرعه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (١١٣)﴾ [هود: ١١٢ -١١٣].

والقلب محل نظر الرب جل جلاله؛ كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» أخرجه مسلم(١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

فإذا كان القلب متصلا بربه بالإيمان والتقوى انفسح وانشرح، وأشرق بالتوحيد والإيمان، والصفات الحسنة، والأعمال الصالحة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وإن لم يكن القلب متصلًا بربه ضاق وأظلم بالكفر والشرك والصفات السيئة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

وقال عز وجل: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

وعن النعمان بن البشير رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**» متفق عليه[1].

واعلم أن سبب أمراض الأبدان أمراض القلوب؛ فكل مرض خارجي سببه مرض داخلي، وكل مرض داخلي سببه مخالفة منهج الله عز وجل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت/ ٤٤].

فالقرآن العظيم، والإيمان بالله، شفاء من أمراض القلوب والقوالب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٥٩٩).

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، وبيده الخلق والأمر هو الله وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة/ ١٦٣].

فتوسل إلى ربك الشافي بأسمائه وصفاته، واطلب منه أن يشفيك من جميع أمراض القلوب والأبدان، فلا شفاء لأحد إلا بإذنه، ولا حول ولا قوة إلا به، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم رحمك الله أن العلاج والتداوي إن لم يوافق إذنًا من الله بالعافية والشفاء؛ فإنه لا ينفع ولا يجدي: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس/ ١٠٧].

وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَل**» أخرجه مسلم(١).

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الإسلام؛ فاعلم أن أعظم داءٍ انتشر بين البشرية هو داء الكفر والشرك والمعاصي؛ فاجتهد في رفع هذا الداء بما أعطاك الله من نور العلم والهدى، وبلغ به رسالة ربك في كل مكان وزمان، فلا شفاء للأمة إلا به: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

ولن يقوم بهذا إلا أنت، فقم به كما قام به نبيك ﷺ، وشرعه لك ربك بقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٠٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وارفع الجهل عن الأمة بتعليم أحكام الله لعباده؛ يكتب الله لك أجرهم، ويرفع مقامك في الدنيا والآخرة: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واعلم أن من عرف ربه حقاً آمن به حقاً، وعبده حقاً، وكبره حقاً، وأحبه حقاً: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].

واعلم هداك الله لما يرضيه أن من علم أن ربه هو الشافي وحده لا شريك له أحبه وتعلق به وحده لا شريك له، وحمده على سوابغ نعمه، وعنايته بخلقه، ولجأ إليه وحده بطلب الشفاء والعافية في الأبدان، وطلب الأمن في الأوطان، وتوكل عليه في كشف الكربات، ودفع البليات: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وقد وعد الله سبحانه كل من آمن به واستقام على دينه بالأمن والهداية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

ومن عرف أن ربه هو الشافي وحده لا شريك له صبر على ما قدره الله عليه من المصائب؛ لعلمه أن المصائب شفاء لأمراض القلوب التي قد تفتك به لو استمرت فيه، فليصبر على تجرعه، ولا يسخط فيذهب نفعه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن/ ١١].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦].

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن الله ﷻ إذا شفاه وهداه أن يسعى لشفاء الناس من أمراض الشبهات والشهوات، ومن أمراض الكفر والشرك، ومن أمراض الظلم والكذب، ومن أمراض الكبر والحسد، وأن يسعى في إيصال الخير إلى الناس، وقضاء حاجاتهم، وكشف كرباتهم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وقال النبي ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**» أخرجه مسلم(١).

واعلم بأن الشفاء وغيره بيد الله وحده، والله سبحانه يشفي المريض بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب؛ لأنه فعال لما يريد، ولا بد للمؤمن من فعل الأسباب بجوارحه، والتوكل على الله بقلبه: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

ورقى جبريل النبي ﷺ فقال: «**بِاسْمِ الله أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ الله أَرْقِيكَ**» أخرجه مسلم(٢).

- **وفعل الأسباب له ثلاثة شروط:**

الأول: ألا يجعل من الأسباب سببًا إلا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا.

الثاني: أن يفعل السبب ولا يعتمد عليه؛ بل يعتمد على الله، فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا.

الثالث: أن يتيقن أن الأسباب مهما عظمت فهي مقيدة بقضاء الله وقدره، إن شاء الله أبقى سببيتها، وإن شاء سلبها؛ لئلا يتعلق الناس بها، ويعتمدون عليها من دون

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢١٩٩).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢١٨٦).

الله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس/ ١٠٧].

فيا عبد الشافي إذا أصابك مرض فارقِ نفسك، واطلب من الله الشفاء.

قال ﷺ: «**ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**» أخرجه مسلم(١).

ومَن أصيب ببلاء فهو مخير؛ إن شاء صبر، وانتظر الفرج، وإن شاء فعل السبب، كما قال النبي ﷺ للمرأة التي تُصرع وتتكشف: «**إِنْ شِئْتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَّ أن يعافيكِ**» متفق عليه(٢).

ومن الأدعية النبوية لرفع البلاء، ودفع الأمراض: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**» متفق عليه(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان الرسول ﷺ يقول في الرقية: «**بِسْمِ اللهِّ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا**» متفق عليه(٤).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**» أخرجه مسلم(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَّ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيَكَ إِلَّا عَافَاهُ اللهُّ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ**» أخرجه أبو داود والحاكم(٦).

ومن الأدوية التي جعلها الله سببًا للشفاء، وأخبر بها رسول الله ﷺ: العسل، والحبة السوداء، وماء زمزم، والقسط الهندي، والحجامة، وألبان الإبل، وأبوالها، والسنا

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٠٢).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٦٥٢)، ومسلم برقم (٢٥٧٦).

(٣) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩١).

(٤) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩٤).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢١٨٦).

(٦) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣١٥٦)، وأخرجه الحاكم برقم (١٢٦٨) وهذا لفظه.

والسنوت، وهو الكمون، والصيام، والصدقة، وكل ذلك ثبت في السنة النبوية: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

واعلم علمك الله ما يسعدك في دنياك وأخراك أن المرض جندي من جنود الله الشافي، يبتلي به المؤمن، ليرفع درجاته، ويكفر سيئاته، ويسلطه على الكافر والعاصي، ليعاقبه، ولعله يكون سببًا لهدايته: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال النبي ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ، وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**» أخرجه البخاري(١).

واعلم يا عبد الشافي أن الله ﷻ أرحم بالعبد من نفسه، فما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليعطي، وما قبض إلا ليبسط، فاصبر، وفوض الأمر إلى الله، وانتظر الفرج: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

واعلم أن من ابتلي بمرض أو غيره فإن الله معه معية خاصة: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥].

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟**» أخرجه مسلم(٢).

فاصبر ولا تجزع، واصبر فإن الله يحب الصابرين، والله مع الصابرين.

والبلاء سبب لدخول الجنة: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٩).

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**» أخرجه البخاري [1].

ومن المرض ما ينال به المؤمن أجر الشهيد.

قال النبي ﷺ: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» متفق عليه[2].

وقال ﷺ: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالْغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» متفق عَلَيْهِ [3].

وحظ العَبد من هذا الاسم الكريم أن يسعى في شفاء غيره بالدعاء له، عند من يملك الشفاء بلا دواء، وهو الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وأن يسعى في شفاء نفسه، ويزكيها بالإيمان والتقوى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾**﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾**﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾**﴾ [طه/ ٢٥-٢٨].

«**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**» متفق عليه[4].

اللهم يا من لا يشفي من الأسقام إلا هو، ولا يعين على الحق إلا هو، ولا يؤتي الخير إلا هو، نسألك عافيةً نقوى بها على طاعتك، وعبادةً نستحق بها جزيل مثوبتك، إنك على كل شيء قدير.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٥٣).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٧٣٢)، ومسلم برقم (١٩١٦)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٩)، ومسلم برقم (١٩١٤)، واللفظ له.

(٤) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩١).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

الحيي

اسم الله الحيي

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

وأسماء الله ﷻ كلها مترادفة في الدلالة على الذات، متباينة في الدلالة على الصفات، لدلالة كل اسم منها على معنى خاص مستفاد منه، كالعظيم، والكبير، والعزيز، والخالق، والرزاق، والكريم وغيرها من أسماء الله الحسنى.

فكل أسماء الله الحسنى تدل على ذات الله، وتدل على صفات متعددة للرب، كالخلق والتصوير، والقدرة، والرزق، والكرم..وهكذا: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء: ١١٠ - ١١١].

فأسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وهي أوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني من صفات الجلال والجمال لله ﷻ.

فالحي القيوم، والسميع البصير، والعزيز العليم، وغيرها من الأسماء الحسنى، كلها أسماء لمسمى واحد هو الله ﷻ، لكن للحي معنًى خاص، وللقيوم معنًى خاص، وللسميع معنى خاص، وللبصير معنى خاص، فالحي يدل على صفة الحياة، والسميع يدل على صفة السمع، والعليم يدل على صفة العلم، والرزاق يدل على صفة الرزق، .. وهكذا.

وأسماء الله الحسنى كما أنها متعددة؛ فهي كذلك متفاضلة في المعاني، وفيها اسم الله الأعظم الذي أخفاه الله ﷻ في أسمائه الحسنى؛ ليتعبد الخلق بجميع أسمائه الحسنى، ويدعونه بها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: «**سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**» أخرجه الترمذي وابن ماجه(١).

ومن أسماء الله الحسنى الواردة في السنة اسم الله الحيي.

عن يعلى رضي الله عنه: **أن رسول الله ﷺ رأى رجُلاً يغتسِلُ بالبَراز بلا إزَارٍ، فصعِدَ المنبر، فحمدِ الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله عزَّ وجلَّ حَييٌّ سِتِّيرٌ، يحب الحياءَ والسَّترَ، فإذا اغتسلَ أحدُكم فليَسْتَتِرْ**» أخرجه أبو داود والنسائي(٢).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ ربكُم حَييٌ كريمٌ، يستحيي مِنْ عبدِه إذا رَفعَ يَدَيهِ إليه أن يَرُدهما صِفْراً**» أخرجه أبو داود والترمذي(٣).

الله عز وجل هو الحيي العظيم الحياء، الذي لا يفعل ما لا يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه: ﴿**فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦**﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

وحياءه جل جلاله على ما يليق بجلاله، فالعبد يبارز ربه بالمعصية، مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معاصيه، ويسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، وربه مع كمال غناه، وتمام مقدرته عليه، يستحي من هتك ستره وفضيحته: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣**﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فسبحان الحيي الستير الذي يستر من عصاه بما هيأه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر له: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥**﴾ [الشورى/ ٢٥].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وابن ماجة برقم (٣٨٥٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، والنسائي برقم (٤٠٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٨٨)، والترمذي برقم (٣٥٥٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ**» متفق عليه(١).

واعلم أن حياء الرب من عبده حياء لا تدركه العقول، ولا تحيط به الأفهام؛ فهو حياء عظيم، حياء كرم وبر، وجود وإحسان: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣**﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

فهو سبحانه حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرًا، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شاب في الإسلام، ومن استحى من الله استحى الله منه أن يعذبه.

فاستح الآن من كل فعل تستحي أن تراه غدًا، حيث لا تنفع المعذرة: ﴿**يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧**﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

واسم الله الحيي لم يرد في القرآن؛ وإنما ورد في السنة كما تقدم في قوله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يحب الحياءَ والسَّترَ، فإذا اغتسلَ أحدُكم فليَسْتَتِرِ**» أخرجه أبو داود والنسائي(٢).

هو سبحانه الحيي الذي يترك ما لا يتناسب مع عظيم أسمائه وصفاته، وما لا يتناسب مع سعة رحمته وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه.

فهو سبحانه الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، ونعمته عمت كل أحد: ﴿**قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤**﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، والنسائي برقم (٤٠٦).

فهو سبحانه مع كمال غناه عما سواه، وكمال قدرته على كل ما سواه، يستحي من هتك ستر العاصي وفضيحته بين الناس، فيستره بستره ثم يعفو عنه، ويغفر له: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

هو سبحانه الحيي الحليم الستير، الحليم الذي لا يعاجل العاصي بالعقوبة، بل يمهله ليتوب إليه؛ لأنه الحليم؛ ويستر عليه ذنبه لأنه الستير، ويقبل توبته واعتذاره عندما يرجع إليه، ويتوب إليه، منطرحًا بين يديه؛ لأنه التواب الرحيم، فيتوب عليه ويستحي منه ذو الجلال والإكرام، فيجيب دعاءه، ويغفر له ذنبه، لأنه الحيي جل جلاله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

فسبحان ربنا العظيم الذي إذا رفع العاصي يديه إلى ربه بالدعاء منطرحًا بين يديه، خائفًا من شؤم معصيته استحى الله منه وأجاب دعاءه، وغفر ذنبه؛ لأنه الحيي جل جلاله.

والصفة المشتقة من اسم الله الحيي هي صفة الحياء، وهي صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٦].

وهي كذلك صفة فعلية؛ ففي السنة في الذين دخلوا المسجد، فقال النبي ﷺ: «**أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**» متفق عليه[1].

هو سبحانه الحيي الذي حياؤه حياء كرم ورحمة، وبر وجمال.

هو سبحانه الحيي الستير الذي يحلم ويستر، ويستحي من عباده إذا فعلوا ما يغضبه، وأقدموا على معصيته.

ولحبه للستر يستر على العصاة، ولا يفضحهم مع أنهم أفقر شيء إليه.

هو سبحانه الحيي الذي لا يستحي من الحق أن يبينه، ولا يستحي من ضرب الأمثال في تقرير الحق، لأنه حق، والله لا يستحي من الحق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة/ ٢٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٦).

هو سبحانه الرءوف بعباده، الحيي الكريم الذي أمرنا بالتوبة ليتوب علينا، وأمرنا أن نسأله ليعطينا، وأمرنا أن نستغفره ليغفر لنا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

فسبحان الحيي في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله، وفي أحكامه، ما أمر بشيء إلا واطمأنت النفوس إليه، وما أمر بشيء إلا وأعان عليه، وما أمر بشيء إلا وأثاب عليه، وما نهى عن شيء إلا أبغضته النفوس، واستحيت من فعله، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه، ومن عاش تقيًا عاش قويًا: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

واعلم أن الحياء أن تستحي من الذي خلقك ورزقك وهداك أن تعصيه بنعمه، وأن ترى أن الله معك، فتبادر إلى طاعته، وتستحي من معصيته؛ لما تراه من عظمته وجلاله وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢ – ١٠٣].

ومن عرف الله حقاً أحبه حقاً، واستحيا منه حقاً: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم رحمك الله أن التوحيد ألا ترى مع الله أحدًا، وكلما زاد العلم بالله في قلب العبد زاد إيمانه بربه، وزادت طاعته له، وزادت محبته له، وزادت تقواه، وزاد حياؤه من ربه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

واعلم هداك الله لمعرفته أن نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل التقوى، وهذا هو الدين كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف/ ١١٠].

فاستحي من الله أن تشرك معه غيره، واستحي من الله أن تدعو غيره، واستحي من الله أن تعصيه بنعمه، وأنت تسكن في ملكه، وتأكل من رزقه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾ [الحديد: ١٦ - ١٧].

واعلم أن العطاء العظيم أن تعرف ربك، وأن تحبه، وأن تعبده، وأن تستحي منه: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)﴾ [النساء/ ١١٣].

ومن هذا إكرامه، وهذا إحسانه، وهو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)﴾ [الإسراء/ ٧٠].

﴿الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾ [الرحمن/ ١-٤].

فما أعظم نعم الله على عباده! وما أشد إعراضهم عنه! وعن طاعته! وما أشد جرأتهم على معاصيه!: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)﴾ [لقمان/ ٢٠].

وإذا كان الله ﷻ حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إلى السماء أن يردهما صفرًا خائبتين، فمتى يستحي العبد من ربه العظيم الغني عنه أن يعصيه وهو الذي غمره بأنواع نعمه؟!: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ٥ – ١٠].

ومن عرف ربه أحبه وآمن به: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

فإذا عرفتم عظمة الله وجلاله وجماله، وعرفتم عظيم نعمه وإحسانه، وعرفتم عظمة ملكه وسلطانه؛ فاستحيوا من الله حق الحياء، وذلك بتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وعبادته بالحب والتعظيم والذل له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

فاعلم رحمك الله أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والله ﷻ يحب أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، ويثني على نفسه بها، ويحب ظهور آثارها في خلقه على شاكلة العبودية، فهو كريم يحب أهل الكرم، محسن يحب المحسنين، حليم يحب أهل الحلم، شكور يحب الشاكرين، تواب يحب التوابين، مؤمن يحب المؤمنين، حيي يحب أهل الحياء: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ولمحبته سبحانه لأسمائه وصفاته أظهرها الله لعباده في كتاب الكون المفتوح، وفي كتابه العظيم المقروء، وأمرهم بالتعبد له بموجبها ومقتضاها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وأحب عباده إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها، فعليك بالاتصاف بالصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ

ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

ومن اتصف بالصفات التي يحبها الله أكرمه الله بالأجر العظيم: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

فعليك بالتعبد لله ﷻ باسمه الحيي، وسائر أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

التعبد لله ﷻ باسمه الحيي

اعلم رحمك الله أن الحياء شعبة من شعب الإيمان، والتعبد لله بصفة الحياء من أعظم الصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» أخرجه مسلم(١).

والحياء خير كله؛ لأنه لا يأتي إلا بخير.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**» متفق عليه(٢).

وأعظم الحياء وأحسنه وأجمله وأوجبه الحياء من الله، ثم الحياء من الملائكة الكرام، ثم الحياء من الناس، ثم الحياء من النفس.

والحياء من الله يكون بإخلاص التوحيد له، واجتناب معصيته، وكمال الإيمان به، وإحسان العمل له، والحب له، والتعظيم له، والخوف منه، والتضرع إليه، والافتقار إليه في جميع الأحوال: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

وأشد الناس حياءً من الله هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وذلك لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظيم نعمه وإحسانه.: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

ثم يليهم أتباعهم من المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦١].

وأشد الخلق حياءً من الله هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله ومعرفته بنعمه وإحسانه، فكان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه شاكرًا لربه، معظمًا له، مكبرًا له، مستغفرًا من ذنبه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١١) واللفظ له، ومسلم برقم (٣٧).

خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ. متفق عليه(1).

واعلم رحمك الله أن الله يراك ويعلم بحالك في جميع الأوقات، فاستح من ربك الذي خلقك ورزقك وهداك: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى: ٦ -٨].

واحفظ السمع والبصر والفؤاد واللسان، من جميع المعاصي: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

واستعمل جوارحك في طاعة مولاك، واحفظ السمع والبصر والفؤاد من جميع المحرمات، واحفظ اللسان من كل ما لا يغنيه، واحفظ البطن من دخول المحرمات، واحفظ الفرج من غشيان الفواحش: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦].

ومن علم أن السميع يسمعه، والبصير يبصره، والعليم يعلم بظاهره وباطنه؛ استحى منه أن يراه على معصيته، فاستح من ربك ألا تطيعه، فضلًا عن أن تعصيه بما أعطاك، وهو الذي يسمعك ويراك: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان العليم الخبير الذي اتصف بالحياة والحياء، وخلق الحياء، ومن به على من شاء من خلقه؛ فكل حياء في الملائكة والإنس والجن من فضله وخزائنه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

واعلم فقهنا الله وإياك في الدين أن الحياء من الملائكة يكون بالاقتداء بهم في دوام الذكر والتسبيح والطاعة، وعدم إيذائهم بالمعاصي والمنكرات؛ لأنهم معنا يكتبون ويحفظون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢٠).

وقال ﷻ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

والملائكة لكمال معرفتهم بالله: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

ويستغفرون للمؤمنين، ويكتبون أعمالهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر/ ٧].

فعلينا أن نستحي من الملائكة حق الحياء؛ لأنهم معنا، ومع كل إنسان ثمانية من الملائكة يحفظونه، ويكتبون أعماله، حتى يلقى ربه، ثم يشهدون عليه بذلك يوم القيامة.

أما الحياء من الناس فيكون باجتناب كل ما يسوء ويقبح من الأقوال والأعمال والأخلاق، حياءً من الله والملائكة والناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات/ ١١-١٣].

أما الحياء من النفس فيكون بأن تحملها على طاعة الله، بعدم استعمال نعم الله في معصية الله؛ فمن لم يستح صنع ما شاء من الفواحش والمنكرات والقبائح؛ لأن الحياء هو المانع من فعلها: ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾ [الأنفال/ ٢٢-٢٣].

﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فمن رُزق الحياء من الله، والملائكة، والناس، ونفسه، فهو الحيي الذي يحبه الله، ومن

حُرم ذلك سقط من عين الله.

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»** أخرجه البخاري(1).

واعلم رحمك الله أن من استحى من الله، استحى الله منه، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه، ومن نسي الله نسيه الله، فاعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»** متفق عليه(2).

اللهم إني في هذا المقام أشهدك أنك أنت الله الواحد الأحد، الذي بيده ملكوت كل شيء، وأستحي منك من التقصير فيما كتبت عنك يا مولاي؛ فأنت الكبير، وأنت العظيم، وأنت القوي، وأنت الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، وأستغفرك من هذا العمل الذي يغني عنه كتابك العظيم، وأنت الحكيم الكريم الذي بعثت الهمة لكتابته، وبسطت اليد لتحريره، فأقبله، واغفر لصاحبه زلله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

وأنا أعلم أن الكلام عن العظيم لا بد أن يكون عظيمًا، والكلام عن الكبير لا بد أن

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٢٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٦).

يكون كبيرًا؛ والكلام عن الواسع لابد أن يكون واسعاً، والكلام عن القوي لابد أن يكون قوياً.
فأستغفر الله وأتوب إليه مما كتبت، ومما قصرت، ومما أخطأت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، يا ذا الجلال والإكرام.
لك الحمد على ما قدرت، وأستغفرك وأتوب إليك مما عملت، فلست أنشد إلا رضاك؛ فاغفر لي ولوالدي وللمسلمين كافة يا واسع المغفرة والرحمة: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].
واعلم رحمك الله أن من عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله استحيا من الله أن يعصيه، أو يخالف أمره، وهو يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، فلا يليق به أن يعصيه بنعمه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].
وكن مع المؤمنين في محراب العبودية في كل حين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].
وعن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهَّ حَقَّ الْحَيَاءِ، قُلْتُ: إِنَّا لَنَسْتَحِي يَا نَبِيَّ اللهَّ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهَّ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهَّ حَقَّ الْحَيَاءِ**» أخرجه الترمذي(١).
واعلم أن من عرف ربه باسمه الحيي كثر حياؤه من الله وقوي، ومن صدق حياؤه من الله انقبضت نفسه عن محارم الله، وابتعد عن معصية الله في ظاهره وباطنه؛ لعلمه أن الله معه يراه ويسمعه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].
ومن استحيا من الله، فعبده كما يليق بجلاله، استحيى الله منه، وشكره على طاعته،

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٥٨).

وضاعف أجوره: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ [التغابن/ ١٧ - ١٨].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم محبة الله وتعظيمه، وحمده وشكره، لما يعلمه العبد عن ربه من الصبر على العصاة؛ لكمال حلمه وحيائه، وعظيم رحمته.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**» متفق عليه[1].

فمتى يستحي العبد من ربه، ويستغفر من ذنبه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤)﴾ [المائدة/ ٧٤].

ولكمال رحمته، وعظيم حلمه، وعظيم حيائه، لم يعاجل العصاة بعذابه، ولو عاجلهم لم يبق على ظهر الأرض أحد: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)﴾ [النحل/ ٦١].

ومن عرف ربه باسمه الحيي استحيا من الله، ومقت نفسه؛ لما يراه من عظيم إحسان الله وإنعامه عليه وعلى غيره، وأن عبادته لربه لا تليق بجلال الله، وأن قدر الله أعلى وأجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [الزمر/ ٦٧].

ولن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠)﴾ [نوح/ ١٣-٢٠].

فاستحيوا من الله حق الحياء، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)﴾ [الحشر/ ٧].

وعليك الحذر من غضب الله، وذلك باجتناب الكبائر والمعاصي التي تغضب الله؛ لأن الله عز وجل إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، والحليم لا يغضب إلا على من لا يستحق الرحمة، وعلى الجرم العظيم، وذلك بعد أن أمهله ليتوب فلم يستجب؛ فالله عز وجل لا يغضب ولا

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

ينتقم إلا على شناعة الجرم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود/ ١٠٢].

وتخلق رحمك الله بخُلق الحياء، فالله يحب الحياء وأهله، وكان ﷺ أشد الناس حياءً، وكان أشد حياءً من العذراء في خدرها، لما يراه من عظمة ربه، وجلاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

- **واعلم أن حياء الناس أنواع:**

الأول: حياء الجناية: فمن عصى الله بكبيرةٍ أو صغيرة استحى من الله ﷻ أن يعصيه بنعمه وفي ملكه.

الثاني: حياء الجلال: فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أجله، واستحى من تقصيره في حقه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الثالث: حياء التقصير: فمن قصر في حق الله استحى منه.

الرابع: حياء السؤال: فيستحي العبد أن يسأل ربه، وهو مقيم على معاصيه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله، وأحببتموه واستحييتم من معصيته: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].

واعلم أنك في الصلاة تسمع وتتلوا أخبار وأوامر ربك العظيم، وفي خارج الصلاة يجب أن تعمل بموجبها، في الطريق والسوق، في البيت والعمل، مع الزوجة والأولاد، ومع الأقارب والجيران، ومع المسلمين والكفار، ومع الخلق كافة: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

[الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

فدينك معك نور تمشي به، في منزلك ومكتبك، ومعك في دكانك، ومعك في سوقك، وفي تجارتك، وفي معاملاتك.

واعلم أن الإيمان والحياء قرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر، فالحياء من الإيمان، وكلما زاد الإيمان زاد الحياء من الله، ومن الملائكة، ومن الناس ومن النفس، وفي السنة «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ**»أخرجه البخاري[1].

فكن حيياً من ربك فلا تعصه بنعمه، وكن حييًا من الملائكة الذين يرونك ويكتبون أعمالك، وكن حييًا من خلقه فلا تفعل ما يسوء بينهم، ولا تكن أسوةً سيئةً لهم في أقوالك، وأفعالك:﴿ **خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ** ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

وبادر وسارع إلى مكارم الأخلاق مع الناس:﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾** ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

والحياء درجات؛ فمن استحى من الناس، ولم يستحِ من نفسه؛ فنفسه أخس عنده من الناس، ومن استحى من الناس، ولم يستح من ربه فهو جاهل بربه:﴿ **يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾** ﴾[النساء/ ١٠٨].

فاستح من نفسك، واستح من الناس، واستح من ربك.

ومن قوي حياؤه استحى من الأحياء والأموات، واستحى في سره وعلانيته.

قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ**» متفق عليه[2].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٢٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩)واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف/ ٢٣].
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٥﴾[الأحقاف/ ١٥].
اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.
اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.
اللهم لك الحمد كله، ومنك الفضل كله، وبيدك الأمر كله، وإليك يرجع الأمر كله، اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.
اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.
اللهم إنا نسألك صدق الإيمان بك، وحسن التوكل عليك، والعمل بما يرضيك، وحسن الحياء منك، ومن ملائكتك، ومن خلقك يا ذا الجلال والإكرام: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الستير

اسم الله الستير

الله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨].

واسم الله الستير من الأسماء الحسنى الثابتة في السنة النبوية الصحيحة، والتي لم ترد في القرآن الكريم.

عن يعلى ﷺ: **أن رسول الله ﷺ رأى رجُلاً يغتسِلُ بالبَراز بلا إزَارٍ، فصعِدَ المنبر، فحمدِ الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله عزَّ وجلَّ حَييٌّ سِتِّيرٌ، يحب الحياءَ والسَّترَ، فإذا اغتسلَ أحدُكم فليَسْتَتِرْ»** أخرجه أبو داود والنسائي[1].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» أخرجه مسلم[2].

والله ﷻ هو الستير الحق الذي يستر الكثير من العورات، ويستر الكثير من عورات عباده ولا يفضحهم في المشاهد.

هو سبحانه الستير الذي يستر عيوب عباده مهما كانت مشينة، الستير الذي يستر على عباده كثيرًا من العيوب والقبائح والفضائح، ولا يفضحهم وهو قادر لعلهم يتوبون إليه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٤].

فسبحان الستير الذي يستر الذنوب، الكريم الرحيم الذي سترها ودعا أهلها للاستغفار منها، فقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].

هو سبحانه الستير الرحيم الذي يفرح بتوبة التائب أشد من فرحة الظمآن الوارد، والعقيم الوالد، والضال الواجد، من تاب إليه توبةً نصوحًا فرح به، وأنسى حافظيه

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، والنسائي برقم (٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠).

وجوارحه، وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه.

عن أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ**» متفق عليه[1].

هو سبحانه الستير الذي يغفر جميع الذنوب مهما عظمت، ويعفو عن جميع السيئات مهما كثرت: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر/ ٥٣-٥٥].

فسبحان الملك الرءوف الرحيم، الذي أظهر الجميل، وستر القبيح، وجبر الكسير، وشفى المريض، وأطعم المسكين، وأمن الخائف، وأشبع الجائع: ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٧ – ٨٢].

هو سبحانه الستير الذي يستر عورات عباده وذنوبهم، ويقيض لهم من أسباب الستر ما يسترهم به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

هو سبحانه الستير الذي يستر على عباده المعايب، ولا يفضحهم بين الناس.

هو سبحانه الستير كثير الستر على عباده، يستر الذنوب مهما عظمت، ويعفو عن السيئات مهما كثرت، ويغفر الذنوب مهما تكررت: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

هو سبحانه الستير الذي يستر على العصاة مع غناه عنهم، مع أن العاصي يجاهره بالمعاصي مع فقره الشديد إليه، حتى أنه لا يستطيع أن يعصي الله إلا بنعمه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس/ ٦٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له.

هو سبحانه الحيي الستير الذي مع كمال غناه عن خلقه، وكمال قدرته عليهم، وإحاطة علمه بهم، يستر العصاة منهم، ويسدل عليهم حبل ستره، ويستحي من فضيحتهم وإحلال العقوبة بهم، ويسدل عليهم ستره القدري والشرعي، فيغفر لهم، ويعفو عنهم، ويستر عليهم، ويبدل سيئاتهم حسنات؛ لكمال رحمته بعباده: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠].

والصفة المشتقة من اسم الله الستير هي الستر، وهي صفة فعلية لله ﷻ؛ فمتى وقع الذنب من العبد؛ وقع الستر من الرب، لكمال رحمته ورأفته بعباده.

واعلم أن من رحمة الله بالعصاة أنه يمهلهم ويسترهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة، وهذا من لوازم اسمه الحليم: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ومن رحمته بالعصاة كذلك أنه يسترهم ولا يفضحهم؛ لعلهم يتوبون إليه، وهذا من لوازم اسمه الستير.

ومن رحمته بهم كذلك أنه يقبل اعتذارهم وتوبتهم؛ فيتوب على من رفع إليه يديه بالدعاء مفتقرًا إليه، منكسرًا بين يديه، خائفًا من شؤم معصيته؛ فيستحي ذو العظمة والجبروت من عبده إذا تاب من معصيته ألا يجيب دعاءه، ولا يرد يديه صفرًا خائبتين، وهذا من لوازم اسمه الحيي: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

واسم الساتر والستار ليسا من أسماء الله الحسنى، لأنهما لم يردا في القرآن ولا في السنة.

أما الستير فهو اسم لله ﷻ ثبت في السنة الصحيحة كما سبق، لكن يجوز أن يدعى وينادى الرب بأحدهما؛ فنقول: يا ساتر، كما نقول: يا مقلب القلوب، ونقول: يا ستار،

كما نقول: يا فالق الحب والنوى، يا فالق الإصباح؛ لأن الله ينادى ويدعى بأسمائه وصفاته وأفعاله، والستر من أفعاله سبحانه.

هو سبحانه الستير الذي يستر يوم القيامة على من ستر على عباده في الدنيا؛ وذلك لمحبته للستر.

قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» متفق عليه(١).

هو سبحانه الستير الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وإليه يرجع الأمر كله، الستير الذي يظهر الجميل، ويستر القبيح، فأظهر الجميل، واستر القبيح يحبك الستير.

ومن ستره الله في الدنيا لم يفضحه في الآخرة.

قال ﷺ: «**لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»أخرجه مسلم(٢).

هو سبحانه الستير، والستير صيغة مبالغة تفيد كثرة الستر، وعظمته.

فالله ستير يستر على عباده مليارات الذنوب في كل لحظة، وهو ستير يستر الذنوب العظيمة الكبيرة مهما كانت: ﴿**هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾**﴾[الحشر/ ٢٢].

﴿**قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾**﴾[الزمر/ ٥٣].

فسبحان الستير الذي يستر الذنوب الكثيرة، ويستر الذنوب العظيمة؛ لأنه الستير الرحيم الذي يستر عباده ولا يفضحهم؛ لعلهم يتوبون إليه.

قال النبي ﷺ: «**يؤتى بالعبد المؤمن يوم القيامة؛ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**»متفق عليه(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢)واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥١٤)واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

فسبحان ربنا الستير الذي يستر عباده، ويحب الستر، وأهل الستر، ويحب من عباده من يستر على نفسه إذا عصاه، ويستر على غيره.

وهو الستير الذي يستر من عصاه في الدنيا، ويغفر ذنوبه في الآخرة بعد أن يقربها.

هو سبحانه الستير الذي خلق عالم الغيب وعالم الشهادة، وكشف لنا برحمته عالم الشهادة، وستر عنا عالم الغيب، وخلق الملائكة وجعلهم معنا في مجالس الذكر، والملائكة الذين يكتبون أعمالنا، وبرحمته سترهم عنا، وخلق الجن والشياطين وبرحمته سترهم عنا، وكل ملك أو جني محتاج لستر خاص بعدد الملائكة والجن: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ -١٠٣].

فسبحان من خلق ما نراه وما لا نراه، وما نبصره وما لا نبصره: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ -٦٣].

وسبحان الستير الذي لا يعزب عنه شيء، الذي يستوي عنده عالم الغيب وعالم الشهادة؛ فكله مكشوف بين يديه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦-٧].

وسبحان ربنا العظيم الذي لو كشف لنا هذه العوالم من الملائكة، والجن، والشياطين، والأرواح، لما استطاع المعيشة أحد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وسبحان من خلق الملائكة والجن بقدرته، وسترهم عنا برحمته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الستير الذي ستر عنا الأقدار، فجميع الأقدار الكونية والبشرية مستورة من الستير، فلا يعلمها أحد حتى تقع: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

- **وستر الله نوعان:**

الأول: ستر كوني قدري، وهو ما ستره الله عن خلقه من عالم الغيب.
الثاني: ستر شرعي، وهو أن الله يستر عباده ولا يفضحهم، ليتوبوا إليه.
فالأول ستر متعلق بالربوبية، والثاني ستر متعلق بالألوهية والعبودية، فهو خاص بالمؤمنين فمن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة.
هو سبحانه الستير الذي يستر عنك البلاء والشر فلا يصل إليك، ويحجبه عنك فلا يضرك.
قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ.**
وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» أخرجه الترمذي[1].
فلله الحمد الذي ستر عنا ما يضرنا، وما يخيفنا، وستر علينا ذنوبنا، وستر بنا غيرنا، وستر فينا القبائح، وأظهر المحاسن، وستر عنا ما في قلوب أهلنا وأصدقائنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٣].
هو سبحانه الستير الذي كشف الحق لأهل الحق فآمنوا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].
وستر سبحانه الحق عن أهل الباطل فلم يؤمنوا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف/ ٥٧].
هو سبحانه الستير الذي ينسيك ذنوبك لكي لا تستحي منه؛ فتدعوه وتسأله، ولولا ذلك لاستحييت منه فلم تسأله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٧ – ٢٨].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

هو سبحانه الرحمن الرحيم الستير، العليم بكل شيء الذي يستر سوءات عباده، ولا يفضحهم ولا يخزيهم، ولا يظهر للناس ما يشينهم، لعلهم يتوبون إليه من سيئات النيات والأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٣٥﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

فسبحان العليم الخبير الذي لا يخفى عليه مثقال ذرة: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

هو سبحانه الملك الحق الذي يكرم عباده بجميع النعم، ويسترهم إذا أذنبوا، ويستحي من هتك ستر العاصي وفضيحته، وإنزال عقوبته به، ويقيض له من أسباب الستر ما يشكر به ربه، ويوفقه للندم والتوبة، ويعفو عنه، ويغفر له: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى/ ٢٥].

وهو سبحانه الستير الذي يحب الستر على عباده، ويحب من عباده الستر على أنفسهم وعلى غيرهم إذا زل.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**» أخرجه مسلم(١).

وقد رغب الله عباده في الستر، وحذرهم من المجاهرة والمفاخرة بالمعاصي، ومن أبغض الناس إليه من بات عاصيًا لله والله يستره، ثم يصبح فيكشف ستر الله عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**» متفق عليه(٢).

التعبد لله ﷻ باسمه الستير

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن مقصود الله من عباده في هذه الدار عبادته بموجب أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وإذا علمت أن الله حليم ستير يحب الستر، ويأمر بالستر، فاستر على نفسك وعلى غيرك كل معصية بين العبد وربه، يستر الله عليك في الدنيا والآخرة.

واعلم أن المجاهرة بالمعصية أمام الله والناس ذنب عظيم أعظم من المعصية؛ لما فيه من الاستخفاف بحق الله ورسوله، وصالح المؤمنين، وفيه ضرب من العناد والاستخفاف بأوامر الله على بساط ملكه، وبين خلقه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر/ ٨].

وفي الستر بالمعاصي السلامة من الفضيحة، والذلة بن الناس، والسلامة من إقامة الحد أو التعزير على العاصي، وامتثال أمر الذي يعلم السر وأخفى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].

فإن كانت المعصية بين العبد وربه؛ فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، والعفو أحب إليه من العقوبة، ومن ستره الله في الدنيا لم يفضحه في الآخرة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران/ ٣٠].

فاستر نفسك تسلم، واستغفر ربك يغفر لك؛ فإنه ما ستره إلا ليغفر لك ويصون عرضك، فبادر بالتوبة، فإن ربك غفور يغفر الذنوب جميعًا، شكور يبدل السيئات بالحسنات، ثم يضاعفها: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا

﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: «**يؤتى بالعبد المؤمن يوم القيامة؛ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فيُعطى صحيفة حسناته**» متفق عليه(١).

واجتنب يا عبد الستير الذنوب كلها ما ظهر منها وما بطن، وإذا قارفت شيئًا منها فاستتر بستر الله الذي سترك، وتب إلى الله منها فهو التواب الرحيم: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة/ ٣٩].

وتجنب جميع أبواب الرذائل، واحذر مجالس الفساد والضلال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام/ ٦٨].

والزم البيئة الصالحة، واحذر البيئة الغافلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة/ ١١٩].

واسأل ربك الحفيظ أن يحفظ عورتك، ويصون عرضك، ويؤمن روعتك، وأن يستر عيوبك في الدنيا والآخرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واستر على عباد الله، وتجنب هتك أستارهم، ولا تتبع عوراتهم؛ فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته.

واعلم أنه كلما زاد إيمان العبد أظهر المحاسن، وستر القبائح، وستر العيوب من نفسه ومن غيره: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥١٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

فاستر رحمك الله على كل مسلم ومسلمة يسترك الله، ويستر عليك في الدنيا والآخرة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» متفق عليه(١).

وجاهد نفسك على البعد من جميع الذنوب، ومفارقتها وإذا ألممت بشيء منها فاستر نفسك، وبادر إلى التوبة منها، وأتبعها بالحسنة تمحها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه **أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾ [هود/ ١١٤]، **فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلِي هَذَا؟ قَالَ: لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ**» متفق عليه(٢).

واعلم زادك الله علمًا وإيمانًا وتقوى أن من عرف ربه باسمه الستير أحبه وحمده وشكره، وأناب إليه، واستحيا منه، لما يراه من عظيم نعمه وإحسانه، وعظيم ستره وحلمه على العصاة، وعظيم مغفرته ورحمته بمن عصاه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

قال النبي ﷺ: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**» متفق عليه(٣).

ومن عرف ربه باسمه الستير مقت نفسه، واعترف بتقصيرها، وبادر إلى التوبة من ذنبه؛ لعلمه أن عبوديته لا تصلح لمعبوده العظيم، وأن قدر ربه أعظم وأعلى وأجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم، أن يحفظ نفسه من كل شيء يغضب الله، وأن يستر نفسه إذا وقع في ذنب، ولا يفضح نفسه إذا ستره الله، ويستر كذلك ما يراه من معايب الناس ولا يفضحهم؛ بل يسترهم وينصحهم فالله حليم يحب الحلم وأهل الحلم، حيي يحب الحياء وأهل الحياء، ستير يحب الستر وأهل الستر: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

واعلم أن من جاهر بالمعصية أمام الناس فهو فاجر استخف بستر الله عليه، ومن فعلها مستترًا فهو عاص، ومن ابتلي بالمعاصي فليستتر، وليعلم أن الستير يراه فليتب من ذنبه: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت/ ٢٢-٢٤].

واعلم أنه كلما زاد إيمانك زاد تسترك مما يستحى منه، فاستر نفسك، واستر عورات غيرك يحبك الستير ويسترك، فإذا ابتليت بمعصية فاستترولا تفضح نفسك وقد سترك الله.

قال النبي ﷺ: «مَنْ أُبْتُلِيَ بشيء مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ، فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللَّهِ» أخرجه البيهقي[1].

فاحذر أن تعلن بالفاحشة بين الناس، أو تحب ذلك، فتصيبك عقوبة الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور/ ١٩].

فاستح من نفسك، واستحي من الناس، واستحي من الملائكة، واستحي من ربك، ولا تجاهر بمعصية من خلقك ورزقك وهداك: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ

(١) صحيح/ أخرجه البيهقي برقم (١٧٣٧٩).

لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

وقال النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» متفق عليه(٢).

واحذر يا عبد الستير تتبع عورات الناس، فمن تتبع عورات المسلمين؛ فإن الستير سيفضحه.

قال ﷺ: «**لا تغتابُوا المسلمين، ولا تتبِعوا عوراتِهم، فإنَّه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعِ اللهُ عورتَهُ، ومن يتَّبعِ اللهُ عورتَهُ يفضَحْهُ في بيتِه**» أخرجه أبو داود(٣).

واعلم أن الفطرة تحب الطاعات والستر، والنفس تحب الشهوات والمجاهرة.

فمن غلبت فطرته نفسه صار أعلى من الملائكة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/ ٣٠].

ومن غلبت نفسه فطرته صار أضل من البهائم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ٤٤].

وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٨٨٠).

واعلم أن من حق أخيك عليك أن تنصحه بينك وبينه، فإذا نصحته أمام الناس فتلك فضيحة لا نصيحة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

واعلم أنه كلما زاد إيمانك أظهرت الحسن، وأخفيت القبيح، وكلما نقص إيمانك أظهرت القبيح وأخفيت الحسن، وكلما عرفت الله كنت أكثر سترًا على نفسك وعلى إخوانك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ ١٢-١٣].

واعلم أن محاسن الأعمال تسترك من عذاب النار.

قال ﷺ: «**مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**» أخرجه البخاري(١).

واعلم أن المسلم مأمور أن يستر عورته البدنية بالثياب، ويستر عورته الأخلاقية بالإيمان والتقوى ومحاسن الأخلاق، فيستر الجهل بالعلم، والسفاهة بالحلم، والبخل بالكرم، والذنب بالتوبة، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت/ ٣٢-٣٥].

وقال ﷻ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف/ ٢٦].

فاللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٥).

وإذا علمت أن الله هو الستير الذي يسترنا في حياتنا، ويستر عيوبنا وذنوبنا عن الناس؛ فأكثر من حمده وشكره، والزم عبادته، والإحسان إلى خلقه، وسارع إلى التوبة من الذنوب التي عملتها: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٥].

واعلم أن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي جنة المعرفة في الدنيا، الموصلة إلى جنة الآخرة، لمن عرفها وتعبد لله بها: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وقال ﷻ: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن/ ٤٦].

جنة في الدنيا، وجنة في الآخرة، فجنة الدنيا هي العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده، والتعبد لله بموجب ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وجنة الآخرة كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].

واعلم أن أشد العقوبة أن تذنب ولا تشعر بالعقوبة التي أصابتك بسبب ذنبك: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥﴾ [الأنعام/ ٤٤-٤٥].

وأشد منها أن تفرح بالعقوبة، وتراها مثوبة، وأشد منها أن تنفر ممن يذكرك بالعقوبة: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣﴾ [الأنفال/ ٢٢-٢٣].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٥﴾ [الزمر/ ٤٥].

وقال ﷻ: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ [التوبة/ ٥٥].

واعلم يا عبد الستير أن الستير يسترك مرارًا، فإذا لم تتب فضحك ورفع عنك الستر؛ لعلك تتوب إليه، وتستحي منه، فالله حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا لم تستح وتتوب إلى ربك نزع عنك الستر كما نزعت عن نفسك الحياء.

فلله ستر بين العبد وربه، وستر بينه وبين الناس، فإذا هتك العبد الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس، وهذا أول إنذار لك لتتوب إليه، فإذا لم تتب زادت الفضائح، لتستحي من ربك، وتسلم من فضوح الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٦٠﴾ [يونس/ ٦٠].

ومن عرف ربه باسمه الستير لم يجهر بذنب أبدًا، فكل عاص مسلم معافى إلا المجاهرين، فليتق الله من يجاهر بحلق اللحى أو يجاهر بشرب الدخان، أو يجاهر بشرب الخمور، أو يجاهر برؤية الفواحش والمحرمات، أو يجاهر بترك الصلاة أو يجاهر بسماع الأغاني، أو يجاهر بأكل الربا، أو تجاهر المرأة بالتبرج والسفور والعري: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور/ ٦٣].

وقال ﷻ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ [العلق/ ١٤].

إن الجهر بالمعاصي فيه استخفاف بدين الله، وبأوامر الله ورسوله، وضرب من العناد لله ورسوله والمؤمنين: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء/ ١١٥].

ومن جهل مقام ربه هانت عليه معصيته، وخان أمانته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال/ ٢٧].

فاستتر رحمك الله إن عصيت الله، واستر على غيرك إذا زل، واستر نفسك، واستحي من الملائكة الذين لا يفارقونك: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

واعلم أن الذي سوف يحاسبك يوم القيامة هو الذي رآك وأنت تعصيه، وأنت ترتكب الفواحش، وأنت تشهد زورًا: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

وقال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر/ ٩٢-٩٣].

واحذر ذنوب الخلوات؛ فإنها مهلكات، وإذا ستر الله عليك مرارًا ولم تتب، فإنه سيفضحك؛ لعلك تتوب إلى الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم/ ٤١].

﴿رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ [الإسراء/ ٨٠].

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» أخرجه البخاري[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

اللهم يا خبيرًا بفقري وفاقتي، يا عليمًا بضري ومسكنتي، يا خبيراً بطاعتي ومعصيتي، يا من بيده ناصيتي، أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله، ومن كل رزق تبسطه، ومن كل ذنب تغفره، ومن كل خطأ تستره، يا أرحم الرحمين.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واختم بالصالحات أعمالنا يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الرحمين: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

المعطي

اسم الله المعطي

الله ﷻ هو الرب الكريم المعطي، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨].

واسم الله المعطي من أسماء الله الحسنى الواردة في السنة النبوية الصحيحة، ولم يرد في القرآن الكريم إلا صفة كما قال سبحانه لنبيه ﷺ:﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى/ ٥].

وقال ﷻ عن فرعون:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[طه/ ٤٩-٥٠].

وقد ورد اسم الله المعطي صريحًا في السنة النبوية.

عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللهُ الْمُعْطِي، وَأَنَا القَاسِمُ، وَلاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»متفق عليه(١).

هو سبحانه المعطي الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هداه إلى ما يسير عليه، وتصلح به حاله، والكون كله مظهر لعطاء الله، ومظهر لكرم الله، ومظهر لأسماء الله وصفاته وأفعاله:﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق: ٦-٨].

هو سبحانه المعطي الذي خلق الشمس وأعطاها قوة الإضاءة والحرارة، وخلق القمر وأعطاه قوة الإنارة والبرودة، وخلق الأرض وأعطاها قوة الإنبات، وخلق البحار وأعطاها قوة الإغراق والسيلان، وخلق الجبال وأعطاها قوة الرسو والثبات:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١١٦)واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه الخلاق العليم، خلق العين للإنسان والحيوان وأعطاها قوة الإبصار، وخلق الأذن وأعطاها قوة السمع، وخلق اللسان للإنسان وأعطاه قوة الكلام، وخلق اليد للإنسان وأعطاها قوة البطش والحركة، وخلق الرجل وأعطاها قوة المشي والسرعة، وخلق المعدة وأعطاها قوة الهضم، وخلق القلب وأعطاه قوة دفع الدم إلى سائر البدن: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[الزمر: ٦٢].

تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام، وضع سبحانه على السماء فاستقلت، ووضعه على الأرض فاستقرت، وعلى الجبال فرست، وعلى البحار فسالت، وعلى الأرض فأنبتت، وعلى اللسان فتكلم، وعلى العين فأبصرت، وعلى الأذن فسمعت، وعلى الرجل فمشت: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٧٨﴾[الرحمن: ٧٨].

هو سبحانه المعطي الذي خلق آدم وذريته، وأكرمهم بنعم لا تعد ولا تحصى، وهداهم إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[لقمان/ ٢٠].

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء/ ٧٠].

هو سبحانه المعطي لكل نعمة لجميع خلقه في كل زمان ومكان: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل/ ٥٣].

هو سبحانه المعطي لكل عطاء في العالم العلوي والعالم السفلي ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقٗا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾[إبراهيم/ ٣٢- ٣٤].

هو سبحانه المعطي وحده لا شريك له، هو الذي أعطاك الروح فحييت، وأعطاك

اللسان فتكلمت، وأعطاك العينين فأبصرت، وأعطاك الأذنين فسمعت، وأعطاك اليدين فأكلت بها وشربت، وأخذت بها وأعطيت، وأعطاك الرجلين فمشيت بهما إلى حوائجك، وأعطاك الذكاء فحفظت، وأعطاك العقل فعقلت: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

هو سبحانه المعطي الذي علمك فعلمت، وعلمك البيان فبينت باللسان أو الكتابة أو الإشارة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن/ ١-٤].

هو سبحانه المعطي الذي ملأ الكون بنعمه من أجلك؛ لتؤمن به، وتحبه، وتحمده وتشكره، وتعبده؛ فاملأ لربك الكون بأنواع عبادته كما ملأه لك بأنواع نعمه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

والله سبحانه هو المعطي على الحقيقة لكل الخليقة، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فكل نعمة منه وكل فضل منه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤].

هو سبحانه المعطي أمر الوجود لكل موجود، المعطي الرزق لكل مرزوق، المعطي الحياة لكل حي، المعطي العقل لكل عاقل، المعطي العلم لكل عالم، المعطي القوة لكل قوي، المعطي الرحمة لكل راحم، المعطي السمع لكل سامع، المعطي البصر لكل مبصر: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

وعطاؤه جل جلاله ليس له حدود ولا قيود، يعطي جميع مخلوقاته ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ**

هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم(١).

هو سبحانه المعطي الذي يعطي من يستحق العطاء، ويمنع من لا يستحق إلا المنع ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[الأنعام: ٥٣].

فسبحان المعطي الذي يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويبسط الرزق لمن يشاء، ويقدره على من يشاء وهو الحكيم العليم في عطائه ومنعه، فإذا أعطى فتفضل وإصلاح وإكرام، وإذا منع فحكمة وتربية وصلاح ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٢].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ» متفق عليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١١٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).

هو سبحانه المعطي الذي ما بالعباد من نعمة وعطية إلا منه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، وهذا إكرامه، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

والله ﷻ هو المعطي العطاء المادي والروحي لكل خلقه، فمنهم من شكره، ومنهم من كفره: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن/ ٢].

هو سبحانه المعطي لخلقه العطاء المادي والروحي؛ فمنهم من شكره، ومنهم من كفره: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨ – ٢٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٤ – ١٠].

ومن شكر الله على نعمه زاده من فضله، ومن كفر فلن يسلم من عقوبته: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

هو سبحانه المعطي والمالك لكل شيء، الذي أعطى من شاء من عباده الأموال، وجعلهم مستخلفين فيه، وبحسب الإنفاق منه يكون الثواب أو العقاب عليه ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد/ ٧].

وقال ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٦ – ١٧].

واعلم رحمك الله أن المال لله في يدك، وأنت مستخلف في التصرف فيه في حياتك، حسب أمر من أعطاه لك، كما يمتثل الخازن أمر صاحب المال إذا أمره بإعطاء من عينه من الناس: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد/ ٧].

وقال النبي ﷺ: «**إِن للهَّ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى**» متفق عليه(١).

والصفة المشتقة من اسم الله المعطي هي صفة العطاء، وهي من صفات الله الفعلية التي آثارها ظاهرة في الكون، فإذا شاء الله أعطى، وإذا شاء منع، وهو الحكيم العليم إذا أعطى أو منع: ﴿**قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦**﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**» متفق عليه(٢).

وقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**» متفق عليه(٣).

- **واعلم زادك الله فقهًا وإيمانًا وتقوى أن عطاء الله نوعان:**

الأول: عطاء عام لجميع الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي؛ فهو سبحانه الذي أعطاهم نعمة الإيجاد، ونعمة الأقوات، ونعمة الحياة، ونعمة الهداية: ﴿**ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢**﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقال ﷻ: ﴿**وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤**﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وهذا العطاء العام يشمل جميع البشر: مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، بما وهبه الوهاب لهم من الأرزاق والنعم والخيرات التي بها صلاح أمرهم في دينهم ودنياهم: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ٥٣**﴾ [النحل/ ٥٣].

فالعطاء كله من المعطي جل جلاله: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٢٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٧٧).

سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾[الإسراء: ١٨ – ٢١].

الثاني: عطاء خاص وهو قسمان:

الأول: عطاء في الدنيا لأنبيائه، ورسله، وعباده المؤمنين به، وذلك من الرزق الحلال، والذرية الصالحة، وحصول البركات، وأعظم هذا العطاء عطية الإيمان، واليقين، والتقوى، والعلم، والهدى؛ فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين إلا من يحب: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات/ ١٧].

وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأعراف/ ٩٦].

الثاني: عطاء في الآخرة، وهو ثمرة عطاء الإيمان والتقوى في الدنيا، والكل من فضل الله ﷻ، وذلك هو العطية الكبرى بدخول الجنات يوم القيامة ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾[النبأ/ ٣١-٣٧].

وأعظم العطاء في الجنات يوم القيامة هو رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، والقرب منه، وسماع كلامه، وحلول رضوانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وقال ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[يس/ ٥٨].

وقال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة/ ٧٢].

وقال النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى: «**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا،**

أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» أخرجه مسلم(١).

فسبحان ربنا العظيم، الغني الكريم، المعطي الذي أعطى كل مخلوق ما يناسبه، وجعله شاهدًا على وحدانيته، مسبحًا بحمده، شاهدًا على عظمته وجلاله، وأعطاه ما أظهر به كمال قدرته، وما يحقق به مصالحه، وما يؤدي به وظيفته في الصورة والشكل، والحجم والمقدار، والطبع واللون، سواءً كان من عالم الجماد، أو عالم النبات، أو عالم الحيوان، أو عالم الطير، أو عالم الإنس، أو عالم الجن، أو عالم الملائكة: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه/ ٥٠].

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

هو سبحانه المعطي الذي يدر على عباده العطاء، ويوالي عليهم النعم، ويغمرهم بأنواع الإحسان والإكرام والعطاء في كل زمان ومكان؛ فأرض يمشون عليها، وزروع وأشجار يأكلون من حبوبها وثمارها، وحيوان وطير يأكلون من لحومها، وأنعام يشربون من ألبانها، ويأكلون لحومها، ومياه وعيون وأنهار يشربون من مائها، وبحار يأكلون من لحومها ويمشون على ظهرها، وهواء يتنفسون منه، وشمس وقمر يهتدون بنورهما، وأموال، وأزواج وأولاد، وصحة في الأبدان، وأمن في الأوطان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٢٤٣﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

هو سبحانه المعطي لكل نعمة لجميع خلقه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٣).

حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٠ – ١٨].

فسبحان المعطي الذي أعطى لعباده كل نعمة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢ – ٣٤].

هو سبحانه المعطي الذي يوالي نعمه على خلقه في كل زمان ومكان: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل/ ٧٢].

ومن هذا كرمه، وهذا عطاؤه، وهذا إحسانه، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

هو سبحانه الكريم المعطي على مر الدهور والأزمان، وعنده خزائن كل شيء، يعطي المؤمن والكافر، والبر والفاجر، ومن يطيعه ومن يعصيه، ومن ينصر دينه، ومن يحارب دينه، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وهو الحكيم الخبير: ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢٠ – ٢١].

هو سبحانه الرءوف الرحيم المعطي الكريم، الذي لا تزال عطاياه وهباته على عباده متوالية، في عطاء دائم، وسخاء مستمر، في آناء الليل والنهار: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

فسبحان الله العظيم هل يخفى عطاؤه وإحسانه على أحد؟: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾ [يونس/ ٣١- ٣٢].

هو المعطي الذي أعطى قوت الأحساب وأعطى قوت القلوب: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩)﴾ [الحديد/ ٩].

واعلم فقهك الله في دينه أن كل اسم من أسماء الله الحسنى لا يمكن إثباته لله، إلا عن طريق الوحي من القرآن الكريم، أو السنة النبوية الصحيحة.

- **وكل اسم من أسماء الله الحسنى لا يتم الإيمان به على وجه الكمال إلا بثلاثة أمور:**

الأول: إثبات الاسم علمًا على الذات الإلهية؛ فالله علم على الذات الإلهية، والحي والقيوم، والرحمن والرحيم، والمعطي والكريم، وغيرها من الأسماء الحسنى كلها علم على الذات، فمن لم يثبتها علمًا على الذات فهو ملحد في أسماء الله الحسنى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

الثاني: أن تثبت الصفة التي يتضمنها هذا الاسم؛ فالرحمن يدل على صفة الرحمة، والقوي يدل على صفة القوة، والمعطي يدل على صفة العطاء، ومن لم يثبت ذلك فهو ملحد في أسماء الله وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

الثالث: إثبات مقتضى الاسم وحكمه؛ فالرحمن يدل على الذات اسمًا، ويدل على إثبات صفة الرحمة صفةً لله، وإثبات مقتضى الرحمة وهو أن الله يرحم من يشاء: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [التوبة: ٧١].

وكذا اسم الله المعطي الذي ثبت في السنة يتضمن إثبات المعطي اسمًا لله ﷻ، وإثبات

العطاء صفةً له، وإثبات مقتضى صفة العطاء، وهي أن الله يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ وهكذا في بقية أسماء الله الحسنى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾[الضحى: ٥].

فمن لم يثبت هذه الأمور الثلاثة لأسماء الله الحسنى فهو ملحد في أسماء الله وصفاته ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾[الأعراف/ ١٨٠].

واعلم رحمك الله أن أحق ما قال العبد: «**اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**» أخرجه مسلم[1].

فسبحان المعطي الذي ابتلى ليعافي، وقبض ليبسط، ومنع ليعطي وأذل ليعز: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾[الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣].

واعلم رحمك الله أن المعطي لكل خير من علم، أوفقه،أومال،أوسلطان،هوالله وحده لا شريك له، أعطاك ما أعطاك وابتلاك به؛ لينظر أتؤمن به أم تكفر به، وهل تشكر نعمته على هذا العطاء، وتعطي مما أعطاك الله: ﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ [القصص/ ٧٦-٧٧].

فماذا قال قارون؟ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٧٨﴾ [القصص/ ٧٨].

فماذا فعل الله به؟ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٧١).

خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾[القصص/ ٧٦-٨١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾[القصص/ ٤].

فماذا فعل الله بفرعون وجنوده؟: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الزخرف: ٥٥ -٥٦].

وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة/ ٢٥٨].

فسبحان من إذا أعطى أغنى في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[الضحى/ ٦-٨].

وقال ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾[الكوثر/ ١-٣].

- **هو سبحانه المعطي الحق الذي أعطى رسوله محمدًا ﷺ أنواعًا كثيرة من العطاءات:**

أعطاه النبوة والرسالة.. وأعطاه الرحمة وأحسن الأخلاق..وأعطاه الحكمة، وحسن البيان .. وأعطاه الصبر والحلم .. وأعطاه العزة والنصر ..وأعطاه القوة والثبات ..وأعطاه حسن الدعوة والتعليم، وقوة المجاهدة ..وأعطاه الفصاحة والبيان .. وأعطاه التمكين في الأرض، وغير ذلك من العطاءات الكثيرة التي أعطاها الله لنبيه ﷺ في الدنيا.

جعله ربه خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسالته عامة للثقلين، أرسله الله رحمةً للعالمين، وأسري به إلى بيت المقدس، وعُرج به إلى السماء، وناداه الله بوصف النبوة والرسالة وأُعطي جوامع الكلم: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[النساء: ١١٣].

وقد خصه الله دون الأنبياء بخمس.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي**

أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه(١).

- **ومما خصه الله به دون أمته:**

الوصال في الصيام.. والزواج بلا مهر.. ونكاح أكثر من أربع نساء .. ولا تنكح أزواجه من بعده أبدًا.. وعدم أكل الصدقة.. وأنه لا يورث.

وأنهﷺ يسمع ما لا يسمع الناس .. ويرى ما لا يرون، كما رأى جبريل ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة/ ١٢٨].

- **أما في الآخرة فأعطى الله رسوله محمدًا ﷺ أعظم العطاءات، وأرفع الدرجات:**

فأعطاه نهر الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١﴾ [الكوثر/ ١].

وأعطاه المقام المحمود: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء/ ٧٩].

فسبحان من أعطى رسولهﷺ هذه العطاءات العظيمة: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ٥﴾ [الضحى/ ١- ٥].

فسبحان المعطي الكريم الذي أعطى رسوله ﷺ هذه العطاءات العظيمة، وجعله صفوة ذرية آدم: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران/ ٣٣-٣٤].

فهو ﷺ صفوة الخلق كلهم نسباً، وخلقا وأدباً، وعلماً وعملاً، ورحمة وإحسانا: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣﴾ [النساء/ ١١٣].

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم/ ٤].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥)واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢١).

مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» أخرجه مسلم(1).

فسبحان المعطي الذي أعطى رسوله محمدًا ﷺ صفوة آدم، وشجاعة نوح، وحلم إبراهيم، وأدب إسماعيل، وصبر أيوب، ويقين شعيب، وقوة موسى، وشفقة هارون، وزهد عيسى ﷺ، وملك داود، وفهم سليمان، وحكمة لقمان، وعلم الخضر: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى/ ٥].

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر/ ١].

فسبحان المعطي العظيم الذي أعطى رسوله ﷺ هذا العطاءات العظيمة.

زكى الله عقله، ولسانه، وكتابه، وشرعه، وجليسه، وزكى بصره وفؤاده، فقال ﷻ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم/ ١-٥].

فصلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، لقد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين.

أعطاك ربك فزكى صدرك فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح/ ١-٤].

وأعطاك فزكى خلقك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم/ ٤].

وأعطاك فزكى علمك فقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء/ ١١٣].

وأعطاك فزكى الكتاب الذي أنزله عليك فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل/ ٨٩].

هو سبحانه المعطي: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى/ ٢-٥].

هو المعطي الذي لا نهاية لعطائه في الدنيا والآخرة: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ [ص: ٣٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٦).

ولكل مؤمن بقدر إيمانه واستقامته نصيب من قوله سبحانه:﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾[الكوثر/ ١].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾[الضحى/ ٥].

هو المعطي الذي أعطى خلقه كل شيء، فكل ما نراه في هذا الكون من عطائه:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].

فهذا في الدنيا، وأما عطاؤه في الآخرة فعطاء دائم كما قال سبحانه:﴿ ۞وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ [هود/ ١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾[ص/ ٥٤].

هو سبحانه المعطي لذي علم الإنسان ما لم يعلم:﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾[العلق/ ١-٥].

وقال ﷻ:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن/ ١-٤].

واعلم أن كرامة العلم أعظم كرامة، وقد أودع الله في كل إنسان قوة إدراكية، وما لم يطلب العلم، ولم يبحث عن الحقيقة، فقد هبط من إنسانيته إلى مستوى لا يليق به: ﴿ ۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾[الرعد/ ١٩].

فالعلم الإلهي مفتاح كل خير، ونور كل عمل، وزاد كل تقوى، فمن أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم:﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر/ ٩].

وقال ﷻ:﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر: ٢٨].

والله سبحانه بين في القرآن الكريم أن العلم والعمل الصالح قيمتين مرجحتين بين الخلق، فالناس في الدنيا يعظمون الأغنياء والأقوياء، لكن القرآن الكريم يبين لنا أن رتبة العلم والإيمان والتقوى أعلى الرتب كما قال سبحانه:﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾[المجادلة/ ١١].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ ١٣].

- **والعلم الإلهي الذي يثمر خشية الله وتقواه ثلاثة أنواع:**

علم بالله ..وعلم بخلق الله ..وعلم بأوامر الله.

فالعلم بالله، والعلم بخلق الله، وهي آياته الكونية، كل ذلك يثمر معرفة الله، وهما يحتاجان إلى مجاهدة ونظر وتدبر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية.

فجاهد تشاهد ربك الحكيم العليم، الرحمن الرحيم، القريب المجيب.

وتدبر في الآيات الكونية والشرعية ترى الملك جل جلاله يدبر، والخالق يخلق، والمصور يصور، والرزاق يرزق، والمعطي يعطي: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

واعلم أن العلم أعظم كرامة أكرم الله بها الإنسان: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء/ ١١٣].

وأمر الله نبيه ﷺ أن يستزيد من هذا العلم الإلهي فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤].

أما العلم بأوامر الله فيحتاج إلى مدارسة، إلى كتاب، إلى معلم: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة/ ١٢٢].

فالمؤمن يتعبد لله بطلب العلم، والعمل به، ونشره، وطلب العلم جزء أساسي من حياة المؤمن لا يعلو عليه شيء: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

أما من طلب العلم حسب فراغه، أو في أوقاته الهامشية؛ لأن عنده أمورًا أساسية لا يعلو عليها شيء، فلن يحصل من العلم إلا صورته وشهادته: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا

﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾[الأعراف: ١٧٩].

فسبحان من أظهر أسماءه وصفاته في آياته ومخلوقاته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق/ ١٢].

واعلم أن الماء نعمة وعطاء من الله يوصله إلينا غيثًا من السماء، أو يخرجه من عيون الأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾ [الشورى/ ٢٨].

ودور الإنسان أن يضعه في خزانات، أو يسوقه إلى البيوت بالأنابيب، أو يوزعه في قوارير: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ٤٩ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠﴾[الفرقان: ٤٨ – ٥٠].

هو سبحانه المعطي الذي بيده العطاء والمنع، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وهو الحكيم العليم؛ ابتلى ليعافي، وأخذ ليعطي، وخفض ليرفع، وأذل ليعز، ومنع ليعطي؛ لأن الإنسان تحمل الأمانة، لكنه قصر في حملها، فلا بد له من الابتلاءوالمعالجة: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣﴾[الأحزاب/ ٧٣].

وقال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

واعلم أن الله يربي عباده بالعطاء والمنع، كلما انحرفوا أو قصروا، وصاحب المؤسسة إذا أراد أن يعين موظفًا لديه أعطاه مهلة كثلاثة أشهر ليمتحنه، فإذا لم ينجح ألغى عقده؛ لأنه لا يحقق له مصالحه، لكن لو كان هذا الموظف ابنه، فإنه سوف يتابعه ويوجهه ويربيه إذا أخطأ؛ لأن رحمة الأب تقتضي المتابعة والتوجيه والتربية والرحمة: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾[محمد: ٣١].

والله سبحانه أرحم بعباده من أنفسهم، فإذا أخطأ أو قصر العبد تابعه ربه بالعطاء والمنع والتوجيه، ليعود إلى ربه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

فسبحان من يربي عباده بالعطاء والمنع، والبسط والقبض، ويسوقهم إلى ما يحبه ويرضاه بأنواع النعم والمصائب، هذا بعطاء، وهذا بمرض، وهذا بقلق، وهذا بضيق، وهذا بمصيبة، وهذا بمحبوب، وهذا بمكروه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

وقال ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة/ ٢١٦].

واعلم رحمك الله أن هذه الدنيا دار الإيمان والعمل، وهي دار التواء وتقلب، لا دار استواء واستقرار، فلا تستقيم الدنيا لأحد، فيها أحزان وآلام، فيها فراق الأحبة، فيها أمراض تصيب الإنسان وأهله، فيها مصائب تعض الإنسان،فيها خوف وقلق، وجوع وألم، وذلك كله لحكمة بالغة أرادها الله،ليربي عباده بها.

والمصائب والمكاره عطاء من المعطي تجر الأشرار إلى أعمال الأبرار، وتجذب النفوس إلى الملك القدوس،وتجر الناس من دار الغرور إلى دار السرور: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

والموت آية من آيات الله كالحياة، الموت ينهي كل شيء، ينهي كل شدة، ينهي قوة القوي، وينهي غنى الغني، وينهي ذكاء الذكي، وينهي سلطان السلطان، ومن عرف ذلك لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشدة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد/ ٢٢-٢٣].

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى

الدنيا سببًا لعظيم أجر الآخرة، وجعل ثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ المعطي ويبتلي، ليجزي ويعطي: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾[التوبة/ ٥١].

وقال ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾[التغابن: ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ.**

يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي.

يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي» أخرجه مسلم(١).

هو سبحانه المعطي الذي نعمه علينا لا تعد ولا تحصى، ولا يحيط أحد بجملتها ولا تفاصيلها.

وأعظم نعم الله على البشر ثلاث:

الأولى:نعمة الخلق والإيجاد.

الثانية:نعمة القوت والإمداد.

الثالثة:نعمة الهدى والرشاد.

فالنعمة الأولى: نعمة الخلق والإيجاد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٩).

﴿تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢].

والنعمة الثانية: نعمة القوت والإمداد: فبعد الإيجاد أعطاك المعطي هواءً وجهازًا تتنفس به، وأعطاك جهاز هضم، وأعطاك أنواع الطعام والشراب من الحبوب والفواكه واللحوم والمياه والألبان، وأعطاك الزوجة والولد: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾[إبراهيم/ ٣٤].

والنعمة الثالثة: نعمة الهدى والرشاد: وهذه أعظم النعم، فبعد أن منحك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، منحك المعطي نعمة الهدى والرشاد: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾[الحجرات/ ١٧].

وقال ﷻ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

هو سبحانه المعطي الذي سخر جميع ما في هذا الكون للإنسان تسخير تعريف، وتسخير تكريم، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

فموجب تسخير التعريف أن تؤمن بالله، وموجب تسخير التكريم أن تشكر الله: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾ [النساء: ١٤٧].

واعلم رحمك الله أن الإنسان هو المخلوق المكرم المكلف، والمسخر له وهوالإنسان أكرم على الله من المسخر: ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء/ ٧٠].

فمن سما بتوحيده وإيمانه على شهواته، أصبح بإيمانه وتوحيده فوق الملائكة، وإن غلبت شهواته على إيمانه وتقواه أصبح دون الحيوان: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ

﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال/ ٢-٤].

فهذا الذي ارتقى بإيمانه، أما الكافر الذي غلبت شهواته على إيمانه فهو دون الحيوان: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

واعلم أن الله خلق الملائكة عقولًا بلا شهوات، وخلق الحيوانات شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان مركبًا منهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[البينة: ٦ -٨].

فسبحان ربنا العظيم الذي سخر لنا هذا الكون تسخير تعريف، وتسخير تكريم، فلله الحمد والشكر على هذا التسخير العظيم لما في الكون للإنسان: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ١٣﴾[الجاثية/ ١٣].

ومقتضى تسخير التعريف أن تؤمن بمن سخره لك، ومقتضى تسخير التكريم أن تشكر من سخره لك، وإذا آمنت بربك، وشكرت ربك، فقد حققت الهدف من وجودك، فأبشر بما يسعدك في الدنيا والآخرة ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾[النساء/ ١٤٧].

وقال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[البقرة/ ٢٥].

إنه يجب علينا أن نقرأ آيات الله في الكون قراءةً إيمانية تثمر تعظيم الله ومحبته وحمده وشكره، وحسن عبادته: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)﴾ [ق/ ٦-١١].

هو سبحانه المعطي وحده لا شريك له، يعطينا في الدنيا نعمًا لا تعد ولا تحصى.

يعطينا نعمًا خاصة من الصحة والعافية، والعقل والذكاء، والسمع والبصر، والحسن والجمال، ويعطينا نعمًا عامة من الأموال والأولاد، والزوجات، والماء والهواء، والطعام والشراب، والمساكن، والمراكب، والملابس: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)﴾ [النحل: ٧٨].

وقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾ [الملك/ ١٥].

هو سبحانه المعطي الذي يعطينا نعمًا دنيوية من الصحة والمال والأولاد وغيرها، ويعطينا نعمًا إيمانية من الإيمان والسكينة والطمأنينة، والأمن والرضا والهداية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ (٤)﴾ [الفتح/ ٤].

فالنعم المادية تنقضي بانقضاء الدنيا، وهي تُعطى للكثيرين من الناس، أما النعم والكرامات الإيمانية فيعطيها المعطي لأصفيائه من خلقه الذين يعلم أنهم يشكرون هذه

النعم: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

واعلم أن من عطاء الله لك أنه يذكرك ولا ينساك، ويسوق لك رزقك في عقر دارك، فإن شكرته زادك، وإن كفرت بذلك ابتلاك، ليردك إليه: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

ومن ذكر الله ذكره، وذكرك لله أكبر من كل شيء، لكن ذكر الله لك أكبر من ذكرك له: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

فإذا ذكرت ربك وشكرته فقد أديت واجب العبودية المثمرة لكرم الألوهية: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة/ ١٥٢].

لكن ربك إذا ذكرك هداك، وأعطاك الأمن، وأعطاك السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

هو المعطي الذي إذا ذكرك آتاك الحكمة: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

فالنعم المادية والدنيوية تنقضي بانقضاء الدنيا، أما النعم الإيمانية فتسعد بها في الدنيا وفي الآخرة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

واعلم أن ربك سبحانه هو المعطي، الذي عطاؤه ابتلاء، ومنعه دواء، فليس عطاؤه إكرامًا، ولا منعه حرمانًا: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ [الفجر: ١٥ – ٢٠].

فالله ﷻ هو المعطي الذي يعطي بالحكمة والرحمة، وقد خلق الله الإنسان مختارًا قد يختار

الطاعة أو الفجور، قد يختار الغناء ثم يموت وتبقى أغانيه المفسدة للخلق في الإذاعات والقنوات إلى يوم القيامة، وقد يختار تلاوة القرآن مثلًا ثم يموت، وتبقى تلاوته تذاع إلى يوم القيامة تجري له بالحسنات، وقد يبني الإنسان مسجدًا وقد يبني خمارةً أو ملهى؛ فالإنسان مخير، فاختر ما شئت فإنك محاسب عليه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠].

فمن آثر دنياه على آخرته خسرهما معًا، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معًا: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ١٨ – ٢٠].

فسبحان المعطي الحكيم الرحيم، لا مانع لما أعطى، لا معطي لما منع، وربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

فأنواع الأرزاق المادية نعم ظاهرة، والمصائب والمكروهات نعم باطنة، والله المعطي هذا وهذا.

هو سبحانه المعطي وحده لا شريك له، إذا أعطاك من يمنعه؟ وإذا منعك من يعطيك سواه؟ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

ومن فقهه الله في الدين آمن إيمانًا قطعيًا أن المصائب نعم باطنة كالنعم الظاهرة.

وكلها يذكر العبد بربه، ليكثر من ذكره وشكره، ويتوب إليه، فكم من مصيبة كانت سببًا للهداية والاستقامة؟!

وكم من نعمة كانت سبباً للتوبة والرجوع إلى الله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[التغابن: ١١].

وكذا يجب أن يؤمن المؤمن إيمانًا قطعيًا بأن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

والرضا بمكروه القضاء أرفع درجات الإيمان واليقين، وإذا حلت بك المصائب فاعلم أنك ضمن عناية الله، وضمن رحمة الله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة/ ٥١].

وقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر: ١٠].

والصبر إنما يكون على الابتلاء بمر القضاء.

واعلم أن الإنسان خُلق شحيحًا حريصًا على ما في يده، فإذا آمن بالله أصبح كريمًا سخيًا بما في يده: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾[المعارج: ١٩ – ٢٥].

والمؤمن كما أنه يتلقى العطاء من المعطي في كل وقت، فكذلك هو عبد يتقرب إلى الله فيعطي مما أعطاه الله كل وقت: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٧٤].

وقال ﷻ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم رحمك الله أن الأنبياء أعطوا للناس، وعلموهم التوحيد والإيمان، ورغبوهم في طاعة الله، ليسعدوا في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟

﴿ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعطوا للناس ولم يأخذوا؛ لأن أجرهم على الله.

أما الكفار والأقوياء فقد أخذوا ولم يُعطوا؛ لأنهم لم يعرفوا من أعطاهم: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾ [النبأ/ ٢٧-٣٠].

فالمؤمن يبني حياته كلها على العطاء والإكرام، يعطي من نفسه، ويعطي من ماله، ويعطي من علمه، ويعطي من وقته، ويعطي من خبرته، ويعطي من قوته، ويعطي من أخلاقه؛ وذلك ابتغاء مرضاة الله: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء/ ١١٤].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ [الليل/ ٤-١٠].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

التعبد لله ﷻ باسمه المعطي

اعلم رحمك الله أن العبد إذا عرف أن ربه الغني الذي لا تنقص خزائنه أبدًا، الكريم المعطي الذي كل ما في الكون من عطائه وإحسانه، وأنه واسع العطاء، كثير المواهب، بيده الخلق والأمر، وبيده البسط والقبض، وبيده العطاء والمنع، إذا عرف ذلك آمن بربه وعبده، وكبره، وعظمه،وأحبه، وتعلق به، وحمده وشكره، لما عرفه من عظيم أسمائه وصفاته، وعظيم عطاياه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩].

وقال ﷻ:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾[الأعراف/ ٥٤].

واعلم أن شكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى عطاياه التي لا تنقطع أبدًا يستلزم العمل بشرعه، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والبعد عن محارمه، وتعظيم شرعه؛ فكل نعمة منه، فهو المعطي أولًا وآخرًا، فله الحمد والشكر على عظيم عطائه وإحسانه:﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧ ﴾[الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

وقال ﷻ:﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾[سبأ/ ١٣].

وقال ﷻ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة/ ٢١-٢٢].

ومن عرف الله باسمه المعطي سأله وحده جميع حوائجه، وتعلق به وحده في جلب المنافع، ودفع المضار:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة/ ١٨٦].

وقال ﷻ:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١].

وقال النبي ﷺ:«**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِّ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ**

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»أخرجه الترمذي(١).

ومن عرف ربه باسمه المعطي طمع في ثوابه، وخاف من عقابه، وتصاغر لكبريائه، لما يراه من عظيم أسمائه وصفاته، وعظيم كرمه وإحسانه وعطائه، وذلك يُثمر الاعتراف من العبد بالنقص والضعف والتقصير في حق الله ﷻ، وأن الإنسان الضعيف لو وكل إلى نفسه طرفة عين لهلك وخسر، ولكن فضل الله عليه الذي غمره بإحسانه، ويسر له أموره، وأعطاه سؤله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يعطي للخلق مما أعطاه المعطي جل جلاله.

فإن أعطاه الله مالًا أنفق منه في وجوه البر والإحسان، وأنفق على الفقراء والمحتاجين، فمن شكر الله على نعمة المال الجود به، وإعطاؤه لمستحقيه: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧].

وقال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٧٤].

ومن أعطاه الله علمًا فعليه العمل بموجبه، وبذله ونشره وتعليمه للناس: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

وقال ﷻ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

ومن أعطاه الله خلقًا حسنًا فعليه أن يشكر ربه على هذا العطاء، وأن يخالق الناس بخلق حسن، فيصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، ابتغاء وجه الله :﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣-٦٤].

ومن أعطاه الله جاهًا ومنصبًا فعليه أن ينفع الناس، خاصةً الفقراء والمحتاجين، ويتعبد لله بقضاء حوائجهم، وتسهيل أمورهم:﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص/ ٢٦].

وقال ﷻ:﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة: ٢].

وعلى من وهبه الله مالًا أو علمًا أو جاهًا أو أي نعمة أن ينفع الناس بذلك، ويشكر نعمة الله عليه، ولا يمن على الخلق؛ لأنه يعطيهم مما أعطاه الله والله هو المان الحقيقي بكل نعمة:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾[البقرة: ٢٦٤].

وقال النبي ﷺ:«**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمَنَّانُ الذي لا يعطي شيئاً إلا منَّه، ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفاجر، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ**» أخرجه مسلم(1).

ومن عرف الله باسمه المعطي سأله ودعاه وحده لا شريك له، كما قال زكريا:﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران/ ٣٨-٣٩].

وقال سبحانه عن دعاء سليمان:﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ

---

(1) أخرجه مسلم برقم (١٠٦).

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ص/ ٣٤-٤٠].

وقال سبحانه عن دعاء الراسخين في العلم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨].

ولما من الله على خليله إبراهيم بالولد والذرية الصالحة حمد الله على هذه النعمة العظيمة كما قال سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٩-٤٠].

وإذا علم العبد أن ربه هو الكريم المعطي، وعرف سعة عطاء الله لخلقه فعليه أن يتعبد لربه بما يقدر عليه من العطاء بقوله وفعله، وقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

وقال ﷺ: «**الأَيْدِي ثَلَاثَةٌ، يَدُ اللهِ الْعُلْيَا، وَيَدُ الْمُعْطِي الَّتِي تَلِيهَا، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى ؛ أَعْطِ الْفَضْلَ، وَلَا تَعْجَزْ عَنْ نَفْسِكَ**» أخرجه أبو داود(١).

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن توحيد الله باسمه المعطي يقتضي تعلق القلب بالمتوحد بالعطاء، والتعفف عن سؤال غيره أو دعائه: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وقال النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ**

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٦٤٩).

مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ» أخرجه البخاري(١).

وحظ العبد من هذا الاسم العظيم أن يكون كريمًا معطاءً لا يخشى الفقر ولا الفاقة.

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ أَجْوَدَ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ**»أخرجه البخاري(٢).

وجَاءَ رَجُلٌ إلى النبي ﷺ يسأله، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»أخرجه مسلم(٣).

وإن كان الرجل ليجيء إلى رسول الله ﷺ ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون الله أحب إليه أو أعز إليه من الدنيا بما فيها.

وكان ﷺ:«**إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ» ، وَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ وَأَحْيَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ**»أخرجه أحمد(٤).

ومن دعاء النبي ﷺ في القنوت: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**» أخرجه أبو داود والترمذي(٥).

وإذا علم العبد أن عطاء الله لخلقه يشمل البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ساق إليهم أرزاقهم جميعًا، ودعاهم إلى الإيمان به جميعًا.

إذا عرف ذلك العبد فالواجب عليه أن يعطي مما أعطاه الله، فيعطي كما أعطاه ربه، ويحسن كما أحسن إليه ربه، فيدعو للناس بالهداية، ويعطيهم مما أعطاه الله، ويدعوهم إلى

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٧٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٩٠٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٢).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٨٩٩١).

(٥) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

الله، ويعلمهم شرع الله، ويحسن إلى محتاجهم ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص/ ٧٧].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

فحاسب نفسك يا عبد المعطي، واعلم أنك خلقت للأبد، فإذا بعثك الله بعد الموت؛ فإما أن تصير إلى الجنة في عطاء غير مجذوذ إن كنت مؤمنًا، وإما أن تصير إلى النار إن كنت غير ذلك في شقاء دائم: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾ [الروم/ ١٤-١٦].

وأسعد الناس من خلقه الله للأبد والنعيم، ففاز بالأبد والنعيم، وأخسر الناس من خلقه الله للأبد، ثم خسر الأبد في شقاء من أجل سنوات معدودة قضاها الإنسان في المعاصي والشهوات والآثام: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٦].

واعلم يا عبد المعطي أن الله يحمي صفيه من الدنيا كما يحمي الإنسان مريضه من الطعام؛ فتيقن أن ما أصابك من الله عين الحكمة والرحمة؛ فأنت بعين الله ورعايته، وعنايته وحمايته، وما ساقه إليك من النعم والمصائب هو محض محبته لك، وعنايته بك، فاحمد الله على ما أصابك: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يرضى بما قسم الله له من العطاء، وعلامة ذلك أن يكون سروره بالمصائب كسروره بالنعم: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا

فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾
[الحديد: ٢٢ – ٢٣].

فالنعم والمصائب كلها خير من الرحمن الرحيم: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن: ١١].

فالمؤمن حقًا من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا، يرضى بالله ربًا وإلهًا، يرضى بقضائه وقدره، يرضى بدينه وشرعه، وكتابه ورسوله، يرضى بحكمه وأمره، ووعده ووعيده: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾
[التوبة: ٦٢].

يا عبد المعطي إن كنت غنيًا فاشكر ربك،وانفق في وجوه البر مما أعطاك الله؛ فهذه عبوديتك الخاصة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾[البقرة/ ٢٧٤].

وإن كنت فقيرًا فاصبر، فهذه عبوديتك الخاصة، واشكر الله أن منع عنك ما يشغلك عنه: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر: ١٠].

وإن كنت صحيحًا فاحمد الله أن أعطاك العافية تتعبد بها وتركع وتسجد لربك: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر/ ٩].

وإن كنت مريضًا فاصبر على البلاء،واحمد الله أن قيدك عن معاصيه، وذكرك بنعمه، لتتوب إليه، فالمؤمن أمره كله خير: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة: ٥١].

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» أخرجه مسلم(١).

واعلم أن المعطي سبحانه كريم فأعط مما أعطاك الله، يعطك الله خيرًا منه: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[البقرة/ ٢٤٥].

وقال ﷻ: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن/ ١٧].

وكلما أعطيت أعطاك الله أكثر حتى ترضى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى/ ٥].

فتعبد للمعطي جل جلاله بحسن العطاء في أقوالك، وأفعالك، وأخلاقك.

تعبد لله ﷻ بالدعوة إلى دينه، وعلم شرعه، وأحسن إلى خلقه؛ تعبد لله ﷻ بالعطاء في كل حين: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وإذا أردت أن تعطي فوازن بين الأمور، فأنت تأخذ العطاء من المعطي سبحانه، فتعبد لله به فالله محسن يحب الإحسان والمحسنين: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

- **واعلم أن الدين ركنان:**

الأول: عبادة الحق.

الثاني: الإحسان إلى الخلق.

فأعط كل ذي حق حقه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

وقال سلمان رضي الله عنه لأبي الدرداء: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا؛ فأعطِ كل ذي حق حقه؛ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، **فقال النبي ﷺ:**

«صدق سلمان» متفق عليه(١).

وكان ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، والمؤمن كريم، والكرم من أعظم صفات إيمانه؛ لأنه يعلم أن الدنيا دار التزود للآخرة: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

واعلم أن العطاء من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وثواب العطاء من أعظم الثواب، فأعط لله من وقتك، من مالك، من علمك، من فكرك، من قوتك، من جاهك، وتعبد لله بإعطاء حق ربك، وحق نفسك، وحق أهلك، وحق ضيفك، وحق إخوانك؛ فأعط كل ذي حق حقه، وأبشر بالعطاء الكبير من ربك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فإن كنت حاكمًا فأد حق الرعية عليك من إقامة شرع الله فيهم، والحكم بينهم بالعدل والحق: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص/ ٢٦].

وإن كنت مسئولًا فأدِ حق من تحت يدك بالنصح له، والأخذ بيده، وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

قال النبي ﷺ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه(٢).

واعلم أنك إن كنت معلمًا فللطلاب حق عندك، وإن كنت غنيًا فللفقراء والمساكين والمحتاجين حق عندك، وإن كنت طبيبًا فللمرضى حق عندك؛ وهكذا، فأعط كل ذي حق حقه ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٣٩)، ومسلم برقم (٢٩٥١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤١٩)، ومسلم برقم (١٨٢٩).

وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهَّ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهَّ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه(1).

واعلم رحمك الله أن الدين كله عطاء، فالله أعطاك التوحيد والإيمان، والعقل والسمع والبصر، فأعط لنفسك بالتعبد لله ﷻ بما أمرك الله ورسوله به:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[الحشر/ ٧].

وتعبد لله يا عبد المعطي بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله:﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[النحل/ ١٢٥].

﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾[آل عمران/ ٧٩].

فالدين كله عطاء، المعطي جل جلاله أعطانا، فنعطي لأنفسنا، ونعطي لغيرنا:﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[العصر/ ١-٣].

فالعطاء عبادة من العبادات التي يحبها الله، يجب إخلاصها لله ﷻ، ومن أحب في الله وبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۝٣﴾[الزمر/ ٢-٣].

وقال ﷻ:﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾[البينة/ ٥].

وإذا عرفنا أن الله هو المعطي جل جلاله فعلينا أن نتعبد لله بخلق العطاء، ومن أعطى أعطاه الله أكثر، ومن أنفق أنفقَ الله عليه أكثر، ورسولنا ﷺ، إمام المعطين، وأكرم الخلق أجمعين، يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة والفقر، فصلوات الله وسلامه عليه.. سأله أحد

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٠١).

رؤساء القبائل: لمن هذا الوادي من الغنم؟ فقال له:هو لك، قال: أتهزأ بي؟ فقال له:لا والله هو لك؛ فقال: أشهد أنك رسول الله تعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

واعلم رحمك الله أن المعطي سبحانه كما أعطاك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية والرشاد،فأصبحت مؤمنًا فيجب عليك أن تبني حياتك على العطاء في كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج/ ٧٧].

فأعط مما أعطاك الله، ابتغاء مرضاة الله، يعطك الله خيرًا منه في الدنيا والآخرة:﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[البقرة/ ٢٥].

وقال ﷻ:﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهم آن نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم يا فاطر السموات والأرض، يا عالم الغيب والشهادة، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم اعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، يا ذا الجلال والإكرام:﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المقدم.. والمؤخر

اسم الله المقدم.. والمؤخر

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

واسم الله المقدم والمؤخر لم يرد في القرآن، وإنما ورد في السنة النبوية الصحيحة.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» متفق عليه(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ.**

وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه(٢).

فالله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الملك والملكوت خلقًا وتدبيرًا.

له ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك السماوات والأرض، وله ما في السماوات والأرض، وله

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٧١).

خزائن السماوات والأرض، وله غيب السماوات والأرض، وله جنود السماوات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض.

فسبحان من هذا ملكه وسلطانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١].

هو الملك الذي يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، ويحكم بما يشاء، ويقدم من يشاء ويؤخر من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو سبحانه المقدم الذي يرفع أولياءه المؤمنين إلى عوالي الرتب والمنازل، المؤخر الذي يؤخر من كفر به وعصاه وغشى حماه عن تلك الرتب والمنازل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨﴾ [التين/ ٤ – ٨].

وهو الحكيم العليم بمن يصلح لهذا، ومن يصلح لهذا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١١﴾ [المجادلة/ ١١].

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣].

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، الذي يملك التقديم والتأخير، والرفع والخفض، والحياة والموت، وحده لا شريك له.

والتقديم والتأخير وصفان لله ﷻ يدلان على كمال قدرته، وكمال مشيئته، وكمال حكمته وكمال علمه وكمال عدله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فسبحان المقدم الذي يقدم الأشياء ويضعها في موضعها، المؤخر الذي يؤخر الأشياء ويضعها في موضعها، وكل ذلك بعلمه، وإرادته، وحكمته: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ

﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾[فاطر/ ١٣].

قدم سبحانه المقادير قبل أن يخلق الخلائق، وقدم من أحب من أوليائه بفضله، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض بحكمته: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣﴾[القمر/ ٤٩-٥٣].

وأخر سبحانه الشيء عن حين توقعه؛ لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، وأخر من شاء من عباده بعدله، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، وهو الحكيم العليم: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[البقرة/ ٢١٦].

وهو سبحانه المقدم والمؤخر بأمره الكوني، وأمره الشرعي.

فتقديمه الكوني كتقديم بعض المخلوقات على بعض في الوجود، وتأخير بعضها عن بعض كالليل والنهار، وأنواع المواليد من نبات وحيوان وإنسان، وأنواع الثمار، والتصريف والتدبير في الكون: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾[الأعراف/ ٥٤].

فكل مخلوق له وقت، وله مكان، وله حجم، وله مسار، لا يتعداه فيسبق غيره، ولا يزاحمه فيبطل حكمته: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾[يس/ ٣٧-٤٠].

فسبحان ربنا العظيم الملك الحق، الذي يملك أنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠﴾[الروم/ ٤٠].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ﴾ [الحج/ ٥].

أما تقديمه وتأخيره الشرعي؛ فكما فضل الأنبياء والرسل على الخلق، وفضل بعض الأنبياء على بعض، كما قال سبحانه: ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ٢٥٣ ﴾ [البقرة/ ٢٥٣].

وكما فضل سبحانه بعض العباد على بعض، وفضل بعض المؤمنين على بعض، وقدمهم في العلم والإيمان والأعمال والأخلاق، بفضله، وأخر منهم من أخر منهم بحكمته وعدله: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾ [الزمر/ ٩].

وقال ﷻ: ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ﴾ [الرعد/ ١٩].

وقال ﷻ: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ [المجادلة/ ١١].

وقال ﷻ: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣ ﴾ [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣].

فسبحان ربنا العظيم الذي يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه وفضله، ويؤخر من يشاء عن ذلك بعدله: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر/ ١٩-٢١].

هو سبحانه المقدم والمؤخر الذي قدم بعض العبادات على بعض، كتقديم الفرض على النفل، وتقديم حق الله على حق غيره، وتقديم الوضوء على التيمم.

وكما فضل بعض الأيام على بعض، وبعض الليالي على بعض، وبعض الشهور على بعض، وبعض الأوقات على بعض وبعض الأماكن على بعض.

ففضل يوم الجمعة على ما سواه من الأيام، وفضل أيام عشر ذي الحجة من كل عام، وفضل يوم النحر ويوم عرفة على سائر الأيام، وفضل بعض الليالي على بعض كما فضل ليلة القدر على ما سواها، وفضل بعض الشهور على بعض كما فضل شهر رمضان على غيره، وشهر الله المحرم وفضل الأشهر الحرم، على غيرها من الشهور، وفضل بعض الأماكن على بعض كما فضل المساجد على ما سواها، وفضل بيته الحرام على ما سواه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص/ ٦٨].

هو سبحانه المقدم والمؤخر ما شاء من البرايا في الزمان، والمكان، والرتبة، والقرب والبعد، والحب والبغض، والقوة والضعف، والعلو والسفل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فسبحان الملك الحق الذي يجري أمره في ملكه حسب إرادته ومشيئته، وحكمته وعلمه، القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو سبحانه المقدم والمؤخر، الذي علم كل متقدم ومتأخر، فقدم من يستحق التقديم، وأخر من يستحق التأخير، قدم الدنيا على الآخرة، وقدم الإنسان على غيره: ﴿۞ وَلَقَدْ

كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء/ ٧٠].

وقدم المؤمنين على الكافرين، وقدم الحياة على الموت:﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[الحجر/ ٢٣-٢٤].

والصفة المشتقة من اسم الله المقدم والمؤخر، هي صفة التقديم والتأخير، وهما صفتا فعل لله ﷻ كما قال سبحانه:﴿قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾[ق/ ٢٨-٢٩].

وقال سبحانه:﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾[إبراهيم/ ٤٢].

وقد اقترن اسم الله المؤخر بالمقدم في قوله ﷺ: «**أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» متفق عليه(١).

لأن الكمال لا يتم إلا باقترانهما فهما من الأسماء المتقابلة، التي لا يطلق واحد منهما على الله إلا مقرونًا بالآخر؛ لأن الكمال في اقترانهما لا في افتراقهما: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠].

هو سبحانه المقدم والمؤخر الذي بيده مقاليد الأمور:﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾[الزمر/ ٦٢-٦٣].

هوالمقدم والمؤخر الذي قدم من شاء من خلقه لعوالي الرتب والمقامات من الأنبياء والرسل والمؤمنين باصطفائه وتوفيقه ورحمته:﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴿٧٥﴾﴾[الحج/ ٧٥].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[غافر/ ٥١].

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨)واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾
[البقرة/ ٢٥٧].

هو سبحانه المقدم والمؤخر الذي أخر من شاء إلى أسفل الرتب والمنازل، فأخر من شاء من خلقه إلى أسفل الرتب بخذلانه وطرده من رحمته من الشياطين والكفار والمشركين والمنافقين: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء/ ١٤٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة/ ١٦١-١٦٢].

فسبحان ربنا العظيم المقدم والمؤخر الذي بيده وحده التقديم والتأخير، ومقاليد الأمور، الذي بيده التقديم والتأخير الكوني، والتقديم والتأخير الكوني بحر لا ساحل له، كتقديم بعض المخلوقات على بعض، وتقديم الدنيا على الآخرة، وتقديم الأسباب على مسبباتها: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبأ/ ٣٠].

وهو سبحانه المقدم والمؤخر الذي يملك التقديم والتأخير الشرعي، فيخلق ما يشاء ويختار ما يشاء.

والتقديم والتأخير الشرعي متعلق بمحبة الله ﷻ بفعل دون فعل، وتقديم بعض الأحكام والصفات والأفعال والأشخاص على بعض، كتفضيل الأنبياء والرسل على الخلق، وتفضيل بعض الرسل على بعض، وتفضيل المؤمنين على الكافرين، وتفضيل بعض المؤمنين على بعض، كتفضيل العالم على الجاهل، وتفضيل التقي على الفاجر، وتفضيل الصالح على الطالح، وتفضيل الطائع على العاصي، وتفضيل بعض الأماكن على بعض، وتفضيل بعض الأزمنة على بعض، وتفضيل بعض الأعمال على بعض، وبعض الصفات على بعض ونحو ذلك: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ٣٣-٣٤].

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ

﴿ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

[الأحزاب: ٣٥].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فسبحان ربنا العظيم الذي يملك التقديم والتأخير في ملكه وحده لا شريك له.

هو المقدم والمؤخر في الزمان والمكان، وفي الأوصاف الحسية، وفي الفضائل المعنوية، وهو المؤخر كذلك لمن شاء من ذلك ممن اتصف بضد ذلك، "أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت": ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣].

وهو سبحانه الحكيم الرحيم الحليم، الذي يؤخر العذاب عن العصاة لعلهم يتوبون قبل يوم الحساب: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل/ ٦١].

فسبحان المقدم والمؤخر الذي قدم الأخيار والصالحين بمعرفته وعبادته، المؤخر الذي أخر من شاء عن معرفته وعبادته: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

هو سبحانه المقدم والمؤخر، قدم الأنبياء على الناس في الفضل والرتبة والمقام، وقدم الأم على الأب في البر والصلة.

هو سبحانه المقدم والمؤخر الذي يقدم من يشاء بفضله، ويؤخر من يشاء بعدله، يخلق ما يشاء ويختار بحكمته وعلمه، وقدرته: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣].

فسبحان من يقدم من يشاء، ويؤخر من يشاء: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهو المقدم والمؤخر بحكمته وعلمه، فمن خلقه من هو مقدم خلقًا ورتبة كالعرش والكرسي والملائكة، ومنهم من هو مقدم خلقًا مؤخر رتبة كإبليس، فإنه خُلق قبل آدم، ومنهم من هو مؤخر خلقًا مقدم رتبة كالنبي ﷺ، سيد الأنبياء والمرسلين، الذي ختم الله به النبوات: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص/ ٦٨].

هو سبحانه المقدم والمؤخر الذي لا يُسأل عما يفعل؛ لأنه الحكيم العليم بمصالح عباده، فربك حكيم عليم يعجل لك الرزق، وربما يؤخره، وربما يعجل لك الولد، وربما يؤخره، وربما يعجل لك الشفاء، وربما يؤخره، وربما يعجل العقوبة للعاصي، وربما يؤخرها؛ لأنه المقدم والمؤخر الذي جميع أفعاله في منتهى الحكمة والرحمة والعدل والإحسان: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

هو سبحانه المقدم والمؤخر، يقدم من يشاء بطاعته، ويؤخر من يشاء بمعصيته، قدم المسلم على الكافر، وقدم المؤمن على المنافق، وقدم العالم على الجاهل، وقدم التقي على الفاجر، وقدم الكريم على البخيل، وقدم المجاهد في سبيله على القاعد، قدم من شاء من الأمم، وأخر من شاء من الأمم أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

هو سبحانه المقدم والمؤخر، الذي يقدم من شاء لدخول الجنة، ويؤخر من شاء، ويقدم من شاء في دخول النار، ويؤخر من شاء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا

كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ١٨-٢٢].

هو سبحانه المقدم والمؤخر، الذي يربي عباده بالتقديم والتأخير، فيكرم من أطاعه، ويهين من عصاه، ويعز من آمن به، ويذل من كفر به، لأنه الحكيم العليم الذي يضع ثوابه للمحسن تفضلًا، ويضع عقوبته للمسيء عدلًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

هو سبحانه المقدم والمؤخر، الذي يقرب أولياءه، ويبعد أعداءه، فيشغل من آمن به بطاعته، وأنواع عبادته، ويشغل من كفر به بشهواته ويضرب الحجاب بينه وبينه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة/ ١١].

﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة/ ٥٥].

واعلم أن كل إنسان سوف ينبأ يوم القيامة بما قدم وأخر، من قول أو فعل، سيُسأل عن تقديم شهواته على أوامر ربه، وعن تقديم ما تحبه النفس على ما يحبه الرب، وعكس ذلك ينبأ الإنسان يومئذ بكل قدم وأخر: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

وسيأخذ ثوابه أو عقابه حسب عمله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة/ ٦-١١].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله ﷻ اصطفى آدم ﷺ وذريته على من

سواهم، وقدمهم على من عداهم، فقد خلق الله آدم ﷺ بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وجعله وذريته خلفاء الأرض، وجعله جليسه يوم القيامة إن كان مؤمنًا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وفضل الله ﷻ هذه الأمة على ما سبقها من الأمم بعبادته والدعوة إليه إلى يوم القيامة، وجعل ما سبقهم من الأمم تذكرةً وعبرةً لهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ [آل عمران/ ١١٠].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ [يوسف: ١١١].

وقدمهم في المقام والثواب وختم بهم الأمم، فهم الآخرون في الدنيا السابقون يوم القيامة في دخول الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**» متفق عليه(١).

واعلم رحمك الله أن الله أكرم هذه الأمة بأحسن دين وأكمله فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (٣)﴾ [المائدة/ ٣].

وأكرمها بأحسن كتاب: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾ [الزمر: ٢٣].

وكلفهم ورغبهم وشرفهم بأحسن عمل، وأشرف وظيفة، وهي الدعوة إلى الله، وظيفة الأنبياء والرسل؛ فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٩٦)، ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

﴿عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وجزاهم على الدعوة إلى التوحيد، والعمل بالتوحيد، بأحسن الجزاء فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

فلله الحمد والمنة أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وهدانا إلى الإيمان والتوحيد، ووفقنا لطاعته وأمرنا بعبادته، والدعوة إليه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٧-٧٨].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو المقدم والمؤخر وحده لا شريك له، والأمور كلها بيده.

فمن كتب الله له عزة ورفعة، وتقديمًا وتكريماً فلن يستطيع أحدًا حرمانه من ذلك: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

ومن كتب الله له ذلًا وخذلانًا، وتأخيرًا وإهانة لم يستطع أحد عونه للخلاص من ذلك: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف/ ١٧].

قال ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢].

فالأمر كله لله من قبل ومن بعد، والعبد ليس إليه شيء من أمر سعادته أو شقاوته، أو

خفضه أو رفعه، أو تقدمه أو تأخره أو نصره أو خذلانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

إن اهتدى الإنسان فبهداية الهادي له، وإن ضل فبصرفه عن الهدى لما انصرف عنه: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس/ ٢٥].

فالهداية إلى الإيمان بيد الهادي: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص/ ٥٦].

ومن زاغ عن الحق صرفه الله عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف/ ٥].

فالقلوب كلها بيد الله، يصرفها كيف يشاء، لا يمتنع عليه شيء منها، من شاء أقامه بفضله، ومن شاء أزاغه بعدله، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهو يعلم بمن يصلح لهذا أو هذا؛ لأنه الملك الحق الذي أقام الحجة بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، وبيان الحق من الباطل، ومقاليد الأمور كلها بيده: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام/ ١١١].

وبعد ذلك من شاء هداه إلى الحق، ووفقه إليه بفضله، ومن شاء أضله بعد قيام الحجة عليه بعدله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس/ ٩٦-٩٧].

والعبد مع هذا مأمور من ربه ببذل جهده، وسلوك المسالك الصالحة التي يعرف بها مولاه من النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتدبر الآيات القرآنية وغير ذلك مما يكون به تقدمه، ونيل محابه ورضاه جل

جلاله، والبعد عن المسالك السيئة التي يكون بها تأخره، والوقوع في سخطه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

وقال ﷻ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد/ ٢٤].

وقد بين الله ﷻ سبل رضاه، وبين سبل سخطه، ودعا عباده إلى التقدم إلى سبل رضاه، ونهاهم عن التأخر عنها بسلوك سبل سخطه، ثم قال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر/ ٣٧].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

والأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له، وهو الكريم الذي بين الحق من الباطل، ورغب في الحق، وحذَّر من الباطل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: ٢٧].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١].

فسبحان الرب الكريم الرحيم بعباده، المقدم من أطاعه المؤخر من عصاه: «**أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» متفق عليه[1].

فاسأل ربك الكريم أن يغفر ذنوبك كلها، السر والعلانية، والخطأ والعمد، والمتقدم والمتأخر: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة/ ٣٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

اعلم أن الذنوب والمعاصي توبق العبد وتؤخره، وغفران الله له يرفعه ويقدمه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥﴾ [طه/ ٧٤-٧٥].

فعليك بعبادة ربك بكمال الحب والتعظيم له، وكمال الذل بين يديه، والطمع فيما عنده، وحسن اللجوء إليه، وصدق التوكل عليه، وعدم اليأس من روحه، وعدم الأمن من مكره: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠- ٥١].

وقدم ما قدم الله ورسوله من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

وأخر ما أخر الله ورسوله، وأحب ما أحب الله ورسوله وافعله، وأبغض ما أبغض الله ورسوله واحذره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأنفال/ ٢٤-٢٥].

واعلم أن الله يراك حين تتقدم إليه بأنواع الطاعات والقربات، ويراك حين تتأخر عنه بالمعاصي والسيئات؛ فقدم لنفسك ما يسرك أن تراه يوم العرض عليه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ۝٢٤﴾ [الحجر/ ٢٤].

واسأل من بيده مفاتيح الخيرات كلها أن يهديك إلى ما يحبه ويرضاه، واطلب ممن فتح

أبوابه للراغبين والتائبين أن يُغنيك بفضله عمن سواه، وأن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يتوب عليك مما قدمت ومما أخرت؛ فإنه حي قيوم يجيب من دعاه، ولا يخيب من رجاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه وختم لنا ولك بخير أن من عرف ربه باسمه المقدم والمؤخر؛ تعلق قلبه بالله وحده، وتوكل عليه وحده؛ لأنه سبحانه لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾ [هود/ ٥٦].

- **واعلم أن التقدم نوعان:**

تقدم حقيقي.. وتقدم صوري.

فالتقدم الحقيقي الديني النافع: هو تقدم العبد إلى الإيمان بالله وطاعته وعبادته وحده لا شريك له، والفوز بمرضاته وجنته، وذلك بالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده، والعلم بدينه وشرعه، وثوابه وعقابه، والتعبد لله بموجب ذلك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

والتأخر عن ذلك هو التأخر الحقيقي المذموم بالكفر والشرك، وأنواع المعاصي: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فهؤلاء تأخروا عن طاعة الله وعبادته والإيمان به؛ فأخرهم الله من النعيم إلى العذاب: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة/ ١٧٥].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد/ ٥].

أما التقدم في الدنيا، والتأخر عنها، فهو مقياس صوري لا قيمة له إذا لم يقترن بالإيمان: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ/ ٣٧].

وقال ﷻ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة/ ٥٥].

فالتقدم الحقيقي هو التقدم إلى الإيمان بالله، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر/ ٦٤-٦٦].

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

وحظ العبد من هذين الاسمين الكريمين: المقدم والمؤخر أن يتوسل إلى ربه بهما؛ لنيل التقدم الحقيقي في الإيمان، والأعمال الصالحة، وترك كل ما يؤخر عن كل ما يحبه الله ويرضاه، ودخول الجنة، والنجاة من النار: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ١-٧].

فمن لم يتقدم إلى الله والجنة بالإيمان، والأعمال الصالحة؛ فهو متأخر إلى الكفر والأعمال السيئة والنار: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

وقال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة/ ٦٨].

ومن عرف ربه باسمه المقدم والمؤخر، ورأى ذلك؛ آمن بحكمته البالغة، ورحمته الواسعة وقدرته المطلقة، وحسن تدبيره، وعلمه المحيط: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

ومن عرف ربه باسمه المقدم والمؤخر قدم ما قدمه الله من الأعمال، والأشخاص، والصفات، وأخر ما أخره الله من الأعمال، والأشخاص، والصفات، وهذا هو الميزان الحقيقي الذي يزن به المؤمن الأمور: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك/ ٢٢].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة/ ١٠٩].

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ/ ٣٧].

أما ميزان أهل الدنيا الذين يقدمون أهل الجاه، والرئاسة، والأموال وغيرها من أعراض الدنيا على غيرها من صفات الإيمان، والتقوى، والصلاح؛ فهذا ميزان مختل كاذب يخالف ميزان الله الحقيقي في التقديم والتأخير: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية/ ٢١].

واعلم رحمك الله أن من عرف الله باسمه المقدم والمؤخر توكل على الله وحده، ولم يتأثر أو يغتر بقوة الباطل، وانتفاشه، وجبروته؛ فإن المقدم والمؤخر للباطل وأهله بالمرصاد: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ

صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ۝١٢﴾[الحاقة/ ٤-١٢].

وقال ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾[الفجر/ ٦-١٤].

ومن ثمرات معرفة اسم الله المقدم المؤخر أن العبد لا يغتر بهذه الدنيا، ويحذر من الركون إليها؛ لأن الدنيا مآلها إلى الفناء، ولا يبقى للعبد إلا ما قدمه لنفسه يوم القيامة من الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥﴾[فاطر/ ٥].

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٦٤﴾[العنكبوت/ ٦٤].

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ۝٤٦﴾ [الكهف/ ٤٦].

وقال النبي ﷺ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟**» أخرجه مسلم(١).

فتقدم رحمك الله إلى ربك بكل طاعة من الأقوال والأفعال والأموال، وتزين بمكارم الأخلاق، وتأخر عن كل معصية: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢١﴾[الحديد/ ٢١].

وقال ﷺ وقد رأى تأخراً في أصحابه فقال لهم: «**تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٨).

بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ» أخرجه مسلم[1].

ومن عرف الله باسمه المقدم والمؤخر لم يركن إلى عمله، ولم يكن له الأمان بكثرة الطاعات، ولا اليأس بكثرة المعاصي، فرب مسلم كان في الظاهر من المطرودين، ثم ظهر أنه من المقربين، وكذا عكسه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ**» أخرجه البخاري[2].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن قدرك عند ربك، ودرجتك يوم القيامة، بقدر إيمانك وأعمالك الصالحة: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وكل واحد سوف يحاسب على ما قدم وأخر: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

واعلم أن من قدم ما قدم الله ورسوله من الإيمان والأقوال والأفعال والأخلاق قدمه الله ومن أخر ذلك أخره الله،: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٣٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٣٢).

﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ١٢﴾ [محمد: ١٢].

واعلم أن الله ﷻ هو المقدم والمؤخر، يقدم من شاء بالقوة، أو الذكاء، أو العقل، أو الحكمة، أو العلم، أو المال، أو النسب، أو الجاه، فإذا لم يشكر العبد هذا التقديم باستعماله فيما يحبه الله ويرضاه؛ أخره الله بفضيحة، أو زلة، أو كف يد.

وذلك العطاء كله إما ابتلاء كما قال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

وقال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

أو يكون ذلك استدراجًا كما قال سبحانه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة/ ٥٥].

وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٥﴾ [الأنعام/ ٤٤-٤٥].

أو يكون ذلك رفعة للدرجات: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١].

فقدم رحمك الله ما يحبه الله ويرضاه، وقدم أهل العلم والإيمان والتقوى، وقدم الغني الكريم، وقدم أهل المعروف والإحسان: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ٦٤﴾ [الفرقان/ ٦٣-٦٤].

وقال ﷻ في صفات من هداهم واشتراهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة/ ١١٢].

فسبحان المقدم والمؤخر الذي قدم من شاء من عباده بالصفات التي يحبها وأثابهم على ذلك أجرًا عظيمًا، وأخر من شاء من عباده لما سوى ذلك: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب/ ٣٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٦ – ٨].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[البقرة/ ١٢٧-١٢٨].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾[الأحقاف/ ١٥].

«**رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي.**

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه(١).

«**اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ**

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»أخرجه مسلم[1].

«**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**» متفق عليه[2].

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» أخرجه البخاري[3].

اللهم قدمنا لما تحبه وترضاه، وأخرنا عما يسخطك ولا ترضاه، أنت المقدم، وأنت المؤخر لا إله إلا أنت.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٢٦)واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

المحسن

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله المحسن

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه: ٨].

واسم الله المحسن هو الاسم الثاني عشر من أسماء الله الحسنى، الواردة في السنة النبوية الصحيحة.

الله سبحانه هو المحسن الذي له كمال الحسن في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكل حسن وجمال في المخلوقات فمن آثار حسنه وجماله:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾

[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وهو سبحانه المحسن الذي ليس في أفعاله عبث، ولا في شيء من أوامره سفه؛ بل أفعاله كلها حسنى، لا تخرج عن الحكمة والمصلحة، ولا تخرج عن العدل والإحسان والرحمة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه/ ٨].

إن أعطى سبحانه فبفضله ورحمته، وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر/ ٦٥].

هو المحسن الذي أحسن إلى خلقه بعموم كرمه، وعظيم إحسانه، وسعة رحمته، وجزيل نعمه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

هو المحسن الذي أنعم بجميع أنواع النعم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل/ ٥٣]. فسبحان المحسن الذي عم خلقه بنعمه

وإحسانه وفضله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

هو سبحانه المحسن الذي لا يخلو موجود من إحسانه طرفة عين.

هو المحسن الذي أحسن إلى كل مخلوق بنعمة الخلق والإيجاد، ونعمة القوت والإمداد ونعمة الهدى والرشاد: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦-٧].

هو سبحانه المتفضل بأنواع النعم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

وهو المحسن المتقن لكل ما صنع: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨].

واسم الله المحسن لم يرد في القرآن الكريم إلا وصفًا كما قال سبحانه عن يوسف ﷺ أنه قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

وقد ورد اسم المحسن في السنة النبوية الصحيحة في قوله ﷺ: «إِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ» أخرجه الطبراني في الأوسط [1].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»، أخرجه مسلم [2].

---

(١) حسن/ أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٥٧٣٥).

(٢) صحيح/ أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

• **واسم الله المحسن له معنيان:**

الأول: المحسن بمعنى المنعم المتفضل بأنواع الإحسان كما قال سبحانه: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص/ ٧٧].

وقوله ﷻ: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ ١٠٠﴾ [يوسف/ ١٠٠].

الثاني: المحسن الذي أتقن وأحكم صنعه في كل ما خلق، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤﴾ [غافر: ٦٤].

فالإحسان له وجهان:

الإنعام على الغير..والإتقان والإحكام.

فسبحان ربنا الجميل المحسن الذي خلقه كله حسن من كل وجه، المحسن الذي أنعم على خلقه بكل نعمة، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

هو المحسن الذي تعرف إلى عباده بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، وتحبب إليهم بأنواع نعمه وآلائه، المحسن الذي ابتدأ الخلائق بإحسانه وعطائه، المحسن الذي يجازي على إحسانه بالإحسان: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن/ ٦٠].

وقال ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس/ ٢٦].

وقال ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

هو سبحانه الخالق الذي أبدع كل مخلوق، الباري الذي أوجد كل مخلوق، المصور الذي

جعل لكل مخلوق صورةً تميزه عن غيره: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام/ ١٠١].

هو سبحانه المحسن الذي أحكم الخلق والتقدير، وأحسن الهيئة والتصوير، الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٨].

ومن دعاء النبي ﷺ: «اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ، فَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» أخرجه مسلم (١).

هو سبحانه المحسن الذي لا أحسن ولا أجمل منه، والإحسان وصف لازم له، فلا يخلو موجود في الكون من إحسانه، المحسن الذي ما طاب العيش إلا بإحسانه وإنعامه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه المحسن لكل مخلوق خلقًا وإمدادًا وهداية: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الأعلى/ ١-٥].

هو سبحانه المحسن الذي أحسن كل شيء خلقه وجعله في أحسن صورة، وجعل الإنسان أحسن المخلوقات، فأتقن صنعه، وأحسن صورته: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين/ ٤-٦].

هو سبحانه المحسن الذي كل أفعاله حسنى، وكل خلقه حسن وأحسن، وجميل وأجمل: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٧].

هو سبحانه المحسن الذي أسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها علا، وأفعاله كلها

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

جميلة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

هو سبحانه المحسن الذي أحسن دينه وشرعه وكتابه، وثوابه وعقابه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال ﷻ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦﴾ [يونس/ ٢٦].

هو سبحانه المحسن الذي أنعم على أوليائه بأنواع الإحسان في الدنيا والآخرة.

ففي الدنياأحسن إليهم بتوفيقهم للإيمان والتقوى، والثبات على الصراط المستقيم، ومعيته لهم في كل حين: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات/ ١٧].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل/ ١٢٨].

ومن إحسانه إليهم رزقه لهم الكسب الحلال، والذرية الصالحة، والحياة الطيبة، والأمن والهداية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

ومن إحسانه إليهم تفريج كرباتهم وهمومهم كما قال سبحانه عن يوسف ﵇: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف/ ١٠٠].

ومن إحسانه إلى أوليائه حسن الثناء عليهم حال قيامهم بعبادته، والدعوة إليه كما قال سبحانه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ

ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة/ ١١٢].

وقال ﷻ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان: ٦٣ – ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت: ٣٣].

وأما في الآخرة فيتجلى إحسان المحسن جل جلاله إلى أوليائه بأعظم أنواع الإحسان:

وذلك برؤية الله.. وسماع كلامه .. والقرب منه.. وحلول رضوانه عَلَيْهِمْ.. ودخول الجنة .. والخلود فيها: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يونس/ ٢٦].

وقال ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة/ ٢٢-٢٣].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وقال ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة/ ٧٢].

هو سبحانه المحسن الذي جميع أسمائه وصفاته، وأفعاله وأوامره، ومخلوقاته وآياته كلها حسنى؛ فله سبحانه كمال الحسن وأعلاه وأتمه.

هو المحسن الذي لا يُحد كماله وحسنه وجماله، ولا يبلغ العباد كنه جلاله وجماله، ولا يحصي أحد من الخليقة حسن الثناء عليه، لعظيم حسنه وجماله وجلاله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه/ ٨].

ومن جلال اسم الله المحسن أن نعمه وإحسانه وخيره نازل على جميع عباده، مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، هم يعصونه وهو يدعوهم إلى بابه، ويجرمون ويفسدون

ويكفرون فلا يحرمهم من خيره وإحسانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

هو سبحانه المحسن الذي يحسن إلى من كفر به من أعدائه، ويسبغ عليهم نعمه التي لا تعد ولا تحصى، يمهلهم ليتوبوا إليه، فإن لم يتوبوا وماتوا حاسبهم بعدله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].

وقال ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

هو سبحانه المحسن الذي أحسن صورة الأبدان فجعلها في أحسن صورة، وكساها الحسن والجمال: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾ [التين: ٤-٦].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار: ٦-٨].

هو المحسن الذي أحسن الخلق والأخلاق، ورغب خلقه فيها، وأثابهم عليها فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

هو المحسن الذي يحب الإحسان والمحسنين، ويدعوا إلى ذلك: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

فاللهم كما حسَّنت خلقي فحسِّن خلقي بالتوحيد والإيمان، والصدق والإخلاص، وعبادة الله، وحسن معاشرة الخلق: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران/ ١٥٩].

والصفة المشتقة من اسم الله المحسن هي صفة الإحسان، والإحسان صفة ذاتية لله ﷻ إن كان مشتقًا من الفعل اللازم، فهو سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه، وإن كان مشتقًا من الفعل المتعدي فهو صفة فعلية؛ فالله ﷻ هو المحسن إلى عباده بأنواع الإحسان.

هو سبحانه المحسن الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، خلق له السمع والبصر في أحسن تقويم: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل/ ٧٨].

وخلق له اليدين والرجلين في أحسن تقويم، وخلق له العقل الذي يعرف به الأمور والأشياء، وخلق له القلب الذي يضخ كل يوم ثمانية أمتار مكعبة من الدم، وهو محل نظر الله، ومحل الإيمان والكفر، والحب والبغض.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم(1).

وخلق للإنسان الكلية التي تغسل الدم ستاً وثلاثين مرة كل يوم، وخلق له اللسان الذي يتكلم به، وخلق له المعدة التي تهضم الطعام، وخلق له الكبد التي تنقي الدم من السموم، وغير ذلك مما أودعه الله فيه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾[التين/ ٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[الانفطار/ ٦-٨].

فما أعظم قدرة الله في خلق الإنسان، وما أحسن تصويره له: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾ [المؤمنون/ ١٢- ١٦].

هو سبحانه المحسن إلى عباده بأنواع الإحسان: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤﴾ [غافر/ ٦٤].

فسبحان ربنا العظيم في ذاته، العظيم في أسمائه وصفاته، العظيم في إنعامه وإحسانه، العظيم في ثوابه وعقابه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو جل جلاله المحسن ذو الجلال والإكرام الذي خلق كل شيء ودبره بأمره: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هو سبحانه المحسن الذي وضع اسمه العظيم على السماوات فاستقلت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الجبال فرست، وعلى المياه فسالت، وعلى الأنهار فجرت، وعلى اللسان فتكلم، وعلى الأذن فسمعت، وعلى العين فأبصرت، وعلى الرجل فمشت وعلى العقول ففكرت: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

هو سبحانه المحسن الذي غمر جميع خلقه بأنواع إحسانه وفضله، المؤمن والكافر، والجماد والنبات، والحيوان والإنسان، والملائكة والجان: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

فأي إحسان إلا إحسانه، وأي رزق إلا رزقه!، وأي خلق إلا خلقه! وأي مُلك إلا ملكه!: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن

قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤].

خلق الإنسان في أحسن تقويم، وصوره فأحسن تصويره؛ وكرمه بأنواع التكريم، فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته، وجعله في الدنيا خليفة، وفي الآخرة إن كان مؤمنًا جليسه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فهذا خلق المحسن جل جلاله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠ – ١١].

ومن هذا خلقه، وهذا إحسانه، هو وحده الذي يستحق العبادة دون سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

هو سبحانه المحسن الذي جميع ما في الكون، وجميع ما في العالم العلوي والعالم السفلي مظهر لحسنه وجماله، ومظهر لإحسانه وإنعامه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة/ ١٦٤].

وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ

يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾[الأنعام/ ٩٩].
وقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾[الأعراف/ ٥٤].

هو سبحانه المحسن الذي خلق ما في الأرض من الفواكه والخضروات، وأنواع الأشجار والأزهار والثمار بأحسن صورة، وأجمل شكل وأحسن طعم، وأحسن وقت، وأفضل حجم.

فجعل لكل صنف من الفواكه والخضار وقتًا معينًا يأتي هذا، بعد هذا، أو مع هذا؛ ليأكل الإنسان منها في كل وقت: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾[السجدة/ ٦-٧].

هو سبحانه المحسن الذي خلق الحيوانات والطيور في أحسن صورة، في شكلها وحجمها، ومشيها وطيرانها، وجعل الحيوانات مخازن للحليب والسمن واللحم، وسخرها للمشي والركوب ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾[النحل/ ٥-٨].

وكما لا يكون الخلق إلا من خالق، ولا يكون الرزق إلا من رازق، فكذلك لا يكون الإحسان إلا من محسن: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣].

هو سبحانه المحسن الذي أحسن كل شيء خلقه، خلق السماوات، وأحسن خلقها، وزينها بالشمس والقمر والكواكب، وخلق الأرض وأحسن خلقها، وزينها بالعيون والأنهار، والسهول والجبال، والأشجار والنبات، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، وأحسن خلق كل شيء.

وأحسن إلى كل مخلوق بنعمة الخلق، ونعمة القوت، ونعمة الهدى.

وأحسن الأحكام والشرائع، وأحسن الثواب والجزاء، وأحسن التدبير والتصريف، وأحسن الأرزاق، وأحسن بها إلى خلقه، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته، وهذه عظمته وقدرته، وهذا ملكه وسلطانه، هو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾ [المؤمنون/ ٨٤-٩٢].

هو سبحانه الذي أحسن إليك بأنواع الإحسان، ثم أمرك بالإحسان إلى نفسك، وإلى غيرك: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ [القصص/ ٧٧].

هو الحق الذي يجب أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

هو سبحانه المحسن الذي أحسن إليك بأنواع الإحسان، فكما أحسن الله إليك بأنواع الإحسان والإنعام فقابل ذلك الإحسان بالإحسان في عبادة المحسن، والإحسان إلى

عبيده: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء/ ٣٦].

وقال ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٨-١٠].

فما أعظم جزاء المؤمن إذا أحسن في عبادة ربه، وأحسن إلى خلقه: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

والإحسان من العبد جزاؤه كمال الإحسان من الرب: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

هو سبحانه المحسن الغفور الرحيم، المحسن الذي إذا كثرت الذنوب، وتعددت المعاصي، وخاف عبده الخسران، ويئست القلوب، نادى المسرفين، ودعا المذنبين المفرطين، إلى أبواب رحمته، بقوله: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٣ – ٥٥].

هو سبحانه المحسن الذي فتح أبوابه للعطاء والإحسان في كل آن: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فالباب مفتوح فأين من يلج؟ والمجال مفتوح فأين من يقبل؟ والحبل ممدود فأين من

يتمسك به؟ والخير مبذول فأين من يشمر له؟: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩ - ٩٠].

فسبحان ربنا المحسن الذي يفتح لعباده أبواب البر والإحسان، ليسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصف/ ١٠-١٣].

وقال ﷻ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

فسبحان ربنا العظيم المحسن الذي يحب الإحسان والمحسنين، والذي أمر بالإحسان، ونهى عن الإساءة: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة/ ١٩٥].

وقال ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل/ ٩٠].

فسبحان ربنا المحسن الذي أحب شيء إليه إحسانه إلى عباده بما ساق إليهم من أرزاق، وما هداهم إليه من هذا الدين العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا

مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» متفق عليه(١).

ومن إحسانه جل جلاله أنه أمرنا بذكره ليذكرنا، وأمرنا بشكره ليزيدنا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

وقال ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥٢].

فسبحان المحسن إلى عباده بكل خير في الدنيا والآخرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٤].

هو سبحانه المحسن الكريم الذي لا حد لإحسانه وإنعامه، الحسنة عنده بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، إلى عطاء بغير حساب: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة/ ٢٦١].

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر/ ١٠].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

والسيئة عنده بواحدة فإن تاب العبد منها واستغفر غفرها الله له: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

التعبد لله ﷻ باسمه المحسن

اعلم أن أول واجب على العبد هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتعبد لله بذلك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وقال ﷻ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة/ ٢١].

ومن عرف ربه باسمه المحسن عظمه وكبره لما يراه من جميل صنعه وإتقانه، وأحبه وحمده وشكره، لما يراه من عظيم فضله وإنعامه وإحسانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

والإحسان هو أعلى درجات الإيمان، فينبغي للمسلم التعبد لله بصفة الإحسان مع ربه، ومع خلقه، فالدين ركنان:

الأول: عبادة الحق سبحانه.

الثاني: الإحسان إلى خلقه، كما قال سبحانه: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء/ ٣٦].

فإحسان العبد مع ربه يكون بتوحيده والإيمان به، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق أخباره، وفعل ما يحبه ويرضاه: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج/ ٣٤-٣٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

وقال النبي ﷺ: «الْإِحْسَانِ، أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» متفق عليه[1].

فتعبد رحمك الله بمقام الإحسان محبةً لله،وتعظيمًا له، وذلًا له، ورجاءً لثوابه، وخوفًا من عقابه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢﴾ [البقرة/ ١١٢].

أما الإحسان إلى الخلق فيكون ببذل الندى، وكف الأذى، وإيصال الخير إليهم بكل أنواعه؛ باللسان، والمال، والأقوال، والأفعال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة/ ١٩٥].

وأولى الناس بالإحسان الوالدين كما قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤].

والإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى خلق الله، كل منهما عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه، وينال عليها الثواب العظيم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾ [النساء/ ١٢٥].

وقال ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس/ ٢٦].

فكن محسنًا في كل أمورك مع ربك، ومع خلقه، فإن الله محسن يحب المحسنين، ومعية الله

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨)، واللفظ له.

مع المؤمنين المحسنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل/ ١٢٨].

وإذا علمت أن الله هو المحسن الذي أحسن كل شيء خلقه، وأحسن إلى خلقه بأنواع الإحسان؛ فكن محسنًا إلى نفسك بحملها على طاعة الله، وتزكيتها بالتوحيد والإيمان والتقوى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

وقال ﷻ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

وكن محسنًا إلى غيرك بالدعاء له، ودعوته إلى الله، وتعليمه شرع الله، والإحسان إليه بالقول والفعل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

ومن عرف الله باسمه المحسن أفرده بالعبادة وحده لا شريك له؛ لكونه الخالق وحده، المحسن وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومن عرف ربه باسمه المحسن كبره ومجده وأحبه غاية الحب، لما يراه من عظمته، وقدرته، وعظيم نعمه وإحسانه، وتصاغر لكبريائه؛ لأنه الخالق القادر الذي خلقنا، وساق إلينا أرزاقنا، وهدانا إلى سبل رضاه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

وقال ﷻ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

ومن عرف ربه باسمه المحسن حمده وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

فسبحان ربنا العظيم الذي غمر عباده بأنواع الإحسان؛ ليسعدهم في الدنيا والآخرة، وفتح لهم أبواب الإحسان، ليحسنوا إلى أنفسهم بعبادة ربهم، والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» أخرجه مسلم(1).

ومن عرف الله باسمه المحسن سلم القلب والقالب لربه ﷻ، وقبل شرعه وحده، وتحاكم إليه وحده، ولم يرضَ بدين غير دينه؛ لأن دينه أحسن الأديان، وشرعه أحسن شرع: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة/ ٣].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٢٠).

ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥].

فأحسن رحمك الله إلى ما سواك لله، ومن أحسن إلى غيره فقد أحسن إلى نفسه وغيره: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴿٧﴾﴾ [الإسراء/ ٧].

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦].

وتعبد لربك المحسن بصفة الإحسان وإتقان العمل: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء/ ٨٦].

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

والصلاة أحسن وأعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

وأحسن إلى الأيتام والفقراء والمساكين، كما قال سبحانه: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾ [النساء/ ٣٦-٣٧].

وأحسن رحمك الله إلى ضيوفك، فتلك سنة الأنبياء من قبلك: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات/ ٢٤-٢٨].

فأحسن كما أحسن الله إليك، أحسن إلى نفسك بتزكيتها بالتوحيد والإيمان وحملها على طاعة الله ورسوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى/ ١٤-١٧].

وأحسن إلى الناس بأقوالك، وأفعالك، وأخلاقك، وأموالك، وجاهك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

يا عبد المحسن إن أحسن الله إليك بالمال فأنفقه في سبيل الله، وأحسن به إلى الفقراء والمحتاجين، يخلف الله عليك ما هو أحسن منه: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧].

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٧٤].

وإذا أحسن الله إليك بالعلم فعلم المسلمين أمور دينهم، وفقههم في الدين، وبين لهم السنن والأحكام: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة/ ١٢٢].

وقال ﷻ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وقال ﷻ: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم/ ١].

وإن كنت حاكمًا فأحسن إلى الناس بالحكم بالعدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإقامة الحدود، وحفظ الحقوق، وحمل الناس على ما يحبه الله ورسوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة/ ٤٨].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠].

وإن كنت تاجرًا فأحسن إلى الناس بالسماحة في البيع والشراء، والصدق، وعدم الغش، وأداء الحقوق، وأحب لهم ما تحب لنفسك: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

وقال النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» متفق عليه[1].

وقال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم[2].

وقال النبي ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى» أخرجه البخاري[3].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» أخرجه مسلم[4].

وهكذا في كل حال كن من المحسنين؛ يعطيك ربك المحسن ثوابًا أحسن منه: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٦-٩٧].

فكن يا عبد المحسن محسنًا في دعائك، محسنًا في أقوالك، محسنًا في أعمالك، محسنًا في أفراحك، محسنًا في أتراحك، محسناً في عطائك، محسنًا في منعك، محسنًا في جوارك، محسنًا في عبادتك، محسنًا في معاملتك، محسنًا في خصومتك، محسنًا في تصرفاتك، محسنًا في مواعيدك، ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة/ ١٩٥].

ومن أحسن الله إليه فهداه إلى الإسلام فليستقم عليه ما دام حياً: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٨١)، ومسلم برقم (٢٥٨٥)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٠١).

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

فتعبد لله بصفة الإحسان في جميع أمورك: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)﴾ [يونس/ ٢٦].

كن حسنًا في لباسك، حسنًا في هيئتك، محسناً في كلامك، حسنًا في أكلك، حسنًا في جلوسك، حسنًا في مشيتك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ [النحل/ ٩٠].

واعلم يا عبد المحسن أن سعادة المؤمن أن يحسن ويعطي، وقمة سعادة الكافر أن يأخذ ويبخل؛ لذلك الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أعطوا وأحسنوا ولم يأخذوا، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)﴾ [يونس/ ٢٦].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

والمؤمن يبني حياته على التوحيد والإيمان، والعطاء والإحسان، والكافر يبني حياته على الشهوات والكذب والبخل: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)﴾ [الليل/ ٤-١٠].

واعلم أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ فراقب الله في كل حال، وافعل الأحسن من قول أو فعل، وكن محسنًا في جميع أحوالك.

ومن علم أن الله يراه ويسمعه ويعلم بكل أحواله؛ أحسن أقواله وأعماله ولم يعصِ ربه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)﴾ [الملك/ ١٢].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ [فاطر/ ٢٨].

وكن محسنًا في ظاهرك وباطنك لربك الكريم الذي أحسن إليك بكل نعمة: ﴿وَمَن

يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان/ ٢٢].

واعلم يا عبد المحسن أن الإحسان يقطع كل إساءة، وينهي كل عداوة، ويقلب العدو صديقًا؛ فصل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك بكلمة طيبة، أو هدية حسنة، أو عون أو مساعدة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٣-٣٦].

وقال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واعلم أن أحسن الناس إحسانًا من حبب الناس إلى ربهم المحسن، بذكر أسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه، ودعوتهم إلى توحيده والإيمان به، ليحبوه ويحمدوه ويعبدوه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

واسم الله المحسن هو آخر أسماء الله الحسنى التي أحصيناها وشرحناها بفضل الله في موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة.

وقد بلغت بفضل الله إحصاءً من القرآن الكريم ثمانية وثمانين اسمًا من أسماء الله الحسنى المطلقة..والمقيدة ..والمضافة.

فالمطلقة: كالرحمن، والعزيز، والكريم، والملك، والقدوس، والسلام، والمؤمن وغيرها مما ذكر الله ﷻ في كتابه، أو ذكره رسوله ﷺ في سنته.

وأما الأسماء المقيدة والمضافة فمثل: عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، فالق الحب والنوى، فالق الإصباح، علام الغيوب، مالك يوم الدين، غافر الذنب، وغيرها مما ورد في القرآن والسنة.

وأحصينا بفضل الله وحده من السنة النبوية الصحيحة اثني عشر اسمًا من أسماء الله

الحسنى؛ وهي: اسم الله الوتر، والسبوح، والطيب، والجميل، والنور، والرفيق، والشافي، والحيي، والستير، والمقدم والمؤخر، والمحسن.

فكان مجموع ما تم إحصاؤه من أسماء الله الحسنى من القرآن الكريم اثنان وتسعون اسمًا، ومن السنة النبوية الصحيحة اثنا عشر اسمًا؛ فكان المجموع العام مائة وأربعة أسماء من أسماء الله الحسنى، فلله الحمد والمنة، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد.

وقد تم بفضل الله إحصاؤها، وشرحها، وبيان كيفية التعبد لله بها، في ضوء القرآن والسنة، فلله الحمد على نعمة العد والإحصاء، وعلى نعمة الشرح والبيان، وعلى نعمة الإتمام والإكمال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» متفق عليه(١).

نسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يرزقنا وإياكم حفظها، وحسن التعبد لله بها، وأن يهدينا سبيل الرشاد، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

اللهم أنت المحسن بكل نعمة، وأنت المحسن لكل صنعة، وأنت الغفور لكل ذنب، أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة، إنك على كل شيء قدير.

اللهم أرزقنا حسن الخلق، وحسن القول، وحسن العمل، وحسن الأدب، وحسن العبادة، يا واسع البر والعطاء والإحسان.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦)، ومسلم برقم (٢٦٧٧)، واللفظ له.

أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

الباب الثامن عشر

دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى

ويشتمل هذا الباب على ما يلي :

١- دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى من القرآن الكريم.

٢- دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى من السنة النبوية.

٣- دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى بما يوافق الكتاب والسنة.

١ – دعـاء الله بأسمائه الحسنى من القرآن الكريم

- ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة/ ١-٧].
- ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٩].
- ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧].
- ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].
- ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الممتحنة/ ٤-٥].
- ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].
- ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١٠٩].
- ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة/ ٨٣].
- ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦].
- ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم/ ٨].
- ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر/ ١٠].
- ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤٧].
- ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يونس/ ٨٥-٨٦].
- ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٢٧ – ١٢٨].
- ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠].

• ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

[الفرقان/ ٧٤].

• ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان/ ١٢].

• ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

[الفرقان/ ٦٥-٦٦].

• ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة/ ٢٠١].

• ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران/ ٨-٩].

• ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٣-١٩٤].

• ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل/ ١٩].

• ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٠-٤١].

• ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف/ ١٥].

• ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه/ ٢٥-٢٨].

• ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص/ ١٦].

• ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾

[هود/ ٤٧].

• ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

- ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ [نوح/ ٢٨].
- ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران/ ٣٨].
- ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ [الأنبياء/ ٨٩].
- ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات/ ١٠٠].
- ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون/ ١١٨].
- ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾ [المؤمنون/ ٩٧- ٩٨].
- ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه/ ١١٤].
- ﴿رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ [الإسراء/ ٨٠].
- ﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩﴾ [المؤمنون/ ٢٩].
- ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾ [القصص/ ١٧].
- ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠﴾ [العنكبوت/ ٣٠].

٢- دعـاء الله بأسمائه الحسنى من السنة النبوية

• «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، وَقَولُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِليكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ،وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ،وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه[1].

• « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » متفق عليه[2].

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ» متفق عليه[3].

• «لا إِلَهَ إِلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» متفق عليه[4].

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهرَمِ، وَالمَغْرَمِ، وَالمَأْثَمِ .

• اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ.

• اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَينَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ» متفق عليه[5].

• «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٣)، ومسلم برقم (٢٧٠٦) واللفظ له.

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٨٩) في كتاب الذكر.

عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه[١].

- «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ.
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ» متفق عليه[٢].
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّيْ وَهَزْلِيْ، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلكَ عِنْدِي.
- اللَّهمَّ اغْفرْ لِي ما قدَّمْتُ وَما أَخرْتُ، وَما أَسْرَرْتُ وَما أَعْلَنْتُ، وَما أَنْتَ أَعْلمُ بهِ مِنِّي، أَنْت المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»متفق عليه[٣].
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» أخرجه البخاري[٤].
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ القَبْرِ» أخرجه البخاري[٥].
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» أخرجه مسلم[٦].
- «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» أخرجه مسلم[٧].
- «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم[٨].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

(٤) **أخرجه البخاري** برقم (٦٣٦٩).

(٥) **أخرجه البخاري** برقم (٦٣٧٤).

(٦) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٣٩).

(٧) **أخرجه مسلم** برقم (٢٦٥٤).

(٨) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢٠).

- «اللَّهُمَّ إنيِّ أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى» أخرجه مسلم[1].
- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَالهَرَمِ وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَولاهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا». أخرجه مسلم[2].
- «اللَّهُمَّ إنيِّ أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ» أخرجه مسلم[3].
- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَاعَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» أخرجه مسلم[4].
- «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عَقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ». أخرجه مسلم[5].
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في مَدِينَتِنَا ، وَفِي ثِمَارِنَا ، وَفِي مُدِّنَا ، وَفِي صَاعِنَا ، بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ». أخرجه مسلم[6].
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي» أخرجه مسلم[7].
- «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» أخرجه أبو داود والترمذي[8].
- «اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ في حُكْمُكَ، عَدْلٌ في قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الغَيبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٦).
(٥) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).
(٦) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣).
(٧) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٧).
(٨) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

وَجَلاءَ حُزنِي، وذَهَابَ هَمِّي» أخرجه أحمد[1].

- «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» أخرجه أحمد والترمذي[2].
- «اللَّهُمَّ إنِي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي» أخرجه الترمذي والنسائي[3].
- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ وَالجُنُونِ وَالجُذَامِ وَمِنْ سَيِّئِ الأَسْقَامِ» أخرجه أبو داود والنسائي[4].
- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ» أخرجه الترمذي[5].
- «رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرني وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلا تَمْكُر عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّاراً، لَكَ ذَكَّاراً، لَكَ رَهَّاباً، لَكَ مِطْوَاعاً، لَكَ مُخْبِتاً، إليكَ أَوَّاهاً مُنِيباً.

رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي». أخرجه أبو داود والترمذي[6].

- «اللَّهُمَّ إنِي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَ آجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَ آجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إنِي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ.

اللَّهُمَّ إنِي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ ومَا قَرَّبَ إلَيْهَا مِنْ قَولٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إلَيْهَا مِنْ قَولٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْراً». أخرجه أحمد وابن ماجه[7].

- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الغَرَقِ وَالحَرَقِ والهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِيَ الشَّيْطَانُ عِنْدَ المَوتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ في سَبِيلِكَ

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٢١٠٧)، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠).

(٣) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٥٥).

(٤) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٩٣).

(٥) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٩١).

(٦) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (١٥١٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥١)، وهذا لفظه.

(٧) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٥٣٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٤٦).

مُدْبِراً، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغاً». أخرجه أبو داود والنسائي(١).

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ من الفَقْرِ، وَالقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ» أخرجه أبو داود والنسائي(٢).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا الله بِأَنَّكَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ». أخرجه أبو داود والنسائي(٣).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المنَّانُ بَدِيعُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ، يَاذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلُكَ». أخرجه أبو داود والنسائي(٤).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ الله لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ». أخرجه الترمذي وابن ماجه(٥).
- «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».أخرجه الترمذي وابن ماجه(٦).
- «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيراً لِي، وَتَوفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لِي ، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ في الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ في الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ القَصدَ في الفَقْرِ وَالغِنَى.

وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَينٍ لا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ الموْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوقَ إِلَى لِقَائِكَ، في غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ». أخرجه النسائي(٧).

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِن تَحْتِي». أخرجه أبو داود والنسائي(٨).
- « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلا مُضِلَّ لمن هَدَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيتَ، وَلا

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (١٥٥٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٣١).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (١٥٤٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٠).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٩٨٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠١)، وهذا لفظه.

(٤) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (١٤٩٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠٠)، وهذا لفظه.

(٥) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧).

(٦) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨١٤)، وهذا لفظه.

(٧) **صحيح**/ أخرجه النسائي برقم (١٣٠٥).

(٨) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٥٠٧٤)، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٢٩)، وهذا لفظه.

مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ ، وَلا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ المُقِيمَ الَّذِي لا يَحُولُ وَلا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَومَ العَيْلَةِ، وَالأَمْنَ يومَ الخَوفِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ .

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَينَا الإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَينَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ ، وَالحِقْنَا بِالصَّالحينَ ، غَيرَ خَزَايَا وَلا مَفْتُونِينَ .

اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ عَلَيهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَهَ الحَقِّ». أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد(١).

- «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعفُ عَنِّي». أخرجه أحمد وابن ماجه(٢).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ» أخرجه أبو داود والنسائي(٣).
- «اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الوَارِثَ مِنِّي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ يَظْلِمُنِي، وَخُذْ مِنْهُ بِثَأْرِي». أخرجه الترمذي(٤).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّينِ،وَغَلَبَةِ العَدُوِّ،وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ». أخرجه أحمد والنسائي(٥).
- «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَينَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَينَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا، مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا». أخرجه الترمذي(٦).

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٥٥٧٣)، وهذا لفظه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٢٠).

(٢) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠).

(٣) **حسن/** أخرجه أبوداود برقم (١٥٤٧)، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٨).

(٤) **حسن/** أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٤).

(٥) **حسن/** أخرجه أحمد برقم (٦٦١٨)، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٧٥)، وهذا لفظه.

(٦) **حسن/** أخرجه الترمذي برقم (٣٥٠٢).

٣- دعـاء الله بأسمائه الحسنى بما يوافق القرآن والسنة

• الحمد لله الأولِ قبلَ كل شيء ، الآخرِ بعدَ كل شيء ، الظاهرِ فوقَ كل شيء ، الباطن دون كل شيء .

• الحمد لله الأولِ بلا أوَّلٍ كان قبله ، الآخرِ بلا آخرٍ يكون بعده .

• الحمد لله الذي ابتدع الخلقَ بقدرته ابتداعاً ، وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتاً، وجعل لكل روح منهم قُوْتاً معلوماً ، ورزقاً مقسوماً ، ثم ضرب له في الحياة أجلاً محدوداً ، ونصب له أمَداً معلوماً يخطو إليه بأيام عمره ، حتى إذا بلغ أقصى أثره ، واستوعب حساب عمره ، قبضه إليه ، ثم ساقه إلى ما ندبهُ إليه من عظيمِ ثوابه ، أو شديد عقابه ، عدلاً منه وإحساناً : ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ٣١﴾ [النجم/ ٣١].

• والحمد لله الذي عرَّفنا بنفسه وأسمائه وصفاته وآلائه ، وفتح لنا أبوابَ العلمِ بربوبيته وألوهيته ، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وهدانا إلى الإخلاص له في توحيده ، وعَصَمنا من الإلحاد والشك في أمره .

• والحمد لله الذي اختارَ لنا محاسن الخَلْق ، وأجرى علينا طيبات الرزق ، وسخَّر لنا ما في السموات والأرض ، فكلُّ المخلوقات منقادةٌ لنا بقدرته ، وصائرة إلى طاعتنا بعزته.

• والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه ، وركَّب فينا أعضاء البسط والقبض، وخلق فينا جوارح الأعمال ، وغذَّانا بطيبات الرزق ، ثم أمرنا ونهانا ليختبر طاعتنا ، وابتلانا بالسراء والضراء ليختبر صبرنا وشكرنا، ثم خالَفْنا أمره ، ورَكِبْنا مُتُون زَجْره ، فلم يعاجلنا بعقوبته، بل أكرمنا بواسع رحمته، وشملنا بحلمه وعفوه ، وانتظر توبتنا ورَجْعتنا إليه برأفته.

• والحمد لله الذي فتح لنا أبوابَ فضله ، وفتح لنا أبواب رحمته ، وفتح لنا أبواب جنته.

• والحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام ، وأرسل إلينا سيد الأنام ، ووضعَ عنا ما لا طاقة لنا به، ولم يكلِّف أنفسنا إلا وسعها.

• والحمد لله بكل ما حَمِدَهُ به خلقه ، وأقرب ملائكته إليه ، وأكرم خليقته عليه ، وأرضى حامديه لديه ، حمداً يَفْضُل سائرَ الحمد.

• والحمد لله حمداً يوافي نِعَمه ، ويكافي مزيده ، عددَ ما أحاط به علمه ، حمداً لا منتهى

لحدِّه ، ولا حساب لعدده ، ولا بلوغَ لغايته ، ولا انقطاعَ لأمَده .

• والحمد لله الذي مَنَّ علينا ببعثة محمد ﷺ دون الأمم الماضية ، فأدَّى الأمانة ، وبلَّغ الرسالةَ ، ونصح الأمةَ ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

• الحمد لله الذي خلقَ السموات والأرض ، وأمسكهما بقدرته ، ورفع السماء بقوته ، ودحا الأرض بمشيئته ، وملأ الكون برحمته .

• والحمد لله الذي خلق الليلَ والنهارَ بقوته ، وميَّز بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحدٍ منهما حداً محدوداً ، وأمَداً ممدودا ، ونفعاً معلوماً.

• والحمد لله عددَ ما خلقْتَ في الأرض والسماء ، وعدد ما علا في الهواء ، وعدد ما كَنَّ تحت الثرى ، ليس لنا من الأمر إلا ما قضيتَ ، ولا من الخير إلا ما أعطيتَ.

• اللهم إني أُشهدك وكفى بك شهيداً ، وأُشهد ملائكتك وحملةَ عرشك ، وجميع سكان أرضكَ وسماواتك ، وكل ذرةٍ في ملكك ، أني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهدُ أن محمداً عبدُك ورسولُك .

• اللهم يا من لا تنقضي عجائبُ عظمته ، ولا تفنى خزائنُ رحمته ، ولا تنتهي مدة ملكه ، صلِّ وسلم على محمد وآل محمد ، وأصحاب محمد ، وأتباع محمد ﷺ.

• اللهم يا ربي من لي إله غيرك أسأله كشف ضري ، والنظر في أمري ، وقبول توبتي ، وستر زلتي .

• اللهم يا ربي ويا مولاي أجريت علي حكماً اتبعت فيه هوى نفسي ، وغرني فيه عدوي ، فتجاوزت حدودك ، وخالفت أمرك ، فلك الحجة علي ، ولا حجة لي عليك ، وقد وقفت ببابك نادماً ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، إنك أنت الغفور الرحيم .

• اللهم يا من بدأ خلقي ، وساق إلي رزقي ، وشق سمعي وبصري ، ارحم ضعف بدني ، وشدة فاقتي ، يا أرحم الراحمين.

• اللهم يا عزيز يا رحيم ارحم ذلي بين يديك، وتضرعي إليك، وشدة حاجتي إليك، وانكساري بين يديك .

• اللهم يا كريم يا رحمن ارحم وجوهاً خرت لعظمتك ساجدة ، وألسنة نطقت بتوحيدك وذكرك ، ولهجت بحمدك وشكرك ، وقلوباً ذلت لعز ربوبيتك وألوهيتك خاشعة ، وعقولاً

تصاغرت لكبريائك خائفة ، وعيوناً من خشيتك باكية ، وجوارحاً سعت إلى أماكن عبادتك طائعة ، يا واسع الرحمة ، يا سريع الرضا.

• اللهم يا مالك الملك العظيم ، نحن عبادك الضعفاء ، نسألك ألا تحرق أبداننا بنار السموم ، ولا تسلط نار جهنم على وجوهنا ، يا رب العالمين ، يا راحم المساكين ، يا أرحم الراحمين.

• اللهم ربنا أعتق رقابنا من نار جهنم فإنه لا طاقة لنا بها ، ولا قوة لنا على تحمل سعيرها ، ولا صبر لنا على شدة لهيبها ، ولا طاقة لنا بتحمل ضرب زبانيتها ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم إنا نسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قهرتَ بها كل شيء ، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء ، وبعظمتك التي ذل لها كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء أن تنصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .

• اللهم أعزنا بعزك الذي لا يضام ، واحفظنا بعينك التي لا تنام ، إنك أنت الكبير المتعال.

• اللهم أنت المنانُ بالجزيل ، الغافرُ للعظيم ، الشاكرُ للقليل ، الجابرُ للكسير ، ارحمنا برحمتكَ يا أرحم الراحمين.

• اللهم يا مَنْ تُحَلُّ به عُقَدُ المكاره ، ولا يستغاث إلا به عند الشدائد ، يا كاشف كل كرب ، يا من ذَلَّت لقدرته الصعاب ، وخضعت لجبروته الشدائد الصلاب ، واستجابت لمشيئته جميع المخلوقات ، وأسرعت إلى إرادته جميع الكائنات.

• لا إله إلا أنت ، أنت المَفْزعُ في الملمات ، وأنت المدعو للمهمات ، لا يندفع منها إلا ما دَفَعْت ، ولا ينكشف منها إلا ما كَشَفْت ، اكشفْ ما بنا من الضر والبلاء ، يا أرحم الراحمين.

• لا إله إلا أنت ، لا مانعَ لما أعطيتَ ، ولا معطيَ لما منعت ، ولا مقدمَ لما أَخَّرتَ ، ولا مؤخرَ لما قدمتَ ، ولا فاتحَ لما أغلقتَ ، ولا مغلقَ لما فتحتَ ، ولا ميسِّرَ لما عسَّرتَ ، ولا ناصرَ لمن خذلتَ ، ولا باسطَ لما قبضتَ ، ولا قابضَ لما بسطت .

• اللهم إني أعوذ بك من شدة الحرص ، وسَوْرَةِ الغضب ، وغَلَبة الحسد ، وقلة الصبر ، وسوءِ الخُلُق ، ومخالفةِ الهدى ، ومتابعة الهوى ، وحرمان الثواب ، وحُلول العقاب .

• اللهم إنا نعوذ بكَ من سوءِ السريرة ، واحتقارِ الصغيرة ، ومقارفةِ الكبيرة ، ومن معيشةٍ في شدة ، وميتةٍ على غير عُدَّة .

• اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك ، اهدنا لما يرضيكَ عنا ، ووفقنا لما تحبهُ وترضاهُ من موجباتِ ثوابك ، حتى لا تفوتنا حسنة نستحق بها ثوابَك ، ولا تبقى لنا سيئة نستوجبُ بها عقابك .

• اللهم لك الخَلقُ كله والأمرُ كله ، إنْ عفوتَ عنا فبفضلك ، وإنْ عذبتنا فبعدلك ، ولا نجاة لأحد منا إلا بعفوك ، فاعف عنا واغفر لنا يا خير الغافرين .

• يا أغني الأغنياء ، نحن عبيدك أفقر الفقراء إليكَ فاجبر فاقتنا من فضلكَ ، ولا تقطع عنا بذنوبنا رزقك.

• اللهم ارحم تضرُّعنا إليك ، وانظر إلى ذلِّنا بين يديك ، يا عزيزَ الملكِ والسلطانِ أغننا إذْ طَرَحْنا أنفسنا بين يديك ، فإنك رحيم بمن دعاكَ ، ومستجيبٌ لمن ناداك.

• اللهم يا من طاعته نجاة للمطيعين ، وذِكْره شرفٌ للذاكرين ، أشْغِل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر، وأشْغِل ألسنتنا بشكرك عن كل شكر ، واستعمل جوارحنا بطاعتك عن كل طاعة .

• إلهي ومولاي أنا عبدك الذليلُ الواقفُ بباب عزك فلا تطردني من جَنَابك ، فإنْ طردتني فلا حول لي ولا قوة إلا بك .

سبحانك ما أرحمك ، لا أيأسُ منك وقد فتحت لي أبوابَ التوبةِ إليك ، وغفرت لي ما يسوؤني بين يديك ؛ لأنك أنت الرؤوف الرحيم.

• اللهم ارحم عبدك الذي تلقَّاك بالإنابة ، وأخْلَص لك التوبة ، وطَأْطَأَ رأسهُ لعظمتك ، وخشع قلبه لجلالك ، وذرفتْ عيونهُ من خشيتك.

• يا من رحمته وسعت كل شيء ، ومغفرتهُ أوسع من عقوبته ، وعفوهُ أكثرُ من نقمته ، ورضاهُ أوفرُ من سخطه ، وإحسانهُ أعظمُ من عدله .

• يا عظيمَ الصفح ، يا جزيلَ العطاءِ ، يا حَسَنَ التجاوز ، يا فعَّالاً لما تشاء ، يا سريع الرضا ، يا باسط اليدين بالعطاء.

• اللهم يا من خزائنه ملأى بكل شيء ، يا من عنده نيلُ الطلبات ، يا من له ملك الأرض والسموات ، ويا من لا يبيعُ نعمَه بالأثمان ، ولا يكدِّر عطاياه بالامتنان.

ويا من يُستغنى به ولا يُستَغنى عنه ، ويُرغبُ إليه ولا يُرغبُ عنه ، يا من لا تُفني خزائنه المسائل ، نسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا عزيز يا غفار .

• اللهم إن تعذبني فبعدلك وأنا لذلك أهل ، وإنْ تعف عني فبفضلك وأنت لذلك أهل ، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

• اللهم اني أسألكَ بأسمائكَ الحسنى ، وصفاتكَ العلى ، ما علمتُ منها وما لم أعلم ، وما أظهرتَه منها وما أخفيته ، أنْ ترحم هذا المخلوقَ الجزوع ، وهذا الإنسان الهلوع ، وهذا المملوك

الضعيف ، وهذا العبد الفقير ، فإنه لا يستطيع حرَّ شمسك فكيف يطيقُ حَرَّ نارك ، ولا يستطيع احتمالَ صوت رعدك فكيف يستطيعُ سماعَ صوت غضبك ، وهَبْهُ صَبَرَ على بلائك وعذابك فكيف يصبر على فراقك ، فارحمه يا أرحم الراحمين .

• اللهم أنت ربي الغني وأنا عبدُكَ الفقيرُ ، وعذابي لا يزيد في ملكك مثقالَ ذرة ، أنت ذو الملك والملكوت ، وذو العزةِ والجبروت ، وذو الجلال والإكرام ، لا تزيد في ملكك طاعةُ الطائعينَ ، ولا تنقصهُ معصيةُ العاصين ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

• اللهم لك الحمد كلهُ ، ومنك الفضلُ كله ، وإليك يُرجع الأمر كله ، وبيدك الأمر كله.
فأهلٌ أنت أن تحُمد ، وأهلٌ أنت أن تُعبد ، وأنت الربُ الرؤوف الرحيم .
لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما فوقهما ، وملء ما شئت من شيء بعد .
لك الحمدُ الذي لا نهايةَ لعدده ، ولا انقطاعَ لأمده ، على عظمتكَ وعظمةِ أسمائكَ وصفاتك ، وعَظيمِ إحسانك ، وجزيل عطائك .

• إلهي خلقتني في أحسن تقويم ، وهديتني إلى الصراط المستقيم ، وابتدأتني بالإحسان ، ووفَّرت حظي من كل خير ، وصرفت عني كل شر ، وأقْرَرْتَ عيني بما يسرني .

• إلهي أنت الذي هديتني ، وأنت الذي رزقتني ، وأنت الذي أجبتَ عند الاضطرار دعوتي، وأنت الذي سترتَ زلَّتي ، ودفعتَ عني ما يضرني .

• إلهي أستغفركَ وأتوبُ إليك ، وأسألكَ أن تعفوَ عني وتغفر لي ، فلستُ بريئاً فأعتذر ، ولا قوياً فأنتصر ، ولا مَفَرَّ لي فأفِرّ ، لا ملجأ ولا منجا لي منك إلا إليك .

• إلهي أستقيلُك عَثَراتي ، وأعتذر إليك من هفواتي ، وأفِرّ إليك من ذنوبي التي أوبقتني ، وسيئاتي التي أحاطت بي فأهلكتني ، فاغفر لي وارحمني وتب عليّ.

• إلهي جئتكَ مستجيراً فلا تخذلني ، وسائلاً فلا تحرمني ، ومعتصماً فلا تُسْلِمْني ، وداعياً فلا تردني ، يا أكرم الأكرمين.

• إلهي ومولاي أنا عبدك الضعيفُ العاجزُ الفقيرُ المحتاج ، أسألك أنْ تغنيني بحلالكَ عن حرامكَ ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلكَ عمن سواك .

• إلهي أشكو إليك ضعفَ نفسي عن المسارعةِ إلى الخيرات ، وجُرأتها على الموبقات ، فإنْ تعذبني فأنا الظالم المفرط ، وإنْ تغفر لي فأنتَ أرحمُ الراحمين .

• إلهي أنت الذي تسمع من شكا إليكَ ، وتنصر من توكلَ عليك ، وتخلِّص من الشدة من اعتصمَ بك ، وتفرِّج كربةَ من لاذ بك ، وتجيب دعاء مَنْ دعاك .

• إلهي أنت الملكُ الحقُ القادرُ على كل شيء ، العليمُ بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

• إلهي كيف يخفى عليك ما أنت خلَقْتَه ، وكيف يغيب عنك ما أنت تدبِّره ، وكيف لا تُحصي ما أنت صَنَعْتَهُ ، وكيف يهرب منك من لا حياة له إلا برزقك ، وكيف ينجو منكَ من لا مذهبَ له في غير ملكك ، سبحانك لا إله إلا أنت الواحد الأحد المحيط بكل أحد.

• لا إله إلا أنت سبحانك ، أخشى خلقِكَ لكَ أعلمُهم بكَ ، وأخضعُهم لكَ أحسنُهم طاعةً لك ، وأهونهُم عليك مَنْ أنت ترزقه وهو يعبُد غيرك .

• سبحانك ما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانك ، وما أوسع حلمك .

لا يَنْقص سلطانك مَنْ أشركَ بك وكذَّب رسلك ، ولا يستطيع مَنْ كَرِه قضاءك أن يردّ أمرك ، ولا يفوتُك مَنْ عَبَدَ غيرك ، ولا يُعَمَّر في الدنيا من كره لقاءك ، والكل صائرٌ إليك ، وموقوفٌ بين يديك ، لا إله إلا أنتَ ، آمنتُ بك ، وكفرتُ بكل معبودٍ سواك .

• إلهي ومولاي أنا عبدك المقر بذنبي ، هذه يديَّ المذنبة مرفوعة إليك ، وهذه ناصيتي الخاطئة بين يديك ، وأنت الرب الرؤوفُ الرحيم ، أَقِلْني عثرتي ، وزلّة قدمي ، وارحم شيبتي وضعفي ومسكنتي ، وقلة حيلتي ، ونفاذَ أيامي ، واقترابَ أجلي .

• مولاي وارحمني إذا خَرَجَت روحي من بدني ، وانقطع من الدنيا أَثَري ، ونسي الأحياء ذكري ، وتغيَّرت حالي وصورتي .

• اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، أسالك سؤال من اشتدتْ فاقتُه ، وعَظُمَت كربته ، وضَعُفَت قوته ، وكثُرَت ذنوبه ، أن ترزقني يقيناً ينفع من استيقن به ، وعملاً تحب مَنْ عَبَدَك به ، وخُلُقاً ترحمُ من اتّصفَ به .

• اللهم إني أسألك خشية العالِمين بك ، وخوف العابدين لك ، وعبادة الخاشعينَ لك ، ويقينَ المتوكلين عليك .

• سبحانك اللهم وبحمدكَ ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدُّكَ ، ولا إله غَيرك .

• سبحانك العزُّ إزارُك ، والكبرياءُ رداؤك ، والخَلْق خَلْقك ، والأمر أَمْرك ، والملك ملكك.

• سبحان الله وبحمدِهِ ، عددَ خَلقه ، ورضا نفسِهِ ، وَزِنَةَ عرشِهِ ، ومدادَ كلماته .

• سبحانَ العلي الأعلى الذي يسمعُ ويرى ما تحت الثرى ، الشاهدُ لكل نجوى ، العليمُ بكل شكوى ، الكاشف كل بلوى .

• الحمد لله الذي تجلَّى للقلوب بالعظمةِ ، واحتجبَ عن الأبصار بالعزة ، واقتدرَ على الأشياء بالقدرة ، وعلا فوق كل شيء بالكبرياء .

• أنت الرب الذي تَمَجَّد بالعظمة والجلال ، وملك بالعز والكبرياء ، وتَقَدَّس بالحُسْن والجمال ، وتعالى بالمجد والإحسان .

• الحمد لله الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد فناء كل شيء ، العليم الذي لا ينسى مَنْ ذَكَرَهُ ، الكريم الذي لا يُنْقِص مَنْ شَكَره ، ولا يخَيب من دعاه ، ولا يقطع رجاء من رَجاه ، أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك .

• اللهم ثبِّتْ قلبي على دينك ما أحييتني ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهبْ لي من لدنك رحمةً إنك أنت الكريم الوهاب .

• بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا أرجو إلا فضله ، ولا أخشى إلا عدله ، ولا أتمسك إلا بحبله ، ولا أتوكل إلا عليه ، ولا أطمئن إلا إليه .

• اللهم إني أعوذُ بك رب من همزَاتِ الشياطين ، وأحترزُ بسلطانك من جَوْر السلاطين .

• اللهم إني أسألكَ يا مَنْ يملك الحاجات كلها وهي مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، ومنقادة لأمره ، أنْ تجعل لي من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل بلاءٍ عافية ، وأن تغفر لي وترحمني ، يا مَنْ هو الإلهُ ، ولا يغفر الذنوب سواه .

• الحمد لله رب العالمين ، وأعوذُ به من شر نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم .

• وأعوذ بالله من الشيطانِ الرجيم ، وأعتصمُ بالله من كل شيطان مارِدْ ، ومن كل جبَّارٍ فاجر، ومن كل سلطانٍ قاهر ، ومن كل عدوٍ ظالم .

• اللهم اجعلني من جندك ، فإن جندك هم الغالبون ، واجعلني من حزبك ، فإن حزبك هم المفلحون ، واجعلني من أوليائكَ ، فإن أولياءك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

• اللهم أصلح لي ديني فإنه عصمةُ أمري ، وأصلح لي آخرتي فإنها دار مَقَرِّي ، وإليك وإليها من مجاورةِ اللئام مَفَرِّي .

• الحمد للهِ ربِ السمواتِ والأرض ، الحمد لله خالق السموات والأرض .

• بسم الله الرحمن الرحيمِ ، بسم الله خير الأسماء ، بسم الله رب الأرض والسماء ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، أستدفعُ كلّ مكروه أوله سخطك ، وأستجلبُ كلّ محبوب أوله رضاك .

• اللهم لك الحمد حمداً كثيراً لا ينقطعُ أبداً ، ولا يحصي له الخلائق في العالم عدداً .

• اللهم يا رؤوفاً بالعباد اجعل قوتي في طاعتك ، ونشاطي في عبادتك ، ورغبتي في ثوابك، وزهدي فيما يوجبُ لي أليمَ عقابك .

• اللهم يا أكرمَ الأكرمين أسألكَ توحيداً خالصاً ، ويقيناً صادقاً ، وسلامةً أقوى بها على طاعتكَ ، وعبادةً أستحق بها جزيلَ مثوبتكَ ، وسَعَةً في الحال من الرزق الحلال ، ولساناً على الدوام لك ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً .

• اللهم يا واهبَ الفضلِ العظيم ، ويا جابرَ العظمِ الكسير ، ويا غافرَ الذنبِ الكبير ، أسألك لذة النظر إلى وجْهك الكريم ، وأن تغفِر لي ذنوبي ، وتستر عيوبي ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم يا كاشفَ الضر ، يا مجيبَ دعوة المضطرّ ، يا عظيم البِر ، يا واسعَ المغفرة ، يا جميلَ السِّتر ، يا كريمَ الصفح ، يا حَسَن التجاوز ، لا ملجأ لي منك إلا إليك ، فارحمني يا أرحم الراحمين .

• إلهي بَيِّض وجوهنا يوم تَبْيَضّ وجوه وتسودّ وجوه ، ولا تسوِّدْ وجوهاً خرَّت لعظمتك ساجدةً ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين.

• اللهم ارحم قلوباً انطوتْ على محبتك ، وألسنةً نطقتْ بذكرك وحمدكَ ، والثناءِ عليك ، وآذاناً تلذذتْ بسماع ذكرك وكتابك ، وأكُفّاً رُفِعَتْ رجاءَ رحمتك ، وأرجلاً سَعَتْ مجاهدةً في سبيلك ، وأبداناً عملتْ بطاعتك ابتغاء مرضاتِك .

• اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، ويسر لنا سبل رضاك ، ولا تَحْجب مشتاقيك عن النظر إلى وجهك الكريم.

• إلهي ومولاي مَنْ الذي نزل بك ملتمساً قِرَاك فما قَرَيْته ، ومن الذي أناخ ببابك راجياً فضلكَ فما أَوْلَيْتَه ، أنت الملك العزيز الكريم الرحيم.

• إلهي يا من بيده الخير كله ، وإليه يُرجع الأمر كله ، لا مانع لما أعطيتَ ، ولا معطيَ لما منعتَ ، أسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

• إلهي ومولاي ، يا خير مرجو ، ويا أكرم مدعو ، يا من بابُه مفتوحٌ لداعيه ، وحجابُه مرفوعٌ

لراجيه ، يا مجيبَ السائلين ، ويا أكرم المعطين ، أَخْلِصْ لي توحيدك ، واجعلني من صفوة عبيدك ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي إنْ كان قَلَّ زادي في المسير إليك فلقد حَسُنَ ظني بالتوكل عليك ، وإن كان ذنبي قد عَرَّضني لعقابك فقد آمنني حُسْن ثقتي بثوابك .

• أسألك بأسمائك الحسنى، وبأنوار قُدسك ، وبِلطائف بِرِّك ، أن ترضى عني ، ولا تَشْوي وجهي بالنار يا أرحم الراحمين .

• اللهم يا رب ما بَدَأْتَ به من فضلك عليَّ فَتَمِّمْه ، وما وهبتَ لي من كرمك فلا تسْلُبه ، وما عَلِمْتَه من قبيح فعلي فاغفره ، وما سترته عليَّ بحلمك فلا تَهْتِكه ، يا ولي الإنعام ، يا معروفاً بالإحسان ، لا إله إلا أنت .

• إلهي يا مَنْ عَمَّ إحسانهُ جميعَ خلقه وجَّهتُ إليك وجهي ، ورفعتُ إليك يدي ، طامعاً في إحسانك ، راغباً في غفرانك ، طالباً مرضاتك ، خاشعاً لعظمتك ، مريداً لوجهك ، طارقاً لبابكَ ، فافعل بي ما أنت أهله من المغفرة والرحمة ، ولا تفعل بي ما أنا أهله من العذاب والنقمة ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي يا سابغَ النعمِ ، يا دافعَ النقمِ ، لا إله إلا أنت ، لا أحصي ثناءً عليك ، خَلَقت فَسَوَّيت ، وصوَّرْت فأحسنت ، وأنعمتَ وأعطيتَ ، وهَدَيت وأكرمتَ ، وأنت الرؤوف الرحيم البَرُّ الكريم ، بساحتك تُحَطُّ رحال الراجين ، يا من لا يخيِّب قاصديه ، ولا يطرد عن بابه مؤمِّليه ، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء .

• يا رب تصاغر عندَ عظيم نعمك عليَّ شكري ، وتضاءلَ أمام إكرامك إياي ثنائي .

أنت الذي هديتني للإسلام ، وعلَّمتني السنةَ والقرآن ، وأحطتني بلطائف برك ، وجميلِ إحسانك ، جَلَّلْتني بنعمة الإيمان ، وقَلَّدتَّني قلائدَ الإنعام ، وطوَّقتني بأطواق المعروف والإحسان .

فلك الحمد حمداً كثيراً يوافي نعمك ، ويكافئُ مزيدكَ ، على عظيم جلالك ، وجزيل عطائك ، وسبوغ نعمائك ، وحُسْن بلائك ، حمداً يوافق رضاك ، ويجلب لي العظيم من برك وتقواك ورضاك.

• اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنهُ في قلوبنا ، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، وألهمنا طاعتك ، وجنبنا معصيتك ، وأذِقنا حلاوة حبك وقربك ، واجعلنا من المصطَفَيْن الأخيار ، وألحقنا بالصالحين الأبرار ، المسارعين إلى الخيرات ، العاملين بالباقيات

الصالحات، إنك على كل شيء قدير.
- سبحانك ما أعز سلطانك، وما أعظم إحسانك، وما أوسع غفرانك.
- سبحانك ما أظلمَ الطرق على مَنْ لم تكن دليله، وما أوضح الحق عند من هديته سبيله، أسألك أن تدلني على ما يرضيك عني، وأن تغفر زلتي وتقبل توبتي، إنك أنت التواب الرحيم.
- اللهم اجعلنا ممن اصطفيته بِقُرْبك، وأخلصته لمحبتك، وكتبته من أوليائك، وخَصَصْته بمعرفتك، ووهبتَ له من علمك، وأهَّلْتَه لعبادتك، واجتبيته لمشاهدتك، وفرَّغْتَ فؤاده لحبك، وشَغَلْت جوارحه بطاعتك، وأوزعته دوامَ شكرك، وحفظتهُ من معصيتك، وقَطَعْت عنه كل شيء يشغله عنك، إنك أنت العزيز الكريم.
- اللهم اجعلنا من أولي الألباب، المقربين الأخيار، الذين جباههم ساجدة لعظمتك، وعيونهم ساهرة في عبادتك، وقلوبهم ممتلئة بمحبتك، وأفئدتهم وَجِلةٌ من مهابتك، ودموعهم سائلة من خشيتك.
- اللهم اجعل حبي لك قائداً لي إلى رضوانك، وشوقي إليك مانعاً لي من عصيانك، وامْنُن عليّ بالنظر إلى وجهك الكريم، يا ذا الجلال والإكرام.
- اللهم يا من لا يفد الوافدون على أكرمَ منه، ولا يجد القاصدون أرحم منه.

يا خير من خلا به العبيد، يا أرحم من آوى إليه طريد، إلى سعة عفوك مددتُ يدي، وإلى عظيم كرمكَ نصبتُ ناصيتي، فأعطني ولا تحرمني، وأكرمني ولا تهنِّي، يا أرحم الراحمين.
- إلهي يا ولي الصالحينَ، ويا أمان الخائفينَ، ويا مجيبَ دعوة المضطرين، ويا غياث المستغيثين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين.

أنا عبدكَ الذليل، ذو اللسان الكليل، والعمل القليل، واقف بباب كرمك، طارق لِباب رحمتك، متعرِّض لنفحات بِرِّك، معتصم بحبلك الشديد، امنن عليَّ بِطَوْلك الجزيل، ورضوانك الجميل، يا كريم يا جميل، يا أرحم الراحمين.
- اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، وجزيل إحسانك.
- سبحانك قَصُرَت الألسن عن الثناء عليك بما يليق بجلالك، وعجزت العقول عن إدراك كُنْه جمالك، وانحسرت الأبصار دون النظر الى سُبُحات وجهك، وخشعت جميع الخلائق لهيبتك، وذَلَّ الأقوياء لقوتك، وسبَّحت جميع الكائنات بحمدك، اجعلنا من أَخَصِّ عارفيك، وأَصْلَح عابديك، وأصدق طائعيك، يا أرحم الراحمين.

• إلهي ومولاي أنت الرحمن الرحيم ، الملك العظيم ، الكريم الحليم ، السميع البصير ، القوي القادر ، الغني الشاكر .

لا تطمئنُ القلوبُ إلا بذكرك ، ولا تأتي النعم إلا من بابك ، ولا تندفع المكارهُ إلا بأمرك ، ولا تزولُ المحن إلا بإذنك .

• إلهي أنت المدعو بكل لسان ، وأنت المعظَّم في كل جَنان ، وأنت المسبَّح في كل مكان ، وأنت المعبود في كل زمان ، أعتذر إليك من كل كلمة بغير ذكرك ، وأستغفرك من كل لذة بغير طاعتك ، ومن كل راحة في غير عبادتك .

• إلهي بقدرتك عليَّ تُب عليَّ ، وبحلمك عليَّ اعف عني ، وبعلمك بضعفي ارفق بي ، يا ولي المؤمنين أنت ربي ومولاي فاغفر لي.

• إلهي هل يَرْجع العبد الآبق إلا إلى مولاه ، وهل يجيره من سخطه أحد سواه ، أنت الكريم الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سمَّيته باب التوبة ، فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم .

• إلهي إنْ قَبُحَ الذنب من عبدك فلْيَحْسُن العفو من عندك ، يا كاشف الضر ، ويا مجيب المضطر ، لستُ بأول من عصاك فتبتَ عليه ، وتَعَرَّضَ بمعروفك فجُدتّ عليه ، يا عظيم البر ، يا جميل الستر ، يا واسع المغفرة.

• اللهم لك الحمد على ما أكرمتني به من سلامة بدني ، ولك الحمد على ما أصابني من علةٍ في جسدي .

• إلهي ما أدري أي الحالين أحق بالشكر لك ، أَوَقْت الصحة التي هنَّأْتني فيها بطيبات رزقك ، وقوَّيتني فيها على ما وفقتني له من طاعتك ، وأعنتني بها على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، أم وقت العلة التي محّصْتني بها من الذنوب ، وطهرتني بها من السيئات ، ورَفَعْت لي بها الدرجات ، ونبَّهتني بها إلى التوبة ، وذكَّرتني بها النعمة .

• إلهي يا أنيسَ كل مستوحش ، يا فرج كل مكروب ، يا عضدَ كل محتاج .

أنتَ الذي وسِعْتَ كل شيء رحمة وعلماً ، وأنت الذي جعلتَ لكل مخلوق في نعمك سهماً، وأنت الذي سَبَقَتْ رحمتُه غضبَهُ ، وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه .

• إلهي لا تعرض عني وقد أقبلت عليك ، ولا تحرمني وقد رغبتُ إليك ، ولا تخذلني وقد توكلت عليك .

• إلهي أنا عبدك الفقيرُ الذي فاض دمعُهُ من خيفتك ، وَوَجِل قلبه من خشيتك ، وانتفضت جوارحُه من هيبتك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.

• إلهي لك الحمد ، أنت الغفور الرحيم ، كم من عيب سترته عليّ فلم تفضحني ، وكم من ذنب غطَّيته عليَّ فلم تُشْهِرني ، اللهم وهذه رقبتي أرَّقَتْها الذنوب فأعتِقْها ، وهذا ظهري قد أثقلته الخطايا فاغفرها ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• اللهم ارحم شدة مسكنتي ، وذل افتقاري ، وطُول تضرعي ، وضعف قوتي ، وقلة حيلتي.

• اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد.

• اللهم إنا نعوذ بك من نَزَغات الشيطان الرجيم ، ونعوذ بك من اتباع خطواته ، وكيده ومكايده ، ومصائده ومواعيده ، وغروره وأمانيه .

• اللهم اجعل بيننا وبين الشيطان ستراً لا يَهتكه ، وباباً لا يفتحه ، وأشغله عنا بأعدائك ، واكفنا شره ، واسلك بنا من التقوى خلاف سبيله من الردى .

• اللهم لا تجعل للشيطان في قلوبنا مدخلاً ، ولا تسكنه فيما بيننا منزلاً .

• اللهم أشْرِبْ قلوبنا إنكارَ عمله ، وحوِّل سلطانه عنا ، واقطع رجاءه منا .

• اللهم اهزم جنده ، وأبطل كيده ، اللهم إنا نستعين بك عليه ، حتى لا نطيع له أمراً إذا استهوانا ، ولا نستجيب له إذا دعانا ، أنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك .

• اللهم افتح لنا بركات السموات والأرض ، وأسقنا غيثاً نافعاً ، تحيي به ما قد مات ، وتَـرُدّ به ما قد فات، وتُخرج به ما هو آت ، وتُنبت لنا به الزرع ، وتُدِرّ به الضرع ، وتكمِّل لنا به طيبات الرزق ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وزوِّدنا من الإيمان ، ووفقنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .

• اللهم استعمل ألسنتنا بذكرك ، وجوارحنا بطاعتك ، وأوقاتنا بحسن عبادتك ، وأموالنا فيما يرضيك عنا ، إنك جواد كريم .

• اللهم هب لنا معالي الأخلاق ، ولا تجعل أعمارنا مرتعاً للشيطان ، ولا تدع خصلة تُعاب منا إلا أصلَحْتها ، إنك أنت العزيز الكريم.

• اللهم وفقني لِحُسْن السيرة ، والسَّبق إلى الفضيلة ، وشكر الحسنة ، والعفو عن السيئة ، والصبر الجميل ، والإعراض عن السفيه ، وكظم الغيظ ، وحسن الصفح ، وأَكمِلْ ذلك بدوام الطاعة ، ولزوم الجماعة ، والعمل بالسنة ، ورَفْض البدعة ، مقروناً بالحكمة والرحمة ، يا خبيراً بضعفي وفقري وعجزي .

• اللهم صُنْ وجهي باليسار حتى لا أسأل أحداً سواك ، ولا أُفْتن بحمد مَنْ أعطاني من دونك وأنت وليُّ الإعطاء والمنع ، وارزقني صحةً أستعملها في طاعتك ، وعلماً أستعمله في عبادتك وأعلِّم به عبادك ، ومالاً أنفقه في سبيلك .

• اللهم لا تَصْرف عني وجهك الكريم ، ولا تمنعني فضلك العظيم ، ولا تطردني عن أبواب رحمتك، ولا تحْظر عليَّ رزقك ، فلا إله لي غيرك ، ولا رب لي سواك ، ولا راحم لي إلا أنت. أنا عبدك الضعيف، ناصيتي بيدك ، وبدني في قبضتك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك، لا أَمْرَ لي مَعَ أمرك ، ولا ملجأ ولا منجا لي منك إلا إليك ، فارحمني يا أرحم الراحمين .

• اللهم خذ بنَفْسي إلى ما يرضيك عني، واحجبها عما يسخطك علي، واملأ قلبي بالإيمان، حتى أعبدك كأني أراك ، وأتقرب إليك بالطاعات شوقاً ، وأبتعد عن معاصيك فَرَقاً ، يا ذا الجلال والإكرام .

• اللهم إني أعوذ بك من شر الشيطان الرجيم ، ومن شر كل شيطان مريد ، ومن شر كل جبار عنيد ، ومن شر كل سلطان مستكبر ، ومن شر كل صغير وكبير ، ومن شر كل قريب وبعيد ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم .

• اللهم اغفر لي ولوالدي ، وارزقني برهما ، والإحسان إليهما ، واجعلني أهابهما هيبة السلطان العظيم ، وأبرّهما بر الأم الرؤوف ، يا غفور يا رحيم يا رؤوف .

• اللهم يا مؤنس كل وحيد، ويا صاحب كل فريد، ويا مغني كل فقير، ويا شافي كل مريض، يا شاهداً غير غائب، يا قريباً غير بعيد، يا صريخ المستصرخين، يا غياث المستغيثين، يا ناصر المستنصرين .

• يا من أظهرَ الجميل ، وسترَ القبيح ، يا واسعَ الرحمة ، يا جزيل العطاء ، يا عظيمَ الصفح، يا حَسَن التجاوز ، يا سريع الإجابةِ ، يا با سطَ اليدين بالرحمة .

• يا محيطاً بكل محيط ، يا عالم الخفيَّات ، يا من لا يؤاخذ بالجَرِيرة ، ولا يهتك الستر ، يا سامع جميع الأصوات ، يا بصيراً بكل الذرات .

• يا إله الأولين والآخرين ، يا رب السموات والأراضين ، يا جابر الكسير ، ومطلق الأسير، ومطعم المسكين .

• يا قاهراً كل قاهر ، يا عالماً بكل عالم ، يا قادراً على كل قادر ، يا مجيبَ كلّ سائل ، يا كريمَ العطاء ، ياسريع الرضا.

• يا من لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يصفه الواصفون ، ولا تغيِّره الحوادث ، ولا يخشى الدوائر .

• يا من يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار، وعدد حبات الرمال ، وعدد ما أظلم عليه الليل ، وعدد ما أشرق عليه النهار.

• يا من لا تواري منه سماءٌ سماءً ، ولا أرضٌ أرضاً ، ولا جبلٌ ما في وَعْره ، ولا بحرٌ ما في قعره ، اجعل خير أعمارنا أواخرها،وخير أعمالنا خواتمها ، وخير أيامنا يوم أن نلقاك فيه.

• اللهم فقهنا في الدين ، وارزقنا حقيقة التوحيد والإيمان ، واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق ، واجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهك الكريم ، وِفْق سنة نبيك الرؤوف الرحيم .

• اللهم رب العرش الكريم ، ورب الكرسي الواسع ، ورب النور العظيم ، ورب السقف المرفوع ، ورب البحر المسجور ، ورب الملائكة والروح ، ورب السموات والأرض ، ومُنْزل القرآن العظيم والتوراة والإنجيل والزبور .

أسألك بوجهك الكريم ، وباسمك الأعظم الذي أشرقتْ به السمواتُ والأرضُ أن تغفرَ لنا ما قدَّمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنّا ، أنت المقدِّم ، وأنت المؤخِّر ، لا إله إلا أنت .

• سبحان ذي العزِّ والكبرياء ، سبحان ذي المجد والجبروت ، سبحان ذي الحِلم والطَّوْل ، سبحان ذي الجمال والجلال والإكرام .

• سبحان من يرى أثر النمل على الصفا ، ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصّماء ، في الليلة الظلماء .

• يا من ليس غيره ربٌّ يُدعى ، وليس غيره إله يُخشى ، يا ذا الجلال والإكرام.

يا من لا يزداد على كثرة الأسئلة إلا كرماً ، وعلى كثرة الذنوب إلا عفواً .

أسألك أن تغفر لي ذنبي العظيم ، فإنه لا يغفر العظيم إلا العظيم ، ولا يعطي الكبيرَ إلا الكبيرُ ، يا قويُّ يا عزيز ، لا إله إلا أنت .

- اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، صل وسلم على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .
- سبحان من لا ينبغي التسبيحُ إلاَّ له ، سبحان من أحصى كل شيء عدداً ، سبحان من أحاط بكل شيء علماً ، سبحان من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
- اللهم أنزل علينا من بركاتك ، وأسبغْ علينا نعمائك ، ووفقنا لسبيل الهدى والعفاف والغنى ، واستعملنا فيها بما تحب وترضى .
- اللهم يا شاهدَ كلّ ملأ ، ويا عالم كلّ خفيّة ، ويا سامعَ كل نجوى ، ويا كاشف كل بلوى ، اكشف عنا كل بلاء ، ووفقنا لما تحب وترضى ، يا قريب يا مجيب .
- أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحدٌ صمدٌ ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحدٌ صمدٌ ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه .
- اللهم يا ذا العزة والعظمة، يا دائمَ السلطان والقدرة ، يا شديدَ البطش والقوة ، يا نافذَ الأمر والإرادة، يا واسعَ الرحمةِ والمغفرة ، يا رب الدنيا والآخرة ، يا رب الناس ، يا ملكَ الناس ، يا إله الناس ، لك الحمد على كل حال .
- كم أنعمتَ عليَّ بالنعم ، وكم دفعتَ عني من النقم ، كنتُ ضالاً فهديتني ، وعائلاً فأغنيتني ، وعارياً فكسوتني ، وجاهلاً فعلَّمتني ، ومعدوماً فأوجدتني .
- أحمدُك حمداً يبلغُ رضاك، وأشكرك شكراً يكافئ مزيدك ، يا دائمَ المعروفِ والإحسان، يا لطيف البر والإكرام .
- لا إله إلا أنت ، أنت الملك الحق الذي خلقتَ السموات السبع ، وملأتها ملائكةً تسبِّح بحمدك وتقدِّسُك ، وتمجِّدُك وتعظِّمُك ، وتأتمر بأمرك .

البَسْتهم لباسَ التقوى ، وجعلتهم أقرب خلقك إليك ، وأعظم معرفةً بجلالك وجمالك وعظمتك ، وأدومهم لك طاعة وعبادةً وخشوعاً ، فلك الحمد.

- اللهم افتح لنا أبوابَ رحمتك ، وأبواب نعمك ، وأبواب مغفرتك ، وأبوابَ رضاك ، وخزائنَ علمك ، وسبلَ معرفتك .
- اللهم طَهِّر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من

الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور .

• اللهم أنتَ المستعانُ في الأمور كلِّها، والصاحبُ في الأحوال كلها، والمنعِم بالنعم كلها، والواقي من الشرور كلها، لك الحمد على حسن قضائك، ولك الشكر على جزيل عطائك.

• لا إله إلا اللهُ إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

• لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

• اللهم يا كريمَ العفو، يا حَسَن التجاوز، يا عظيم المَنّ ، يا منقذ الغرقى ، يا منجِّي الهلكى، يا عمادَ من لا عمادَ له ، يا سَنَد من لا سَنَد له ، يا غياث من لا غياث له ، ارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .

• إلهي أنت العزيز الجبار ، ذلَّت لقدرتك الصعاب ، وأسرعت إلى إرادتك الأشياء ، أنت المدعو للمهمات ، وأنت المَفْزَعُ في الملمَّات ، لا يَنْدفع منها إلا ما دَفَعْت ، ولا ينكشف منها إلا ما كَشفْت، لا إله إلا أنت .

• اللهم لا فاتح لما أَغْلَقت ، ولا مُغْلق لما فَتَحت ، ولا ميسِّر لما عسَّرت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا ناصرَ لمن خذلت ، أسألك أن تفتح لي أبواب الرحمة والفرج ، فأنت وحدك القادر على كَشْف ما أنا فيه ، ودَفْعِ ما وقعتُ فيه .

• اللهم أكرمنا بالهدى والاستقامة ، وسدِّد ألسنتنا بالصواب والحكمة ، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة ، وطهِّر قلوبنا من النفاق والرياء ، وكُفّ أيدينا عن الظلم والسرقة ، وطهِّر بطوننا من الحرام والشبهة ، وغُضَّ أبصارنا عن الفجور والخيانة ، واحفظ أسماعنا من اللغو والغيبة ، يا سميع الدعاء .

• اللهم يا عظيم العفو والرحمة والإحسان تفضَّل على علمائنا بالزهد والتواضع ، وعلى المتعلمين بالعمل والاستقامة، وعلى كبارنا بالوقار والسكينة ، وعلى شبابنا بالإنابة والتوبة، وعلى نسائنا بالحياء والعفة ، وعلى أغنيائنا بالبر والتقوى ، وعلى فقرائنا بالصبر والقناعة . وتفضّل على الغزاة بالنصر والغلبة ، وعلى الأسرى بالخلاص والحرية ، وعلى المرضى بالشفاء والعافية ، وعلى الأمراء بالعدل والشفقة ، وعلى الرعيةِ بالطاعةِ وحسن السيرة ، يا رب العالمين .

• اللهم يا رحيماً بعبادك اغفر لنا الذنوب التي تهتك العصم ، والمعاصي التي تنزل النقم ، والآثام التي تغير النعم ، والخطايا التي تمنع إجابة الدعاء ، والمحرمات التي تنزل البلاء.

• اللهم يا عليماً بكل شيء ، أنت الذي تعلم ما في نفسي ، وأنت الخبير بأحوالي ، وبيدك لا بيد غيرك حياتي وموتي ، ونفعي وضري .

إنْ حرمتني فمن يعطيني ، وإنْ خذلتني فمن ينصرني ، وإنْ طردتني فمن يؤويني ، أنت مولاي ، فنعم المولى ، ونعم النصير .

• إلهي ما أعظمَ برَّك بي في حياتي ، فلا تقطع عني برَّك في مماتي ، إنك أنت البَرُّ الرؤوف الرحيم.

• إلهي أنت السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، أسألك الأمان يومَ لا ينفعُ مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأسألك الأمانَ يومَ لا تملكُ نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

وأسألك الأمان يومَ لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً.

وأسألك الأمانَ يومَ يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

وأسألك الأمانَ يومَ يعض الظالم على يديه ، ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا .

وأسألك الأمان يوم لا ينفع الظالمين معذرتُهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار.

وأسألك الأمانَ يومَ يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام .

• اللهم يا غافر الذنب الكبير ، ويا جابر العظم الكسير ، ويا راحم العبد الفقير ، بقدرتك عليَّ تب عليَّ ، وبعلمك بي ارفق بي .

اللهم يا عظيم البر ، يا مجيب المضطر ، يا كاشف الضر ، يا جميل الستر ، يا عليماً بما في السر ، اقبل توبتي ، واغفر لي زلتي .

• إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمَّارة ، طويلة الأمل ، كثيرةَ العِلَل ، إنْ مَسّها الشر تَجْزع ، وإنْ مَسَّها الخير تَمْنع ، ميَّالة إلى اللعب واللهو ، مملوءة بالغفلة والسهو .

• إلهي أشكو إليك عدواً يضلني ، وشيطاناً يغويني ، قد ملأ بالوسواس صدري ، وأحاطت هواجسهُ بقلبي ، يدعوني إلى الهوى ، ويبعدني عن الهدى ، ويزيِّنُ لي حب الدنيا ، ويَحُوْل بيني وبين طاعتكَ ، أعوذُ بك منه ومن شروره ومكايده .

• إلهي لا حول لي ولا قوة إلا بك ، ولا نجاة لي من مكاره الدنيا إلا بعصمتك ، أسألك بعظمة جلالك وعز سلطانك أن توفقني لما تحبه وترضاه ، وأن تَحُوْل بيني وبين ما لا تحبه ولا ترضاه يا مولاي.

• اللهم أدخلني الجنة برحمتك ، واجعل دمعي غزيراً في طاعتك ، واسكب عبرتي من خشيتك ، واصرف قلبي عن الحرام ، وأغلق عني أبوابه ، وحبِّب إليَّ الحلال ، وافتح لي أبوابه، ولا تسلبني ما مننت به عليَّ ، ولا تَنْزِع مني النعم التي أنعمت بها عليّ ، ولا تسلِّط عليّ أيدي الجبابرة يا إلهي ومولاي .

• اللهم يا عزيز يا كريم وفِّر حظي من كل خير أنزلته ، ومن كل بِرٍّ نشرته ، ومن كل رزق بسطته ، ومن كل بلاء رفعته ، ومن كل عيب سترته .

يا من بيده ناصيتي ، يا عالماً بضري ومسكنتي ، يا خبيراً بفقري وفاقتي ، يا من عليه مُعَوَّلي ، أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وأَقِلْني عثرتي ، واغفر لي زلتي.

• إلهي ومولاي إليك نصبتُ وجهي،وإليك يا رب مددت يدي،فبعزتك استجب لي دعائي، ولا تقطع رجائي ، واكفني شر أعدائي .

يا واسع الرحمة يا سريع الرضا اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء، ورأس ماله الرجاء، وسلاحه البكاء.

يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، يا مجيب دعوة المضطر ، افعل بنا ما أنت أهله ، ولا تعاملنا بما نحن أهله .

• إلهي أنت كاشف الكرب والبلوى ، وأنت رب الآخرة والأولى ، ونحن عبيدك الفقراء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، برحمتك يا ذا الجلال والإكرام.

• اللهم إنا نسألك باسمك العظيم الذي إذا سئلت به أعطيت ، وإذا دُعيت به أجبت ، وإذا استُرحمتَ به رحمت ، وإذا دُعيت به على العسير تيسر ، وإذا دُعيت به على كشف البلاء انكشف.

ونسألك بجلال وجهك الكريم الذي عنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأصوات ، ووجِلَتْ له القلوب .

ونسألك بقوتك التي تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك ، وتمسك السموات والأرض أن تزولا ، وبكلمتك التي خَلَقْتَ بها كل شيء ، وبمشيئتك التي استجاب لها كل شيء ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، وبعزتك التي خضع لها كل شيء ، أن تعز الإسلام والمسلمين، وتنصر عبادك الموحدين ، وتجمع أمة محمد ﷺ على الحق أجمعين، يا رب العالمين .

• اللهم من أرادنا بسوء أو مكروه من شيطان مريد ، أو سلطان عنيد ، أو حاسد على نعمة ، أو ظالم أو باغ ، فكف عنا يده ، واصرف عنا شره ، وأشغله عنا بنفسه ، واجعل كيده في نحره ، وتدميره في تدبيره ، إنك أنت القوي العزيز .

• اللهم سخر لي قلب من أحوجتني إليه ، واكفني شر من قدر علي ولا أقدر عليه ، وأغنني بفضلك عمن سواك ، يا من بيده ملكوت كل شيء.

• اللهم اكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجار ، واطمس على وجوه أعدائنا ، وفرِّق بينهم وبين أسلحتهم، وحيِّرهم في سبيلهم ، واقطع عنهم المدد ، وأنقص منهم العدد ، واملأ أفئدتهم بالرعب، وانصرنا على من عادانا ، أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

• اللهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك في كل مكان ، وأمددهم بالملائكة المسوِّمين ، واملأ قلوبهم بالإيمان ، واستعمل جوارحهم في طاعتك ، وأشغل المشركين بالمشركين ، واضرب الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم سالمين، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي لا إله إلا أنت ، أنت الواحد الأحد ، لك وحدانية الخلق والأمر ، ووحدانية العبادة، ومَلَكة القدرة ، وعظمة السلطان ، وعزة الربوبية ، وفضيلة الحول والقوة ، وجمال الإحسان والإنعام ، وعلو الذات والأسماء والصفات .

وكل ما سواك فقير إليك ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، موسوم بسمة الضعفاء والفقراء والعبيد .

• اللهم إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظن ، وفي آجالنا بطول الأمل ، حتى التمسنا أرزاقك من عند المرزوقين ، وطَمِعْنا في آمالنا في أعمار المعمَّرين .

نسألك اللهم أن تَهَب لنا يقيناً صادقاً تكفينا به مؤونة الطلب ، وتقطع طلبه ممن سواك ، فإنك أنت الذي قَسَمت الأرزاق ، وتكفَّلت بإيصالها إلى كل مخلوق .

- اللهم أنت الله، لا إله إلا أنت، الحي القيوم، نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، وبكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحد من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، ودليلنا إليك، وسائقنا إلى جناتك جنات النعيم .
- أنت الله لا إله إلا أنت، الرحمن الرحيم، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء
- ونسألك باسمك الملك أن تملكنا أنفسنا، ولا تسلط علينا من يذلنا، حتى لا نعتز إلا بك، ولا نذل لأحد سواك .
- ونسألك باسمك القدوس أن تطهر قلوبنا من الشرك والنفاق والرياء، وتطهر جوارحنا وأوقاتنا من دنس المخالفات، وتطيب حياتنا بالطاعات والباقيات الصالحات .
- ونسألك باسمك السلام أن تهدينا سبل السلام، وتطهر نفوسنا من العيوب والآثام، وأن تجعلنا ممن سلم المسلمون من لسانه ويده .
- ونسألك باسمك المؤمن أن تؤمننا من كل شر، وأن تؤمننا يوم البعث والنشور، ويوم الفزع الأكبر، وأن تجعلنا ممن يأمن الناس شره، ويرجون خيره .
- ونسألك باسمك المهيمن أن تهيمن على قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا، حتى لا نفعل إلا ما تحبه وترضاه .
- ونسألك باسمك العزيز أن تعز الإسلام والمسلمين، وأن تعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك .
- ونسألك باسمك الجبار أن تدمر الطغاة والجبارين، وأن تجبر قلوب المؤمنين المنكسرين، وتجبر أعمالنا، لتكون لائقة بجلالك وعظمتك .
- ونسألك باسمك المتكبر أن توفقنا لحسن التصاغر لكبريائك، وكمال الذل لعظمتك، وأن لا تجعل في قلوبنا مثقال ذرة من كبر .
- ونسألك باسمك الخالق البارئ المصور أن توفقنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، وأن تعيننا على تحقيق عبادتك ظاهراً وباطناً .
- ونسألك باسمك الغفور الغفار أن تغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وأن تغفر لنا ذنوبنا، وتستر عيوبنا .

- ونسألك باسمك القاهر القهار أن تقهر نفوسنا عن كل ما لا يرضيك، وأن تعينها على كل ما تحبه وترضاه، وأن تقهر عنا أعداءنا من شياطين الجن والإنس .
- ونسألك باسمك الوهاب أن تهب لنا رحمة من عندك، تغنينا بها عن رحمة من سواك، وأن تهب لنا الأعمال الصالحة التي تقربنا إليك، وأن تهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين.
- ونسألك باسمك الرازق الرزاق أن ترزقنا من فضلك العظيم رزقاً حلالاً طيباً، وأن تجعل ما رزقتنا عوناً لنا على طاعتك .
- ونسألك باسمك الفاتح الفتاح أن تفتح لنا أبواب رحمتك، وسبل رضاك، وأبواب فضلك، وأبواب جناتك .
- ونسألك باسمك العليم أن تعلمنا ما ينفعنا، وأن تنفعنا بما علمتنا، وأن تعيننا على تعليم دينك لعبادك .
- ونسألك باسمك السميع أن تحفظ أسماعنا عن سماع كل ما لا يرضيك، وأن تجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .
- ونسألك باسمك البصير أن تحفظ أبصارنا عن كل ما لا يرضيك، وأن تجعلنا من أهل البصائر والعقول، وأن تمتعنا بأسماعنا وأبصارنا أبداً ما أبقيتنا، إنك على كل شيء قدير .
- ونسألك باسمك الحكيم الحكم أن ترزقنا الحكمة في جميع الأمور، وأن تحكم على قلوبنا بالرضا والقناعة، وعلى نفوسنا بحسن الانقياد والطاعة، وأن تجعلنا ممن يدعو إليك بالحكمة والموعظة الحسنة .
- ونسألك باسمك اللطيف أن تلطف بنا في جميع أحوالنا، وأن تغمرنا بلطفك وإحسانك ورحمتك، وأن تجعلنا من ألطف عبادك بخلقك .
- ونسألك باسمك الخبير أن تجعلنا من أعرف عبادك بك وبدينك، وأن تجعلنا من أخبر الناس بقلوبنا، وما يقربنا إليك، وما يحببنا إليك، وما يحبب خلقك إليك .
- ونسألك باسمك الحليم أن تستر عيوبنا، وتغفر ذنوبنا، وتعفو عن تقصيرنا، وأن ترزقنا الحلم على من أساء إلينا .
- ونسألك باسمك العظيم أن توفقنا لكمال تعظيمك، وأن تجعلنا ممن آمن بك وعظمك، وعظم دينك وشعائرك وحرماتك .

• ونسألك باسمك الشاكر الشكور أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وأن تجعلنا ممن شكرت أقواله وأعماله، وقبلت عمله، وضاعفت أجره .

• ونسألك باسمك العلي الأعلى المتعال، أن ترفع مقامانا عندك، وأن تحبب إلينا معالي الأمور، وأن ترزقنا الدرجات العلى من الجنة .

• ونسألك باسمك الحق أن ترينا الحق حقاً، وترزقنا إتباعه، وترينا الباطل باطلاً، وترزقنا اجتنابه، وأن تجعلنا ممن يقول الحق على نفسه وعلى غيره .

• ونسألك باسمك الحميد أن ترزقنا حسن حمدك وشكرك على نعمك التي لا تعد ولا تحصى، وأن توفقنا للأعمال الصالحة التي نحمدك عليها، وتحمدنا عليها، فأهل أنت أن تحمد، وأهل أنت أن تعبد .

• ونسألك باسمك الحي أن تحيي قلوبنا بالتوحيد والإيمان، وأن تحيي ألسنتنا بكثرة ذكرك وشكرك والدعوة إليك، وأن تحيي جوارحنا بحسن عبادتك، وأن تجعل حياتنا كلها معمورة بطاعتك، وأنواع عبادتك .

• ونسألك باسمك القيوم أن توفقنا للقيام بين يديك بالعبادة، والقيام بين يدي خلقك بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وأن تتولى تدبير أمورنا في كل ما يرضيك عنا .

• ونسألك باسمك الشهيد أن تجعلنا ممن شهدت لهم بالإيمان والاستقامة، وشهد لك بالوحدانية، وشهد أن الأمور كلها بيدك وحدك لا شريك لك.

• ونسألك باسمك الوكيل أن لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن تجعلنا من المتوكلين عليك وحدك في الرخاء والشدة، والعسر واليسر .

• ونسألك باسمك القوي أن تدفع عنا كل شر، وأن تقوينا على طاعتك، وتعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وأن تجعلنا ممن أخذ الكتاب بقوة ابتغاء مرضاتك .

• ونسألك باسمك المتين أن ترزقنا متانة في أجسادنا وقلوبنا وديننا، وأن ترى منا كل ذل وانكسار بين يديك، ويرى الأعداء منا كل قوة وشدة في الجهاد في سبيلك.

• ونسألك باسمك الولي المولى أن تجعلنا ممن توليته بالهداية والرحمة، فتولاك بالإيمان بك، والاستقامة على دينك، وتولى عبادك بالإحسان إليهم، والإكرام لهم، حتى يحبوك، ويؤمنوا بك .

• ونسألك باسمك الواحد الأحد أن تملأ قلوبنا بتوحيدك وتقواك، حتى لا نرى أحداً سواك، ولا نستعين إلا بك، ولا نتوكل إلا عليك، ولا نسأل أحداً غيرك .

• فأنت الواحد الأحد، المالك لكل أحد، الغني عن كل أحد، الأحد الذي يحتاج إليه كل أحد .

• ونسألك باسمك الصمد أن تجعل قلوبنا تصمد في حوائجها إليك، وأن تجعل قصدنا في جميع أمورنا إليك، وأن تجعلنا من المقصودين في قضاء حوائج الناس

• ونسألك باسمك القادر القدير المقتدر أن تجعلنا ممن قدرك حق قدرك، وشكرك حق شكرك، واستعان بك في جميع أموره وأعماله الصالحة، ووهبته القدرة على القيام بحقوقك، وحقوق عبادك .

• ونسألك باسمك المقدم والمؤخر أن تجعلنا من المستقدمين إلى كل طاعة، المستأخرين عن كل معصية، وأن تجعلنا ممن قدم مرضاتك على مرضاة غيرك، وقدم أوامرك على هوى نفسه، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت .

• ونسألك باسمك الأول والآخر أن تجعلنا من أوائل عبادك في الإيمان بك، والعمل بما يرضيك، وحسن عبادتك، ولزوم طاعتك، وأن تباعد بيننا وبين كل ما لا يرضيك .

• ونسألك باسمك الظاهر والباطن أن تظهر لنا ما بطن عنا من معرفتك بأسمائك وصفاتك وأفعالك، وجلال جمالك، حتى نعبدك كأنا نراك بكمال الحب والتعظيم والذل لك .

• ونسألك أن تجمل بواطننا بالإخلاص، وتجمل ظواهرنا بحسن المتابعة، وأن تجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

• ونسألك باسمك البر أن تكرمنا بوافر برك وإحسانك، وأن تشغل قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا بجميع أعمال البر، وقضاء حوائج الناس، وأن تكرمنا ببر والدينا، ومن لهم حق علينا، إنك أنت البر الرحيم .

• ونسألك باسمك التواب أن تتوب علينا لنتوب، وأن تقبل توبتنا من جميع الذنوب، وأن ترزقنا توبة نصوحاً قبل الممات، وأن توفقنا للعفو والمغفرة والصفح عمن أساء إلينا، إنك أنت التواب الرحيم .

• ونسألك باسمك العَفُو العَفْو والعافية، في الدنيا والآخرة، وأن تعيننا على العفو عمن ظلمنا، والإحسان إلى من أساء إلينا، إنك أنت العَفُو الغفور .

• ونسألك باسمك الرؤوف أن ترأف بأحوالنا، وأن تعيننا على موجبات رحمتك، وأن تحول بيننا وبين موجبات عقوبتك، وأن تملأ قلوبنا رأفة ورحمة بجميع خلقك، يا أرحم الراحمين .

• ونسألك باسمك الكبير أن تملأ قلوبنا بمعرفة كبريائك وجلالك وجمالك، حتى نعبدك كأننا نراك، بكمال الحب والتعظيم والذل لك وأن توفقنا للتواضع لأوليائك، والعزة على أعدائك .

• ونسألك باسمك الحفيظ الحافظ أن تحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وتحفظ لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن تحفظ قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا من المعاصي والآثام .

• ونسألك باسمك المقيت أن تقيت قلوبنا بالإيمان والتقوى، وتقيت ألسنتنا بكثرة ذكرك، وتقيت جوارحنا بالأعمال الصالحة، وتقيت أبداننا بالقوت الحلال الطيب يا كريم .

• ونسألك باسمك الحسيب الحاسب أن تكفينا أمورنا كلها في الدنيا والآخرة، وأن تشرفنا بحسن عبادتك، والدعوة إليك وتعليم شرعك، وأن تعيننا على حساب أنفسنا قبل يوم الحساب .

• ونسألك باسمك الكريم الأكرم أن تكرمنا بالثبات على دينك، ودوام ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، وأن تكرمنا بأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .

• ونسألك باسمك الرقيب أن تجعلنا ممن يراقبك في سره وعلانيته، حتى يقف عند حدودك، ويعبدك كأنه يراك، ويخافك ولا يخاف أحداً سواك .

• ونسألك باسمك المجيب أن تجيب دعاءنا، وأن تجعلنا من المجيبين لك فيما أمرت ونهيت، وأن تصون وجوهنا عن سؤال غيرك .

- ونسألك باسمك الواسع أن تزيد إيماننا وتقوانا، وأن توسع أرزاقنا من قوت القلوب والأبدان، وأن تجعل ما رزقتنا عونا لنا على طاعتك، ونفع عبادك .
- ونسألك باسمك الودود أن تكرمنا بودك وإحسانك، وأن توفقنا للتودد إليك بكل ما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال، وأن تكرمنا بحسن التودد إلى عبادك بالكلمة الطيبة، والمعاملة الحسنة .
- ونسألك باسمك المجيد أن تجعلنا ممن يمجدك، ويثني عليك، بأقواله وأفعاله، فأنت أهل الثناء والمجد، وأن تمجد حياتنا بكل ما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق.
- ونسألك باسمك الغني أن تغنينا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، وأن تكرمنا بالإحسان إلى خلقك، ودعوتهم إليك .
- ونسألك باسمك النور أن تنور قلوبنا بنور التوحيد والإيمان والتقوى، وأن تجعلنا ممن يمشي بالنور، ويعمل بالنور، ويرشد الناس إلى النور .
- ونسألك باسمك الهادي أن تهدينا لمعرفتك بأسمائك وصفاتك وأفعالك، وتدلنا على سبل رضاك، وتهدينا سبيل الرشاد، وأن تجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين .
- ونسألك باسمك المبين الذي بينت به كل شيء أن تبين لنا ما تحبه لنا، وما تحبه منا، وتبين لنا ما يعسر علينا فهمه، وأن تجعلنا ممن يدعو إليك، ويدل الناس عليك
- ونسألك باسمك الوارث أن تجعلنا ممن أورثته علم الكتاب والسنة، وممن أورثته الأرض يتبوأ من الجنة حيث يشاء، وأن تجعلنا ممن يورث غيره العلم والإيمان والأعمال الصالحة .
- ونسألك باسمك المستعان أن تعيننا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، وأن تعيننا على فعل الطاعات، وترك المعاصي، وأن تجعلنا ممن يعين كل مخلوق على أداء ما تحبه وترضاه .
- ونسألك باسمك الكافي أن تكفينا جميع حوائجنا، وأن تيسر أمورنا، وتكفينا جميع الشرور ما ظهر منها وما بطن، وتكفينا شر أنفسنا وشر غيرنا .

- ونسألك باسمك الكفيل أن تتولى جميع أمورنا، وأن تقضي جميع حوائجنا، ولا تحوجنا لأحد سواك، وأن توفقنا لكفالة المحتاجين، والإحسان إليهم .
- ونسألك باسمك الصادق أن تجعلنا ممن آمن بك وصدقك، وصدق رسلك، وصدق كتبك، وأطاع أمرك، وأن تجعلنا من الصادقين في الدنيا والآخرة .
- ونسألك باسمك السبوح أن تجعلنا من أول المسبحين بحمدك، المنزهين لك عما لا يليق بجلالك .
- ونسألك باسمك الجميل أن تجمل حياتنا وأوقاتنا بكل ما تحبه وترضاه، وأن تزين قلوبنا وجوارحنا بالإيمان والتقوى، وأن تجعلنا ممن يجمل حياة الناس بحسن الدعوة والحكمة والموعظة الحسنة .
- ونسألك باسمك الشافي أن تشفي قلوبنا من أمراض الشبهات والشهوات، وتعافي أجسادنا من العلل والأسقام، وتزين حياتنا بزينة الإيمان والتقوى، وحسن الخلق .
- ونسألك باسمك المعطي أن تعطينا ما ينفعنا، وتمنع عنا ما يضرنا، وأن توفقنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق والآداب، وأن توفقنا للإحسان إلى عبادك، وقضاء حوائجهم، ابتغاء مرضاتك .
- ونسألك باسمك المحسن أن تحسن إلينا في الدنيا والآخرة، وأن تجعلنا ممن أحسن لك العبادة، وأحسن إلى خلقك بقوله وفعله وماله، ابتغاء مرضاتك .
- ونسألك باسمك الرفيق أن ترفق بمن عصى أمرك، وتجاوز حدودك، وتتوب عليه، وأن ترزقنا الرفق في جميع الأمور، وحسن الرفق بأهل الجهل والمعاصي، وسائر الناس .
- ونسألك باسمك الطيب أن تطيب قلوبنا وأقوالنا وأعمالنا وأوقاتنا بكل طيب، وأن تحول بيننا وبين كل خبيث، وأن تطيب أرزاقنا في الدنيا والآخرة .
- ونسألك باسمك الحيي أن تجعلنا من أشد خلقك حياءً منك، وأن تهدينا لفعل ما تحبه وترضاه، وتوفقنا للحياء بين الناس، حتى لا نفعل ما يستحي العبد منه .
- ونسألك باسمك الستير أن تستر علينا في الدنيا والآخرة، وأن توفقنا لحسن الستر على زلات العباد، وستر عوراتهم، وعدم فضحهم .

• اللهم يا فاطر السموات والأرض، يا بديع السموات والأرض، يا فالق الحب والنوى، يا فالق الإصباح، يا خير الفاتحين، يا خير الرازقين، يا أحسن الخالقين، افتح لنا أبواب رحمتك وفضلك وإحسانك، وافتح لنا من بركات السموات والأرض .

• اللهم يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا العرش المجيد، يا فعالاً لما يريد، يا من بيده ملكوت السموات والأرض، يا من يقول للشيء كن فيكون، يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، يا مقلب القلوب والأبصار، أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا .

• اللهم يا أحكم الحاكمين، يا أرحم الراحمين، يا رفيع الدرجات، يا علام الغيوب، يا منزل الكتاب، يا مجري السحاب، يا هازم الأحزاب، يا مذهب البأس، انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين، وارحم عبادك الموحدين، واغفر ذنوب المذنبين، وانصرنا على القوم الكافرين .

• اللهم يا غافر الذنب، يا قابل التوب، يا عالم الغيب والشهادة، ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واغفر ذنوبنا، واختم بالصالحات أعمالنا، يا أرحم الراحمين .

• اللهم اغفر لنا كل ذنب، واستر علينا كل عيب، وفرج عنا كل كرب، وادفع عنا كل هم، واصرف عنا كل شر، واحفظنا من كل فتنة .

• يا مجيب الدعوات، يا عالم الخفيات، يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا فارج الهم، يا قائما على كل نفس، يا من هو الإله، ولا رب لنا سواه .

• لا إله إلا أنت الملك الحي القيوم، القوي القادر، السلام المؤمن، المهيمن، العزيز الجبار، الكبير المتعال، القاهر القهار، الذي خضع له الكون كله بعرشه وكرسيه، وسمواته وأرضه، وذراته ومجراته .

• نسألك بأسمائك الحسنى التي إذا سئلت بها أعطيت، وإذا دعيت بها أجبت، وإذا استنصرت بها نصرت، وإذا دعيت بها على مغاليق السموات والأرض انفتحت، وإذا دعيت بها على أبواب العسر تيسرت .

• ونسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، ما علمنا منها وما لم نعلم، أن تعز الإسلام والمسلمين، وتنصر عبادك المؤمنين، وأن تظهر دينك على الدين كله، في العالم كله، يا قوي يا عزيز .

• اللهم أجْرِ من أسباب الحلال أرزاقي ، ووجِّه في أبواب البر إنفاقي ، وازْوِ عني من الأموال والأشياء ما يشغلني عنك ، واجعل ما أعطيتني عوناً لي على طاعتك ، وما منعتني سبباً لتفرغي لعبادتك ، يا أرحم الراحمين .

• مولاي هذا مقام العائذ بك من كل سوء يرجو رحمتك، ويخشى عذابك، تَلَقَّاك بنفسٍ خاشعة، ورقبة خاضعة، وظهر مُثْقل بالذنوب والخطايا، واقف بين يديك بالرغبة إليك، والرهبة منك، وأنت أولى من رجاه، وأحق من خَشِيَهُ واتقاه ، فاغفر له وارحمه ، يا ولي المتقين.

• أشهد أنك قَسَمت معايش العباد بالعدل ، وأحسنت إلى جميع خلقك بالفضل ، وأشهد أن الشريف من شرَّفَتْه طاعتك ، والعزيز من أعزَّتْه عبادتك .

• مولاي اجعل شكري لك على ما زويت عني أوفر من شكري إياك على ما خَوَّلتني، ولا تشغلني عنك بغيرك ، فإن الغني من أغنيت ، والسالم من وَقَيت .

• لا إله إلا أنت ، تحكم بما شئت على من شئت ، وتقضي بما أردت على من أردت ، فلك الحمد على ما وقيتنا من البلاء ، ولك الشكر على ما خَوَّلتنا من النعماء .

• سبحانك أنت المنعم بكل نعمة، وأنت الذي تدفع كل نقمة ، أَشْكَرُ عبادك عاجز عن شكرك ، وأَعْبَدهم مقصر في عبادتك ، لا يستحق أحد أن تغفر له باستحقاقه ، ولا أن ترضى عنه باستيجابه، فمن غفرت له فبطَوْلك ، ومن رضيت عنه فبفضلك.

سنتك الإنعام والإفضال، وعادتك الإكرام والإحسان، وسبيلك العفو والرحمة، وثوابك الجنة.

• لا إله إلا أنت ، كل البرية تشهد لك بالفضل على من عافيت ، وأنك غير ظالم لمن عاقبت، وكلٌ مقر بالتقصير على أداء ما يجب لك ، ولو لا أن الشيطان خدع الخلق عن طاعتك ما عصاك عاص ، ولو لا أنه صوَّر لهم الباطل في صورة الحق ما ضل عن طريقك ضال.

• سبحانك ما أعظم كرمك في معاملة من أطاعك أو عصاك ، تشكر للمطيع ما أنت أنعمت به عليه ، وتحلم على العاصي فيما تملك معاجلته فيه .

تطاع فَتَشكر، وتُعصى فَتَغفر ، وتفضَّلت على كلٍ منهما بما يَقْصُر عمله عنه .
يرضيك العمل القليل وهو من فضلك ، وتجازي صاحبه بالثواب العظيم ، والمقام الأمين في جوارك ، لا إله إلا أنت ما أكرمك وما أرحمك.

• إلهي يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت ، تباركت أن توصف إلا بالإحسان ، وكَرُمْتَ أن يُخاف منك إلا العدل، لايُخشى جورك على من عصاك، ولا يُخاف نقصك ثواب من أرضاك.

• اللهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظُلِم بحضرتي فلم أنصره ، ومن معروف أُسدي إليّ فلم أشكره ، ومن مسيء اعتذر إليّ فلم أعذره ، ومن فقير سألني فلم أعطه ، ومن عيبِ مؤمنٍ ظهر لي فلم أستره ، ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره .

• اللهم اجعل رغبتي في طاعتك ، وأخْلِص محبتي لنفسك ، واكسر شهوتي عن كل محرم، يا من بيده مقاليد الأمور .

• اللهم كل عبدٍ نال مني ما حرَّمتَ عليه ، وانتهك مني ما حجرتَ عليه ، فاغفر له ما أَلَمَّ به مني ، وعوِّضني من عفوي عنه عفوك عني ، ومن دعائي له رحمتك لي ، يا أرحم الراحمين.

• اللهم وكل عبد ناله مني أذى ، أو لحقه بسببي ظلم ، فأرضه عني بما تشاء ، وأوفه حقه من عندك ، إنك أنت الكريم الرحيم .

• اللهم إني أستوهبك يا إلهي ما لا يَنْقصك بذله أن تهب لي نفسي، وتعتقها من النار يا ربي، فكم عمَّ عفوك الظالمين ، وكم تكرمت بالتوبة على المجرمين .
أنت الرب العظيم الذي لا يمنع أحداً فضله ، ولا يستقصي من أحد حقه ، تبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .

• اللهم زدنا من الإيمان والتقوى ، وأكرِمنا في الآخرة والأولى ، واجعل الموت باباً من أبواب مغفرتك ، ومفتاحاً من مفاتيح رحمتك ، أحْينا مسلمين ، وأَمِتنا مهتدين غير ضالين ، تائبين غير عاصين.

• اللهم شرِّف درجتي برضوانك ، وأكمِلْ كرامتي بغفرانك ، واجعلني من عبادك المقربين، ومن حزبك المفلحين، واعمر بي مجالس الصالحين، وأدخلني في زمرة الفائزين، يا رب العالمين.

• اللهم ارحمنا إذا حان الفراق ، وساقنا ملك الموت إلى يوم التلاق ، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق.

• اللهم اجعل قبورنا بعد فراق الدنيا خير منازلنا ، وافسح لنا برحمتك ضيق ملاحدنا ، وارحم بالقرآن يوم العرض عليك ذل مقامنا ، وثبِّت به على الصراط أقدامنا ، وأتِمَّ به نورنا .

• اللهم صل وسلم على محمد وآله ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، وأحينا على سنته ، وتوفنا على ملته ، واحشرنا في زمرته ، وأورِدْنا حوضه ، يا أكرم الأكرمين .

• سبحان من خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر ، وجعلهما دائبين في الكون.

آمنت بمن خلق هذا الخلق المطيع ، فهو دائب سريع ، يدور في فَلَك التدبير ، وإلى إرادة ربه سريع ، جعله ربه آية من آيات ملكه ، وعلامة من علامات سلطانه .

اللهم اجعلنا مِنْ أرضى مَنْ طلع عليه ، وأزكى مَنْ نظر إليه ، وأسعد من تعبَّد لك فيه ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم إنا نسألك أن ترزقنا إيماناً صادقاً نكفّ به جوارحنا عن معصيتك ، ونستعملها به فيما يرضيك ، حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا ننظر بأبصارنا إلى لهو ، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور ، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور ، وحتى لا يدخل بطوننا إلا ما أحلَلْت ، ولا تنطق ألسنتنا إلا بما أمرت ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم ارزقنا الإخلاص في توحيدك ، واستعمل ألسنتنا بذكرك وتحميدك ، وجنبنا الإلحاد في توحيدك ، والتقصير في تمجيدك ، والشك في دينك ، والعمى عن سبيلك ، يا من بيده مقاليد الأمور.

• اللهم يا بصيراً بالعباد ، يالطيف يا خبير استعمل أبداننا في عبادتك ، وزيِّن أوقاتنا بطاعتك ، وإنْ مِلْنا فعدِّلنا ، وإنْ زغنا فقوِّمنا ، وإن أسَرَنا الشيطان فاستنقذنا ، وإن تسلط علينا العدو فانصرنا ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

• اللهم يا من لايندم على العطاء ، ولا يرغب في الجزاء ، عقوبتك عدل ، وعفوك إحسان، وقضاؤك كله خير ، ونعمك على خلقك لا تعد ولا تحصى.

تشكر من شكر وأنت ألهمته شكرك ، وتكافيء مَنْ حَمِدك وأنت علَّمته حَمْدك ، وتستر

على من لو شئت لفضحته ، وتجود على من لو شئت لمنعته ، وكلٌّ منهما أهل للفضيحة والمنع ؛ لأنك واسع الفضل والرحمة ، عظيم الجود والإحسان ، عظيم المغفرة والحلم .

• إلهي أنت الكريم الذي فتحتَ لعبادك أبواب التوبة ، وأبواب الرحمة ، وأبواب العفو ، وأبواب الخير ، وأبواب الرزق ، وأبواب الدعاء ، وأبواب العمل الصالح .

اللهم أدخلنا أبواب الخير كلها ، وامنعنا من أبواب الشر كلها ، يا رؤوف يا رحيم .

• اللهم لك الحمد على ما هديتنا للإسلام ، وسهّلت لنا سبل الإحسان ، ووفقتنا لحسن عبادتك ، وهديتنا إلى ما يرضيك عنا ، وجنَّبتنا ما يسخطك علينا .

• اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى ترضى وإذا رضيت ، إقراراً بالإساءة ، واعترافاً بالإضاعة .

• لك الحمد من ألسنتنا بصدق الاعتذار ، ومن قلوبنا بصدق الندم ، فَأْجُرنا على ما حمدنا، واغفر لنا ما قصّرنا ، يا من لا يغفر الذنوب سواه ، ولا يعطي الجزيل غيره .

• اللهم إنا نتوب إليك في جميع أوقاتنا من كل ذنب أذنبناه ، ونحمدك على كل خير عملناه، ونشكرك على كل رزق أعطيتناه .

• يا أكرم مَنْ رغب خلقه إليه ، وأكفى من توكل عباده عليه ، يا من يرحم من لا يرحمه العباد ، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد .

• يا من يشكر اليسير من العمل ، ويجازي بالعظيم من الأجر ، يا من لا يغيِّر النعمة ، ولا يبادر بالنقمة ، يا من يضاعف الحسنات ، ويعفو عن السيئات .

• يا من يَذكر مَنْ ذَكَره ، ويتقرب إلى من تقرب إليه ، ويدعو إلى نفسه من أدبر عنه.

أنت رب العزة والجلال ، وأنت ذو الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة.

• أنت الأعلى فوق كل عال ، وأنت الكريم بكل نعمة ، امتلأت بفيض جودك جميع أوعية الطلبات ، فما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانك .

بابك مفتوح للوافدين ، وجودك مباح للسائلين ، وعونك شامل للخلق أجمعين ، ورزقك مبسوط على العالمين .

حَلُمت على من عصاك لعله يتوب إليك ، وأمهلت من ناواك ثقة بدوام ملكك ، فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها ، ومن كان من أهل الشقاوة خذلته بها.

• سبحانك ما أعدلك وما أرحمك ، هديتنا إلى الدين ، وأظهرت البينات ، وأقمت

الحجج، وتلطَّفت في الترغيب ، وتقدَّمْتَ بالوعيد ، وضربتَ الأمثال ، وأطلت الإمهال ، وأخرت العقوبة وأنت مستطيع للمعاجلة ، لتكون حجتك أبلغ ، وكرمك أكمل، وإحسانك أوفى ، ونعمتك أتم.

• لا إله إلا أنت الواحد الأحد لا شريك لك ، أنت الأول قبل كل أحد ، والآخر بعد كل عدد ، أنت المحيط الذي أحطت بكل شيء علماً ، وأحصيت كل شيء عدداً ، وجعلت لكل شيء أمداً .

• لا إله إلا أنت ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، وأنت مَلِك السموات والأرض ومن فيهن ، وأنت الخالق الذي خلق جميع المخلوقات ، وأنت المصوِّر الذي صوَّر جميع المصوَّرات .

• لا إله إلا أنت ، أنت القوي القادر الذي أردت ما كان فكان ما أردت ، وحكمتَ فكان عدلاً ما حَكَمت ، وخلقتَ فكان حَسَناً ما خَلَقت ، وقدَّرت فكان حقاً ما قدَّرت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .

• لا إله إلا أنت ، ما أجلّ شأنك ، وما أعظم سلطانك ، وما أوسع رحمتك وغفرانك.

• لا إله إلا أنت ، سبحانك بسطت بالخير يدك ، وهديت للإسلام خلقك .

• سبحانك خضع لك مَنْ جرى في علمك ، وخشع لعظمتك ما تحت عرشك ، وانقادت لك كل ذرة في ملكك ، لا راد لقضائك ، ولا مُعقِّب لحكمك .

• اللهم لك الحمد حمداً يليق بعظمتك ، ويكافي إحسانك ، ويليق بعز جلالك .

• إلهي أنت الكريم الحليم الذي يسترضي المسيئين ، ولا يعاجل المذنبين ، ويمهل المخطئين ، ويقيل عثرات المذنبين .

أنا المسيء الخاطىء ، أنا الظالم العاثر ، أنا الذي عصاك متعمداً ، أنا الذي استخفى من عبادك وبارزك ، أنا الجاني على نفسه ، أنا المرتَـهَن بذنبه ، أنا القليل الحياء ، أسألك أن تغفر لي ذنوبي ، وأن تجيرني من النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

• اللهم يا مولاي لا تعرض عني إعراض من لا ترضى عنه ، ولا ترسلني إرسال من لا خير فيه ، ولا ترم بي رمي مَنْ سقط من عينك ، ولا تطوِّقْني طَوْقاً يحبط الحسنات ، ويذهب بالبركات ، وانزع من قلبي كل شهوة تشغلني عن عبادتك.

• اللهم زيِّن لي التفرد بمناجاتك ، وهب لي نوراً يملأ قلبي بعظمتك ، ويقيناً يدفعني إلى

خشيتك ، وعلماً أعرف به عظمتك ، وتمنعني به من ركوب محارمك ، وتعينني به على طاعتك.

• اللهم ما أنزلت من خير وصحة وسلامة وسعة رزق فاجعل لنا منه أوفر الحظ والنصيب، وما أُنزل من شر وفتنة فاصرفه عنا وعن المسلمين ، وارزقنا اللهم غنىً لا يطغينا ، وصحة لا تلهينا ، واجعلنا أفقر عبادك إليك ، وأغنى خلقك بك ، إنك أنت العزيز الكريم .

• إلهي لم أُصب خيراً قط إلا منك ، ولم يَصرف عني سوءاً قط غيرك ، أنت رجائي وملاذي فأغنني بفضلك عمن سواك ، وبطاعتك عن معصيتك ، يا أرحم الراحمين.

• اللهم إني أسألك يا مولاي بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العلى ، وبقدرتك التي خَلَقْتَ بها السموات والأرض وما فيهما وما فوقهما ، وحرَّكْت بها كل متحرك ، وسكَّنت بها كل ساكن ، وأحييت بها أموات العباد ، ونشرت بها أقوات البلاد ، ورحمت بها من تشاء ، وعاقبت بها من تشاء ، وأعطيت بها من تشاء ، ومنعت بها من تشاء ، أن ترضى عنا ، وتدخلنا دار السلام ، إنك أنت السلام ، ومنك السلام ، لا إله إلا أنت .

• اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قَهَرْتَ بها كل شيء ، وبعزتك التي ذل لها كل شيء ، وبعظمتك التي ملأت كل شيء ، وبسلطانك الذي علا كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء ، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء ، وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء ، أن تغفر لنا الذنوب التي تهتك العِصَم ، وتُنْزِل النقم ، وتغيِّر النعم ، وتُنزل البلاء والفتن ، يا أرحم الراحمين.

أسألك يا مولاي أن توزعني شكرك ، ودوام ذكرك ، وحسن عبادتك ، والإحسان إلى خلقك ، أسألك سؤال من اشتدت فاقته ، وعَظُمَتْ فيما عندك رغبته ، فاستجب دعائي.

• اللهم يا قوي أسألك بعزتك أن لا تحجب عنك دعائي بسوء أفعالي ، ولا تعاجلني بالعقوبة على ما عصيتك في خلواتي ، وكن بي في جميع الأحوال رؤوفاً رحيماً ، لا إله لي غيرك ، أسألك كشف ضري ، ومغفرة ذنبي ، يا غفور يا رحيم .

• اللهم ارحم قلوباً امتلأت بتوحيدك ، وألسنة نطقت بذكرك وتمجيدك ، ووجوهاً خرَّت لعظمتك ساجدة ، وجوارحاً في عبادتك خاشعة .

اللهم صل وسلم على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه الغر الميامين ، وعلى خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، خير

الخلفاء بعد الأنبياء ، وأفضل أئمة الهدى ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات.
اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا ، يا سميع الدعاء.
هذا الدعاء ، ومنك الإجابة ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك.
سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.
﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء/ ٨٧].
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦].
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة/ ٢٠١].
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة/ ١٢٧].
﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾
[الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

* * * * *

فهرس الموضوعات

الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة
الباب الثالث عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية:	٧
٦١-٦٢- اسم الله الشكور.. الشاكر	٨
التعبد لله عز وجل باسمه الشكور.. الشاكر	٣٠
٦٣- اسم الله الحليم	٥٩
التعبد لله عز وجل باسمه الحليم	٨٨
٦٤- اسم الله العفو	١٠٣
التعبد لله عز وجل باسمه العفو	١٢٥
٦٥-٦٦- اسم الله الغفور.. الغفار	١٤٥
التعبد لله عز وجل باسمه الغفور.. الغفار	١٦٥
٦٧- اسم الله الودود	١٨٧
التعبد لله عز وجل باسمه الودود	٢٠٥
٦٨- اسم الله البر	٢١٣
التعبد لله عز وجل باسمه البر	٢٢٨
٦٩- اسم الله الرؤوف	٢٣٥
التعبد لله عز وجل باسمه الرؤوف	٢٤٤

الباب الرابع عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: **٢٥١**
٧٠- اسم الله القريب ٢٥٢
٧١- اسم الله المجيب ٢٦٥
التعبد لله عز وجل باسمه المجيب ٢٨١
٧٢- اسم الله المستعان ٢٨٧
التعبد لله عز وجل باسمه المستعان ٣٠٠
٧٣- اسم الله التواب ٣٠٥
التعبد لله عز وجل باسمه التواب ٣٢٠
٧٤- اسم الله الرقيب ٣٢٧
التعبد لله عز وجل باسمه الرقيب ٣٤٠
٧٥- اسم الله الشهيد ٣٥٥
التعبد لله عز وجل باسمه الشهيد ٣٨٧
٧٦- اسم الله الواسع ٣٩٩
التعبد لله عز وجل باسمه الواسع ٤١٢
٧٧- اسم الله المحيط ٤٢١
التعبد لله عز وجل باسمه المحيط ٤٣١
٧٨-٧٩- اسم الله الحسيب.. الحاسب ٤٣٧
التعبد لله عز وجل باسمه الحسيب.. الحاسب ٤٤٧

الموضوع	الصفحة

٨٠- اسم الله المقيت ٤٥٣

التعبد لله عز وجل باسمه المقيت ٤٦٨

الباب الخامس عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: ٤٧٣

٨١-٨٢- اسم الله الحفيظ.. الحافظ ٤٧٤

التعبد لله عز وجل باسمه الحفيظ.. الحافظ ٤٨٥

٨٣- اسم الله الكافي ٤٩٣

التعبد لله عز وجل باسمه الكافي ٥٠١

٨٤- اسم الله الكفيل ٥٠٥

التعبد لله عز وجل باسمه الكفيل ٥١٢

٨٥- اسم الله الوكيل ٥١٧

التعبد لله عز وجل باسمه الوكيل ٥٤٥

٨٦-٨٧- اسم الله الفتاح.. الفاتح ٥٥٣

التعبد لله عز وجل باسمه الفتاح.. الفاتح ٥٧٠

٨٨- اسم الله الوهاب ٥٨١

التعبد لله عز وجل باسمه الوهاب ٥٩٣

٨٩- اسم الله الهادي ٦٠١

التعبد لله عز وجل باسمه الهادي ٦٢٥

٩٠- اسم الله الصادق ٦٣٣

التعبد لله عز وجل باسمه الصادق ٦٤٥

٩١- اسم الله الوارث ٦٥١
التعبد لله عز وجل باسمه الوارث ٦٥٨
الباب السادس عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: ٦٦٣
٩٢- اسم الله الوتر ٦٦٤
التعبد لله عز وجل باسمه الوتر ٦٧٥
٩٣- اسم الله السبوح ٦٨٣
التعبد لله عز وجل باسمه السبوح ٦٩٤
٩٤- اسم الله الطيب ٧٠١
التعبد لله عز وجل باسمه الطيب ٧١١
٩٥- اسم الله الجميل ٧٢١
التعبد لله عز وجل باسمه الجميل ٧٣٣
٩٦- اسم الله النور ٧٤١
التعبد لله عز وجل باسمه النور ٧٥٣
٩٧- اسم الله الرفيق ٧٦٥
التعبد لله عز وجل باسمه الرفيق ٧٧٦
الباب السابع عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: ٧٨٣
٩٨- اسم الله الشافي ٧٨٤
التعبد لله عز وجل باسمه الشافي ٧٩٩
٩٩- اسم الله الحيي ٨٠٥

الموضوع	الصفحة

التعبد لله عز وجل باسمه الحيي ٨١٤
١٠٠- اسم الله الستير ٨٢٣
التعبد لله عز وجل باسمه الستير ٨٣١
١٠١- اسم الله المعطي ٨٤١
التعبد لله عز وجل باسمه المعطي ٨٦٨
١٠٢-١٠٣- اسم الله المقدم.. المؤخر ٨٧٩
التعبد لله عز وجل باسمه المقدم.. المؤخر ٨٩٤
١٠٤- اسم الله المحسن ٩٠٣
التعبد لله عز وجل باسمه المحسن ٩١٩
الباب الثامن عشر: دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى، ويشتمل على مايلي: ٩٢٩
١- دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى من القرآن الكريم ٩٣٠
٢- دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى من السنة النبوية ٩٣٣
٣- دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى بما يوافق القرآن والسنة ٩٣٩
الفهــرس ٩٧٣